أعلام التصحيح والاعتدال

مناهجهم وآراؤهم

تأليف

خالد بن محمد البديوي
Khalidbediwi@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

أعلام التصحيح والاعتدال

مناهجهم وآراؤهم

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البديوي، خالد بن محمد بن صالح

أعلام التصحيح والاعتدال في صفوف الإمامية: في القرن الأخير.

٥٢٦ ص، ١٧ سم

ردمك: ٥ – ٩٥٤ – ٤٩ – ٩٩٦٠

١ – الإمامية (فرق الشيعة) – تراجم ب– العنوان

ديوي ٩٢,٧٦ ١٤٢٦/٧٣٣٧

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٧٣٣٧

ردمك: ٥ – ٩٥٤ – ٤٩ – ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد:

- **فأظن أني لا أذيع سرًّا إذا قلت: إني ولدت وترعرعت في شرق المملكة العربية السعودية حيث يعيش أهل السنة والشيعة، وعلى الرغم من أنني من أسرة أحسائية، ومن قرية على وجه الخصوص يكاد عدد الشيعة فيها يساوي النصف، إلا أنني وطوال سني عمري الممتد إلى نحو ثلاثة عقود، لم أكن أعرف عن عقائدهم وعاداتهم إلى وقت قريب إلا القليل، فأبرز ما عرفته عنهم هو ما أسمعه يتردد في المجالس من أن عندهم ما يسمى بـ(ليلة الطَّفْيَة)[1]؛ ليلة ماجنة؛ يقال: إن الشيعة يقيمونها كل عام، يختلط فيها الرجال بالنساء، تُطفأ فيها المصابيح، ويقال بأنه يحدث فيها ما يُستحيى من ذكره، أو قصة رجل شيعي غدر بآخر سني، حيث وضع بعضًا من الأذى في شرابه أو طعامه قبل أن يقدمه له ـ هكذا ينقل بلا مستند يثبت أو على الأقل يحدد مكان الحدث ـ.**

- **كما كنت أسمع أنهم يعلِّمون أبناءهم منذ نعومة أظفارهم الحقد على أهل السنة، وينفخون في روعهم أننا أشد أعدائهم، وأنه يجب عليهم أن يتعاملوا معهم بالتقية، لكف أذاهم، حتى يمكَّن لهم، ومن ثم ينتقمون منهم.**

---

(١) هكذا يسميها الناس عندنا "ليلة الطَّفْيَة" وينسبوها للشيعة، والذي توصلت إليه أنها من أعمال القرامطة قديمًا وليست من عمل الإمامية، فقد ورد أن حمدان القرمطي عيَّن لأصحابه ليلة يختلط بها الرجال والنساء، وزعم أن هذا من صحة الود والألفة بينهم. كما أن الجبائي القرمطي أمر أتباعه في شرق الجزيرة بإقامة ليلة سماها (ليلة الإفاضة) يجتمع فيها الرجال والنساء وتطفأ الأنوار، ويمارس الجنس بلا تمييز بين محللات ومحرمات.

للمزيد انظر: كتاب الحركات الباطنية لمحمد الخطيب ص ١٦٥ ـ نقلاً عن تاريخ أخبار القرامطة لابن سنان وابن عديم ص ٩٩، ١٠٠. والإسماعيليون في المرحلة القرمطية لسامي العياش ص ٢٣٩ ـ.

● وكنت أسمع أن كل الشيعة يعبدون عليًا أو يألّهونه، أو أنهم وثنيون وضُلاّل وقبوريون وحاقدون ناقمون.. وأنهم لو تمكنوا من أهل السنة فسيقتلونهم جميعًا .. ولن أنسى أبدًا ذلك اليوم من سنة سبع وأربعمائة وألف للهجرة وأنا وقتها ابن اثني عشر ربيعًا، يوم رأيت ورأى الناس على شاشات التلفاز أحداث التخريب والقتل في مكة، التي وقعت من قبل بعض الغوغاء المغرَّر بهم من الشيعة، وكان قلقي الشديد - على أختي وأخي اللذين ذهبا لأداء الفريضة ذلك العام - قد بلغ أشُدَّه، وحين ذاك اشتد غضبي على الشيعة، وبدأت أشعر بالخوف منهم.

● وفي مقابل هذا الوجه المعتم الذي التصق بالشيعة في ذهني، لن يغيب عن مخيلتي تلك الصور المشرقة لبعض الشيعة الأوفياء؛ كصورة ذلك المزارع الشيعي الخلوق الذي كان يرعى مزرعة أوقفها جدّي، وكان يأتي بكل أمانة لجدتي بنصيبها من التمر في كل موسم، حتى مات وماتت بعده جدّتي.

● وإن نسيت فلن أنسى حسن تعامل كثير من الباعة الشيعة وصدقهم الذي عهدته من صغري في السوق.. يوم أن كنت أقصد بعضهم في السوق لإخلاصه في النصيحة للمشتري.

أخي القارئ .. أعلم أنني قد ذكرت لك صورًا متضاربة، لكنها تعبّر لك عن الصورة القاتمة أو غير الواضحة، أو قل المتناقضة عن الشيعة في ذهني وذهن الكثيرين.

● **والعجيب** أنني ومع كل ذلك لم يخطر ببالي - يومًا ما - أن أفكر في قراءة مقال لأحد الشيعة، أو أكلف نفسي عناء البحث عن حقيقة التشيع، على الرغم من عيشهم معنا وبالقرب منا، ولهم مواقف جديرة بالاهتمام والدراسة، فضلا عن أن أكتب بحثًا في مذهب التشيع والشيعة، أستظهر فيه واقعهم المعاصر بعيدًا عن ما تحفل به كتبهم القديمة والمتقدمة.. إلى أن شاء الله تعالى أن أجلس يوما طالبًا في الدراسات العليا بين يدي الدكتور الفاضل محمد الوهيبي[1] في إحدى محاضرات مادة (قضايا كلامية) في مرحلة (الماجستير) في جامعة الملك سعود، وقد فوجئت حينما ذكر لنا أن ثمة اتجاهات تدعو للاعتدال وترك الخرافات في وسط الشيعة المعاصرين،

(١) وهو رئيس قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض.

وأنها تقدم أراءً رائعة في الأصول العقدية والفكرية، وأنه يتمنى لو يتعرف الباحثون الجادون المنصفون من أهل السنة على هذه التيارات، ويرصدونها رصدًا علميًّا موثّقًا، وينشرونها خدمة للأمة الإسلامية، كي تسهم في رأب الصدع بين المؤمنين، وتوحيد الصف، وتقضي على ظاهرة الاختلاف والفرقة بين المسلمين.

● **وحينها** شعرت بانجذاب لا إرادي لهذه الفكرة، وبدأت على الفور في تدوينها، والبحث عن الخيوط الأولى التي ستقودني إلى تحريرها وتنفيذها وتحويلها إلى واقع ملموس، وقد أخبرت الدكتور محمد الوهيبي عن عزمي في هذا المضمار، وذلك بالكتابة في هذا الموضوع بمشيئة الله.

● وبالفعل شرعت في جمع المعلومات، والبحث عن مصادرها، وسؤال أهل الاختصاص عنها، بعد أن حظيت بتشجيعه ومساعدته ورغبته في تذليل الصعوبات التي يمكن أن تواجهني ما أمكن، حتى تمكنت بحمد الله من إتمام بحث صغير أثناء الدراسة المنهجية، ظفرت فيه بنتائج لم أكن أتوقعها، فكانت بمثابة الشرارة الأولى التي أضاءت في نفسي مصباح الأمل كي أمضي إلى تحقيق هذا الحلم وإنجاز هذا العمل في رسالة علمية موثقة.

● وبالفعل مضيت بعدها في الطريق بخطى واثقة ولله الحمد، وقد وفقني الله بعونه للوصول إلى ما لم أتوقع حجمه .. فقد أذهلني ما صادفته ووقفت عليه؛ من **شخصيات رائعة** في صفوف الشيعة الإمامية لا يتمالك المرء حيالها إلا أن يُكبر جُهدها وجهادها، وعاينت تيارات معتدلة، لها جهد كبير في محاربة الخرافة والأساطير، ولها آراء قيمة تصب في إعادة الأمة إلى الاعتدال وترك الغلو، كما أن لهذه الشخصيات خطوات عملية جادة تسعى بكل قوة إلى توحيد صفوف الأمة على الهدى والحق والنور، غير عابئة بما صادفته وتصادفه من العنت والصلف والجور من أصحاب المصالح والتعصب المذهبي الأعمى، الذي وصل ببعضهم إلى حد التنكيل أو النفي أو السجن أو القتل .. وهو ما سيجده القارئ الكريم في صفحات هذا البحث.

● **وأدركت** وقتها أن الفريقين كليهما - سواء من أهل السنة أو الشيعة الإمامية - مقصّرون تقصيرًا كبيرًا في تبني مثل هذه الشخصيات ومشاريعها المعتدلة، التي لو أتيح لها أن تتنفس في جوٍّ حر، وترى النور، ويعيشها الناس واقعًا حيًّا على الأرض في أصقاع من المعمورة في بلاد المسلمين خاصة لتغير حال الأمة.

● وكل يوم يمر بي وأنا أتأمل وأقرأ أزداد معه قناعة ويقينًا أننا بحاجة ماسّة

إلى استقراء جديد ناضج ومنصف للإرث الحضاري والفكري لكل فرق الإسلام في القديم والحديث، بعيدًا عن المجاملات السياسية، أو التشنج الطائفي، بل يكون ذا مصداقية وواقعية وشمول، غايته سبر الأغوار، وتشخيص الداء، والتعرف على جهود المعتدلين المخلصين فيها، والكشف عن دعاة التصحيح عبر القرون، ونشر علمهم المستقيم وجهادهم المستنير، وتوعية الأجيال للانفتاح على فكرهم المعتدل الحر، حتى نصل إلى نقط التقاء تحقق للمسلمين الوحدة والاتحاد، وخاصة تلك الفرق التي عاشت عزلة ثقافية وفكرية واجتماعية زمنًا طويلًا.

● وأظن أن الأمة اليوم أفرادًا وجماعات قادرة بإذن الله . إن كانت جادة في الوفاق والاتفاق . على أن تحقق هذا المشروع الحضاري الواعد، الذي يتمناه كل مسلم صادق، لا سيما في هذا الزمن الذي تيسرت فيه سبل المعرفة، وانكشفت فيه الحقائق المخبأة، وأصبح العالم الإسلامي بل العالم كله قرية صغيرة واحدة، وكثرت فيه وسائل الاتصال، وأمكن كل باحث أن يصل إلى المعلومة من مصادر شتى بكل يسر في أسرع وقت.

●● **ولا أزال في عجب وإعجاب** من عمل أسلافنا وإنصافهم لخصومهم، وحسن بحثهم وتقصيهم ورصدهم لحركة العلم والفرق والجماعات بكل أمانة، ويا ليتنا نسير على نهجهم ونقتفي أثرهم في هذا المضمار الحي، في زمن يبدو لي أننا قد ابتعدنا فيه كثيرًا عن خطواتهم الرائدة في هذا المجال؛ فنراهم مثلًا قد صنفوا **فرقة الخوارج** إلى: أزارقة وصفرية ونجدات.. وفرقة الزيدية إلى : جارودية وسليمانية وصالحية.. **والمعتزلة** إلى بصرية وبغدادية.. وغيرها.. ويذكرون الفروق الدقيقة بين كل فئة وأخرى في محيط الطائفة الواحدة؛ في رصد دقيق يقوم على ميزان العدل والإنصاف، وعدم تحميل أحدٍ قولًا لم يقل به أو يتبناه من قريب أو بعيد، وفي الوقت نفسه لا يغفلون عن ذكر الحسنات، ولا يتعمدون طمس الحقائق والهنات.

ما الجديد في هذا البحث؟

سيجد القارئ الكريم في هذا البحث الإجابة على الأسئلة التالية:

مَنْ أبرز الشخصيات التي دعت إلى التصحيح والاعتدال في وسط الشيعة خلال القرن الأخير؟

وما التيارات الفكرية التي دعت إلى التصحيح والاعتدال في وسط الشيعة خلال القرن

الأخير؟

هل خرج هؤلاء المعتدلون المصلحون من المذهب الشيعي، وغادروه إلى غيره؟

ما الآراء المهمة التي دعا إليها كل واحد منهم؟

ما موقف الشيعة الإمامية من هؤلاء المعتدلين أو المصححين؟

كيف تعامل أهل السنة مع دعاة الاعتدال من الشيعة؟

● **ولا أدعي** أبدًا أنني قد استوعبت جميع أعلام التصحيح والاعتدال في هذا العمل العلمي، ولكني أرجو أن أكون ممن أسهم في فتح باب البحث والنظر في الواقع الفكري للفرق الأخرى التي لا تندرج في منظومة أهل السنة والجماعة، لمخالفتها إياهم في بعض الأصول؛ لأن تعميم المخالفة وتجريمها، والحكم بتبديع أو تكفير أو تسفيه دون بحث وتقص واستقراء ومعرفة واقعية شاملة، يعد من الحيف والظلم.. كما أن الاكتفاء بوصف أعلامنا الأجلاء المتقدمين لهذه الفرق يعد نقصًا؛ لأن الواقع يثبت أن كثيرًا من الفرق والأديان يشهد تطورات كبيرة جدًّا — سواء محمودة أو مذمومة ـ، ولأن الاستقراء التاريخي والعملي لتاريخ الأمة يبين أنه قد يوجد من بين أتباع أي فرقةٍ في زمن ما ـ لسبب من الأسباب ـ من يوفقه الله إلى تجديد واقع تلك الفرقة إلى الأحسن، ويسهم في إحياء الفطرة السليمة وإيقاد مصابيح عقول الناس، بعيدًا عن التقليد الأعمى للموروث الفج، ويشرع في محاربة الخرافة والبدعة والانحراف العقدي الجلي، ويرشد أتباعه ومريديه إلى الحق الذي وصل إليه واقتنع به، بكل الوسائل الممكنة، ويكفينا العلامة الشوكاني شاهدًا لأثره في أتباع الفرقة الزيدية في اليمن.

● وأرجو أن لا يظن إخواني من أهل السنة أني أريد الانتصار لمفردات مذهبنا بمجرد جَمْع أسماء هؤلاء الشخصيات وذكر تحولاتهم؛ لأنه في اعتقادي يعد منهجًا خاطئًا في الاستدلال والبحث، إذ الحالة الواقعية المستمرة تثبت وجود تحولات وتغيرات في كل اتجاه، ولو صح هذا المسلك لصح للكفار أن يستدلوا على المسلمين بالمرتدين منهم، بل المقصود الاطلاع على آراء هؤلاء الشخصيات وتوجهاتهم، والاستفادة من تجربتهم، وقد قال علي رضي الله عنه: "الحق لا يعرف بالرجال، وإنما يعرف الرجال بالحق"، فالمنهج الصحيح أن يكون جل الاهتمام منصبًا على الأفكار

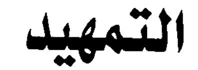
والآراء المطروحة، ثم إن دراسة الأفكار تقودنا حتمًا إلى موضوعية أكثر في النظرة والحكم على كل شخصية بغض النظر عن انتمائها.

- وقد حرصت على ذكر أسماء أعلام الإمامية المعاصرين في هذا البحث، مع ذكر ألقابهم الدالة على رتبهم في المذهب الإمامي؛ كلفظ (آية الله العظمى) الدال على كون العَلَم مرجعًا مقلّدًا، ولفظ (السيد) الدال على الانتساب لآل البيت وهي منزلة دينية تزيد العالم مكانةً أكبر عندهم، ونحوها من الألفاظ التي حرصت على ذكرها من أجل أن يعرف القارئ الكريم منزلة كل واحد في المذهب، ومكانة أقواله، مع أني لا أوافق على بعض هذه الألقاب، كتلقيبهم للعالم بـ(آية الله العظمى) أو (حجة الله) ونحوها؛ إذ لا يليق بأحد من البشر أن يسمى أو يلقب بذلك، خلافًا للشيخ والعلامة ونحوها من الألفاظ التي تُقبل في الوصف.

- وفي الختام أدعو الله تعالى أن يوفقني وإخواني الباحثين إلى تقديم ما يخدم الإسلام والمسلمين في كل مكان وصلّى الله على محمد وآله وسلّم تسليمًا كثيرًا.

خالد بن محمد البديوي
Khalidbediwi@hotmail.com





- تعريف الإمامية.
- أبرز عقائد الإمامية الخاصة.
- الأقسام المعاصرة للطائفة الإمامية.
- ظاهرة التطور في المذهب الإمامي.





المبحث الأول

تعريف الإمامية



يختلف العلماء والباحثون - لا سيما المتقدمون منهم - في وضع تعريف للإمامية، ومن أجل تعريفٍ دقيقٍ لفرقة "الإمامية"، يجب أن نفرق بين رأيين في التعريف، هما التعريف العام، والتعريف الخاص.

وأعني بالمعنى العام ما يدخل تحته مجموعة من الفرق التي يجمعها قاسم مشترك، يضم الطائفة الاثني عشرية وغيرها من الفرق الشيعية، كالزيدية[1] والإسماعيلية[2] وغيرها ممن يجمع الإيمان بالنص على إمامة علي بعد النبي صلى الله عليه وسلم نصًّا أو إشارة، وهذا التعريف العام يميل إليه أكثر المتقدمين[3]، ومنهم محمد الشهرستاني(٥٤٨هـ) وأبو الحسن الأشعري(٣٣٠هـ)[4]، كما أن محسن الأمين - وهو من محققي الشيعة المتأخرين - يميل إلى هذا الاتجاه فيجعل الكيسانية والزيدية والإسماعيلية في طائفة الإمامية[5].

وقد بيَّن الشيخ المفيد[6] - من يالشيعة - بأن لقب الإمامية، كان يطلق ابتداءً

---

(١) هم المنسبون إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى، وقد تبعوا زيدًا في قوله بأفضلية علي على سائر الصحابة، وجواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل. انظر: مقالات الإسلاميين ١/١٣٦ - ١٥٠، والملل والنحل للشهرستاني١/١٧٩ - ١٨٨، وللتفصيل طالع رسالة الزيدية للقاضي الأكوع حفظه الله تعالى.

(٢) هم القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق بعد أبيه رحمهما الله تعالى، ومذهبهم باطني فلسفي، وأشهر فرقهم: القرامطة، والمباركية، والمستعلية، الدروز، والتزارية، والبهرة والأغخانية. انظر: أصول الإسماعيلية للسلومي (مجلدين - رسالة دكتوراة مطبوعة -)، وبيان مذهب الباطنية وبطلانه لمحمد بن الحسن الديلمي ٢٣ - ٢٤، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها للعواجي ١/٢٨٢ - ٢٨٣.

(٣) انظر: أصول مذهب الشيعة١/١٢٥

(٤) مقالات الإسلاميين ١/٨٩

(٥) انظر: أعيان الشيعة ١/٢١

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري، يلقب بالمفيد ويعرف بابن المعلم، انتهت إليه رياسة الشيعة في زمنه، بلغت تصانيفه مائتي مصنف، وتوفي سنة ٤١٣هـ. انظر: ميزان الاعتدال٣/ ١٣١.-

على أعم من الاثني عشرية وأنه انتقل عن أصله، وصار مستحقًا لطائفة واحدة ممن يدخلون في اللقب العام.

كما ذكر المفيد فيب كتاب (العيون والمحاسن) أن لفظ الإمامية كان في أول الأمر يشمل كل من قال بوجوب الإمامة والنص والعصمة. كما سبق. وضّح في كتابه أوائل المقالات أن هذا اللقب ضاقت دائرته بعد ذلك، وصار علمًا على الاثني عشرية فقط، فقال:" لأنه وإن كان (أي لقب الإمامية) في الأصل عَلَمًا على من دان من الأقوال بما ذكرناه دون التخصيص لمن قال في الأعيان بما وصفناه، فإنه قد انتقل عن أصله، لاستحقاق فِرَق من معتقديه ألقابًا، بأحاديث لهم بأقاويل أحدثوها، فغلب عليهم في الاستعمال، دون الوصف بالإمامية، وصار هذا الاسم في عرف المتكلمين وغيرهم من الفقهاء والعامة علمًا على من ذكرناه"[١].

وممن ذهب إلى تخصيص لقب الإمامية بالاثني عشرية عبد الكريم السمعاني[٢]، والمؤرخ ابن خلدون[٣]، وعبد العزيز الدهلوي[٤] كما في كتابه التحفة[٥]، وزاهد الكوثري[٦].

وفي هذا البحث سنسير على الاصطلاح الخاص في إطلاق مصطلح «الإمامية»؛ لأنه هو العرف الجاري في هذا العصر بين عموم المسلمين، وعليه سيكون ذكر عقائد الإمامية وأقسامها، والله أعلم[٧].

❀❀❀

-والذريعة إلى تصانيف الشيعة ١/ ٣٠٢ و٥٠٩.الأعلام ٧/ ٢١

(١) أوائل المقالات ٤٤

(٢) الأنساب للسمعاني ١/٣٤٤

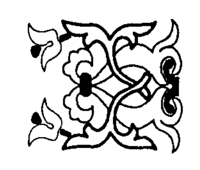
(٣) تاريخ ابن خلدون ١/ ٢٠

(٤) هو عبد العزيز بن ولي الله أحمد بن عبد الرحيم العمري الفاروقي الدهلوي، يلقب بسراج الهند، ولد سنة ١١٥٩هـ من أبرز العلماء الذين جمعوا بين علم الفقه الحنفي وعلم الحديث في الهند، له تصانيف كثيرة منها: التحفة الاثنا عشرية، وبستان المحدثين، وفتح العزيز ـ تفسير القرآن ـ والعجالة النافعة في أصول الحديث، توفي سنة ١٢٣٩هـ. انظر مقدمة لقمان السلفي لترجمة كتاب بستان المحدثين ٨ ـ ١٠.

(٥) مختصر التحفة الاثني عشرية ٢٠

(٦) التنبيه والرد (بتعليق الكوثري) ١٨

(٧) انظر موسوعة الأديان(دار النفائس)١٠٢.



المبحث الثاني
أبرز عقائد الإمامية الخاصة[1]



اعتاد المؤلفون في عقائد الإمامية أن يسردوا مجموعة عقائد، والحال أن بعضها مما يُقرُّ به المعاصرون منهم ، وبعضها مما يجتهد كثير منهم في نفيه عن المذهب، ولكي نكون أكثر دقة؛ اخترت أن يكون الحديث عن أبرز العقائد الإمامية الخاصة في إطار قسمين: عقائد يعترف الإمامية بها، وعقائد يحاول كثير من الإمامية أن يدفعها عنهم، وعليه يجري البحث في النفي أو إثبات عكسه.

القسم الأول:العقائد الإمامية الخاصة (التي يصرحون بها).

أولا : عقيدة الإمامة.

وهي تتضمن ما يلي:

١. أن منصب الإمامة منصب إلهي كالنبوة، أي أن الله هو الذي يعين الأئمة، فلا يحل تسلم زمام السلطة العليا للمسلمين في وقت وجود الإمام.

٢. أن الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم قد عيّن الأئمة من بعده وهم اثنا عشر إمامًا فقط، أولهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وآخرهم المهدي محمد بن الحسن العسكري.

٣. أن الله يؤيد الإمام بالمعجزات كما يؤيد رسله وأنبياءه[2].

---

(١) للفرقة الإمامية عقائد تشكل اعتقادًا متكاملًا فيما يتعلق بالرب سبحانه والملائكة والقدر والرسل والأنبياء وسائر أبواب الاعتقاد ، وقد اخترت أن يكون الحديث في التمهيد على العقائد التي تميّز العقيدة الإمامية فقط، بحيث يكون من أتى بها فهو إمامي، من غير أن نتطرق للعقائد التي يشترك معهم فيها غيرهم.

(٢) أصل الشيعة وأصولها ٥٨

والأئمة هم بحسب ما يعتقد الشيعة على النحو التالي[1]:

اسم الإمام	كنيته	لقبه	الميلاد/ الوفاة
علي بن أبي طالب	أبو الحسن	المرتضى	٢٣ق هـ ـ ٤٠ هـ
الحسن بن علي	أبو محمد	الزكي	٢ ـ ٥٠هـ
الحسين بن علي	أبو عبدالله	الشهيد	٣ ـ ٦١هـ
علي بن الحسين	أبو محمد	زين العابدين	٣٨ ـ ٩٥هـ
محمد بن علي	أبو جعفر	الباقر	٥٧ ـ ١١٤هـ
جعفر بن محمد	ابو عبدالله	الصادق	٨٣ ـ ١٤٨هـ
موسى بن جعفر	أبو إبراهيم	الكاظم	١٢٨ ـ ١٨٣هـ
علي بن موسى	أبو الحسن	الرضا	١٤٨ ـ ٢٠٣هـ
محمد بن علي	أبو جعفر	الجواد	١٩٥ ـ ٢٢٠هـ
علي بن محمد	أبو الحسن	الهادي	٢١٢ ـ ٢٥٤هـ
الحسن بن علي	أبو محمد	العسكري	٢٣٢ ـ ٢٦٠هـ
محمد بن الحسن	أبو القاسم	المهدي	يرى الإمامية أنه ولد سنة ٢٥٥أو٢٥٦هـ ويقولون بحياته إلى اليوم

ثانيًا: عصمة الأئمة.

يرى الإمامية بأن الأئمة المعينين وفاطمة رضي الله عنها معصومون، محتجين بأن العقل لا يجوّز أن يكون مرجع الأحكام معرضًا للخطأ والإثم،وإلا لما وثق بأقواله

(١) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية للقفاري ١٢٩

وأفعاله[١].

وقد تطورت عقيدة العصمة من نفي المعصية ، إلى نفي الجهل والنقص أوائل القرن الرابع، ثم وصلت إلى نفي السهو بعد ذلك، وقد عبّر المجلسي عن ذلك بقوله: "إن أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأئمة صلوات الله عليهم من الذنوب الصغيرة والكبيرة عمدًا وخطأ ونسيانًا من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله عز وجل".

وقد اعترف المجلسي بصعوبة هذا الرأي بقوله : "المسألة في غاية الإشكال لدلالة كثير من الأخبار والآيات على صدور السهو عنهم، وإطباق الأصحاب إلا من شذ منهم على عدم الجواز"[٢] ، ومن الغريب أنّ المجلسي يذكر الإجماع ثم يحكي هذا الإشكال، وأغرب منه أن بعض أبرز المتقدمين قبله كان يعدّ نفي السهو من سمات الغلاة[٣].

وقد قام بعض المعاصرين ببعض المراجعات التي لم تنتهِ إلى نفي العصمة تمامًا، بل إلى تقديم مفهوم أقل غلوًّا، ومع ذلك لقي هؤلاء إنكارًا شديدًا من التيار التقليدي[٤].

ثالثًا: مهدوية محمد بن الحسن والغيبة.

يعتقد الشيعة الإمامية بأن المهدي المنتظر قد ولد في القرن الثالث، وهو محمد بن الحسن العسكري، وأنه الإمام الثاني عشر والأخير في تسلسل الأئمة المعينين في اعتقادهم.

كما يرون بأنه بعد ولادته قد غاب عن الأنظار، وأن غيبته مرت في مرحلتين:

---

(١) انظر الشيعة والتشيع للمرجع المعاصر محمد الحسيني الشيرازي ٦٥ ـ ٦٦

(٢) بحار الأنوار ٢٥/٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٣) قال الملقب برئيس الشيعة ابن بابويه القمي : "إن الغلاة والمفوضة ـ لعنهم الله ـ ينكرون سهو النبي صلى الله عليه وسلم.. وكان شيخنا محمد بن الحسن بن الوليد يقول: أول درجة في الغلو نفي السهو عن النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أحتسب الأجر في تصنيف كتاب مفرد في إثبات سهو النبي والرد على منكريه". (كتاب من لا يحضره الفقيه ١/٢٣٤)

(٤) انظر: مراجعات في عصمة الأنبياء عبد السلام زين العابدين، وفي هذا البحث: ٥٤١

الأولى: هي الغيبة الصغرى، الممتدة من وفاة والده العسكري إلى سنة٣٢٩.وفي هذه الفترة كان المهدي يتصل ببعض النواب وهم : عثمان بن سعيد العمري[(١)]، وابنه محمد [(٢)]، والحسين بن روح النوبختي[(٣)]، وعلي بن محمد السيمري[(٤)].

الثانية:الغيبة الكبرى، وهي الفترة التي يعتقد الفرقة الإمامية بأن المهدي قد أعلن عن دخوله فيها في عام ٣٢٩هـ، وأنه لن يخرج منها حتى يأذن الله له في آخر الزمان، كما تعتقد الإمامية جواز رؤية المهدي في هذه الفترة بشرطين : أن لا يعرفه الملتقي به إلا بعد اللقاء. والشرط الثاني: أن هذا اللقاء لا فائدة له فقهية، فمن نقل عن المهدي حكمًا فهو كاذب[(٥)].

يقول المجلسي: ولقد لقي المهدي عليه السلام بعد ذلك خلق كثير من الشيعة وغيرهم وظهر لهم على يده من الدلائل ما ثبت عندهم أنه هو عليه السلام وإذا كان عليه السلام الآن غير ظاهر لجميع شيعته فلا يمتنع أن يكون جماعة منهم يلقونه وينتفعون بمقاله وفعاله ويكتمونه كما جرى الأمر في جماعة من الأنبياء والأوصياء والملوك والأولياء حيث غابوا عن كثير من الأمة لمصالح دينية أوجبت ذلك.[(٦)]

هذه هي أهم العقائد الإمامية الخاصة بالطائفة التي يعترف جُلُّ مؤلفيهم وعلمائهم المعاصرين بها، وقد بقيت عقائد أخرى، لكنها مما يشتركون فيها مع غيرهم، في أبواب الألوهية والربوبية والقدر وغيرها، فليس من المناسب الإسهاب في ذكرها في مثل هذا التمهيد؛ لأنها ليست من ضمن سماتهم الخاصة[(٧)].

---

(١) هو عثمان بن سعيد العمري، يكنى بأبي عمرو السمان، ويقال له الزيات والأسدي ـ لم أجد له تاريخ وفاة ـ (منتهى المقال٤/١٥٦).

(٢) هو محمد بن عثمان بن سعيد العمري يكنى أبا جعفر، توفي سنة ٣٠٤ أو ٣٠٥. انظر (منتهى المقال٦/١٠٨) و(رجال الشيخ ٢٤١) و (الخلاصة ١٠١)

(٣) الحسين بن روح النوبختي، يكنى بأبي القاسم، توفي سنة ٣٢٦هـ (منتهى المقال٧/٤٨٣)

(٤) علي بن محمد السيمري ٣٢٩هـ(منتهى المقال٥/٥٧)، (تعليقة الوحيد البهبهاني٢٣٨)

(٥) انظر: المتآمرون على المسلمين الشيعة ١١٢ ـ ١١٣

(٦) بحار الأنوار٥١/١٠٨

(٧) راجع كتاب أصول مذهب الشيعة للقفاري فقد ناقش ما يتعلق بالمذهب الإمامي بتفصيل، وكتاب الشيعة والقرآن لمحمد مال الله، والشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير، وكتاب القرآن وعلماء أصول الشيعة=

لكن الذي يجب أن يعرف ويؤكد عليه أن هذه الأصول الثلاثة هي أسس العقيدة الإمامية.

القسم الثاني: العقائد الإمامية الخاصة (التي ينكرها كثير من المعاصرين) .

وفي مقابل العقائد التي نرى الإمامية يعلنون تمسكهم بها، فإن ثمة عقائد ينكرها كثير من المعاصرين، أو يفسرونها بما يخالف المعروف من كثير من كتب المتقدمين وبعض كتب المتأخرين أيضًا، ولعل العدل والإنصاف يجعلنا نتمهل في الحكم عليهم في هذه المسائل التي ينكرونها بأنها من التقية، لا سيما وأن أمارات الصدق والنزاهة العلمية تظهر من بعضهم، وإن كنّا نجزم بأن بعضهم يمارس التقية لأمارات واضحة كما سيأتي.

ومن هذه العقائد الخاصة التي يبدي كثير من الإمامية معارضتها:

أولاً: القول بتحريف القرآن.

مع قناعتي بأن أكثر الشيعة اليوم لا يؤمنون بنقص القرآن إلا أن الحديث عن نسبة تحريف القرآن إلى المذهب الإمامي موجود بكثرة في كلام المؤلفين المتقدمين والمتأخرين[1]، فقد ذكر الفقيه الشيعي المجلسي أن الخبر المروي عن الصادق رحمه الله الذي فيه:"إن القرآن الذي جاء به جبرائيل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم سبعة عشر ألف آية"[2]، قال المجلسي: لا يخفى أن هذا الخبر وكثير من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره وعندي أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأسًا، بل ظني أن الأخبار في هذا

= للياسري ـ وسيأتي تلخيص شيء من كتابه ـ.

(١) انظر في هذه المسألة : "كتاب الشيعة وتحريف القرآن" لمحمد مال الله، و"كتاب الشيعة والقرآن" لإحسان إلهي ظهير، و"كتاب أصول مذهب الشيعة"للدكتور ناصر القفاري ١/٢٤٥ ـ ٣٦٦، ٣/١١٩٦ ـ ١٢٧٤، و"كتاب القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة" للياسري ـ مخطوط ـ.

(٢) الكافي ج٢/٢٨

الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة فكيف يثبتونها بالخبر؟!"[١] [أي كيف يثبتون الإمامة بالخبر إذا طرحوا أخبار التحريف؟!]. ولذا صرّح النوري الطبرسي بأنّ: "العلامة محمد باقر المجلسي صرَّح بأنه يؤمن بتحريف القرآن"[٢].

كما أقر بهذا الاعتقاد الخطير كل من أبي الحسن علي بن إبراهيم القمي[٣]، وأبي القاسم الكوفي (٣٢٥هـ)[٤]، وغيرهم.

والسؤال المهم هنا: ما هو موقف متأخري الإمامية من هذه التهمة؟

للإجابة على هذا السؤال الخطير ننقل أربعة مواقف ظاهرة لبعض المعاصرين:

الموقف الأول: من يصرّح باعتقاده بأن القرآن محرَّف.

وعلى رأس هؤلاء المتأخرين محمد تقي علي محمد النوري الطبرسي (١٣٢٠هـ) الذي ألف كتابًا سمّاه فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب[٥].

كما أن علي تقي النقوي اللكنهوي (١٣٢٣هـ) يعد من المصرحين باعتقاده بالتحريف[٦].

ويُعدّ عدنان بن علوي الموسوي البحراني(١٣٤٨هـ) من أبرز المتأخرين الذين لم يكتموا إيمانهم بأن القرآن الموجود ناقص ومحرّف لفظًا؛ فقال: "والحاصل فالأخبار من طريق أهل البيت(ع) أيضًا كثيرة بل متواترة على أن القرآن الذي بأيدينا ليس هو القرآن الذي أنزل بتمامه على محمد ﷺ بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو محرّف ومغيّر وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منه اسم علي(ع) في كثير من المواضع، ومنها لفظة آل محمد(ع)، ومنها أسماء المنافقين، ومنها غير ذلك وأنه ليس على الترتيب المرضي عند الله وعند رسوله ﷺ كما في تفسير علي بن إبراهيم"[ثم

---

(١) كتاب مرآة العقول ١٢/٥٢٥

(٢) فصل الخطاب، (المقدمة الثالثة/ في ذكر أقوال علمائنا في تحريف القرآن) ص٢٦ـــ٣١ .

(٣) انظر: تفسير القمي ١/١٠

(٤) انظر: كتابه الاستغاثة ٢٥

(٥) حاول لطف الله الصافي أن يدفع التهمة الموجهة للطبرسي فأخذ يبين أن الطبرسي قصد في كتابه محاربة هذه التهمة، ولكن مجرد قراءة العنوان تثبت ذلك، فضلًا عن قراءة ما في الكتاب. انظر: كتاب مع الخطيب في خطوطه العريضة ٧١.

(٦) وقد ألف كتابًا سمّاه: تحريف القرآن.ـ بالأردية ـ انظر: الذريعة ٣/٣٩٤.

أخذ البحراني يمثل بأمثلة تؤكد قوله![1].

الملاحظ هو أن هذه الفئة تحكي تواتر الأخبار على هذا الاعتقاد الخطير، وهو ما يجعلنا نعدهم الفئة التي تمثل التفسير القولي والصريح للروايات الموضوعة على الأئمة، والتي تقرر هذه العقيدة الفاسدة.

الموقف الثاني: من يصرح بأن القرآن غير محرّف، ويعتقد مع ذلك أمورًا تتضمن القول بالتحريف.

كالذين ينفون التحريف من جهة، ولكنهم من جهة أخرى يجتهدون في توثيق دعاء صنمي قريش[2] – وهو يتضمن نصًا صريحًا بوقوع التحريف على يد أبي بكر وعمر، وهذا يعني أنهم يؤمنون بأن القرآن الذي جمعه أبو بكر محرّف، وقد صدر هذا الدعاء بتوثيق مجموعة من أكبر المجتهدين المتأخرين[3] ومنهم آية الله العظمى الخوئي[4].

وآية الله العظمى محسن الحكيم[5]، وآية الله العظمى الخميني[6]، وآية الله

---

(١) مشارق الشموس الدرية لعدنان البحراني ١٢٧

(٢) وفي هذا الدعاء المليء باللعنات على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما يروونه عن علي ويقولون في أوله: "اللهم العن صنمي قريش جبتيهما وطاغوتيها وإفكيها وابنتيهما" وفيه أيضًا: "اللهم العنهما بكل آية حرّفوها". انظر: المصباح ص ٥٥٢ ـ ٥٥٣ الطبعة الثانية من منشورات مؤسسة الأعلمي الشيعية للمطبوعات بيروت لبنان) والملا محمد باقر المجلسي في بحار الأنوار (٨٥/٢٦٠ ـ ٢٦١) إحقاق الحق 337/ 1 للقاضي نور الله الحسيني المرعشي التستري.

(٣) انظر وثيقة رقم (٥) في كتاب مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ٢/٣٣٠

(٤) هو آية الله العظمى أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم الموسوي الخوئي، ولد في بلدة "خوي" من أذربيجان سنة١٣١٧ هـ ، هاجر منها مع والده إلى النجف سنة١٣٢٨هـ وتعلم فيها ، وقد آلت إليه المرجعية في النجف بعد وفاة محسن الحكيم سنة١٣٩٠هـ. توفي عام ١٤١٣هـ. الترجمة ملخصة من كتاب سيرة الإمام الخوئي لأحمد الواسطي، و انظر: المرجعية الدينية ومراجع الإمامية ١٥٣ـ١٥٤.

(٥) هو آية الله العظمى محسن بن مهدي بن صالح بن أحمد بن حمود بن إبراهيم بن علي الطباطبائي الحكيم. ولد سنة١٣٠٦هـ، ينتسب إلى رجل يقال بأنه من آل البيت كان طبيبًا على عهد الصفويين ولهذا يلقب بـ"الحكيم"، انقسمت المرجعية في أول عهده فكان هو المرجع الاعلى في العراق والبروجردي في إيران، فلما توفي البروجردي آلت إليه المرجعية العامة. له كتاب نهج الفقاهة، وكتاب مستمسك العروة الوثقى، توفي سنة ١٣٩٠هـ، انظر أعيان الشيعة ٩/٥٦ ـ ٥٧، الأعلام ٥/٢٩٠. أو موقع (المعصومون): http://www.14masom.com/aalem_balad/18/18.htm

(٦) هو آية الله العظمى روح الله بن مصطفى الموسوي الخميني، ولد سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م، تعلم في الحوزة =

العظمى شريعتمداري[١].

الموقف الثالث: من يصرح بنفي التحريف عن المذهب أصلًا، ويتهم أهل السنة بهذه التهمة الباطلة، ومن هؤلاء من يسعى إلى رمي تهمة التحريف على أهل السنة، ولعل هذا نوع من المراوغة التي تبين كذبه[٢].

الموقف الرابع: من صرح بمخالفته لهذا القول، وصرّح بمخالفته للقائلين به من المذهب.

ويدخل ضمن هؤلاء من له موقف علمي فيه مصداقية تجاه هذا القول المنحرف، حيث يلاحظ بأنهم نظروا بموضوعية إلى وجود أقوال صريحة تدعي تواتر ذلك فقاموا بتخطئة القائلين بالتحريف، ولم يمنعهم من ذلك العصبية للمذهب.

ومن الشخصيات التي يمكن أن تندرج ضمن هذه الشريحة، المرجع الراحل محمد الخالصي رحمه الله[٣]، والمرجع المعاصر محمد حسين فضل الله وفقه الله، وكذا عبد الله الممقاني حيث صرّح بأن الطبرسي تجرأ جرأة عظيمة على الإصرار على القول بأن القرآن الموجود محرّف وناقص[٤]، كما أن الطبطبائي ذهب في تعليقه على الأنوار النعمانية إلى أن القائلين بذلك من المذهب لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وسقيمها ورمى بالتهمة على الأخباريين[٥].

وبالجملة فقد ذكر العلامة إسماعيل آل إسحاق الشهير بـ"علامة خوئيني" رحمه الله ـ وهو ممن سيأتي ذكره في البحث ـ أن النوري الطبرسي وعباس القمي واجها أحكامًا بالتكفير من قبل بعض علماء الإمامية بسبب تأييدهم للقول

= العلمية حتى صار مدرسًا للفلسفة فيها عام ١٣٤٧هـ، ولانخراط الخميني في العمل السياسي فقد نفي إلى تركيا و العراق ثم من العراق إلى فرنسا، ومن هناك قاد الخميني الثورة حتى سقط نظام الشاه عام١٩٧٩م. وقد توفي الخميني عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م. (الترجمة ملخصة من كتاب الإمام الخميني لعادل رؤوف).

(١) انظر توثيق بعض علماء الشيعة المعاصرين لدعاء صنمي قريش (ملحق رقم ٥ في كتاب مسألة التقريب للقفاري ٢/٣٢٧)

(٢) ومن هؤلاء علي الميلاني في كتاب التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف.

(٣) انظر فيما يلي ص ٢٧٤

(٤) انظر: البرهان على عدم تحريف القرآن لميرزا مهدي البروجردي ١٣٢ (نقلاً عن مسألة التقريب للقفاري ١٨/٢)

(٥) انظر تعليقه على الأنوار النعمانية ٣٥٩/٢ (نقلاً عن أصول مذهب الشيعة١٢٠٤/٣)

بالتحريف[١]، وهو ما يكشف عن موقف شريحة يمكن أن تندرج ضمن هذا الموقف.

وأما طبقة المثقفين وعوام الشيعة فليس من المستغرب أن نجد أغلبهم ينكر القول بالتحريف ويعدّه كفرًا صريحًا، لأنهم لا يعلمون الأقوال، كما أن شهادة بعض الذين لقيتهم من المتحولين إلى مذهب أهل السنة تُثبت كون كثيرٍ منهم لم يكن يعلم أن أحدًا من أعلام المذهب يقول بذلك أصلاً.

ولعل الأطراف التي تتبنى تعميم القول بتحريف القرآن على جميع الشيعة لا يعلمون بأنهم يسعون إلى زيادة المسافة بينهم وبين من يقصدون محاورتهم، لأن مثل هذا التعميم يؤدي إلى قناعة ذلك القطاع الكبير من الشيعة الذي لا يقر بهذا المبدأ أصلًا، بأن المهاجمين من أهل السنة لا يقصدون إلا الكذب والتشويش ومحاربة مذهب آل البيت، والنتيجة هي عدم الإصلاح وزيادة القطيعة والإيغال في الطائفية، وتعزيز القناعة لدى الآخر بأننا مفسدون لا مصلحون.

والواجب هو مراعاة العدل والإنصاف، وطرح الخطاب "التعميمي"، واستبداله بخطاب منصف ودقيق في الحكم على الناس، وهذا ما يتطلب قراءة واقعية لفكر الآخرين، بدلا من الاعتماد المطلق على كلام المتقدمين.

ثانيًا: التَّقِيَّة بمعناها الإمامي.

في تعريف التقية نجد ابن فارس يقول: (الواو والقاف والياء: كلمة تدل واحدة على دفع شيء بغيره)[٢]، ويقول ابن الأثير: التقية إظهار خلاف ما في الباطن[٣].

و يعرف علماء الشيعة التقية بتعريفات من أهمها:

أولاً: تعريف الشيخ المفيد: حيث يقول : "التقية كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررًا في الدين أو الدنيا"[٤]

---

(١) انظر مقدمة موسوعة عالم القرآن/ القسم الاول/ ص١٠١ تحت العدد (٥).(مصدر الفارسي) وسيأتي بعض هذه النصوص مترجمًا في فصل الخوئيي

(٢) معجم مقاييس اللغة ١٠٦٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث١/١٩٣

(٤) شرح عقائد الصدوق٢٤١، وانظر التشيع لهاشم الموسوي ٢٢٢

ثانيا: تعريف محمد رضا المظفر حيث يقول: "التقية مكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم وستر اعتقادهم وأعمالهم المختصة عنهم"(١).

والملاحظ هنا من التعريفين السابقين أن المفيد يقيد التقية بحال خوف الضرر من المخالفين، سواء أكان ضررًا دينيًّا أو دنيويًّا، وأما المظفر فيطلق ذلك في التعريف من غير قيد إلا كون الطرف الآخر من (المخالفين)، وأهل السنة هم من أول المخالفين عندهم بطبيعة الحال.

وقد كثر في المتأخرين من يلجأ إلى الدفاع عن مبدأ التقية(٢) لدى الإمامية، متعللين بإجماع المسلمين على مبدأ إظهار الكفر في حال الخوف على النفس كما في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦]، وقوله: ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

ولكن يبقى أمام تصديقنا لما يذكره هذا الفريق عقبتان:

الأولى: أن تفسير التقية المشروعة ـ في المذهب الإمامي ـ كما تذكر بعض كتبهم أوسع من ذلك، ولعل هذا الجدول يبين الفرق بين التقية المشروعة عند الإمامية والتقية المشروعة عند أهل السنة.

التقية عند أهل السنة	التقية عند الإمامية
حكمها: رخصة، وتركها أفضل. يقول ابن بطال: "أجمعوا على أن من أكره على الكفر واختار القتل أنه أعظم عند الله ممن اختار الرخصة" (فتح الباري ١٢/ ٣٢٢)	حكمها: ركن من أركان الدين. يقول ابن بابويه: "اعتقادنا في التقية أنها واجبة، من تركها بمنزلة من ترك الصلاة" (الاعتقادات ١١٤). عن الصادق: "التقية تسعة أعشار الدين، ولا دين لمن لا تقية له" (الكافي ٢/ ٢١٧).

(١) عقائد الإمامية ١٠٨

(٢) انظر نقض الوشيعة لمحسن الأمين ٢٢٣ ـ ٢٤١. أصل الشيعة وأصولها ١٥٠ ـ ١٥٣. الشيعة في عقائدهم وأحكامهم للقزويني ٣٤٦. دراسات في الحديث والمحدثين لهاشم الحسيني ٣٢٦.

ليست نهجًا عامًّا	واجبة باستمرار
	▪ يقول ابن بابويه: "التقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله، وعن دين الإمامية وخالف الله ورسوله والأئمة" (الاعتقادات ١١٤ ـ ١١٥) ▪ يقول الحر العاملي: باب وجوب عشرة العامة بالتقية. (وسائل الشيعة١١/٤١٢) ▪ يقول الخوئي: وأما التقية بالمعنى الأخص أعني التقية من العامة فهي في الأصل واجبة وذلك للأخبار الكثيرة الدالة على وجوبها بل دعوى تواترها الإجمالي". (التنقيح٤/٢٥٤)

الثانية: أننا نجد بعض أعلام الإمامية المعاصرين من يقرر العمل بالتقية فيما هو أوسع من حالة الخوف والضرورة، مثل تقرير آية الله العظمى محمد صادق روحاني بأن التقية تنقسم إلى أربعة أقسام: التقية الخوفية، والتقية الإكراهية، والتقية الكتمانية، والتقية المداراتية[١]، وبنحوه قال الخميني في رسائله[٢]،كما أن بعض الفتاوى الصريحة المعاصرة تدل على استخدامهم التقية في غير مواضع الخوف، مثل: إفتائهم بجواز الصلاة خلف السني تقية [٣].

---

(١) رسالة في التقية ـ ضمن كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر١٤٨ ـ ١٤٩(نقلاً عن أصول الشيعة ٣/١٣٥٩)

(٢) انظر الرسائل للخميني (٢/١٧٤).

(٣) سئل المرجع أبو القاسم الخوئي عن الصلاة مع جماعة المسلمين.فأجاب: "تصح إذا كانت تقية" كتاب مسائل و ردود ١/٢٦

ثالثًا: الرجعة:

وهي في مذهب الإمامية: "رجعة كثيرٍ من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت"[١].

ويذكر المفيد أن الرجعة تشمل "من علت درجته في الإيمان، وبلغ الغاية في الفساد، كلهم يرجعون بعد موتهم"[٢] وهذا يشمل الأئمة ومن انتزع منهم الإمامة كالصحابة ومن جاء بعدهم من الولاة.

والغرض الذي يذكرونه من الرجعة هو انتقام الأئمة من أعدائهم[٣].

وأما عن موقف المعاصرين، فإننا نجدهم منقسمين حيال الرجعة، فمنهم من يثبتها ـ وهو رأي التيار التقليدي العام[٤].

ومنهم من لا يرى رجعة كل الأئمة مثل هاشم معروف الحسيني بل يرى رجعة المهدي فقط[٥]، ومنهم من يجعلها من المسائل الخلافية في المذهب مثل محسن الأمين[٦] وعبد الله نعمة[٧] ومنهم من ينفي تارة، ويثبت تارة مثل محمد رضا المظفر ـ حيث نفى وأثبت في صفحة واحدة في أحد كتبه ـ [٨].

ومن الصعب أن نقول بأن كل من نفى منهم فإنه يقولها عن تقية، إذ أن

= كما سئل المرجع محمد رضا الموسوي الكلبيكاني عن الصلاة في مساجد المسلمين.فأجاب: "يجوز كل ذلك في حال التقية إذا كان الالتزام بترك الصلاة معهم أو في مساجدهم معرضًا للفتنة والتباغض". (إرشاد السائل ص ٣٨).

وسئل أيضًا في كتابه مجمع المسائل ص١ /١٩٤: هل يجوز الاقتداء بإمام جماعة سني أم لا؟ فأجاب: (يجوز ذلك في حال التقية وثوابه عظيم). ولكن الكلبيكاني أضاف في كتاب إرشاد السائل ص ٣٩ (مكتبة الفقيه – الكويت) "ومع عدم الضرورة تعاد الصلاة مع الإمكان والله العالم".

(١) الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة للحر العاملي (نقلاً عن أصول مذهب الشيعة للقفاري٢/١١٠٥)

(٢) أوائل المقالات ٩٥

(٣) انظر الإيقاظ من الهجعة ٥٨ (نقلاً عن أصول مذهب أهل السنة٢/١١٠٧)

(٤) ومن المتأخرين الممثلين لهذا التيار (ابراهيم الزنجاني) حيث يقول: "إن ثبوت الرجعة مما اجتمعت عليه الشيعة الحقة والفرقة المحقة، بل هي من ضروريات مذهبهم" ويقول: "فمنكرها خارج عن رتبة المؤمنين، فإنها من ضروريات مذهب الأئمة الطاهرين" وقال: "وظني أن من يشك في أمثالها فهو شاك في أئمة الدين".

(٥) الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة للحسيني٢٣٧

(٦) أعيان الشيعة للأمين١/١٧٤

(٧) روح التشيع لعبد الله نعمة ٤٤٣

(٨) يقول المظفر في كتاب عقائد الإمامية ص١١٣ : إن الرجعة ليست من الأصول التي يجب الاعتقاد بها والنظر فيها" ولكنه يقول في نفس الصفحة : "إن الرجعة من الأمور الضرورية فيما جاء عن آل البيت من الأخبار المتواترة".

بعضهم له راجعات جزئية واضحة، كما أن بعض من خالفها ردَّها بطريقة علمية، فالأحسن أن يقال :من نفى أن تكون الرجعة قولاً في المذهب أصلاً فهو إما جاهل أو يعمل بالتقية، ومن جعلها مسألة خلاف غير لازمة ثم اختار ردَّها فصنيعه فيه مصداقية وموضوعية يبعد معها ممارسته التقية في هذه المسألة ، والله أعلم[١] .

رابعًا : البداء على الله - بالمعنى اللغوي - .

ومن الأصول التي يعترف بها الشيعة الإمامية عقيدة البداء، ولكن موضع الخلاف بين الإمامية ومخالفيهم هو في المعنى الحقيقي للبداء الذي تعنيه الشيعة، وهذا ما جعلنا نجعل الحديث عن البداء في قسم ما يظهرون نفيه، حيث يتبنى كثير من محققي الشيعة تعريفًا خاصًا يخالف مدلول اللفظة لغة ـ وهو ما ينسبه إليهم المخالفون لهم ـ .

وتدل كلمة "البداء" في اللغة على أمرين: الأول: الظهور بعد الخفاء ، والثاني: نشأة الرأي الجديد[٢]، وكلا الرأيين باطل لأنه مما ينزه الله عنه لاستلزامه سبق الجهل وحدوث العلم وهما من المحال على الله جل شأنه[٣] .

وإذا نظرنا إلى الروايات الإمامية في موضوع البداء وكثرتها وطبقنا عليها المعنى اللغوي المعروف لهذ اللفظ سنجد بأنها تنسب إلى الله تعالى معنىً قبيحًا جدًّا، وهذا ما يبرر رفض هذا المبدأ الخطير من قبل جميع فرق أهل السنة، ولكن الجهد الإمامي المقابل بدأ ينصب على تحرير معنًى آخر يخالف المعنى اللغوي بطريقة تنجي من العطب، فابن بابويه القمي (من أهل القرن الرابع) أخذ يؤول معنى البداء بالبدء، ويفسر ذلك بأن لله أن يبدأ بشيء من خلقه فيخلقه قبل شيء ثم يعدم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره، ولعله قد شعر ببعده عن مدلول الكلمة فأخذ يفسر البداء بالنسخ، ثم رجع بعد ذلك إلى تقرير معنى البداء بأنه من قبيل قول العرب: بدا لي شخص في طريقي أي ظهر بعد أن كان خافيًا، فهو بعد الاضطراب الواضح عاد إلى القول المنكر

---

(١) يقول الدكتور ناصر القفاري : ولو أخذنا كل شيء على ظاهره نقول : "إن هناك فئة قد تحررت من ربقة التقليد، وخرجت عن أساطيرهم رغم دعوى التواتر والاستفاضة". ثم يعقب الدكتور باعتقاده بأن هذه الفئة المصلحة لن تؤثر ما دامت التقية من أصول هذه العقيدة، وهي وجهة نظر قد يخالفه فيها من يرى أثر هؤلاء في صفوف الشيعة. انظر أصول مذهب الشيعة٣/١٣٤٩ ـ ١٣٥٠

(٢) انظر لسان العرب١٤/٦٦،الصحاح٦/٢٧٨

(٣) انظر أصول الشيعة ٢/١١٣٥

الشنيع[1].

ثم جاء النصير الطوسي في القرن السابع فلجأ إلى إنكار نسبة عقيدة البداء للإمامية أصلًا وجعلها من أخبار الآحاد التي لا يعملون بها[2].

ولكن المجلسي في القرن الحادي عشر جاء بعده ليقرر خطأ الطوسي، وعزا ذلك إلى عدم إحاطة الطوسي بالأخبار[3]، لكن المازندراني تعقب المجلسي بقوله: "ليس إنكار البداء خاصًّا بالمحقق الطوسي قُدِّس سرُّه"، ثم أخذ يسرد بعض أسماء من نفى عن الأئمة عقيدة البداء، فقال: "منهم السيد المرتضى رحمه الله في الذريعة وشيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي في العدة والتبيان وحبر الأمة وأعلم علمائها بعد المعصومين عليهم السلام الشيخ العلامة الحسن بن يوسف بن مطهر الحلي فإنه قال في نهاية الأصول في البحث الرابع من الفصل الأول : "الثامن: النسخ جائز على الله تعالى؛ لأن حكمه تابع للمصالح. والبداء لا يجوز عليه تعالى.. لأنه دل على الجهل أو على فعل القبيح وهما محالان في حقه" ثم نقل عن هذا الرأي صاحب تفسير مجمع البيان وأبي الفتوح الرازي كذلك[4].

والمعاصرون اليوم يفسرون (البداء) بأنه من قبيل ما يخفيه الله ثم يبديه، وليس بمعنى أن الله يخفى عليه شيء ثم يبدو له ما يخالفه[5]، ويفسرون البداء بمعنى الإظهار، ومن هؤلاء المرجع المتأخر أبو القاسم الخوئي حيث قال: "فالبداء بالمعنى الذي تقول به الشيعة الإمامية هو من الإبداء (الإظهار) حقيقة، وإطلاق لفظ البداء عليه مبني على التنزيل والإطلاق بعلاقة المشاكلة"[6]، ويقول الشيخ جعفر السبحاني: "من الواضح المعلوم أن الشيعة الإمامية لا تقصد بهذه الكلمة (بدا لله) معناها اللغوي إذ أن هذا المعنى ـ كما اعترض السائل ـ يستلزم نسبة الجهل إلى الله سبحانه"[7].

---

(١) التوحيد ٣٣٥

(٢) تلخيص المحصل للطوسي ٢٥٠، شرح أصول الكافي لمحمد المازندراني ٤/٢٣٢

(٣) بحار الأنوار ٤/١٢٣، وانظر أصول مذهب الشيعة ٢/١١٤٢.

(٤) شرح أصول الكافي لمحمد المازندراني ٤/٢٣٢ ـ ٢٣٣

(٥) انظر الدين والإسلام ١٧٣ لمحمد حسين آل كاشف الغطا. وأصل الشيعة لآل كاشف الغطا٣١٤. والشيعة والتشيع للشيرازي٦٩. ونقض الوشيعة لمحسن الأمين العاملي٤٩٦ ـ ٤٩٨. والعقائد الإمامية للمظفر٤٨ ـ ٥٠.

(٦) البيان في تفسير القرآن٤١٠

(٧) انظر: القضاء والقدر للسبحاني ١٤٧ ـ ١٤٨

وعليه فما هو البداء عند الشيعة الإمامية؟ وبماذا يتعلق من الحوادث؟

بيَّن أبو القاسم الخوئي أن البداء يقع فيما يصح فيه المحو والإثبات مما هو في صحف الملائكة التي يُكتب فيها مقادير سنة في ليلة القدر[١]، وهذا القضاء يصطلح عليه عند بعض الشيعة بـ "القضاء الموقوف" أو بـ"لوح المحو الإثبات"، وما لا يدخله البداء يسميه بعضهم "القضاء الحتمي" وهو ما في اللوح المحفوظ.

ولتجلية الموقف فإن الخوئي وبعض المعاصرين، لا يردّون أحاديث البداء، ولا حتى أشهر الروايات التي يتمسك بها أهل السنة في الرد عليهم، مثل روايتهم عن الصادق: "ما بدا لله شيء مثل ما بدا في إسماعيل" أو رواية "ما عُبد الله بمثل ما عبد بالبداء" أو رواية"ما عُظّم الله بمثل ما عظم بالبداء"[٢]، بل يفلسفون كل هذه الروايات بأنها تفتح باب الأمل وتذهب اليأس عن المؤمن حين يعتقد بإمكانية تغيير بعض القدر (مما في صحف الملائكة)، شأنها شأن الأحاديث التي تذكر أسبابًا لزيادة العمر أو الرزق[٣].

وقد ينظر البعض إلى هذا التنظير لـ"البداء" بأنه من قبيل التقية، ولو قيل بأن هذا من قبيل التحول الثقافي المحمود في المذهب خروجًا من أزمة شناعة القول بأصل معنى البداء لكان أقرب إلى التحليل الصحيح، ويجدر القول بأن هذا التحول ليس متأخرًا بل هو قديم.

والملاحظ في هذه المسألة أمران:

الأول: إصرار الشيعة الإمامية على إفراده بالذكر في أصول الدين ووضعه في أبواب الإلهيات ، من دون بقية الصفات كالقدرة مثلا، مع أنه بالمعنى المذكور لا يخالف فيه أحد من المسلمين في الجملة، فكأن إفراده بالذكر يشعر بأن أصل موضوع البداء مما اختلفوا فيه مع بقية المسلمين، ولعل هذا ما يرجح القول بوقوع التحول المحمود في هذه المسألة مع البقاء على كونه أصلًا من أصولهم شكلًا.

الثاني: أن الظرف الذي ظهر فيه القول بالبداء يدل على المعنى الذي ينفيه

(١) انظر كلام الخوانساري في مشارق الشموس ٢/٤٤٥

(٢) انظر التوحيد للصدوق/باب البداء ٢٧٢ ط١٣٨٦هـ

(٣) انظر: البيان في تفسير القرآن٤٠٩ ـ ٤١٠. القضاء والقدر للسبحاني ١٤٤ ـ ١٤٥.

الإمامية المعاصرون، إذ أن القول بالبداء ظهر بسبب موت إسماعيل؛ بن جعفر رضي الله عنه، وقد شاع أنه الإمام المنصوص عليه، فكان موته أزمة أمام نظرية النص، وقد أظهر بعض متكلمو النظرية بأن الله قد بدا له في إسماعيل؛ خروجًا من هذه الأزمة[1].

وأخيرًا فإنه لا يجادل أحد في أن لله تعالى أن يمحو ما يشاء ويثبت، سواء سمَّينا هذا نسخًا أو بداء أو غيره، لكن يجب أن يستثنى من ذلك "الأخبار"، لأن رفع الخبر يلزم منه إما الجهل أو الكذب، وتوضيح ذلك: أن نقول بأنه من المحال أن يخبر الله بخبر كأن يصف الجنة أو يسمي اسم رسولٍ أو حتى ينصِّب إمامًا، ثم يرجع ويبدي غير ذلك؛ لأنه يلزم منه إما الكذب أو الجهل وحدوث العلم بالأفضل، ولهذا استثنى جمهور الفقهاء والمتكلمين "الأخبار" مما يجوز فيه النسخ[2].

وحتى نحصر الحوار بين الإمامية وبين مخالفيهم في هذه المسألة ينبغي أن يركّز الحوار حول قضايا محددة، هي:

هل القول المتقدم الذي جاء في كثير من الروايات هو عين قول المتأخرين أم لا ؟

فالمخالفون للإمامية يقولون: القول القديم هو نفس الجديد، والإمامية يقولون: لا، ولعل استفراغ الجهد في محاولة إثبات ذلك عليهم . مع العلم بأنهم لا يقولون بالمعنى الباطل حاليًّا . مما لا طائل وراءه ما دمنا نتفق على أن الله لا يجوز عليه أن يبدو له أمر لم يكن يعلمه، وأظن بأن التّمحل في إثبات كون المتقدمين يخالفون قول المتأخرين لا يفيدنا اليوم إلا مجرد الطعن وليس البيان الصحيح للغير في هذه المسألة ، وإذا كان كذلك ؛ فإن هذه الطريقة مما تورث العصبية وتعزز نزعة "اتباع الهوى".

كما أن الإمامية لو أقروا بأن بعض الروايات مع ملابسات ظهور القول بالبداء تدل على معنى منحرف وأنهم لا يقولون به ونسبوا ذلك إلى الغلاة لكان ذلك حسنًا، وبهذا يُكف الصراع في هذه المسألة ، ليبقى الخلاف في المسائل الواضحة الأخرى، لا سيما وأنه قد

---

(١) انظر بعض الروايات في كتاب أصول مذهب الشيعة ٢/١١٤٦

(٢) انظر روضة الناظر لابن قدامة١/٢٩٠، إحكام الفصول للباجي ٣٩٩، كما اختار آخرون جواز نسخ الأخبار في المستقبل دون الماضي انظر (البحر المحيط ٤/٩٩) و(المعتمد١/٢٥١) و(العدة٣/٨٣٥) و(الإحكام للآمدي ٣/١٤٤)، بينما اختار الرازي جواز نسخ الأخبار مطلقا.انظر: (المحصول للرازي٣/٤٨٦ ـ ٤٨٨).

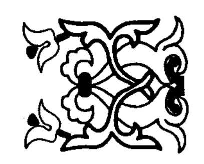
رُوي عن الإمام الصادق رحمه الله : "مَن زعم أنّ الله تعالى بدا له في شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم"، وقال أيضًا: "من زعم أن الله بدا له في شيء ولم يعلمه أمس فأبرأ منه"[1] والله أعلم.

والمسألة الثانية: هل يدخل البداء في باب الأخبار، أو بعبارة أخرى: هل يسمى إخبار الله تعالى بأمر ثم الإخبار بخلافه "بداء" وهل هذا جائز في عقيدة الإمامية أم لا ؟.

إذا قلنا: نعم؛ فإننا سنقر بأن الله تعالى إما أن يكون لم يكن يعلم ثم علم، أو أنه أخبر بخلاف الواقع أي كذب وهذا مما ينزه الله تعالى عنه كما سبق قريبًا، وهذا مما ينبغي للإمامية تحريره. والله أعلم.



(١) انظر: إكمال الدين٦٩ ـ ٧٠



المبحث الثالث

الأقسام المعاصرة للطائفة الإمامية



الشيعة الإمامية الاثنا عشرية هي أحد فرق الشيعة الكثيرة[1]، وهي أيضا تنقسم إلى اتجاهات وتيارات معاصرة متعددة، ومن أجل تقسيم أكثر دقة يمكن تقسيم الشيعة الإمامية باعتبارات متعددة.

أولاً : أقسام الإمامية باعتبار الغلو[2] والاعتدال :

يختار بعض العلماء إطلاق لفظ "الغلاة" عند تقسيم المنتسبين إلى آل البيت على الفئة التي وقع غلوها في باب الربوبية والإلهية، بمعنى أنهم صرفوا بعض خصائص الله لبعض خلقه، ومن هؤلاء أبو الحسن الأشعري وابن تيمية والرازي عندما قسم الشيعة إلى ثلاثة أقسام: أولها: الغلاة (وهم الباطنية كالسبئية والإسماعيلية)، وثانيها: الإمامية الرافضة، وثالثها: الزيدية، وبعضهم يجعلها أربعًا ويزيد الكيسانية، والحقيقة هي أن التشيع تطور كثيرا فنحا بعض تياراته باتجاه الباطنية وأحجم بعضهم عن ذلك وبين هذا الاتجاه وذاك درجات من الغلو والاعتدال.

ويمكن أن نقسم المعاصرين من الشيعة الإمامية باعتبار الغلو [3] إلى :

١. الإمامية الغلاة:

وهم الذين يصفون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة آل البيت رحمهم

---

(١) ذكر المسعودي ـ وهو مؤلف شيعي متقدم ـ أن فرق الشيعية بلغت ثلاثًا وسبعين فرقة (مروج الذهب٣/٢٢١)، كما أن النوبختي ذكر بأنها أكثر من ستين فرقة (انظر:فرق الشيعة للنوبختي).

(٢) الغلو : مجاوزة الحد المشروع في أمر من الأمور.انظر كتاب الغلو في الدين للغرياني ١١.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين ١/٦٥ ـ ٦٦، ٨٨، ١٣٨) ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/٣٤.اعتقاد فرق المسلمين والمشركين ٧٧.

الله ببعض خصائص الله وصفاته الخاصة.

والغلاة في الإمامية المعاصرين يختلفون في شدّة غلوّهم، ويمكن اعتبار الشيخية(١) من أشد الإمامية المعاصرة غلوًّا لأنها تتبنى أفكارًا فلسفية باطنية حلولية صارخة، ولشدة غلوهم فقد حاربهم كثير من أعلام الشيعة في وقت مبكر، والشيخية تيار له وجوده المعاصر في أوساط الشيعة في كرمان وتبريز والكويت والأحساء وغيرها(٢) وهو وإن كان تيارًا صغيرًا؛ إلا أنه تيار له تأثير إعلامي كبير، ويمتلك قدرة مالية كبيرة.

كما أن الغلو يظهر بدرجة أقل من الشيخية في الاتجاه العام الإمامي في تبني كثير من المراجع المعاصرين لبعض الأفكار الغالية، مثل نسبة التصرف في الكون للأئمة (الولاية التكوينية)، ونسبة علم الغيب للأئمة، وتوجيه العبادة لغير الله كالسجود والطواف ونحوها.

---

(١) الشيخية: أتباع الشيخ أحمد الأحسائي (١١٦٦هـ ـ ١٢١٤هـ) والذي أسس مذهبه القائم على أسس اثني عشرية ولكنه اتجه اتجاهًا باطنيًا فلسفيًا، فقال بأن الأنبياء والأئمة مظاهر تجلي الله، فالأنبياء والأئمة مختلفون في الصورة ولكنهم متحدون في الحقيقة، لأن الله هو المتجلي في الجميع ـ تعالى الله عن قولهم ـ، كما يعتقدون بأن الله تجلى في الشيخ أحمد الأحسائي، ولذا يقولون بأن الأحسائي مؤمن كامل، ويفسرون الرجعة بأنها تجلي الله مرّة أخرى في الأحسائي ومن يأتي بعده، كما ينكرون المعاد الجسماني، ويؤمنون بتناسخ الأرواح، ولهم أقوال تدل على أنهم ينسبون كل الخلق للأئمة بزعم تنزيه الله عن الحركة. وقد اختلف في أحمد الأحسائي فقيل: هو من إحدى قرى الأحساء، تسمى (المطيرفي)، وذهب آخرون ـ بناء على تقارير بعض المستشرقين ـ إلى أن أصله قس من (ترانسفال) أرسل من أندونيسيا إلى الشرق حسب خطة مرسومة لإفساد عقائد المسلمين، والمتفق عليه بين كُتَّاب الشيعة أنه أتى كربلاء والنجف وعمره أربعون، وتعلم على السيد بحر العلوم، والشيخ كاشف الغطاء وأخذ منهما الإجازة، وقد كان لديه أموال كثيرة تدعو للريبة في أمره.

وقد اختلف الشيعة في الموقف من الشيخية، فكفرها وضللها بعضهم كالميرزا محمد الشهرستاني في كتابه(ترياق فاروق) ومحمد مهدي القزويني في كتابه(ظهور الحقيقة على فرقة الشيخية)، والميرزا محمد تقي البرغماني القزويني الذي قتله أحد أتباع البابية وهو يصلي، والحاج ملا جعفر الاسترابادي، ومحمد الخالصي وآخرون. بينما ذهب آخرون إلى التوقف في شأن الأحسائي كعلي البلادي، ومنهم من حاول التوسط فيهم ومنهم: محمد حسين آل كاشف الغطاء. كما أن منهم من قام بالدفاع عن الأحسائي وأفكاره كمحمد حسين الطالقاني.انظر: أصول مذهب الشيعة ١/١٣٦ـ١٣٧. الموسوعة الميسرة ٢/١٨٠٣.روضات الجنات١/٩٤.علماء الشيعة و الصراع مع البدع ١٧٧ـ١٩٢.الشيخية للطالقاني ٣٣٣ـ٣٣٤

(٢) انظر:المدارس الشيخية وتعدد زعاماتها في كتاب الشيخية للطالقاني ١٧٧ـ٢٢١

٢. الإمامية غير الغلاة.

وهؤلاء هم الذين لا يتبنون أفكار الغلاة في أبواب الربوبية والعبادة، بل يتبنون التشيع والقول بالنص على الأئمة الاثني عشر وعصمتهم، مع إنكار كون الأئمة يدعون إلى شيء من الولاية التكوينية أو الأمر بدعاء غير الله تعالى أو غيرها من الانحرافات، بل يتبنى مراجع هذا التيار ومثقفوه الدفاع عن توحيد الأئمة، وباختصار يدعون إلى الإمامية بدون شركيات ـ مع تفاوت فيما بينهم في الآراء ـ.

وهذه الفئة وإن كانت تتبنى القول بالعصمة وهو نوع من المجاوزة في ميزان أهل السنة لأنه إفراط في التقديس ولكنه بلا شك لا يقارن بالغلو في أبواب الربوبية والعبودية قطعًا، إذ (العصمة للأئمة) تعني تنزيههم عن الوقوع في الأخطاء وهذا يُعَد في ميزان أهل السنة إفراطًا في التعظيم، ولكن السؤال المهم هنا لابد أن نطرح سؤالًا مهمًّا:

هل القول بالعصمة يُعدُّ شركًا أم كفرًا؟

للإجابة على هذا يجب أن نعلم أن الشرك (تسوية المخلوق بالخالق فيما هو من خصائص الله)، وأن الكفر (هو الإتيان بما ثبت بالدليل أنه يُخرج من دين الإسلام).

ومن خلال ما مضى يتبين أن ادعاء العصمة لمن لم يثبت بالدليل عصمته، وإن كانت تخالف الحقيقة الشرعية إلا أن القول بها لا يعد من الشرك؛ لأن العصمة ليست من خصائص الخالق بل يتصف بها بعض الخلق كالملائكة، والأنبياء عند من يقول به من طوائف الإسلام.

كما أن القول بالعصمة وإن كان غلوًّا إلا أنه لا يُعد كفرًا، لكن عند أهل السنة يقولون: يلزم عن القول بالعصمة الانتهاء إلى مرتبة النبوة وتكذيب النصوص التي تدل على وقوع الخطأ من الأنبياء فضلا عن الأئمة..ونحوها من اللوازم.

لكن يجب أن نعلم أن **أهل السنة لا يثبتون الكفر بلوازم القول** ما لم يلتزم بها الطرف الآخر، بل يذكرون اللوازم ليدللون بها على فساد القول.

وبهذا نعلم أن القول بالعصمة وحده لا يعني الكفر ولا الشرك، بل شأنه شأن كثير من صور الغلو والإفراط الذي يخالف الشرع ولا يخرج صاحبه من دائرة الإسلام، بخلاف الغلو في الإلهيات كأن يُعبد غير الله أو يُنسب شيء من

الأفعال المختصة بالله إلى غيره: كالرزق والإحياء وغيرها من الأقوال التي تضاد أسس التوحيد.

ولعل هذا البحث يكشف عن بعض رموز هذا التيار النائي عن الغلو في الإلهيات[١]، فالمرجع آية الله محمد الخالصي وتياره، والمرجع آية الله محمد حسين فضل الله ومقلديه، وبعض رموز تيار المثقفين الإيرانيين من أمثال الدكتور علي شريعتي وغيره من دعاة الإصلاح في الصف الشيعي هم من المحسوبين على هذا التيار.

وللأسف الشديد فإن هذا التيار يواجه حربًا من التيار التقليدي بين الشيعة، وجفوةً وتشكيكًا من قِبَل كثيرٍ من أهل السنة، وهما معضلتان كبيرتان، يؤخّر أثرهما في تقريب صفوف الأمة ناحية الاعتدال، ونبذ الغلو والخرافة.

ثانيًا: أقسامهم باعتبار القول بجواز الاجتهاد أو عدمه لدى الإمامية.

الأصل في هذه المسألة: جواز الاجتهاد أنها من أبواب الفروع، لكنها باعتبارات المذهب الإمامي مما يرتبط بعقيدة الإمامة، حيث تبحث المسألة من جهة صلاحيات الفقيه في فترة غياب الإمام، وهو ما جعل الخلاف يشتد بدرجة كبيرة من وقت مبكر.

وينقسم الشيعة الإمامية بالنظر إلى جواز الاجتهاد إلى فريقين:

١. الأخبارية: سمُّوا بالأخبارية لاعتمادهم على الأخبار الواردة في أصولهم الأربعة[٢]، ومَنْعهم الاجتهادَ ورفضهم الاستدلالَ بالقرآن والعقل والإجماع، كما أنهم لا يرون صحة تعلم أصول الفقه؛ لأنه في نظرهم منافسة المعصوم في أحد أخص صلاحياته وهو تقرير الأحكام[٣].

---

(١) هذا البحث يكشف عن بعض رموز هذا التيار وليس كلهم، وأرجو أن يكون هذا بداية لاستقراء أكثر واقعية لكثير من المخالفين.

(٢) الأصول الأربعة هي: الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه، وهي التي يقول عنها محمد صادق الصدر: "إن الشيعة.. مجمعة على اعتبار الكتب الأربعة، وقائلة بصحة كل ما فيها من روايات.." انظر أصول مذهب الشيعة ١/٢٢نقلاً عن كتاب الشيعة للصدر١٢٧.

(٣) ملخص من أصول مذهب الشيعة ١/١٤١ ـ ١٤٧

ويعتبر مؤلفو كتب الحديث الأصلية المعتمدة في المذهب أكثرهم من الأخباريين، كالحر العاملي صاحب وسائل الشيعة، والكاشاني صاحب الوافي، والنوري الطبرسي صاحب المستدرك، وابن بابويه القمي صاحب كتاب (من لا يحضره الفقيه)، كما أن محمد حسين آل كاشف الغطا - صاحب أصل الشيعة - وأصولها من متأخري الأخباريين[١]، كما أن آل العصفور في البحرين من أبرز البيوت التي ترعى المذهب الأخباري حاليًا.

٢. الأصوليون: يقولون بفتح باب الاجتهاد، ويستدلون على الأحكام بالقرآن والسنة والعقل والإجماع، كما أنهم يقسمون الأحاديث الواردة في الأصول الأربعة إلى: صحيح وحسن وموثوق وضعيف، خلافًا للأخباريين، ولا يجيزون تقليد الميت خلافًا للأخباريين[٢].

ويعدّ الأصوليون التيارَ الأكثر في صفوف الشيعة الاثني عشرية، ومن أبرز أعلامها المعاصرين البروجردي ، ومحسن الحكيم، وأبو الحسن الأصفهاني، والخميني، وأبوالقاسم الخوئي، ومحمد باقر الصدر، والسيستاني، والخامنئي، ومحمد حسين فضل الله وغيرهم.

وقد بلغ الخلاف بين الأصوليين والأخباريين ذروته في أوائل القرن الحادي عشر الهجري حين كفر الاسترابادي[٣] (الأخباري) بعض مراجع الأصوليين[٤]، ثم تبعه بعد ذلك الفيض الكاشاني، لكن المتأخرين من علماء المذهب حاولوا التقليل من حجم هذا الخلاف حتى لا يفتح الباب للطعن في الشيعة وشيوخ

---

(١) انظر أصول مذهب الشيعة١/١٤١ ـ ١٤٢

(٢) انظر: المرجع السابق ١/١٤٢، ١٤٧

(٣) هو الميرزا محمد أمين الاسترابادي المتوفى سنة (١٠٢١) هـ. انظر ترجمته في مقدمة المحقق لكتاب (منهج المقال).

(٤) ذكر البحراني أن محمد أمين الاستربادي هو أول من فتح باب الطعن في الأصوليين. والخلاف بين الأصوليين والأخباريين قديم، وقد حكى الشهرستاني ذلك بقوله: "وبين الأخبارية منهم والكلامية [أي الأصولية] سيف وتكفير. انظر لؤلؤة البحرين١١٧. والملل والنحل ١/٢٠٣.

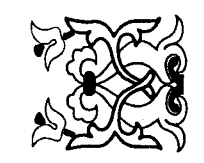
الطرفين[١].

هذه أهم التقسيمات المرتبطة بالاعتقاد الإمامي، كما أن هناك تقسيمات أخرى باعتبارات أخرى لا ترتبط بموضوع الاعتقاد كثيرًا فلا حاجة إليها هنا[٢].

❊❊❊

(١) انظر ما قال جعفر كاشف الغطا في الحدائق١/١٦٧، ومحسن الأمين في أعيان الشيعة ١٧/٤٥٣ ـ ٤٥٨، وعبد الله البحراني في كتاب منية الممارسين (نقلاً عن أصول مذهب الشيعة١/١٤٦)

(٢) مثل أقسامهم باعتبار تبني العمل السياسي من عدمه، ثم أقسام الذين يرون الدخول في العمل السياسي من جهة الصيغة الشرعية (ولاية الفقيه أو ولاية الأمة على نفسها، أو الشورى..)، كما أن من التقسيمات المهمة أنواع المدارس الفقهية وسمات كل مدرسة كالمدرسة الشيرازية، والمدرسة (الخوئية السيستانية) ..وكل هذه التقسيمات لها أثرها في العلاقة مع المخالفين لهم، فالشيرازيون مثلاً أقل تطبيقًا لمبدأ التقية فقهيًّا مما يجعلهم يتفوهون ببعض ما لا يجرؤ عليه غيرهم.



المبحث الرابع

ظاهرة التطور في المذهب الإمامي



من الظواهر التي تلوح للمتتبع لتاريخ المذهب الإمامي؛ ظاهرة التطور المستمر، فالمذهب مر بمراحل عدة حتى تكامل في شكله الحالي، وهو مع ذلك لا يزال مرشحًا لتقبل أفكار وتطورات أخرى تخرج بصيغ كثيرة من أبرزها التأويلات الجديدة لبعض النصوص القديمة.

وقبل أن نلقي نظرةً على تاريخ تطور المذهب الإمامي، يجب أن نعرف أن التشيع في الكوفة كان يمثل الرأي العام الشيعي (الإمامي) منذ مراحله الأولى، وإن كان التشيع يمثل ثقلًا في مناطق أخرى كاليمن وخراسان والبحرين (شرق الجزيرة عمومًا)، إلا أن الكوفة بقيت المركز الرئيسي فترة طويلة، وقد استغل بعض الكذابين الغلاة بُعْد الكوفة المكاني عن أئمة آل البيت فحاولوا نشر الغلو باسم آل البيت، إلا أن التشيع العام لم يقبل كثيرًا من تلك الأفكار فترة من الزمن.

وليعلم القارئ الكريم أن لتحديدنا الكوفة كمحل للرأي العام الشيعي أهميةً كبيرة، حيث يُعد تتبع الفكرة العامة في الفترات التاريخية الأولى للتشيع رصدًا لتطور المذهب الشيعي الإمامي، وتمييزًا بين الفكرة العامة والفكرة الشاذة في كل مرحلة.

ومما يدلل على أن الكوفة كانت هي ساحة التطورات العقدية الشيعية نداء الإمام الزاهد زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه الذي وجهه إلى أهل العراق قائلًا: "يا أهل العراق، أحبونا حب الإسلام، ولا تحبونا حب الأصنام، فو الله ما زال بنا

حبكم حتى صار علينا شيئًا"[١] وفي رواية: "حتى بغضتمونا إلى الناس"[٢]، وجاءه نفر من الكوفيين فقال لهم: "يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام فإني سمعت أبي يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا أيها الناس لا ترفعوني فوق حقي فإن الله عز وجل قد اتخذني عبدًا قبل أن يتخذني نبيًّا**»[٣].

وهذه النداءات من الإمام علي بن الحسين رحمه الله تدل دلالةً واضحةً على بدايات التطورات التي اختصت بها الكوفة والعراق في نظرتها إلى آل البيت.

وفيما يلي سأحاول تتبع التطور في النظرية الإمامية ـ بالنظر إلى مضمونها الأساسي هو "النص والعصمة وتحديد عدد الأئمة باثني عشر" ـ[٤].



(١) تاريخ ابن عساكر ١٢/ ص١٩، تهذيب الكمال ٣٨٧/٢٠، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠، تهذيب التهذيب ٣٠٦/٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٤، حلية الأولياء٣/ ١٣٦.

(٣) الذرية الطاهرة النبوية لمحمد بن أحمد الدولابي ٧٩.

(٤) هذه المراحل الآتية دراسة ظنية وهي قابلة للدراسة بشكل أعمق، ولكن هذا ما ظهر لي والعلم عند الله.

* التشيع الأول *
* من الولاء إلى التفضيل *

كان التيار العام للتشيع في صدره الأوّل يعني مناصرة علي رضي الله عنه، وقد تمثلت هذه النصرة في القتال معه زمن الفتنة بعد قتل عثمان رضي الله عنه، وفي الفترة الأموية لما تفشى لمز علي رضي الله عنه والطعن فيه تطور التشيع إلى الدفاع عن المنزلة (الدينية) لعلي رضي الله عنه فتوسع نطاق التشيع من كونه تأييداً سياسيًا، إلى منحى آخر (عِلمي ديني)، وقد ساعد على ذلك الموقف السيئ من بعض الأمويين من علي رضي الله عنه. كما سيأتي قريبًا..

ثم تطور التشيع فلبس عباءة التفضيل؛ تفضيل علي على عثمان، ثم تطور أكثر إلى تفضيله على سائر الصحابة، ولم يختلط التيار الشيعي العام - والله أعلم - في هذه الفترة بشيء من الانحرافات المفرطة في الجملة، لاسيما وأن موقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كان صارمًا من أوّل بذور الإفراط في التشيع، وأعني بذلك ما ظهر في موقفين أحدهما كان غايةً في الغلو، وهو موقف المؤلهين له، والموقف الثاني - وإن كان أيسر شططًا - ، وهو تفضيله على أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعًا، فحَكَم أمير المؤمنين رضي الله عنه على الأولين بالتحريق، ، وحكم على فعل الآخرين بأنه من الافتراء الذي يوجب حدّ الفرية - ثمانين جلدة - [1]، وقد كان

---

(١) روى عبد الله بن أحمد عن علقمة رحمه الله - وضرب بيده على منبر الكوفة - ثم قال: خطبنا علي على هذا المنبر فذكر ما شاء الله أن يذكر، ثم قال:" بلغني أن ناسًا يفضلوني على أبي بكر وعمر ولوكنت تقدمت في ذلك لعاقبت ولكن أكره العقوبة قبل التقدم، من أتيت به من بعد مقامي قد قال شيئًا من ذلك فهو مفتر عليه ما على المفتري، ثم قال: إن خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوبكر وعمر ، أحبب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما". رواه عبد الله بن أحمد في السنة برقم ١٣٩٤.واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٣٩٧/٧ رقم: ٢٦٢٧٨.وابن أبي عاصم في السنة برقم ٩٩٣ وحسنه الألباني.

لهذا الموقف الصارم منه رضي الله عنه تجاه هذين الانحرافين أثر كبير في صيانة التيار الشيعي من الانجرار وراء الانحرافات الصارخة مدّةً من الزمن.

لكن التيار الشيعي العام بدأ يداخله الشطط شيئًا فشيئًا، وقد كان أول ذلك تبني الرأي العام الشيعي القول بأفضلية علي رضي الله عنه على جميع الصحابة، والسؤال هنا: إذا كان علي رضي الله عنه أنكر هذا القول، فمتى اتخذ الرأي العام الشيعي هذا المبدأ؟ لتحديد الفترة التي لم يجاوز فيها التشيع العامّ فكرة التفضيل؛ يجب أن نستحضر ثلاثة نصوص:

الأول: قول أبي إسحاق السبيعي رحمه الله[١]: خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما، وقدمت الآن وهم يقولون، ويقولون، ولا والله ما أدري ما يقولون[٢].

وهذا كما يقول الخطيب نص تاريخي في تحديد تطور التشيع[٣]، لكنه نص مفتوح، يبين أن هذا التطور وقع في حياة السبيعي، وبشكل أدق في الفترة التي خرج فيها السبيعي من الكوفة وهو يدرك أقوال الناس ومذاهبهم، فإذا كان السبيعي قد ولد في سنة ٣٤هـ فإن الفترة التي ظهر فيها تفضيل علي ستكون ما بين سنة ٤٠هـ و سنة وفاته ١٢٧هـ تقريبًا.

الثاني: قول ليث بن أبي سليم[٤] **رحمه الله**: أدركت الشيعة الأولى وما

---

(١) هو أبو إسحاق عمرو بن عبد الله بن ذي يحمد أو ابن علي الهمذاني الكوفي، تابعي جليل، من علماء الكوفة ومحدثيها، قال عن نفسه: ولدت لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، ورأيت عليًّا يخطب. توفي سنة ١٢٧هـ. (سير أعلام النبلاء ٥/٣٩٢ـ ٣٩٩) (تهذيب التهذيب ٨/٦٣) (تذكرة الحفاظ ١/١١٤).

(٢) تهذيب التهذيب٨/٦٣.

(٣) انظر تعليقه على المنتقى ٣٦٠.

(٤) هو ليث بن سليم بن زنيم، من صغار التابعين، من محدثي الكوفة، ولد بعد الستين ـ كما يقول الذهبي، وتوفي سنة١٣٨ هـ وقيل بعد الأربعين سنة واحد أو اثنتين أو ثلاث هـ. (سير أعلام النبلاء ٦/١٧٩ ـ ١٨٤) (تهذيب التهذيب٨/٤٦٥ ـ ٤٦٨) (ميزان الاعتدال٣/٤٢٠ ـ ٤٢٣).

يفضلون على أبي بكر وعمر أحداً"[١].

فإذا اتفقنا على أن الفترة التي يمكن أن يقال بأن ليث بن أبي سليم أدرك الناس ووعى عنهم لن تكون قبل أواخر الستين لأنه قد ولد في أولها ـ فإن هذا نص يقلص الفترة التي ذكرها السبيعي، حيث يتبين أن تطور التفضيل على أبي بكر وعمر لم يحدث قبل أواخر الستين.

ثالثا: موقف زين العابدين علي بن الحسين رحمه الله من الطعن في الشيخين.

فقد روى أبو نعيم[٢] في حلية الأولياء بسنده عن علي بن الحسين أنه قال: أتاني نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما فرغوا قلت لهم: ألا تخبروني أنتم المهاجرون الأولون: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨]، قالوا: لا، قال: فأنتم من ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩]، قالوا: لا، قال: أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، ثم قال: أشهد أنكم لستم من الذين، قال الله عز وجل ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠]، اخرجوا فعل الله بكم[٣].

وجاء رجل إلى علي بن الحسين رحمه الله فقال: أخبرني عن أبي بكر. فقال له: "عن الصدّيق تسأل؟" فقال: وتسمّيه الصديق؟ قال: "ثكلتك أمك، قد سمّاه صدّيقاً

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦/١٨٢.والمنتقى ٣٦٠ ـ ٣٦١.

(٢) أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني، ولد سنة ٣٣٦هـ، وتوفي ٤٣٠هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٧/٤٥٣ ـ ٤٦٢. تذكرة الحفاظ٣/١٠٩٢ ـ ١٠٩٣. ميزان الاعتدال ١/١١١.

(٣) حلية الأولياء٣/١٣٧، البداية والنهاية ٩/١٠٧. كشف الغمة للأردبيلي ٢ /٧٨.

من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرون والأنصار فمن لم يسمه صديقًا فلا صدّق الله قوله، اذهب فأحب أبا بكر وعمر وتولهما، فما كان من أمر ففي عنقي"[١].

وإذا لاحظنا بأن هذين النصين يشتملان على ذكر الطعن فقط، فإنهما أيضًا يكشفان عن الحقائق التالية:

أ. إنكار الإمام الرابع لمبدأ الطعن في الصحابة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعًا.

ب. ظهور الطعن في زمن الإمام زين العابدين رحمه الله، وهي الفترة الممتدة من بعد وفاة والده الحسين رضي الله عنه عام ٦١هـ حتى وفاته سنة٩٥هـ.

ت. لابد أن فكرة الطعن تزامنت معها فكرة تفضيل علي على الجميع لأن هذا لازم لكونهم يطعنون في الشيخين مع كونهم من المشيعين لعلي رضي الله عنه، وعليه فإن تفضيله على بقية الصحابة في هذه الفترة.

ث. أن من صور الطعن هو عدم رضى بعضهم بأن يوصف أبي بكر بأنه "صدّيق" ونحوها من صور الطعن التي تتضمن الحنق والغيظ.

فإذا تقرر بأن التفضيل لم يكن الرأي العام قبل أواخر الستين الأولى بدلالة قول ليث بن أبي سليم السابق، فإن تفضيل علي على الشيخين والطعن قد ظهر ما بين سنة ٧٠هـ وسنة ٩٥هـ ، مع ملاحظة أن الطعن في هذه المرحلة لم يتجاوز إلى البراءة، والله أعلم.

تحقيق مسألة : هل تبنى الأمويون سب علي؟

وما دمنا في مجال التحقيق العلمي فيجب أن نقف مع ما يلي:

أ-عن رياح بن الحارث قال: كنا في المسجد مع المغيرة بن شعبة رضي الله عنه في أناس كثير فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه فأوسع له المغيرة، وقال: ها هنا فجلس معه على السرير، فجاء شاب من أهل الكوفة يقال له (قيس بن

---

(١) سير أعلام النبلاء٤/٢٩٥، تاريخ دمشق لابن عساكر ٤١/ ٣٨٩، تهذيب الكمال ٢٠/٣٩٤

علقمة) فاستقبل المغيرة فسبَّ وسب، فقال سعيد بن زيد لمن يسب هذا؟ فقال المغيرة: يسب عليًّا. فقال سعيد: ويحك يا مغيرة الأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم ثم لا تغيّر؟! .. [ثم حدّث بحديث العشرة المبشرين بالجنة][(١)].

ب- عن زياد بن علاقة عن عمّه: أنّ المغيرة بن شعبة رضي الله عنه سبّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقام زيد بن أرقم رضي الله عنه فقال: يا مغيرة ألم تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن سب الأموات؟ فلم تسبُّ عليًّا وقد مات[(٢)].

فإذا كان ذم علي وقع على يد المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فكيف بمن جاء بعده ممن لا يقارن به في مستوى الديانة والورع كزياد بن أبيه أو غيره.

ت- قال ابن حجر رحمه الله:

"قال الإمام أحمد لم ينقل لأحد من الصحابة ما نُقل لعلي[يعني من الفضائل]، وقال غيره: وكان سبب ذلك بُغض بني أمية له، فكان كل من عنده علم من شيء من مناقبه من الصحابة بيّنه، وكلما أرادوا إخماده، وهددوا من حدّث بمناقبه لا يزداد إلا انتشارًا، وقد ولّد له الرافضة مناقب موضوعة هو غني عنها..". (الإصابة لابن حجر ٥٧/٧).

ث- قال الذهبي رحمه الله:

"كان عمر بن عبد العزيز يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله، يسمع منه العلم، فبلغ عبيد الله أن عمر ينتقص عليًّا، فأقبل عليه، فقال: متى بلغك أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم، قال: فعرف ما أراد، فقال: معذرة إلى الله وإليك، لا أعود. فما سُمع عمر بعدها ذاكرًا عليًّا رضي الله عنه إلا بخير". (سير أعلام النبلاء ١١٧/٥).

ج- ذكر ابن الأثير في تاريخه في المجلد الثالث تحت عنوان "ذكر ترك - أي عمر

---

(١) الإمام أحمد في المسند (١٨٧/١) وفي فضائل الصحابة (رقم :٩٠ وقال المحقق ـــ وصي الله بن محمد عباس: إسناده صحيح).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣٨٥/١) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وقال الألباني :وهو كما قالا. (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥٢٠/٥).

ابن عبد العزيز- سب أمير المؤمنين علي:

"كان بنو أمية يسبون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أن ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة فترك ذلك وكتب إلى العمال في الآفاق بتركه - ثم ذكر قصته مع عبيد الله بن عبد الله ..ثم قال.

ح- مدح أهل العلم لعمر بن عبد العزيز بسبب تركه سب علي على المنبر.. فقد ذكر ابن الأثير وغيره أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة كتب إلى الخطباء أن يتركوا ذم علي رضي الله عنه ويستبدلوا ذلك بقوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٩٠] الآية، قال ابن الأثير:

فحل هذا الفعل عند الناس محلاً حسنًا وأكثروا مدحه بسببه فمن ذلك قول كثير عزة:

وليت فلم تشتم عليًا ولن تخف	بريًا ولم تتبع مقالة مجرم
تكلمت بالحق المبين وإنما	تبين آيات الهدى بالتكلم
وصدقت معروف الذي قلت بالذي	فعلت فأضحى راضيًا كل مسلم
ألا إنما يكفي الفتى بعد زيغه	من الأود البادي ثقاف المقوم

فقال عمر حين أنشده هذا الشعر: أفلحنا إذًا[1].

وأظن بأن هذه الآثار والمواقف التي ذكرناها تدل على وقوع التنقص لعلي رضي الله عنه بلا شك، ولكن من المهم أن نعرف أمورًا وهي:

ما هو السب الذي وقع؟ وهل هو لعن أم تكفير لعلي رضي الله عنه؟

الذي يظهر هو أن السب الذي وقع في بعض المجالس هو تنقّص لعلي رضي الله عنه وذكر لبعض ما يعقد المتكلم أنها عيوب ومثالب لعلي رضي الله عنه، ولم يكن لعنًا أو تكفيرًا والله أعلم لأنه لم يرد مثل ذلك بسند ثابت.

كما أن خطباء المنابر كانوا يذيلون خطبهم بالدعاء لأبي بكر وعمر وعثمان

---

(١) (الكامل في التاريخ٤/٣١٤ - ٣١٥) وانظر: (حلية الأولياء٥/٣٢٢. البداية والنهاية٩/٢٥٢).

والدعاء لمن قتل عثمان ـ وهم الخوارج ـ والدعاء على من آوى قتلته ـ وهو ذم واضح لعلي رضي الله عنه.

وهنا يجب أن ندرك أن تخطئة علي رضي الله عنه في مواقفه من قتلة عثمان من أكبر وسائل تثبيت شرعية الخلافة الأموية، لا سيما بعد الخطوات الحمقاء التي ارتكبها يزيد بن معاوية عندما قتل الحسين رضي الله عنه ثم استباح جيشُهُ مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دون نكير من يزيد، وهي أعمال بغّضت كثيرًا من الناس في الأمويين.

وأما بخصوص المنابر واستغلالها فيجب أن لا يغيب عن أذهاننا أن الخطباء في ذلك الوقت في المدن كانوا هم السياسيين (الأمراء والولاة)، وهو ما يجعلنا نستوعب استغلالهم للمنبر في تثبيت شرعية خلافة الأمويين.

ومن المهم أن نبين ههنا أمورًا:

أولًا: أن الدولة الأموية ليست هي كل أهل السنة بحيث يكون الطعن فيها هو طعن في جملة أهل السنة بل هي دولة من دول الإسلام التي لها ما لها وعليها ما عليها.

ثانيًا: يجب أن يُعلم أن كثيرًا من الشيعة يلغي مكتسبات الدولة الأموية بسبب هذه الأخطاء فيتنكر لنشر الأمويين للإسلام وجهادهم الروم وغير ذلك، وهذا مخالف للعدل والإنصاف.

ثالثًا: تذكر بعض روايات الشيعة أن الأمويين استغلوا سبعين ألف منبر كانت لسبّ علي رضي الله عنه، وأرى أن هذه مبالغة كبيرة جدًّا لأسباب، من أبرزها:

١. أن الروايات التي ذكرت سبعين ألف منبر كلها ضعيفة[١].
٢. أن كل مدينة كان فيها منبر واحد فقط أو اثنان يخطب فيه والي المدينة، ففي الكوفة منبر وفي البصرة منبر وهكذا وهو ما يؤكد المبالغة في عدد السبعين ألف منبر.

---

(١) راجع كتاب إيقاف الناظر على حال أخبار سب علي بن أبي طالب على المنابر.

● **والخلاصة**: أن ذم علي رضي الله عنه وقع على يد بعض الأمويين وولاتهم وأن السب كان بصيغة ذكر بعض عيوبه أو تخطئته في الموقف من قتلة عثمان.

ويكفي أن نعلم أن موقف منبر الكوفة أو مجلس الوالي فيه كان يشهد سب علي رضي الله عنه ـ وهو ما ثبت في الريات السابقة ـ يكفي لدفع التشيع إلى الأمام، وهو ما يفسر لنا وجود عدد لا بأس به من المحدثين ـ من أهل هذه الفترة ـ ممن يوصف بأن فيه تشيع، وهم الفئة الذين دفعهم موقف الأمويين لمناصرة علي رضي الله عنه بالتحديث بفضائله ـ كما ذكر ابن حجر آنفاً ـ.



* التشيع الثاني *
* من التفضيل إلى البراءة *

وفي هذه الفترة شهد مفهوم التشيع تطورًا آخر وهو البراءة من الشيخين"أبي بكر وعمر" رضي الله عنهما، وهو ما يكشف عنه الموقف التالي:

موقف زيد بن علي[1] من الشيخين في مقابل أكثر شيعة الكوفة.

والحادثة التي تكشف عن تحديد لتطور مهم جدًا، هي أن زيد بن علي رحمه الله لما أعلن خروجه على هشام بن عبد الملك عام ١٢٢هـ أرسل إليه بعض أهل الكوفة بالبيعة، فلما اجتمع بهم أمرهم بسيرة علي بن أبي طالب في الحرب، فقالوا: قد سمعنا مقالتك، فما قولك في أبي بكر وعمر؟ فقال: رحمهما الله وغفر لهما، وما عسيت أن أقول فيهما، صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحسن الصحبة، وهاجرا معه، وجاهدا في الله حق جهاده، وما سمعت أحدًا من أهل بيتي يتبرأ منهما، ولا يقول فيهما إلا خيرًا. قالوا: فلم تطلب إذن بدم أهل بيتك، وردّ مظالمهم إلا أن وثبا على سلطانكم، فنزعاه من أيديكم، وحملا الناس على أكتافكم يقاتلونكم إلى يومكم هذا؟ فقال لهم: إن أشد ما أقول في ما ذكرتم أنا كنا أحق بسلطان رسول الله من الناس أجمعين، وإن القوم استأثروا به علينا، ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرًا. قد وُلّوا فعدلوا في الناس، وعملوا بالكتاب والسنة، قالوا: فلم يظلمك بنو

---

(١) هو أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي رضي الله عنه، يقال له "زيد الشهيد"، من أجلّ أهل البيت في زمنه ، ويقال بأنه التقى بواصل بن عطاء وأخذ عنه الاعتزال والقول بالقدر، إلا إنه لم يقل بالمترلة بين المترلتين، وهو ما خالفه فيه أخوه محمد الباقر رحمه الله، وقد توفي زيد على إثر خروجه بجماعة من الكوفة سنة١٢٢هـ أصابه سهم في الليل، فدفنه أصحابه، ثم أخرجه خصومه من قبره وصلب مدّة أربع سنين .انظر: الملل والنحل١/١٧٩ ـ ١٨١، وسير أعلام النبلاء ٥/٣٨٩. مقاتل الطالبيين١٢٧، تهذيب التهذيب٣/٤٢٠ .

أمية إذن؟ إن كان أبوبكر وعمر لم يظلماك، فلم تدعو إلى قتال بني أمية، وهم ليسوا بظالمين؟ لأن هؤلاء إنما اتبعوا في ذلك سنة أبي بكر وعمر. فقال لهم: إن أبا بكر وعمر ليسا كهؤلاء، وهؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم، وإنما ندعوكم إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإلى السنن أن تحيا، وإلى البدع أن تطفأ، وإلى الظلمة من بني أمية أن تخلع وتنفى، فإن أنتم أجبتمونا سعدتم، وإن أنتم أبيتم خسرتم، ولست عليكم بوكيل. قالوا: إن برئت منهما وإلا رفضناك؟. فقال: الله أكبر، حدثني أبي أن رسول الله قال لعلي: "إنه سيكون قوم يدعون حبنا، لهم نبز يعرفون به، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإنهم مشركون"، اذهبوا فأنتم الرافضة[1].

وهذا النص يكشف عدة حقائق حول هذه الفترة وهي بالتحديد من مطلع القرن الثاني حتى أوائل العشرين منه، ومنها:

أ - أن الرأي العام الشيعي في الكوفة تطور في هذه الفترة من مذهب تفضيل علي رضي الله عنه على جميع الصحابة إلى البراءة من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بدلالة رجوع هذا العدد الكبير من شيعة الكوفة عن زيد لأنه لم يبرأ من الشيخين[2].

ب -أن مبدأ أخذ الثأر للحسين رضي الله عنه من بني أمية تطور إلى أخذ الثأر من أبي بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين، بسبب ما انتشر بين شيعة الكوفة من أن سبب مآسي آل البيت تولي أبي بكر وعمر ، وليس بسبب ظلم بعض خلفاء بني أمية وفجورهم، ولهذا قالوا: لزيد" فلم تطلب إذن بدم أهل بيتك، وردّ مظالمهم إلا أن وثبا [أبو بكر وعمر] على سلطانكم، فنزعاه من أيديكم، وحملا الناس على أكتافكم

---

(١) البداية والنهاية٩/٣٣٠، كما نقلها الأكوع في كتابه "الزيدية" عن "شرح رسالة الحور العين" ص١٨٤ - ١٨٥، و"المنية والأمل" ١٠١. كما نقل الأكوع الحديث بإسناده من طريق الإمام الهادي يحيى بن الحسين عن كتابه الأحكام (انظر:كتاب الزيدية للأكوع١٩ - ٢٠).

(٢) يروى أن الذين أرسلوا لزيد يدعونه للبيعة من أهل الكوفة بلغوا اثنا عشر وقيل خمسة عشر ألفًا سوى أهل المدائن والبصرة وخراسان وغيرها، ثم إنهم نكثوا و لم يقاتل معه إلا خمسمائة فقط (مقاتل الطالبيين ١٣٢، ١٣٦).

يقاتلونكم إلى يومكم هذا؟". ففي تصور هؤلاء أن الذي حمل الناس على ظلم آل البيت هم أبو بكر وعمر.

ت - الاختلاف بين زيد رحمه الله وهو حفيد الإمامين المبجلين (علي والحسين) رضي الله عنهم أجمعين وبين شيعة الكوفة في تعديل سياسة الشيخين، فزيد يرى بأنهما عدلا وحكما بالقسط، وشيعة الكوفة يرون بأنهما سلف الظلمة من بني أمية، وأنهم يمثلون نفس سياسة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

ث - ينسب زيد وجهة نظره في تعديل الشيخين وتزكية سياستهم إلى آل البيت ويذكر بأنه لم يسمع من أهل بيته من يذكر عنهم غير هذا، بينما يتصور شيعة الكوفة بأن هذا يخالف الحقيقة.

والأسئلة الملحّة التي يجب أن نجيب عنها هاهنا:

هل كان زيد يجهل اعتقاد أهل الكوفة بأن البراءة من الشيخين ضمن حقيقة التشيع؟ وما مبررات جهله بمثل هذا التطور المهم؟ وما الأجواء التي هيأت لنشأة فكرة الطعن ثم البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان، وجعْلِ الخلل في سياسة بني أمية محسوبة عليهما؟

وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة يجب أن نؤكد أن زيداً لم يكن يعلم بأن هذا هو الرأي العام للكوفيين بدلالة أنّه فوجئ لما رفضه هذا العدد الكبير من المنتسبين إلى شيعة آل البيت بسبب توليه الشيخين: قائلاً: الله أكبر، ثم ذكر الحديث السابق، وهو ما يعني أنه لم يكن يعلم بفشوّ هذه المقولة بين شيعة الكوفة بدرجة كبيرة.

كما أن هذا العدد الكبير من شيعة أهل الكوفة لم يكن يعلم أن زيداً لا يبنى نظريته في البراءة، ولو كانوا يعلمون لما أرسلوا له رسائل يدعونه إلى البيعة.

كما أن المتأمل يزداد تعجبًا إذا علم أن زيدًا بقي في الكوفة بضعة عشر شهرًا[1] يرسل دعاته إلى الأمصار يدعون إلى بيعته وهو لا يعلم بحال أهل البراءة من الشيعة، ولا أجد هاهنا مبررًا لهذه الحالة إلا "السرية" التي استغلها المتقولين على الأئمة بالكذب في الكوفة بالذات، وهم الذين أكثرت كتب الروايات الإمامية النقل عن الإمامين المعاصرين

---

(١) مقاتل الطالبيين(١٣٢).

لتلك الفترة (الباقر وابنه الصادق رحمهما الله) إشهارَ البراءة من الغلاة والكذابين الذين ينشرون عنهم الكذب[١]، وهو ما يعني ترافق عدّة ظواهر في هذه الفترة: الكذب، والسرية، والطعن في الشيخين والبراءة منهما، وغيرها مما سيأتي.

الأجواء التي نشأ فيها الطعن والبراءة من أبي بكر وعمر.

كانت فاجعة استشهاد الحسين رضي الله عنه وأرضاه بصورتها الأليمة وما لحقها من ظلم بعض بني أمية لكثير من آل البيت سببًا لوقوع الأسى والحزن في نفوس كثيرٍ من المحبين منهم والمتشيعين لعلي وآله، وهو ما أحدث لدى طائفة منهم شعورًا بالحرمان والتوقان إلى الانتقام من المتسببين في مصير أحفاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما أن تبني الحكّام في تلك الفترة لمدح أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم والترضي عنهم في الخطب،وفي المقابل الإشارة بالذم لعلي رضي الله عنه ومن خرج معه، كل هذا أوجد جوًّا عاطفيًّا مشحونًا، هيأ لوضع مناسب عند الجهّال لقبول فكرة الطعن والبراءة من هؤلاء الحكام ومن يترضى عنهم هؤلاء الحكام.

ولعل هذا يذكّرنا بما أخبر الله به عن بعض النصارى حينما قابلوا سب بعض يهود المدينة لعيسى عليه السلام، بسب موسى والبراءة منه، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله، فقال رافع بن حرملة: ما أنتم على شيء. وكفر بعيسى بن مريم وبالإنجيل. فقال رجل من أهل نجران من النصارى: ما أنتم على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة. فأنزل الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة : ١١٣][٢].

---

(١) ورد عن الإمام جعفر الصادق رحمه الله أنه سمّى بعضهم فقال: برئ الله ورسوله من المغيرة بن سعيد وبنان بن سمعان فإنهما كانا يكذبان علينا أهل البيت.

انظر: جامع الرواة للأردبيلي ٢/٢٥٥، معجم رجال الحديث للخوئي ١٨/٢٧٥ـ ٢٧٦ .

(٢) تفسير الطبري ١/٥٤٢ وقم١٨١٣. وقد حسنه الدكتور عصام الحميدان في كتاب (الصحيح من أسباب النزول) ٢٨.

فالأجواء المشحونة، والإعلام المُستفز لا يزيد الجهّال في كلا الطائفتين (الغالبة والمغلوبة) إلا بُعدًا عن جادة اجتماع الكلمة، بل لا يدفع إلا إلى مزيد من صدور الأحكام الجائرة في حق من لا يستحق ذلك (البغي في مقابل البغي).

وكل هذا مما يخالف أمر الله تعالى لنا بالعدل و القول الحسن، ولهذا لما تولى العادل الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله أمر بترك ما راج في الخطب من السباب، وأمر بأن تذيل الخطب بالشعار الحسن: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠][١].

وقد أحسن أبو حامد الغزالي رحمه الله حين قال:

"أكثر الجهالات إنما رسخت في قلوب العوام بتعصب جماعة من جهّال أهل الحق، أظهروا الحق في معرض التحدي والإذلال، ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والازدراء فثارت في بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة، ورسخت في قلوبهم الاعتقادات الباطلة، وتعذر على العلماء المتلطّفين محوها مع ظهور فسادها.."[٢]

وقد علق الشاطبي رحمه الله على ذلك بقوله: "وهو الحق الذي تشهد له العوائد الجارية، فالواجب أن تسكّن الثائرة ما قُدر على ذلك، والله أعلم"[٣].

• النتيجة:

من خلال ما مضى نستطيع القول بأن تقديم علي على الشيخين رضي الله عنهم جميعًا لم يظهر قبل أواسط الستين بدلالة قول ليث بن أبي سليم، وأن التفضيل ظهر متزامنًا مع الطعن قبل انقضاء القرن الأول بدلالة خبر العراقيين القادمين على زين العابدين، كما أن النصوص السابقة تكشف عن حقيقة مهمة وهي: أن ظاهرة الطعن كانت تروج بعيدًا عن سادات آل البيت، وفي جو من الكتمان والسرية، حتى انكشفت بشكل واضح عام ١٢٢هـ عندما رفضوا زيد بن علي بن الحسين رحمه الله.

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء ٣٢٩، وانظر سير أعلام النبلاء ١٤٧/٥.

(٢) نقله الشاطبي في الاعتصام٢/٧٣٢ قال: قال الغزالي في بعض كتبه. ـ وقد بحثت عنه فلم أجده ـ .والله أعلم.

(٣) الاعتصام للشاطبي٢/٧٣٢.

* التشيع الثالث *
* من الطعن والبراءة إلى النص والعصمة *

إذا كانت عقيدة التفضيل "تفضيل علي على عثمان ثم تفضيله على جميع الصحابة" قد ظهرت في صفوف الشيعة في الثلث الأخير من القرن الأول، حتى صارت عقيدة "أكثرية" شيعة الكوفة قريب من سنة عشرين ومائة، فإن ثمة تطورًا مهمًّا آخر قد ظهر وتدرجت حتى صارت عقيدة الأكثرية ألا وهي عقيدة النص والعصمة، وفيما يلي سأحاول قدر المستطاع رصد هذا التطور المهم.

أولا : مقدمة النص "نظرية الوصية".

لعل أول درجات "عقيدة النص" هو ظهور نظرية الوصية[١]، فقد سجّل علماء الفِرَق أن عبد الله بن سبأ اليهودي قد أشهر القول بفرض إمامة علي رضي الله عنه، متخذًا من نموذج يوشع بن نون والقول بأنه كان وصيًّا لموسى ـ كما كان يعتقد ابن سبأ في يهوديته ـ، إلا أن إنكار علي بن أبي طالب ورفض أئمة آل البيت لهذه الفكرة جعل فكرة الوصية محصورة.

بيد أن التطورات الخطيرة في العهد الأموي وأبرزها فرض الملك الوراثي، ثم موقف الولاة من علي وشيعته هَيَّئا لنمو هذه الفكرة[٢].

كما أن احتضان الكيسانية[٣] للقول بالوصية في القرن الأول وتطبيقه على

---

(١) كان ابن سبأ أول من أشهر القول بإمامة علي عن طريق نظرية الوصية وليس نظرية الاثنى عشرية، والفرق بينهما أن الوصية تعني أن الرسول قد عين عليًّا وصيًّا له، وفي نظريته أن عليًّا هو خاتم الأوصياء، وأما النظرية الإمامية فتقول بأن الرسول قد سمى عددًا من الأئمة بعده إلى يوم القيامة. يقول المامقاني: "ذكر أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهوديًّا فأسلم ووالى عليًّا، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى، فقال في إسلامه مثل ذلك في علي رضي الله عنه" . انظر: تنقيح المقال٢/١٨٢ ـ ١٨٤، وانظر مقالات الإسلاميين ١/٥٠. الفرق بين الفرق٢٣٣ ـ ٢٣٥. انظر المقلات والفرق للقمي ١١٩، وفرق الشيعة للنوبختي ٢٢

(٢) انظر تطور الفكر السياسي الشيعي للكاتب ٣٣.

(٣) هم أتباع كيسان مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه صاحب شرطة المختار الثقفي، استطاع أن يقنع=

الحسنين ثم أخاهم ابن الحنفية رضي الله عنهم وهكذا إلى من بعدهم، يعد تطورًا للنظرية[١].

لكن تناحر الكيسانيّين واختلافهم في تعيين الأوصياء، علاوة على الغلو المفرط الذي أظهره المختار الثقفي[٢] لّما تغلب في العراق أدى إلى رفض كثير من عامة الشيعة له، وهو ما أدى إلى تقلص أتباعه في الموالي والعبيد، ومن ثم سقوط إمارته[٣].

ثانيًا: من الوصية إلى النص والعصمة.

ولمعرفة الفترة التي نشأ فيها القول بالنص وانتشر، نقف على روايتين مهمتين:

أ. إنكار الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه للنص[٤]

فقد قيل له: ألم يقل رسول الله: (من كنت مولاه فعلي مولاه)؟. فقال: بلى، ولكن والله لم يعنِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك الإمارة والسلطان، ولو أراد ذلك لأفصح لهم به[٥].

=المختار بأفكاره فقام المختار بالخروج طالبًا دم الحسين ومتبنيًا للفكر الكيساني، وقد أظهروا القول بتتابع الوصية بعد الحسن والحسين إلى أخاهم محمد بن الحنفية (٨١هـ)، وهم فرق متعددة يجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل، وأحاطوا شخصية ابن الحنفية بألوان من الغلو .انظر: الملل والنحل للشهرستاني١/١٧٠. الفرق بين الفرق ٣٨. مقالات الإسلاميين١/٨٩

(١) انظر تطور الفكر السياسي الشيعي للكاتب ٣٤.

(٢) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، يعد من أبرز الثائرين على بني أمية، قام مع عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، ثم استأذن ابن الزبير ليدعو له في الكوفة، فذهب إليها وأخذ يدعو الناس إلى إمامة محمد بن الحنفية وادعى أنه استخلف، فبايعه خلق كثير من أهل الكوفة، واستطاع أن يتغلب على واليها ثم قام بتتبع قتل الحسين رضي الله عنه، ثم إن السبئية أخذت تغرر بالمختار فأظهر ألوانًا من الغلو الفاحش مما جعل كثيرًا من أهل الكوفة يتخلون عنه، ولم يبق معه إلا الموالي. انظر: الفرق بين الفرق ٣١ ـ ٣٧، الإصابة ت ٨٥٤٧، الأعلام٧/١٩٢

(٣) ذكر أبو طاهر البغدادي بأن السبئية لما حملوا المختار الثقفي على الغلو، فأصبح يتكهن ويدعي الوحي مما جعل أهل الكوفة يخرجون عليه. انظر الفرق بين الفرق ٤٣ ـ ٥٢

(٤) هو أبو محمد الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي المدني. كان ولي صدقة(وقف) جدّه، قال الذهبي: وكان يصلح للخلافة. توفي ٩٩ وقيل ٩٧هـ. سير أعلام النبلاء٤/٤٨٣ ـ ٤٨٧. تهذيب التهذيب٢/٢٦٢.

(٥) التهذيب لابن عساكر ٤/١٦٢.

فإذا كان الحسن بن الحسن رحمه الله قد توفي سنة (٩٩هـ)، فإن هذا النص يدل على أن القول بالنص بدأ في الظهور قبل ذلك، غير أننا يمكن أن نجزم بأن هذه العقيدة لم تكن هي الرأي العام لدى الشيعة في ذلك الوقت وحتى سنة (١٢٢هـ) لأن شيعة الكوفة آنذاك لم ترفض زيداً بسبب كونه غير منصوص على إمامته، بل بسبب عدم تبرّيه من الشيخين.

ب. إنكار عبد الله بن الحسن بن الحسن[١] رحمه الله لفكرة النص والعصمة.

فقد جاء عنه أنه قال: " ليس لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا، وليس في أحد من أهل البيت إمام مفترض الطاعة من الله"، وكان ينفي كون إمامة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بأنها من الله[٢].

فإذا كان عبد الله قد توفي سنة(١٤٥هـ) فإن إنكاره رحمه الله يؤكد ظهور فكرة "النص والعصمة" في هذه الفترة، مما يعطي دلالة على انتشار هذا القول.

ت. إنكار الإمام جعفر الصادق رحمه الله لفكرة النص والعصمة.

فقد جاءه وفد من شيعة الكوفة فسألوه: يا أبا عبد الله إن ناساً يأتوننا يزعمون أن فيكم أهل البيت إماماً مفترض الطاعة؟.. فقال لهم: لا، ما أعرف ذلك في أهل بيتي، فقالوا: يا أبا عبد الله إنهم أصحاب تشمير وأصحاب خلوة وأصحاب ورع، وهم يزعمون أنك أنت هو. فقال: هم أعلم وما قالوا، ما أمرتهم بهذا[٣].

فإذا علمنا أن الصادق قد علت إمامته بعد وفاة أبيه الباقر سنة ١١٤هـ، وحتى وفاته سنة ١٤٨هـ، فإن هذا يعطي دلالة على أن الذين ينشرون هذه الأفكار كانوا أناساً يأتون ويحضرون حلق الصادق في المدينة، ثم يذهبون إلى الكوفة ويكذبون عليه، وهو ما أدى إلى

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(١٤٥هـ)، والد محمد (النفس الزكية)، من التابعين، يلقب بالمحض سمي بذلك لأن أباه الحسن بن الحسن وأمه فاطمة بنت الحسين، كانت له مكانة عند عمر بن عبد العزيز، وكان يشبه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وكان شيخ بني هاشم في زمانه، وكان قوي النفس شجاعًا، كان مؤيدًا لخروج ابنه محمد"النفس الزكية" فسجنه المنصور وعذبه ليدله على ابنه وقيل إنه مات في السجن ولكن رجّح ابن كثير أنه قُتل صبرًا. راجع: مقاتل الطالبيين ١٢٨، سير أعلام النبلاء٦/٢١٣ ـ ٢١٤، الأعلام ٤/٧٨، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لابن عنبة ٧٠، نشأة الشيعة الإمامية١٨٣، وانظر كسر الصنم٣٥٠.

(٢) بصائر الدرجات للصفار ١٥٣، ١٥٦

(٣) بصائر الدرجات للصفار ١٧٤ ـ ١٧٦. الإرشاد للمفيد ٢٧٥.

انتشار هذه الفكرة في هذه الفترة، وبشكل أدق بعد ١٢٢هـ، وهي السنة التي سبق وأن ذكرنا بأن التاريخ يثبت أن هذه الفكرة لم تنتشر بعد بين شيعة الكوفة بشكل كبير، لأن أهلها لم يرفضوه بسبب عدم النص عليه بل لأنه لم يتبرأ من الشيخين.

وقبل أن نتجاوز هذه المرحلة نؤكد أن عقيدة النص كانت تعني أن الله عيّن عليًّا وأن الأئمة يعينون من بعدهم والدليل ما ذكر داود بن كثير الرقي حيث قال: وفد من خراسان وافد يكنّى أبا جعفر، اجتمع إليه جماعة من أهل خراسان، فسألوه أن يحمل لهم أموالاً ومتاعًا ومسائلهم في الفتاوى والمشاورة، فورد الكوفة ونزل وزار قبر أمير المؤمنين (عليه السلام)، ورأى في ناحية المسجد رجلًا حوله جماعة.فلما فرغ من زيارته قصدهم فوجدهم شيعة فقهاء يسمعون من الشيخ، فسألهم عنه، فقالوا: هو أبو حمزة الثمالي .قال: فبينما نحن جلوس إذ أقبل أعرابي، فقال: جئت من المدينة، وقد مات جعفر بن محمد(عليه السلام) فشهق أبو حمزة ثم ضرب بيده الأرض، ثم سأل الأعرابي:هل سمعت له بوصية ؟ قال : أوصى إلى ابنه عبدالله وإلى ابنه موسى، وإلى المنصور. فقال : الحمد لله الذي لم يُضلّنا، دلّ على الصغير وبيّن على الكبير، وستر الأمر العظيم. ووثب إلى قبر أمير المؤمنين(عليه السلام) فصلى وصلّينا. ثم أقبلتُ عليه وقلت له: فسّر لي ما قلته ؟قال: بيّن أن الكبير ذو عاهة ودلّ على الصغير أن أدخل يده مع الكبير، وستر الأمر العظيم بالمنصور حتى إذا سأل المنصور: من وصيّه؟ قيل أنت.قال الخراساني: فلم أفهم جواب ما قاله[1].

ووجه الاستشهاد أن النص الذي يحدد أسماء اثني عشر إمامًا لو كان معلومًا لدى الثمالي لما وقف موقف السؤال وقال الحمد لله الذي لم يضلنا.

والخلاصة أن فكرة الوصية قد تطورت إلى القول بالنص والعصمة قبيل نهاية القرن الأول ولكنها كانت فكرة محدودة الانتشار وكانت تلقى معارضة من سادات آل البيت الموجودين بشكل كبير في المدينة ـ ذات التشيع الصافي ـ، ولعل الانتشار الواسع الذي بدأ بين شيعة الكوفة بعد سنة١٢٢هـ، وأن النص كان مفتوحًا لا يحدد أسماء اثني عشر.

---

(١) كسر الصنم ٣٥٣. وتمام القصة التي رواها البرقعي باختصار.. كتاب: أعلام الهداية –تأليف المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ ، نقلاً عن:عوالم العلوم، الإمام الكاظم : ١٧٥

* التشيع الرابع *
* من النص المفتوح إلى تحديد العدد باثني عشر *

ما إن ترسخت فكرة النص في أذهان كثير من شيعة العراق، حتى بدأت هذه النظرية تواجه الأزمات واحدة تلو الأخرى، فمن أزمة موت إسماعيل في زمن أبيه الصادق، إلى أزمة الطفولة التي تكررت مرتين وصولاً إلى الأزمة الكبرى؛ وهي موت الإمام الحادي عشر بلا ولد، وهو ما خلق أزمة حقيقية لم تدع أمام منظّري الإمامية من خيار إلا ختم نظرية الإمامة بفكرة الولد المختفي، والقول بأنه المهدي المنتظر وذلك عام ٢٦٠هـ [١].

وقد كانت هذه النظرية هي إحدى الحلول الأربعة عشر للمنقسمين على بعضهم من الشيعة المنتسبين إلى الحسن العسكري رحمه الله، إلا أن هذه النظرية هي النظرية التي كتب لها البقاء والانتشار بالشكل الأوسع بين فئات الإمامية [٢].

هكذا تطور التشيع من التفضيل إلى التشيع الاثني عشري، ويبقى الحديث عن التطور في مسائل أخرى لا تتعلق بصلب التشيع والإمامة، مثل نسبة ما يتعلق بالله للأئمة أو صرف بعض العبادات لغير الله وغيرها، وهي - مع خطورتها - من المسائل التي أُلحقت بالنظرية الإمامية لأغراض وأسباب متعددة، كما إنها - وإن كانت عند بعضهم من ضروريات المذهب - إلا أنها لا تعبّر عن حقيقة الإمامة، فإن الرجل في التقييم قد يكون إماميًّا ولا يقول بتحريف القرآن كالشريف المرتضى [٣]، وقد يكون إماميًّا ولا يرى صرف شيء من العبادات لغير الله مثل السيد محمد حسين فضل الله [٤]، ولهذا آثرت أن لا أدرجها في تطور العقيدة الإمامية، والله أعلم.

❊❊❊

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في (فصل أحمد الكاتب) القادم ص ٢١٩

(٢) من المسائل المهمة التي تحتاج إلى دراسة هي جمع الأسباب التي جعلت نظرية الاثني عشرية تصمد من بين بقية النظريات الأربعة عشر، وتحليل ذلك.

(٣) انظر الفصل لابن حزم٥/٢٢.(بهامش الملل والنحل)

(٤) انظر تفاصيل ذلك الفصل ص ٥١٧ ـ ٥٣٢



الباب الأول

أعلام تركوا المذهب الإمامي

""وليس القصد الأساسي الانتصار لمذهب أهل السنة من خلال هذه التحولات، لأنني أظن بأن تربية الناس على هذا النمط من الاستدلال يُعدّ خطأً منهجيًّا، إذ الحالة العامة المستمرة تثبت وجود تحولات في كل اتجاه، كما أن القاعدة الأصيلة التي نطق بها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه تقول: "الحق لا يعرف بالرجال، وإنما يعرف الرجال بالحق"".

المؤلف



في هذا الباب سيتم إلقاء الضوء على بعض الشخصيات المتأخرة التي كان لها إسهام كبير في إجراء مراجعات أساسية أدت بهم إلى التخلي عن الفكرة الأساسية للمذهب وهي القول بالمفهوم الإمامي للإمامة، كما أن مراجعاتها شملت أبوابًا ومسائل أخرى تتعلق بمسائل الاعتقاد، مثل علم الغيب وصرف العبادة لغير الله، ومسألة تحريف القرآن وغيرها من المسائل المهمة.

ومن المهم أن يعلم القارئ الكريم أن الحكم على أحد هذه الشخصيات بأنه قد خرج من الإمامية لا يعني بالضرورة أنه أصبح ينتسب إلى أهل السنة والجماعة، ولا أنه ترك كل ما لدى الشيعة من الأقوال، بل قد نجد من تخلى عن القول بالإمامة وأصبح من المفضلة (القائلين بأفضلية علي على بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين)، أو قد يكون ترك القول بالإمامة ولكنه لا يزال جعفريًا في الفروع، وقد يكون ترك تكفير الصحابة ولكنه لا يزال يتبنى عدم تعديلهم لمجرد الصحبة، أو لا يزال لديه نظرة تاريخية خاطئة لبعض الأحداث، أو يتبنى آراء مشوشة عن بعض علماء أهل السنة مثلًا وهكذا.

وعلى المنصف أن لا يقيّم هذه الشخصيات بما يعدّه خللًا فقط، بل عليه أن يقدّر لمثل هذه الشخصيات جهادهم وشجاعتهم في مواجهة الانحرافات، وجرأتهم في نصرة ما بان لهم من الحقيقة، ومدافعة الخرافة والغلو الذي قد سكت عنه بعض من جاورهم من أهل السنة، خوفًا من تبعات الدعوة والتصحيح.

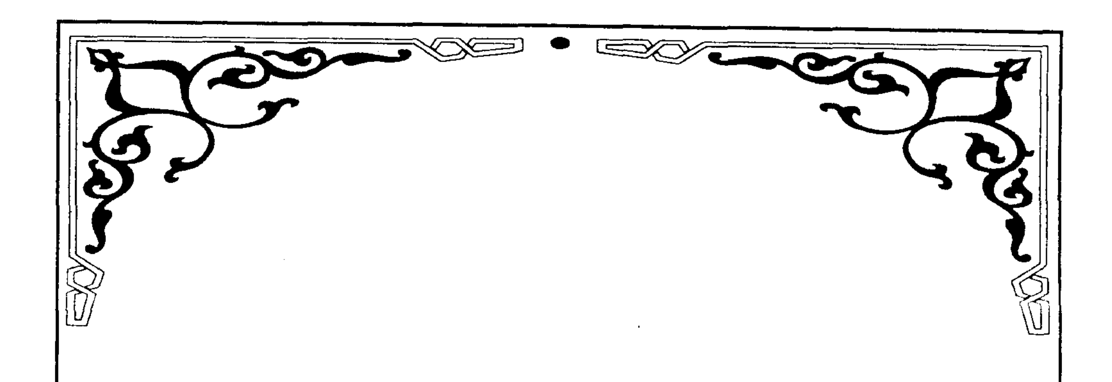
وجماع العدل والإنصاف في النظرة لمثل هؤلاء أن يوزن كل أحد بما جمع من الخير والشر، والحسنات والسيئات بموضوعية تامة.

وفي مقابل هذا يجب أن لا تقود النشوة أحدًا إلى النظرة إلى أمثال هؤلاء الذين أخذوا ينتقدون كثيرًا من الانحرافات في المذهب الإمامي، فيغفل عن بعض أحكامهم وآرائهم المغلوطة.

وعلى سبيل المثال: قد نجد بعض المتحولين من يجمع مع انتقاله عن الإمامية بعض التعدي المحرّم (على بعض الإمامية)، فيجب أن لا تقودنا الفرحة بانتقاله إلى صفوف أهل السنة إلى السكوت عن بعض ما قد يقع فيه ذلك المتحول من البغي والتعدي على (بعض الإمامية) أو (أعلام أهل البيت)، بل نقّر له بما سعى في بيانه من الحق ونرد عليه بغيه وتعديه على أي أحد.

وفي هذه الفصول القادمة سأكتب ما رأيت من الملاحظات التي بدت لي على الشخصيات الآتية، ولا أدعي أنني حصرت جميع الملاحظات على كل شخصية، بل قد يكون فاتني شيء لم أنتبه له أو لم أطلع عليه،كما أن ملاحظاتي قابلة للنقاش، فهي تمثل في هذه الحالة وجهة نظر.







الفصل الأول



آية الله العظمى

أبو الفضل البرقعي

«وفي تلك الأعوام كنت أجد فراغاً في الوقت ساعدني على المطالعة والبحث والتأليف والتدبر في كتاب الله ، فتبين لي أنني وجميع علماء مذهبنا غارقون في الخرافات ، وغافلون عن كتاب الله، وتخالف آراؤهم صريح القرآن وتعارضه».



« أبو الفضل البرقعي »



المبحث الأول
ترجمته



اسمه ونسبه:

"هو أبو الفضل بن الحسن بن (حجة الإسلام) أحمد بن السيد رضيّ الدين [1]، ينتهي نسبه إلى محمد الجواد بن موسى الرضا بواسطة ستة وعشرين جدًّا، ولذا ينسب تارة إلى الرضا فيقال: الرضوي، وتارة إلى موسى المبرقع بن الجواد فيقال: البرقعي وهو الأشهر في نسبته.

ولادته ونشأته:

ولد البرقعي سنة ١٣٢٩هـ أو ١٣٣٠ هـ [2] في مدينة قم[3] ، ويدأ فيها طلب العلم وعمره إحدى عشرة أو اثنتا عشرة سنة في المدرسة الرضوية، وهي مدرسة علمية كانت تخصص لكل طالب غرفة يسكنها، ولكن نظرًا لصغر سنه فلم يخصصوا له غرفة، مما جعله يطلب من حارس المدرسة أن يترك له غرفة أدوات النظافة (طولها متر وعرضها متر) ، وهي غرفة صغيرة، لا يوجد لها باب، فسمح له الحارس بذلك بعد أن وضع لها بابًا مكسورًا، يقول البرقعي: " وأتيت ببساط من بيت والدي وفرشت به تلك الغرفة وبدأت بالدراسة، وكنت مقيمًا في تلك الحجرة التعيسة ليلًا ونهارًا كما أنها لم

---

(١) ملحق تعريف البرقعي بنفسه في كسر الصنم ٢٧٤

(٢) لم يذكر البرقعي سنة ولادته ، ولكنه ذكر أنه بدأ طلب العلم سنة ١٣٤١ هـ وعمره أحد عشر أو اثنا عشر عامًا .(انظر كسر الصنم ٣٧) ومما يؤيد ذلك أنه رحمه الله ذكر أن عمره وقت ثورة الخميني كان قد وصل السبعين (انظر كسر الصنم ٣٩٦).

(٣) قم: ـ بالضم والتشديد ـ كلمة فارسية، مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها، يقال بأن أول من مصّرها طلحة بن الأحوص الأشعري. انظر: معجم البلدان ٣٩٧/٤ ـ ٣٩٨.

تكن تقيني الحر ولا البرد لأن بابها كان مكسورًا، ومليئًا بالشقوق"[١] .

وقد واصل الدراسة فيها حتى أكمل مرحلة الخارج التي تمثل أخر مرحلة لطالب الحوزات العلمية الشيعية، ومن بعدها صار أحد مدرسي الحوزة [٢] .

من أبز الشيوخ الذين تلقى عنهم أبو الفضل البرقعي[٣]: آية الله العظمى عبد الكريم الحائري اليزدي[٤]، وآية الله العظمى حجت كوة كمرة[٥]، وآية الله العظمى أبو الحسن الأصفهاني[٦]، وآية الله العظمى شاه آبادي (المتوفى سنة١٣٦٣هـ)، والحاج الشيخ محمد علي القمي[٧] .

• ما هي المنزلة العلمية للبرقعي؟

بلغ البرقعي منزلة كبيرة، حتى قال عنه آية الله أبو القاسم الكاشاني[٨] : " إن جناب العالم العادل حجة الإسلام والمسلمين السيد أبو الفضل البرقعي الرضوي قد صرف أكثر عمره الشريف في تحصيل المسائل الأصولية والفقهية حتى صار ذا قوة

---

(١) انظر ملحق الترجمة في كسر الصنم٣٧٧.

(٢) تنقسم الدراسة في الحوزة إلى ثلاث مراحل : الأولى :المقدمات . الثانية: السطح . الثالثة: الخارج.

(٣) انظر:ملحق كسر الصنم ٣٧٤.

(٤) هو عبد الكريـــم بن محمَّد جعفر الحائري اليردي، أحد علماء الشيعة الإمامية، ولد في مهرجرد إحدى قرى يزد في إيرن سنة ١٢٧٦هــ. تعلم في يزد ثم في العراق ثم ذهب إلى مدينة قم سنة ١٣٤٠هــ، وأصبح زعيما للحوزة في قم حتى توفي سنة ١٣٥٥هــ. انظر: أعيان الشيعة ٤٢/٨.

(٥) هو حجت كوة كمرة ولد سنة ١٣١٠هــ، وتوفي سنة ١٣٧٢هــ.

(٦) هو أبو الحسن محمَّد بن عبد الحميد بن محمَّد الموسوي الأصفهاني، أحد علماء الإمامية، ولد في قرية «مديس» في أصفهان سنة ١٢٨٤هــ، وبها تعلم، وقد هاجر بعدها إلى النجف سنة١٣٠٨هــ، شارك في ثورة العشرين، ثم نفي إلى إيران، وبعدها قبل العودة بشرط عدم التدخل في السياسة، آلت إليه المرجعية في النجف مع النائيني، وتوفي في الكاظمية في التاسع من ذي الحجة سنة ١٣٦٥هــ.انظر: أعيان الشيعة ٢/ ٣٣٢. معجم رجال الفكر والأدب في النجف ١/ ١٢٩.

(٧) هو محمد علي القمي الكربلائي الحائري، مشهور بكتابه : كفر الوهابية، توفي سنة ١٣٨١هــ.انظر معجم المؤلفين ٣ / ٢١٧.

(٨) هو ابو القاسم بن مصطفى الكاشاني، كانت له مشاركات سياسية بارزة منها في ثورة العشرين، والدخول مع مصدق في حكومته التي أممت نفط إيران ، توفي ١٣٨١هــ. انظر نقباء البشر٧٥/١.

قدسية في رد الفروع الفقهية إلى أصولها "[١]

كما وصفه آية الله العظمى السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني بأنه : "ممن بذل جهده في تحصيل الأحكام والمعارف الإلهية برهة من عمره وشطرًا من دهره مجدًّا في الاستفادة من الأساطين ، حتى بلغ مرتبة عالية من الفضل والاجتهاد ، مقرونًا بالصلاح والسداد ، وله التصدي في الأمور الحسية، وفيما لا يجوز لغير الفقهاء والمجتهدين التصدي لها "[٢].

ولمكانته التي وصل لها من الاجتهاد العلمي فقد أجازه الأصفهاني بأخذ الخمس من سهم الإمام – على ما هو جار في مذهب جمهور الشيعة ـ وهي مرتبة المرجعية عندهم، كما حرّم عليه الكاشاني التقليد، إيذانًا برسوخه الفقهي في المذهب الإمامي[٣].

• كتبه ومؤلفاته :

كتب البرقعي ما يزيد على خمسة وثلاثين كتابًا، منها:

١. مرآة الآيات – أو المرشد لموضوعات القرآن.
٢. كنز الذهب أو ألف وخمسمائة حديث للرسول، صلى الله عليه وآله وسلم.
٣. كلمات قصيرة لسيدنا سيد الشهداء.
٤. كنز الحقائق كلمات الإمام الصادق.
٥. كنز الكلام كلمات الإمام الحسين.
٦. كنز الجواهر كلمات الإمام الباقر.
٧. رسالة الحقوق بين حق الخالق والمخلوق.
٨. الأربعون من أحاديث خاتم النبيين(صلى الله عليه وآله وسلم).
٩. النظام الجمهوري الإسلامي.

---

(١) ملحق كسر الصنم ٢٧٤.
(٢) ملحق كسر الصنم ٣٧٥.
(٣) انظر ملحق كسر الصنم ٣٧٤ ـ ٣٧٥ .

١٠. جامع المنقول في سنن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ عشرة مجلدات ـ .
١١. تراجم الرجال ، عشرة مجلدات.
١٢. تراجم النساء ، مجلدان.
١٣. دعبل الخزاعي وقصيدته التائية.
١٤. الإسلام دين السعي والعمل.
١٥. ترجمة المختار الثقفي.
١٦. سيد جمال الدين الحسيني والشيخ فضل الله النوري.
١٧. تفسير(تابشي از قرآن = قبس من القرآن) وهو ترجمة للقرآن وتوضيح لآياته ومقدمة تحوي ٢٧موضوعًا.
١٨. الجبر والتفويض.

يقول البرقعي : وقد ألفت الكتب التالية لحرب الخرافات والعقائد الباطلة التي تنسب إلى الإسلام :

١٩. التفتيش في بطلان مذهب الصوفي والدرويش.
٢٠. حقيقة العرفان.
٢١. فهرس عقائد العرفان والصوفية.
٢٢. فهرس عقائد الشيخية ومخالفتها للإسلام .
٢٣. العقل والدين في العدل والتوحيد.
٢٤. العقل والدين في النبوة والمعاد .
٢٥. العشق والمعاشقة في نظر العقل والدين.
٢٦. الشعر والموسيقى ــ المصالح والمفاسد.
٢٧. دراسة دعاء الندب.
٢٨. دعاء الندب ومخالفة عباراته للقرآن.
٢٩. درس من الولاية.
٣٠. جواب الإشكالات على دروس من الولاية.
٣١. الخرافات الكثيرة في زيارات القبور.
٣٢. تحريم المتعة في الإسلام .
٣٣. حديث الثقلين.

٣٤. كسر الصنم، أو عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول، درست فيه روايات الكافي.

٣٥. دراسة علمية لأحاديث المهدي، درس فيه الأحاديث المتعلقة بالمهدي.

٣٦. مخالفة مفاتيح الجنان لآيات القرآن.

- **منظومات البرقعي:**

٣٧. المثنوي المنطقي – مجلدان.

٣٨. غلشن القدس=حديقة القدس .

٣٩. منظومة في الأسماء الحسنى.

٤٠. مجموعة من الأشعار.

٤١. ديوان (حافظ شكن= كسر حافظ) .

الكتب التي ترجمها البرقعي من العربية إلى الفارسية:

٤٢. الصحيفة العلوية.

٤٣. أحكام القرآن للشافعي رحمه الله.

٤٤. التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب.

٤٥. نهج البلاغة.

٤٦. تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم والمصالح المتعلقة بها للصابوني.

٤٧. المذاهب الخمسة.

٤٨. المنتقى مختصر منهاج السنة لابن تيمية ، سماه :(رهنحووسنت).

*** وفاته:**

كانت وفاته رحمه الله تعالى عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م[١] .

❁❁❁

---

(١) كسر الصنم / مقدمة المترجم ص٢٤.





المبحث الثاني

مراحل تحولاته

المتتبع لسيرة أبي الفضل البرقعي يجد أنه قد مر فيها بثلاث مراحل ، وهي كالتالي:-

* المرحلة الأولى *

* البرقعي والتعصب للإمامية*

(..... - حتى عام ١٩٤٩م)

وهذه هي المرحلة التي عاشها البرقعي أيام شبابه، فقد نشأ في بيت شيعي إمامي و اجتهد في تعلم مذهب الإمامية حتى أثنى عليه بعض أبرز علماء المذهب بأنه ذو "قوة قدسية في رد الفروع الفقهية إلى أصولها"[١] ، ولذا نال درجة الاجتهاد في المذهب الجعفري من عدّة مراجع في المذهب الإمامي.

أولاً : السمات العامة لهذه المرحلة :

١ . استبداد القيادة السياسية.

عاشت إيران في هذه الفترة تسلط " رضا بهلوي " ثم ابنه"محمد" من بعده، وقد كانت السياسة المتبعة هي سياسة القمع والإرهاب[٢] .

---

(١) قالها الكاشاني . كسر الصنم ،ملحق ترجمة المؤلف لنفسه ٣٧٤.

(٢) كسر الصنم ٣٧٧.

٢. محاربة الدولة للحجاب.

فقد بدأ شاه إيران "رضا بهلوي" بفرض لباس موحد للرجال ، كما ألزم النساء بخلع الحجاب .

يقول البرقعي: " وقد كانت المرأة في تلك الأيام ملتزمة بالحجاب من رأسها وحتى قدميها ولم يكن يرى منها شيء، حتى وجهها لم يكن يعرف من ظهرها، وكانت مسألة الحجاب هذه مسألة شديدة الوقع على الشعب الإيراني" كما ذكر أن الناس اعتصموا في ـ ما يسميه الشيعة في إيران ـ "حرم الإمام الرضا" احتجاجًا على فرض خلع الحجاب، وقد انتهى الأمر بإرسال وحدات من الجيش بأمر الشاه الإيراني وبعد الحصار تمت المصادمة مما أوقع أحد عشر ألفًا بين قتيل وجريح دفنوا ـ كلهم قتلى وجرحى ـ في مقابر جماعية ، كما تم سجن ونفي مجموعة من وجهاء الناس [1] .

٣. غلبة الخوف على العلماء والناس عمومًا.

فلم يكن أحد يجرؤ ـ آنذاك ـ على مصادمة الدولة، نظرًا لبطش الشاه وحكومته، بل الحال كما يقول البرقعي: "وفي تلك الفترة قلّ ما كان يجرؤ أحد من العلماء والكبار على التفوه بكلمة ضد الدولة، وقد غلب الخوف على الجميع"[2].

٤ . احتلال إيران أثناء الحرب العالمية الثانية.

تعرضت إيران أثناء الحرب العالمية الثانية للهجوم من قبل الحلفاء لاسيما بعد انحياز الشاه لألمانيا، حيث توقع أن يكون النصر حليفًا لها، فأراد أن يبادر لمحالفتها من أجل أن يظفر منها على حصة من القفقاز، فدخل معها في حلف عسكري واقتصادي ، مما أثار عليه حفيظة بقية الحلفاء.

وبعد هزيمة الألمان، تحوّل الحلفاء إلى إيران، وطلبوا من رضا بهلوي التخلي عن العرش، فسلمه الملك لابنه ، و تم نفيه إلى جزيرة (موريشس)، ثم منها إلى مدينة (جوهانسبرغ) في اتحاد جنوب أفريقيا والتي لم يمض أعوام حتى مات فيها سنة

---

(١) كسر الصنم ،ملحق ترجمة المؤلف لنفسه ٣٧٧ ـ ٣٧٨

(٢) كسر الصنم ،ملحق ترجمة المؤلف لنفسه ٣٧٨

١٣٦٣هـ ـ ١٩٤٤م[١].

وقد سلّم الإنجليز وروسيا مقاليد الحكم من بعد رضا لابنه محمد الذي لم يعتبر بما حصل لوالده، بل سار على نفس خطى أبيه في معاداة شعبه والعمالة التامة للكفار، ولكنه في هذه المرة للحلفاء بدلاً من ألمانيا التي كانت الحليفة الأكبر لوالده[٢].

ثانيًا : السمات الخاصة بالبرقعي في هذه المرحلة.

١. التمسك بالمذهب الإمامي جملة وتفصيلاً:

وفي هذه المرحلة لم يكن للبرقعي أي محاولة إصلاحية، بل إنه – ولشدّة تمسكه بالمذهب الإمامي ـ كان يساهم في الرد على من يقدم الأطروحات النقدية، فقد قام بالرد على أحمد الكسروي الذي كان يكتب في نقد مذهب التشيع الإمامي[٣].

٢. الجرأة والقوة في الحق:

ففي الوقت الذي يُحْجِم فيه كبار علماء إيران عن التفوه بأي شيء لا يرضي الدولة، خاصة بعد فرض خلع الحجاب، نجد البرقعي يقوم بخطوات جريئة ونادرة.

يقول رحمه الله ـ بعد ذكره لما جرى للناس الذين احتجوا على فرض خلع الحجاب ـ : " وفي تلك الفترة قلما كان يجرؤ أحد من العلماء والكبار على التفوه بكلمة ضد الدولة، وقد غلب الخوف على الجميع، وكنت في قم فأصدرت إعلانًا ودعوت الناس فيه إلى القيام والتحرك ولما لم أجد من يستجيب لندائي، اضطررت أن أخرج ليلًا فألصق الإعلانات على الجدران بنفسي في أسواق وأزقة المدينة، ولكني لم أر تحركًا من أحد، ثم أصبحت الدولة أشد جرأة ومنعت كليًّا تعليم الدين والخطابة. وكان يتوجب علي أن أخطب سرًّا أينما ذهبت، ومر عامان أو ثلاثة على هذا المنوال إلى أن نشبت الحرب العالمية الثانية"[٤].

(١) انظر التاريخ الاسلامي لمحمود شاكر١٨ /٦١ ـ ٧٠.
(٢) المرجع السابق ٣٧٩.
(٣) كسر الصنم .مقدمة المترجم ٢٣.
(٤) كسر الصنم ،ملحق ترجمة المؤلف لنفسه٣٧٨ ـ ٣٧٩.

* المرحلة الثانية *

* البرقعي والإصلاح عن طريق السياسة *

(من ١٣٦٧هـ - ١٣٧٢هـ) (١٩٤٩م - ١٩٥٣م)

هذه المرحلة هي التي خاض فيها البرقعي صراعًا سياسيًّا من أجل إصلاح ما وضح له من الانحراف على المستوى الشرعي والسياسي في مجتمعه، وحتى نقف على السمات الفكرية للبرقعي في هذه المرحلة، لابد أولاً أن نقف على سمات هذه المرحلة عمومًا.

أولا : أبرز السمات العامة لهذه المرحلة :

١. انقسام العالم إلى تيارين(رأسمالي و شيوعي)

وكانت إيران مجالًا لتنافس هذين المعسكرين[1]، فبريطانيا – ومن خلفها أميركا - تسعى للنفوذ الاقتصادي والسياسي في إيران ، وروسيا كانت تضغط للحصول على امتياز التنقيب عن النفط، وفي إيران أحزاب سياسية متصارعة يؤيد كل واحد منها أحد المعسكرين[2].

٢. إعلان دولة إسرائيل في عام ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م

وقد اعترفت بذلك حكومة شاه إيران بإسرائيل، إرضاء لبريطانيا من جهة، وإظهارًا للدول الغربية بأن إيران لا ارتباط لها بالإسلام بل هي علمانية تحررية [3].

---

(١) مما يبين مدى تنافس الدول الكبرى آنذاك على السوق الإيرانية أنه في عام ١٣٥٦ هـ كان عدد الشركات الأجنبية في إيران .
٣٥١ شركة ألمانية، و٢٨٥ شركة بريطانية، و١٧٧ شركة أمريكية، و ١٤٣ شركة روسية، و١١٨ شركة فرنسية.انظر التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ١٨/٦١.

(٢) انظر التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر١٨/ ٧٧ - ٧٨.

(٣) المرجع السابق١٨/٧٩.

٣. تولي محمد مصدق رئاسة الوزراء:

كان محمد مصدق هو وآية الله الكاشاني يمثلان تيارين أحدهما وطني (مصدق) والثاني متدين إصلاحي (كاشاني)، وقد وصلا إلى قائمة رجال الدولة السياسيين بعد جهاد طويل منهم ومن أنصارهم في معركة الانتخابات[1]، ولكن بعد تعرض الشاه محمد البهلوي للاغتيال في يوم الجمعة السابع من ربيع الثاني عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، استغلت الحكومة هذا الحادث لتلغي هذه الحكومة، فقامت باعتقالات واسعة في صفوف المعارضة، وكان من الذين اعتقلوا آية الله الكاشاني الذي نفي بعد ذلك إلى لبنان.

وفي عام ١٣٧٠هـ - ١٩٥١ عمت إيران فوضى فاضطر الشاه لتكليف مصدق - الذي يعد مقبولًا من عدّة أطراف - بتشكيل وزارة من أجل تهدئة الشارع الإيراني.

وقد بقي مصدق في الحكم سبعة وعشرين شهرًا، أصدر فيها أحد أخطر القرارات في تاريخ الصراع الإيراني الغربي؛ ألا وهو تأميم النفط الإيراني، فأعلن مصادرة أملاك البريطانيين، وأخذ امتيازات النفط منهم، ولما طلبت بريطانيا التفاوض، طلب أثناء المفاوضات معهم دفع مبلغًا ضخمًا كتعويضات لإيران فانسحب البريطانيون من المفاوضات.

حاول الشاه أن يتدارك الأمر فأرسل رسالة لمصدق يقضي فيها بإقالة وزارته، فرفض ذلك مصدق والكاشاني وأعلنا الانقلاب على الشاه فثار الناس معهم ، فهرب الشاه إلى روما، وعمت الفوضى البلاد فخشيت أمريكا أن يسيطر المتدينون على البلاد فقامت بإرسال (كيرمت ابن الرئس روزفلت) فقام بتوزيع مبلغ مليون دولار لبعض من لهم القدرة على تهدأة الأمر، وفعلا تم ذلك ، ورجع الشاه من روما، وقدم مصدق للمحاكمة[2] .

---

(١) يقول البرقعي: وكان أنصار الكاشاني يسهرون الليل كله أيام الانتخابات حتى الفجر بجوار صناديق الاقتراع كي لا يتمكن أحد من تزوير الانتخابات فيفوز أحد غير الكاشاني ومصدق، إلى أن فازا فعلًا بفعل نشاط أنصارهما، وأصبح الكاشاني ومصدق نائبين لطهران في المجلس مما اضطر الدولة إلى إعادة الكاشاني من لبنان إلى إيران. كسر الصنم (ملحق ترجمة المؤلف لنفسه) ٣٨٥.

(٢) انظر التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ١٨/٨١-٨٣.

٤. محاصرة جهود المتدينين

قامت حكومة الشاه في هذه الفترة بمحاصرة للمتدينين لاسيما المصلحين منهم، وقد اتخذ الشاه عدّة خطوات لهذا الأمر:

- تسليم المدارس التي يشرف عليها العلماء إلى وزارة التعليم
- الاستيلاء على الأوقاف
- قام الشاه بإطلاق حركة(الثورة البيضاء) وتهدف إلى إخضاع رجال العلم الشرعي إليه، وأخذ حصة مما يملكونه[١].

٥. غياب دور العلماء سياسيًّا

يصف البرقعي أغلب العلماء في تلك الفترة بأنهم " بعيدون عن الاشتغال بالسياسة وأمور الحكم"، ومن جهة أخرى يسمي البرقعي بعض الشخصيات التي كانت تمثل دورًا أشد سلبية، كالبروجردي الذي يعدّه البرقعي ممن بارك سياسية الشاه[٢].

كما يذكر البرقعي أن العاملين في الساحة الإيرانية كالكاشاني ومصدق والجبهة الوطنية –التي أسسها الخميني- لم تكن في هذه الفترة لها صدى في الناس-[٣].

ثانيًا :أبرز السمات الخاصة بالبرقعي:

١. اتصاله بالكاشاني .

ففي عام ١٩٤٩م قدم البرقعي إلى طهران، واتصل بالكاشاني الذي وصفه البرقعي بأنه:" الذي وقف في وجه استبداد الدولة، وكان قد اشتهر بعض الشيء، وأما غيره من العلماء فكانوا إما ساكتين، أو أنهم يأكلون خبزهم يومًا بيوم

---

(١) المرجع السابق.

(٢) كسر الصنم ملحق ترجمة المؤلف لنفسه٣٨٨ .

(٣) انظر كسر الصنم ملحق ترجمة المؤلف لنفسه ٣٨٤ .

ويوافقون على ظلم الشاه[١]

٢. السعي في الإصلاح السياسي

اقتنع البرقعي بأفكار الكاشاني في السعي للدخول في المضمار السياسي من أجل إصلاح أوضاع الناس الدينية والسياسية.

ويمكننا أن نتعرف على أفكار الكاشاني من رسالته التي أرسلها للبرقعي من لبنان - أثناء نفيه - والتي يقول فيها :

"يا برقعي؛ إياك أن تجعل المسجد متجرًا كبقية المشايخ، بل أيقظ الشعب، ولا تلق بالًا لما يرددونه من أن الشيخ الصالح هو الذي ينقطع عن أمور الناس، ولا يبالي بشعبه، وابذلوا جهدكم لكي يتم انتخاب مصدق"[٢] .

وقد قام بذلك أبو الفضل البرقعي، فكان يسعى بكل ما أوتي من قوة في التنقل بين الناس لدفعهم للمشاركة في انتخاب مصدق .



(١) كسر الصنم ملحق ترجمة المؤلف لنفسه ٣٨٣.

(٢) كسر الصنم ملحق ترجمة المؤلف لنفسه ٣٨٥.

* المرحلة الثالثة *

* البرقعي والإصلاح الديني*

من (١٣٧٢هـ ـ وفاته ١٤١٢ هـ) (١٩٥٣م ـ ١٩٩٢م)

وفي هذه المرحلة دخل فيها البرقعي بشكل واضح في عملية نقدية جادة، فذهب يجاهد في محاربة الخرافة والغلو ونحوها من مظاهر البعد عن معالم الدين الخالص، ولكن بطريق ليس للسياسة فيه نصيب.

أولا: أبرز السمات العامة لهذه المرحلة:

١. زيادة الغليان الشعبي في إيران.

٢. قيام الثورة الإسلامية في إيران في عام ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م .

ثانيًا : السمات الخاصة بالبرقعي:

١. التفرغ للقراءة والبحث والنظر،وبخاصة القرآن.

في هذه السنوات وجد البرقعي فراغًا في الوقت أعانه على الوقوف على كثير من الحقائق التي اكتشفها من خلال البحث والاطلاع.

يقول رحمه الله : " وفي تلك الأعوام كنت أجد فراغًا في الوقت ساعدني على المطالعة والبحث والتأليف والتدبر في كتاب الله ، فتبين لي أنني وجميع علماء مذهبنا غارقون في الخرافات ، وغافلون عن كتاب الله، وتخالف آراؤهم صريح القرآن وتعارضه"[١] .

٢. الاتجاه للتأليف و كتابة الرسائل لإصلاح اعتقاد الناس

في هذه المرحلة اجتهد البرقعي في محاولة إصلاح الناس عن طريق التأليف وكتابة المقالات، يقول رحمه الله:" ثم قمت بتأليف كتب لإصلاح عقول الناس وآرائهم.... ولقد كنت أقصد من تأليف هذه الكتب أن أعرف الناس بكتاب الله والعقائد الإسلامية القرآنية، وأن ننتشل شعبنا من كيد أهل البدع وضلالاتهم"[٢] .

---

(١) كسر الصنم ٣٩٠.

(٢) المرجع السابق ٣٩١.

٣. تركيزه على الدعوة المباشرة (الخطب والدروس والمناقشات)

ففي هذه الفترة – وبعد أن تبين للبرقعي الخلل الذي لحق المذهب الشيعي - توجّه بشكل كبير لدعوة الناس إلى التبصر وإعمال العقول، وترك الاعتقادات الخاطئة والخرافات المنتشرة.

وقد بدأ أبو الفضل رحمه الله دعوته من مسجد (مادر[١] في طهران، حيث صار إمامًا له بعد إلغاء حكومة مصدق.

يقول رحمه الله: " وكانت خالة مصدق قد بنت مسجدًا في(عذر وزير دفتر)[٢]وكان يدار من قبل "محمد ولي ميرزا فرمانفرمائيان" وكان هذا الرجل قد طلب من آية الله الكاشاني أن يرشح أحدًا لإمامة المسجد، فاصطحبني الكاشاني إلى ذلك المسجد كإمام، واقتدى بنفسه بي، ثم قمت في المسجد إمامًا "[٣].

وكان البرقعي يركز في تدريسه على القرآن، وقد حدثني من زاره قبيل الثورة وحضر معه أحد دروس التفسير في هذا المسجد وبين لي أن عدد الطلاب الذين كانوا يحضرون يقارب المائتين.

كما كان البرقعي يستغل تنقلاته ورحلاته في الدعوة والتدريس، يقول رحمه الله:"وفضلًا عن التأليف فقد كنت أستغل رحلاتي وتنقلاتي لنشر الحقائق الإسلامية"[٤] .

٤. تعرضه للابتلاء، بسبب مخالفته للمذهب.

تعرض البرقعي في هذه الفترة إلى كثير من الابتلاءات بسبب دعوته الصريحة للتصحيح، فقد اجتمع على محاربته أكثر من جهة.

والسؤال: من هم الذين وقفوا أمام دعوة البرقعي في هذه المرحلة؟

لقد حدد البرقعي رحمه الله أولئك الذين لم يرق لهم ما يدعو إليه، وهم:

---

(١) المادر ـ بالفارسية ـ : يعني الأم . انظر: المعجم الذهبي ـ لفرهنك طلائي ٥٣٢.

(٢) منطقة في طهران .

(٣) كسر الصنم ٣٨٩.

(٥) المرجع السابق ٣٩١.

أولاً: السياسيون المستفيدون من بقاء الخرافة والجهل وسكوت العلماء.

ثانيًا: رجال المذهب المستفيدون من المذهب؛ سواء فائدة الجاه، أو المال.

يقول رحمه الله:

" ولقد فضلت الإقامة في طهران لأنه كان هناك في قم ثلاث فئات تضمر لي العداوة، الأولى: فئة موظفي الدولة وعملائها، الثانية: خدم حرم السيدة المعصومة الذين كانوا عبيدًا لـ"المتولي باشي" نائب قم في المجلس [illegible] من كنت أراه غير صالح لهذا المنصب[١]، والثالثة: هي فئة المشايخ، خاصة أتباع البروجردي"[٢].

٥. مشاركته في الثورة الإسلامية على الشاه.

لم يمنع البرقعي اختلافه مع رموز الثورة في كثير من المسائل من المشاركة معهم في إسقاط نظام الشاه، بسبب تطلعه إلى تحكيم الشريعة التي نادى بها قائد الثورة، بل شارك مع الشعب الإيراني" ضد الشاه والسافاك "، ومع أنه كان قد تقدم في العمر إلا أنه كما يقول:" كان عمري في هذه الأيام قد وصل السبعين، ولكني مع هذا كنت أشترك في المظاهرات"[٣].

وقد تطلع البرقعي إلى دعم الثورة الإسلامية، فقام بخطوة عملية للإصلاح، وهي تأليف كتاب هدفه التعريف بالحكم الإسلامي الذي كان يأمل تطبيقه عندما يصل آية الله الخميني إلى سدّة الحكم[٤].

---

(١) ذكر البرقعي في موضع آخر ص ٣٨٢ سبب موقفه من متولي باشي فقال: " كان عاميًّا غير صالح، وقد أنفق أوقاف السيدة المعصومة التي يجب أن تنفق على الفقراء في أمور أخرى، وبعد سقوط البهلوي الأول أردنا أن نرشح وكيلًا صالحًا للمجلس؛ ولكن أنصار بروجردي والدولة والبلاط مانعوا في ذلك فكتبت إعلانًا ذكرت فيه عيوب "متولي باشي" ومثالبه ودعوت الناس لينتخبوا نائبًا صالحًا عالمًا ولهذا السبب جفاني البروجردي ومن حوله".

(٢) كسر الصنم ٣٨٨.

(٣) المرجع السابق ٣٩٦.

(٤) المرجع السابق ٣٩٧.

يقول البرقعي رحمه الله: "وعملًا بمبدأ النصيحة لله فقد أرسلت رسائل عدّة إلى آية الله الخميني، إلا أنه لم يجب على واحدة منها، وكلما كتبت مقالًا كان يحال بيني وبين إيصاله إلى الناس" [١].

ومن البلاء الذي تعرض له البرقعي في هذه المرحلة :

أولاً : الطعن فيه.

فقد اتهم بأنه منحرف وضال في أكثر من مرّة ، كما حدث عندما ألف كتابه "درس في الولاية[٢]" فقام الميلاني[٣] -الذي يصفه البرقعي بأنه قضى عمره في النجف في سبيل السفسطة والفلسفة اليونانية لدى مشايخ الشيخية - وكتب إعلانًا مطبوعًا جاء فيه أن كتاب درس في الولاية كتاب ضلال وصاحبه ضال، وطبع منه آلاف النسخ وألصقوها حتى على باب وجدران مسجد البرقعي[٤].

ووصل الحال ببعض المتفلسفين والمداحين وأهل النياحة إلى تكفير البرقعي رحمه الله، ويوضح البرقعي ذلك بقوله : " ذهبت يومًا إلى سوق الحدادين في طهران وكان لي حاجة مع شخص هناك، لكنه لم يكن موجودًا فانتظرته حتى يأتي، وأنا على هذه الحال رأيت علمًا على باب بيت يدل على إقامة العزاء وذكر المصائب، فدخلت وجلست في زاوية، فرأيت واعظًا يدعى (عماد زاده) يتكلم من على المنبر على البرقعي، ويدعي أنه ينكر الله وينكر الرسول صلى الله عليه وسلم، وينكر جدّه الإمام و... وتكلم ما يقارب نصف ساعة من فوق المنبر فقط في تلفيق التهم والافتراءات للبرقعي، ولم يكن يعرفني أحد في ذلك المجلس، ولما نزل من فوق المنبر وأراد أن يخرج، قمت وذهبت خلفه ولحقت به في الزقاق، وبعد السلام والتحية؛ قلت: هل التقيت شخصيًا بالبرقعي؟ فقال: لا. قلت: هل قرأت شيئًا من كتبه ومؤلفاته؟ قال: لا. قلت: فبأي دليل تصفه بالضلال والانحراف؟ قال: نقلت عن آية الله الميلاني. قلت : إنك واعظ ومثقف فلا أقل من أن تقرأ ولو كتابًا للبرقعي كي تعرف

---

(١) المرجع السابق ٣٩٧.

(٢) وهو كتاب ألفه البرقعي لإثبات أن الأنبياء عليهم السلام والأئمة لا يشاركون الله تعالى في شيء من صفاته وأفعاله ، وأن ولاية الأنبياء والأولياء تنحصر في الأمور الشرعية والقوانين فقط. كسر الصنم ٣٩٤.

(٣) محمد هادي بن جعفر بن حسين الميلاني، نزح من المدينة إلى ميلان ، ولد سنة ١٣١٣هـ ، وتوفي سنة١٣٩٥هـ، انظر ترجمته ضمن كتابه (المحاضرات قسم الزكاة) .

(٤) المرجع السابق ٣٩٤.

حقيقة حاله، ولا يجب عليك أن تقلد الأفراد في معرفة الآخرين. وفي ذلك اليوم كنت أحمل أحد مؤلفاتي معي وهو كتاب عن (دعبل) الذي أنشد قصيدة في مدح الإمام الرضا عليه السلام فأخرجته من جيبي، وقلت له: معي كتاب للبرقعي لا بأس أن أعطيك إياه لتقرأه وتعطيني رأيك فيه بعد أيام عن الكتاب ومؤلفه بالهاتف، فقبل وأخذ الكتاب وأعطاني رقم هاتفه.

وبعد مضي أيام؛ اتصلت به هاتفيًّا وقلت له: هل قرأت كتاب (دعبل) من مؤلفات البرقعي؟ قال نعم . قلت: ما رأيك فيه. قال: تأليف جيِّ [illegible] حق أن المؤلف رجل مؤمن وأديب وعالم. قلت: فلمَ إذًا تكلمت عنه بسوء؟ فقال: لقد كنت مخطئًا. قلت: إذن أنت مسئول ويجب عليك أن تعتذر إليه. قال: هو ذاك. قلت: إذن فلتعلم أن ذاك السيد الذي التقى بك في الزقاق وأعطاك كتاب (دعبل) كان البرقعي نفسه. قال: سامحني. قلت: لن أسامحك لأنك قلت ما قلت فوق المنبر، وعليك أن تذهب وتقول لمستمعيك أنك أخطأت وعندئذ أسامحك"[1].

ثانيًا: التهديد بالقتل:

هدد البرقعي بالقتل عدّة مرات ومنها: أنه عندما ألف كتاب التفتيش وكتاب حقيقة العرفان هدد بالقتل من بعض المراجع[2].

ثالثًا: إلجاؤه لترك بيته:

ففي أيام الشاه الثاني – وبإيعاز من بعض المراجع - فقد هاجم جنود "السافاك" بيته واقتلعوا باب البيت وكسروا الباب السفلي ودخلوا البيت، مما جعله يترك البيت، يقول البرقعي: «وقد مرضت زوجتي من جراء فزعها في تلك الحادثة وبعد أيام توفيت".

رابعًا: هجران أقاربه له خوفًا من الدولة:

بلغ البلاء بالبرقعي بعد وفاة زوجته؛ أن هجره أقاربه خوفًا من "السافاك" وما قد يفعلونه بهم، يقول رحمه الله:" فقد تركت المسجد والبيت وتوفيت زوجتي من جراء المعارضين لي حتى هجرني أقاربي، وبقيت مع الله تعالى ووكلت أمري إليه"[3].

---

(١) كسر الصنم ٣٩٥.

(٢) انظر القصة في كسر الصنم ٣٩١.

(٣) المرجع السابق ٣٩٦.

خامسًا : منعه طباعة كتبه أو تداولها :

منع الناس من تداول كتب أبي الفضل في أيام الشاه – بسبب مخالفته أفكار المقربين من السلطان - ، يقول رحمه الله: ثم منع الناس من تداول كتبي، في حين أن كتب الخرافيين والصوفية والشيخية كانت متاحة للقراء"[١].

سادسًا : السجن :

سجن البرقعي – بسبب أفكاره ونشاطاته في الدعوة إلى تصحيح عقيدة الناس – أكثر من مرّة، فقد سجن مع الكاشاني مدّة ثلاثة أشهر، وأصيب في السجن بالملاريا[٢]، كما هجموا على مسجده مرة من المرات وألقوا القبض عليه واقتادوه للسجن ثم أخذوا عليه التعهد بأن لا يصلي الجماعة بالناس[٣]، ثم سجن في آخر حياته في سجن (إيوين) - الذي يعد من أقسى السجون السياسية في إيران - لمدّة سنة.

سابعًا : تعرضه للاغتيال.

تعرض البرقعي رحمه الله تعالى للاغتيال عام ١٩٩٢ ، حين وجهوا إليه بعض عناصر حرس الثورة الذين كلفوا باغتياله، فأطلقوا عليه الرصاص الحي في عقر داره وهو يصلي، فأصابت منه الخد الأيسر لتخرج من الخد الأيمن مسببة له بعض الأذى في سمعه علمًا بأنه كان يناهز الثمانين من عمره ، وفي المستشفى الذي نقل إليه لمعالجته جاء الأمر للأطباء بعدم معالجته، وعلى إثر ذلك نصحه أحد الأطباء بمغادرة المستشفى والتداوي في منزله[٤].

- **وأخيرًا :** بعد تعرض البرقعي للاغتيال ثم عدم معالجته، جاء الأمر بسجنه في سجن(إيوين) لمدّة سنة، ثم أخرج ونفي إلى مدينة (يزد) ولكن بعد خمسة أيام من نفيه سجن مرّة أخرى ثم نفي لنفس المدينة، ثم مات فيها عام ١٩٩٢م[٥]،
- رحمه الله تعالى رحمة واسعة.



---

(١) المرجع السابق ٣٩٦.
(٢) المرجع السابق ٣٨٤.
(٣) المرجع السابق ٣٩٥ - ٣٩٦.
(٤) انظر مقدمة مترجم كسر الصنم ٢٤.
(٥) انظر مقدمة مترجم كسر الصنم ٢٤.



المبحث الثالث
أسباب تحولات البرقعي



إن أسباب توفيق البرقعي إلى ترك كثير من الغلو والخرافات يعود أولًا وأخيرًا إلى فضل الله تعالى أولاً وآخرًا، فقد فتحَ سبحانه على البرقعي شيئًا من أسباب التوفيق والتسديد، ولعل من أبرزها:

* السبب الأول : تدبر القرآن :

إن النظر والتأمل في القرآن كفيل بأن يهديَ الإنسان إلى كل خير، كما قال تعالى: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٦].

ومن نعم الله على البرقعي أن يسّر له التوجه للتفكر والتدبر في آيات كتابه، بل نستطيع أن نجزم بأن السبب الأكبر ـ بعد توفيق الله – لتخلي البرقعي عن كثير من الأقوال الخرافية والغالية هو القرآن الكريم، حيث قال رحمه الله: "وفي تلك الأعوام[١] كنت أجد فراغًا في الوقت ساعدني على المطالعة والبحث والتأليف والتدبر في كتاب الله، فتبين لي أنني وجميع علماء مذهبنا غارقون في الخرافات وغافلون عن كتاب الله، وتخالف آراؤهم صريح القرآن وتعارضه، وببركة التدبر لكتاب الله صحوت قليلًا قليلًا وفهمت أن الروحانيين (تيار العلماء) وأهل الطوائف بدّلوا الإسلام ونبذوا الإسلام الأصيل باسم المذهب.

وتبين لي أن فئة باسم العرفاء وأخرى باسم الشعراء والمفاخر الوطنية وفئة باسم الصوفية وفئة باسم الأخبارية وفئة باسم الأصولية وفئة باسم الحكماء والفلاسفة، وجميع هذه الطوائف والفئات روجت ونشرت الفكر البشري بدلًا من

---

(١) يقصد التي تلت إلغاء حكومة مصدق سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م والتي تخلى البرقعي بعدها عن العمل السياسي.

الإسلام الصحيح"[١].

وهذا تصريح واضح منه بأثر القرآن في مرحلته الجديدة.

كما يظهر لكل قارئ لكتابه "كسر الصنم" أنه يعتمد على القرآن ـ بالدرجة الأولى ـ في بيان الآراء الصحيحة من الآراء الباطلة، من خلال اعتماد ما دل عليه القرآن أولًا، ثم عرض جميع الأقوال عليه، ليظهر الموافق للقرآن فيأخذ به، من المخالف للقرآن ومن ثم رده.

ولذا نجد أن البرقعي يؤكد كثيرًا على أن القرآن هو الحكم لفصل الخلاف كما جاء هذا في كثير من الآيات، فيقول رحمه الله: "ومع الأسف فإن علماء بلادنا الذين أحدثوا الخلاف يأبون الرجوع إلى القرآن في خلافاتهم مع المذاهب الإسلامية الأخرى بل يرجعون إلى روايات مذهبية، فيوسعون بذلك بؤرة الخلاف، وحتى في كتاب الكافي هذا نجد في باب الرد إلى الكتاب والسنة ما يدعو إلى ضرورة العودة إلى الكتاب والاحتكام إليه وإلى السنة"[٢].

ويكون أبو الفضل بهذا التوجه قد رسم لنفسه منهجًا جديدًا في أصول الاستدلال، وخطا خطوة مباركة عندما رجع إلى المنبع الأصيل ليحاكم إليه كل ما جاء من الروايات، عملًا بما جاء في القرآن من وجوب الاحتكام للقرآن، وبما جاء عن أئمة الهدى كالإمام الجليل جعفر الصادق رحمه الله الذي ورد عنه قوله: (اعرضوها على كتاب الله فما وافق كتاب الله عز وجل فخذوه، وما خالف كتاب الله فردّوه)[٣].

* السبب الثاني : اهتمامه بأمر المسلمين :

لقد عاش البرقعي في فترة زمنية عصيبة، حيث كان المسلمون يعيشون حالة من الانحسار في التدين وتفككًا بين شعوبهم بسبب التقسيم الجديد للعالم الإسلامي وبروز القوميات مع تفشي الجهل، كما سادت حالة من الانبهار بالحضارة الغربية التي غزت العالم كله بما فيه المناطق الإسلامية وغزوًا للأفكار الإلحادية الشيوعية، مما جعل كثيرا ممن يمتلك صدقًا وثقة بدينه يعيش حالة من الأسى والحسرة تدفعه للتفكير في الحل الذي ينبغي أن يسلكه المسلمون للخروج من انحطاطهم. وقد عبر البرقعي عن هذا الشعور الذي تملكه من أوائل حياته بقوله: "ومنذ أمد بعيد قد أسفت على انحطاط المسلمين وذلّهم وتفرقهم وفقرهم، وبحثت عن طريق الخلاص لهم، ورأيت أن تجار الدين والمنتفعين

---

(١) كسر الصنم ٣٩١.
(٢) كسر الصنم ٣١ .
(٣) الكافي ١/٨.

به هم أكبر عثرة في طريق رقي المسلمين وتقدمهم..."[١].

* السبب الثالث : البحث المتجرد.

إن من توفيق الله للبرقعي أن فتح عليه الرغبة في البحث والقراءة المتجردة، بعيدا عن التقليد لأي أحد كان، ذلك التقليد الذي وصفه البرقعي بأنه من أكبر أسباب بقاء الخرافة والانحراف[٢]، وقد حدث هذا في المرحلة الثالثة كما مر معنا[٣].

* السبب الرابع : تأثره بالكاشاني:

كان آية الله الكاشاني رجلا من الشيعة الإمامية، وكان على غير نمط المرجعية التقليدية في وقته، فقد كان نابذاً لطريقة أولئك المراجع الذين تقوم طريقتهم على الاتجار بالعلم و البعد عن أحوال الناس أو عدم التضحية من أجل إصلاح الأحوال السياسية.

ونستطيع أن نأخذ لمحات واضحة عن طبيعة شخصية الكاشاني من خلال ما كتبه البرقعي، حيث ذكر أنه وقف في وجه استبداد الدولة وأنه مهتم بقضايا شعبه ويريد له الحرية والفهم وأنه كان يدفع بالنواب الصالحين إلى البرلمان وأنه أفتى بوجوب الجهاد في العراق، ثم جاهد الإنجليز حتى أعطوا العراق استقلاله وأن الشاه كان يقبل يد آية الله البروجردي ، لكنه أمر بإلقاء القبض على آية الله الكاشاني[٤]، كما يذكر البرقعي وصية الكاشاني له ـ في رسالة أرسلها له من لبنان ـ بأن لا يجعل مسجده متجراً كبقية المساجد[٥] وأنه سعى هو ومصدق إلى إعادة ملك النفط للإيرانيين (تأميم النفط)[٦].

إنّ الكاشاني وهو شيخ للبرقعي، وممن منحوه إجازة بالاجتهاد يُعدّ بهذا ممن أثّر في شخصية البرقعي من خلال دفعه بقوة تجاه تغيير الواقع السيئ، وتشجيعه على الخروج على النمط السائد للمرجعية آنذاك ـ والذي كان يتسم بالجمود والنفعية.

هذه أهم الأسباب التي نستشفها من خلال كلام البرقعي رحمه الله تعالى، ويلاحظ أنه لم يتأثر فيها بمناظرة أو محاورة لأحد من أهل السنة.

❀❀❀

---

(١) كسر الصنم ٢٧.
(٢) كسر الصنم ٣٩٧.
(٣) كسر الصنم ٣٩٠. وانظر المرحلة الثالثة ص ٨٧.
(٤) كسر الصنم ٣٨٣.
(٥) كسر الصنم ٣٨٥.
(٦) التاريخ الإسلامي ١٨/٨١ ـ ٨٢.





المبحث الرابع
آراء البرقعي الإصلاحية

ساهم البرقعي في تسجيل آرائه بشكل واضح، فقد ترك تراثًا كبيرًا يبين فيه وجهة نظره في كثير من المسائل التي يتبناها كثير من المذاهب والتيارات الإسلامية، وفيما يلي، سأعرض أبرز آراء البرقعي الاعتقادية التي وقفت عليها(١) والتي لها تعلق بالمذهب الإمامي.

* المطلب الأول *

* مسائل تتعلق بتوحيد الربوبية *

المسألة الأولى: نسبة علم الغيب للأئمة(٢):

من خصائص الله تعالى التي دل عليها الكتاب والسنة أنه تعالى متفرد بالعلم الشامل الكامل لما كان ولما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فهو كما قال عن نفسه الشريفة: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧] .

---

(١) هذه الآراء كلها مستخلصة من كتابه كسر الصنم، وقد اكتفيت به لأنه هو الكتاب الذي تيسر لي مترجمًا إلى العربية.

(٢) إن من ينظر إلى عناوين أبواب الكافي يعلم مدى الغلو الذي بلغه مؤلف الكتاب ومن يقول بقوله من الشيعة، وهذه بعضها :
باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل (١/٢٥٥)، باب أن الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا (١/٢٥٨)، باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء (١/٢٦٠)، باب أن الأئمة لو ستر عليهم لأخبروا كل امرئ بما له وعليه (١/٢٦٤).وغيرها من الأبواب.

ومن كمال علمه جل و علا انفراده بعلمه بالغيب قال تعالى: ﴿ عَلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد : ٩]، قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥].

وهنا يسجل البرقعي رأيه بأن الله وحده هو المختص بعلم الغيب وأن الرسل والأئمة لا يعلمون الغيب، ويستدل على ذلك بأدلة يمكن إجمالها فيما يلي:

أولًا: دلالة القرآن

ففي نظر البرقعي أن القرآن قد تنوعت دلالاته على اختصاص الله بعلم الغيب ونفيه عمن سواه، ومن ذلك:

أ ـ تصريح الله بنفي علم الغيب عن غيره وإثباته لنفسه تعالى فقط.

كقوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٥٦] وقوله لرسوله: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام الآية: ٥٠] وقال: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝﴾ ليونس:٢٠][1].

ب ـ إخبار الله تعالى في مواضع عدّة عن حال رسوله بما ينفي علمه بالغيب.

مثل قوله "(قل ما أدري) (وما أدراك) (إن أدري) (ما كنت تدري) (لا تدري)(ما يدريك)"[2].

---

(١) انظر :كسر الصنم: ١٨٨ .

(٢) يشير البرقعي إلى مثل قوله تعالى : ﴿قل ما كنتُ بدعًا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ [الأحقاف: ٩]، وقوله تعالى: ﴿وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون﴾[الأنبياء: ١٠٩]. وقوله: ﴿وإن أدري لعله فتنة..﴾ [الأنبياء: ١١١]. وقوله: ﴿قل إن أدري أقريب أما يجعل ربي له أمدا﴾ [الجن: ٢٥].وقوله: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ [الشورى: ٥٢].وقوله: ﴿لا تدري لعل يحدث بعد ذلك أمرا﴾ =

ويعقب البرقعي على قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ [الأنعام: ٥٠]: "فخزائن الله ليست لدى النبي صلى الله عليه وسلم فكيف تكون لدى الإمام. كأن هؤلاء [يعني الرواة الغلاة]يعتبرون الأئمة أعلى مقامًا من الأنبياء"[(١)].

ج ـ وصف الله رسوله بأنه لا يعلم بعض أخبار الماضين.

كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [إبراهيم: ٩] وقوله تعالى بشأن أصحاب الكهف: ﴿ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾ [الكهف: ٢٢][(٢)]

د ـ وصف سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بعدم العلم ببعض ما حوله في المدينة، مما يدل على عدم علمه بالغيب.

قال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة:١٠١][(٣)].

فكيف يقال بمن هو أقل منزلة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

يقول البرقعي رحمه الله تعالى:

"وهنا نقول لماذا تُروى أحاديث متعارضة مع القرآن في كتاب إسلامي ؟ هل كان رواة هذه الأخبار جاهلين بالقرآن إلى هذا الحد أم كان هدفهم مشبوهًا ؟"[(٤)].

ثانيًا: الرد على القائلين بنفس أدلتهم.

من الطرق التي سلكها البرقعي في الرد على بعض الأقوال بيان أن من استدلوا به لا

= [الطلاق: ١]. وقوله: ﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا﴾ [الأحزاب٦٣]. وقوله: ﴿وما يدريك لعله يزكى﴾ [عبس: ٣]. انظر: كسر الصنم ١٠٩.

(١) انظر: كسر الصنم: ١٤٧.

(٢) انظر: كسر الصنم: ١٠٩.

(٣) انظر: كسر الصنم: ٢٩٥.

(٤) كسر الصنم ١٠٩.

يدل على مرادهم، بل العكس، فهي بعينها حجة عليهم[١].

ومن ذلك أن الكليني عقد بابًا سماه:(باب نادر في ذكر الغيب) أراد أن يثبت فيه أن الأئمة يعلمون الغيب، ولكنه أورد ما ينقض مراده في الحديث الثالث وهو ما رواه بسنده عن سدير قال: كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزاز وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله (عليه السلام) إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه قال: يا عجبًا لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة، فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي قال سدير: فلما أن قام من مجلسه وصار في منزله دخلت أنا وأبو بصير وميسر وقلنا له: جعلنا فداك سمعناك وأنت تقول كذا وكذا في أمر جاريتك ونحن نعلم أنك تعلم علمًا كثيرًا ولا ننسبك إلى علم الغيب قال: فقال: يا سدير: ألم تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز و جل: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [النمل : ٤٠] قال: قلت: جعلت فداك قد قرأته، قال: فهل عرفت الرجل؟ وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال: قلت: أخبرني به؟ قال: قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر فما يكون ذلك من علم الكتاب؟! قال: قلت: جعلت فداك ما أقل هذا، فقال: يا سدير: ما أكثر هذا، أن ينسبه الله عز وجل إلى العلم الذي أخبرك به يا سدير، فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزو جل أيضا: " قل كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب» قال: قلت: قد قرأته جعلت فداك قال: أفمن عنده علم الكتاب كله أفهم أم من عنده علم الكتاب" بعضه؟ قلت: لا، بل من عنده علم الكتاب كله، قال: فأومأ بيده إلى صدره وقال: علم الكتاب والله كله عندنا، علم الكتاب والله كله عندنا[٢].

وهنا يقول البرقعي رحمه الله:

" الإمام نفسه يقول في صدر الحديث لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني

---

(١) يقول ابن تيمية: عامة ما يحتج به أهل البدع من كتب الله ـ عز وجل ـ ففي تلك النصوص ما يبين أنه لا حجة لهم فيها، بل هي بعينها حجة عليهم...وإنما عامة ما عند القوم ألفاظ متشابهة، تمسكوا بما ظنوها تدل عليه، وعدلوا عن الألفاظ المحكمة الصريحة المبينة، مع ما يقترن بذلك من الأهواء.الجواب الصحيح ١/١٠٥.

(٢) الكافي ١/٢٥٧.

فما علمت في أيّ بيوت الدار هي ؟ كيف يقول في آخر الخبر أنا أعلم الغيب"[١].

فالبرقعي يشير إلى ما عُرف عن الإمام جعفر الصادق رحمه الله من الصلاح وصحة المنهج بحيث صار من أئمة المسلمين، وأن هذه الراويات التي تنسب إليه يجب أن تحمل على الكذب.

ثالثًا : أن نسبة علم الغيب للأئمة تخالف المروي عنهم.

إن الأئمة الاثني عشر الذين يعتقد الشيعة بإمامتهم، هم بلا شك من أئمة الهدى، إذ لم يثبت عنهم أمر خالفوا فيه الكتاب أو السنة[٢]، ولهذا بيّن البرقعي وغيره أن ما يروى عن الأئمة من الضلالات المخالفة للقرآن إنما هو من وضع الرواة الغلاة الذين كثر كذبهم على الأئمة، وأن الثابت عن الأئمة يخالف ذلك.

ومن ذلك أنّ البرقعي استدل على نفي علم الأئمة بالغيب بما جاء عنهم ، كقول علي رضي الله عنه ـ بعد أن أصابه ابن ملجم ـ : "أيها الناس كل امرئ ملاق ما يفر منه في فراره ، والأجل مساق النفس والهرب منه موافاته . كم اطردت الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله إلا إخفاءه . هيهات علم مخزون"[٣]

كما أشار البرقعي لخطبة علي رضي الله عنه التي عدد فيها الأمير رضي الله عنه بعض ملاحم البصرة، فما كان من بعض أصحابه إلا أن قال: " لقد أَعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب! فضحك عليه السلام، وقال للرجل . وكان كلبيًّا: يَا أَخَا كَلْبٍ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ، وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَّدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ... ﴾ [لقمان:٣٤] الْآيةَ، فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ، وَشَقيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَبًا، أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقًا؛ فَهذَا عَلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلاَّ اللهُ، وَمَا سِوَى ذلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضْطَمَّ

(١) كسر الصنم ١٨٩.

(٢) انظر ثناء بعض رموز أهل السنة عليهم فيما يأتي ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٣) نهج البلاغة خطبة رقم ١٤٧.

عَلَيْهِ جَوَانِحِي[(١)].

كما يستدل البرقعي بقول علي رضي الله عنه ـ بعد أن طعنه ابن ملجم ـ: (إن أبق فأنا وليُّ دمي وإن أفن فالفناء ميعادي)[(٢)] على أن عليًّا "لا علم له بموته" فكيف بعلم الغيب كله.

وأيضا في رسالة علي رضي الله عنه لمالك الأشتر النخعي يجد البرقعي أن عليًّا رضي الله عنه يصرح بما يدل على عدم علمه بالغيب، حيث يقول: (وأنا أسأل الله سعة رحمته [حتى يقول] وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة) وهذا يدل كما يقول البرقعي على "أنه لم يكن يعلم وقت موته"[(٣)].

كما يستدل البرقعي بما روي من دعاء علي رضي الله عنه وأرضاه كان في دعواته دائم الخوف طالبًا للشهادة كدعائه السابق الذي يسأل الله فيه سعة رحمته، وكذلك دعاؤه في حرب صفين قبل أن يرفع معاوية المصاحف على السيوف الذي قال فيه : (فإذا كان ما لا بد منه الموت فاجعل منيّتي قتلًا في سبيلك)[(٤)]. يقول أبو الفضل البرقعي :"إذن يتبين طبقًا لكلام الله ورسوله وأمير المؤمنين أنه لا علم لأحد بوقت موته سواء في ذلك الإمام أو المأموم ، والناس في الإسلام سواء لا فرق بين إمام ومأموم فهو ليس دينًا عنصريًّا "[(٥)].

رابعا : أن نسبة علم الغيب للأئمة تخالف واقعهم التاريخي.

مما استدل به البرقعي في هذا الصدد:

١. أن زوجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عائشة تأخرت عن الجيش في غزوة

---

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ١٢٨.

(٢) نهج البلاغة ٣/ ٢١ (مع شرح محمد عبده). الكافي ١/ ٢٩٩. خصائص الأئمة للشريف الرضي ١٠٨. المعجم الكبير للطبراني ١/ ٩٦.

(٣) المرجع السابق رسالة رقم٢٣.

(٤) بحار الأنوار ٩١ / ٣٢٩، ٩٤/ ٢٦١.

(٥) كسر الصنم ١٩٣ ـ ١٩٤.

تبوك ولم يعلم كما في حادثة الإفك[١].

٢. أن أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم قتلوا في بئر معونة ولم يعلم.[٢]

٣. أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عفا عن المعتذرين بعد تبوك لعدم علمه بكذبهم، حتى قال الله: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [التوبة: ٤٣][٣].

٤. استخدام علي رضي الله عنه للعيون الذين كانوا يأتونه بالأخبار التي لا يعلمها كما في نهج البلاغة[٤].

يقول البرقعي:

" هنا لا بد أن نقول أن الأنبياء لم يطلعوا على بواطن الناس كما قال الله لرسوله في سورة التوبة الآية ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ لأن رسول الله أذن للذين استأذنوا منه لعدم الحضور إلى الحرب وعدوا أنفسهم من المعذورين لأنه لم يعلم صدقهم من كذبهم .قال الله عفا الله عنك لم أذنت لهم بلا علم ولا تحقيق .وعندما قال الله في الآية : ١٠١ ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ وفي سورة آل عمران الآية ٢٩﴿ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾لأنّ عالم السر والخفاء هو الله فقط.

وفي سورة الشعراء عندما قال قوم نوح لنبيهم عليه السلام: إن أتباعك هم الأرذلون أجابهم في الآية ١١٢ لا علم لي بباطنهم وأعمالهم ﴿ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ

---

(١) كسر الصنم ٢٠٧. وقد أخرج الحديث البخاري(ح٤٧٥٠) ومسلم (ح٢٧٧٠) وأحمد٦/٢٧٢، ٢٧٣. والترمذي (ح٣١٧٩).

(٢) كسر الصنم ٢٠٧. وخبر بئر معونة رواه البخاري(ح٤٠٨٨، ٤٠٩٠، ٤٠٩٦)، ومسلم(ح٦٧٧)، وأحمد (الفتح الرباني٢١:/٦٣ ـ ٦٥. وابن هشام في السير ٢/٥٢، وابن سعد في الطبقات ٢/٥١.

(٣) كسر الصنم ٢٩٥.

(٤) كسر الصنم ٢٠٧.

يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ [الشعراء:١١٢].

وفي سورة عبس عاتب الله رسوله ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ وثمة مئات من الآيات الأخرى تدل على ذلك . وبهذا يكون القول بأن عليًا رضي الله عنه يعلم باطن أحد هو قول مخالف لمائة آية من القرآن.[1]"

خامسًا : أن نسبة علم الغيب للأئمة تخالف العقل

يقول البرقعي : "وإذا كان الإمام عارفًا بكل هذه العلوم فلماذا لم يسخر الجن والإنس ليقيم حكومة عادلة !؟ وإذا كان يعرف منطق الطير فإن عليه أن يكشف علومًا مفيدة ، وإذا كان يعرف فوائد الأشجار فإن عليه أن يبين خواصها ، وإذا كان يعرف الجراثيم فإن عليه أن يكشف الأمراض كباستور وأمثاله ، وإذا كان يعرف الكهرباء فلماذا لم يسخرها ؟، وإذا كان يعرف الطباعة فلماذا لم يصنع مطبعة لينشر حقائق الإسلام ، لتزول كل هذه الخرافات والفرق المتمثلة بالإسلام !؟، وإذا كان يعرف علوم الكون والصناعات فقد كان عليه أن يصنع سفينة فضائية ويصنع الإذاعة والتلفاز وهكذا ... لماذا لم يفعل كل ذلك وترك المجال لكفار أوروبا يكتشفون كل ذلك !؟ وإذا كان يعرف هذه العلوم ولم يبينها فلا بد أنه كان بخيلًا ، وكان يضن بها على الأمة !!، إن المرء ليحار في أمر هؤلاء الجهال الذين انحصر همهم في الغلو بحق الإمام والمغالاة بأوصافه"[2] .

* شبهة وجواب

يستدل القائلون بأن الأئمة يعلمون الغيب بقوله تعالى ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ

---

(١) يشير البرقعي إلى ما رواه الكليني في باب: (في معرفتهم أوليائهم والتفويض إليهم) من الأخبار التي أراد بها الاستدلال على أن الأئمة يعلمون بواطن الأشخاص ، ومنها ما رواه عن جابر –وهو الجعفي ـ عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: إنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق(الكافي ٤٣٨/١) كسر الصنم٢٩٥.

(٢) كسر الصنم ١٩١.

غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ الآية[الجن:٢٦ ، ٢٧].

وقد أجاب البرقعي على هذا بأن الله تعالى يطلع رسوله صلى الله عليه وسلم أحيانًا على بعض الغيب وأن الرسول صلى الله عليه وسلم يخبر به الناس، فيؤمن به جميع المؤمنين كما قال تعالى ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ ، ويقول البرقعي : "إذن يصبح رسول الله والمتقون من أصحابه وأمته مؤمنين بالغيب لا عالمين به، لأن العالم بالغيب هو الله تعالى الذي يعرف الغيب بنفسه ولم يأخذه من أحد، على خلاف الرسول وأتباعه الذين يؤمنون بأخبار الغيب، إذن العالم بالغيب هو الله وحده والمؤمنون بالغيب هم عباده المتقون، هذا الأمر بهذا الوضوح لم يفهمه الرواة ولا الناقلون عنهم ، وكانوا لا يفكرون إلا بإغداق الصفات والخصال الخارقة للإمام وحده"[١] .

(١) كسر الصنم ١٨٨ ـ ١٨٩.

● المسألة الثانية: الأئمة والتصرف في الكون (الولاية التكوينية)[1]

(١) يختلف علماء الشيعة في تعريف الولاية التكوينية ، وكلماتهم في تعريفها تدور على معنيين:
المعنى الأول: القدرة على فعل المعجزات، أو التصرف في الطبيعة والكون ، قدرة ملازمة للولي يستخدمها متى شاء، بحجة أن الله أعطاه هذه القدرة، وأن هذه القدرة قد تكون بدون توسط بدن الولي ـ أي يؤثر بدون توسط بدنه ـ انظر الولاية التكوينية للعاملي ٢٢ ـ ٢٣ .
يقول آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي– وهو من المعاصرين ـ :" أما المراد من الولاية التكوينية ، فهي قدرة الإنسان على التصرف بصالح الكون بأمر الله وإذنه، والإتيان بأفعال خلافًا للمعتاد والمسيرة الطبيعية لعالم الأسباب، فمثلًا يبرئ المريض الذي لا علاج له بإذن الله، وذلك من خلال الهيمنة والنفوذ الذي وهبه الله تعالى له، ويحيي الموتى، وأعمال أخرى من هذا القبيل، وكل أشكال التصرف المعنوي غير الاعتيادي في أرواح وأجسام البشر، وهذا النوع يشمل الطبيعة أيضًا " .
ثم يختلف أصحاب هذا القول في حدود قدرة الولي على أقوال:
القول الأول: أنها قدرة مطلقة تشمل كل ممكن.
ومن القائلين بهذا القول آية الله الخميني، حيث يقول : " إن للإمام مقامًا محمودًا ودرجة سامية و خلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون ، وإن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل" (انظر: الحكومة الإسلامية٥٢ المكتبة الإسلامية الكبرى ،طهران).
ويقول آية الله العظمى محمد الحسيني الشيرازي:
" إن زمام العلم بأيديهم عليهم السلام حسب جعل الله سبحانه، كما أن زمام الإماتة بيد عزرائيل، فلهم عليهم السلام التصرف فيها إيجادًا وإعدامًا، (فلولاهم لساخت الأرض)،(لكن قلوبهم أوعية مشيئة الله تعالى)، فكما منح الله القدرة للإنسان على الأفعال الاختيارية منحهم القدرة على التصرف في الكون " .
ويقول آية الله العظمى أبو القاسم الخوئي: " الظاهر أنه لا شبهة في ولايتهم على المخلوق بأجمعهم كما يظهر من الأخبار لكونهم واسطة في الإيجاد ولهم الوجود، وهم السبب في الخلق ، إذ لولاهم لما خلق الناس كلهم ، وبهم وجودهم وهم الواسطة في الإفاضة، بل لهم الولاية التكوينية لما دون الخالق فهذه الولاية نحو ولاية الله على الخلق" (انظر: من فقه الزهراء عليها السلام ١/١٢ ط الثانية دار الصادق ، بيروت).
بل يذهب بعض من يقول بهذا القول إلى أن الأدلة دلت على أن قدرة الأئمة أعظم من بعض الأنبياء الذين ثبت بالنص القرآني عدم قدرتهم على بعض الأمور كعدم قدرة إبراهيم عليه السلام على الخلق المأخوذ من قوله: ﴿ربي أرني كيف تحيي الموتى﴾ [البقرة:٢٦٠]، وكعدم قدرة زكريا على الإنجاب الواضح فيما قص الله عنه في القرآن.
يقول هشام شري العاملي:" أما بالنسبة لنبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك الأئمة الطاهرون من أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقد ذكرنا سابقا أنهم أعطوا ما أعطي الأنبياء بمجموعهم بل وزيادة عليه كما في بعض الروايات" (انظر: كتاب الولاية التكوينية ١٥٨). ـ

يرى البرقعي رحمه الله أن "الإسلام لا يعترف بغير الله مؤثرًا في الأمور التكوينية وخارقًا

= القول الثاني: أنها قدرة محدودة، ومن أبرز القائلين بتحديدها محمد بن الحسن الطوسي ـ صاحب التبيان في تفسير القرآن ـ انظر: كتاب الولاية التكوينية ٦١. ثم يختلف هؤلاء في تحديد تلك القدرة.

المعنى الثاني: أن الولاية التكوينية تعني" الوساطة في الفيض أو بمعنى أن الإمام قلب الكون و محوره الذي ترتبط جميع أجزاء الكون به كارتباط أعضاء بدن الإنسان بقلبه، أو بمعنى أن الإمام بالنسبة للكون كالروح بالنسبة للبدن، فهو المنسق لأفعال أجزاء الكون كما أن الروح منسقة لأفعال أعضاء البدن، وملايمة [هكذا]بينها و مستفيدة منها جميعًا للوصول إلى السعادة القصوى والهدف الأسمى، أو بمعنى أن الإمام مسلط على الضمائر وبالأخص ضمائر شيعته وسائر بها نحو الله".

يقول آية الله العظمى محمد الشيرازي " إن حجة الله في الأرض هو واسطة الفيض بين الخالق والخلق تشريعًا وتكوينًا على ما في الروايات.وقد ضرب هشام بن الحكم وهو من أصحاب الإمام الصادق (ع) لذلك مثالًا، فقال إن منزلة حجة الله في النظام الكوني كالقلب في بدن الإنسان، فكما أن الإنسان بحاجة إلى القلب كذلك الأمة بحاجة إلى الإمام (ع). وكما أن القلب يوصل الدم إلى كافة الأعضاء الصغيرة والكبيرة وجميع الشرايين والأوردة، كذلك الإمام (ع) هو الواسطة بين الله وخلقه، بحيث لا تستغني من وجوده [هكذا يقول والأصح: عن وجوده] كافة المخلوقات من إنسان وغير إنسان. وكما أن القلب إذا ما توقف عن العمل، فانه ستتعطل كافة أعضاء البدن وتموت.. وبموت الإنسان سيتعرض جسده لأنواع مختلفة من الميكروبات وما أشبهه وسيؤدى إلى تفسخه وتلاشيه وفنائه، كذلك بالنسبة إلى الإمام المعصوم (ع) فإذا فرض يومًا ما خلو العالم من الحجة، فسيفنى الكون وينعدم كل شيء، كما ورد في الحديث الشريف: «لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها» ." الإمام زين العابدين (ع) قدوة الصالحين للشيرازي.

انظر:

http://www.14masom.com/14masom/06/mktba6/book08/04.htm

وانظر مقدمة كتابه: (السيدة زينب عالمة غير معلمة/ للشيرازي).

ويقول محمد الفاضل اللنكراني:" فواجبنا جميعًا اليوم هو الاعتراف بأنّ إفاضة كافّة النعم الظاهرية والباطنية هي بواسطة وجوده المقدّس: (لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها)؛ ففي الحقيقة هو ولي النعم للبشرية جمعاء والشكر لهذه النعم هو إحياء ذكراه في كافّة شؤوننا الخاصّة والعامة، داخل البلاد وخارجها". انظر خطابه: (نداء بمناسبة الخامس عشر من شعبان) تجده في موقعه.

http://www.lankarani.org/Arabic/neda/p005.html.

ويعتبر القائلون بالولاية التكوينية النصوص الواردة بذكر فقر المعصومين وعدم قدرتهم على النفع و الضر لأحد كقوله "قل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًّا"[الاعراف ١٨٨] لا تدل إلا على أن قدرتهم على التكوين ليست ذاتية بل هي حاصلة بإرادة الله. انظر: من فقه الزهراء عليها السلام ١/١٨ط الثانية دار الصادق ، بيروت.

للعادة"[١]

ويعد البرقعي القول القائل بالولاية التكوينية للأئمة من الخرافات التي أتى بها مدّعو التشيع وليس الأئمة[٢]، وألف رحمه الله في هذه المسألة كتابًا خاصًّا هو كتاب:(درس من الولاة)[٣] قصد فيه إثبات أن الأنبياء والأئمة عليهم السلام لا يشاركون الله في شيء من أمور الكون.

إجابات البرقعي على القائلين بالولاية التكوينية.

ومن أبرز إجابات البرقعي على استدلاتهم ـ عمومًا ـ : تقريره بأن الاستدلال بما جاء من معجزات للأنبياء وكرامات المتقدمين لا يصح الاستدلال به على أن غيرهم يجوز له هذا؛ لأن هذا من القياس العقلي، والقياس باطل في مذهب الإمامية ، كيف وهم يروون عن جعفر الصادق قوله:"وإن دين الله لا يقاس بالعقول"[٤].

يقول البرقعي: " ولكن الشيعة . مع الأسف . لم يلتفتوا إلى هذا الكلام ولقد بنوا أكثر عقائدهم على القياسات العقلية ، مثل قولهم إن الشمس رجعت لسيدنا علي رضي الله عنه[٥]، فما هو الدليل ؟

---

(١) كسر الصنم ٣٩٩ .

(٢) كسر الصنم ٧٢.

(٣) وقد حكم عليه (هادي الميلاني) ـ وهو أبرز ملالي الشيخية في وقته ـ بالضلال بسبب كتابه هذا.

(٤) روى الكليني عن الصادق أنه قال:"..إن أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا من الحق إلا بعدا، إن دين الله لا يصاب بالقياس" الكافي١/٥٧. ولعل ما يرويه الشيعة عن الصادق رحمه الله من الآثار التي تنهى عن القياس وعن أخذ الدين بالرأي ـ إن صحت ـ هي من جنس ما جاء عن كثير من السلف رحمهم الله من النهي عن القياس الفاسد ـ وهو الذي يقابل النص أو يختل فيه ركن من أركان القياس ـ وليس ردًّا للقياس من أصله، ولعل مما يدل على هذا أن الكليني أورد بعد الحديث السابق رواية توضح رأيه وهي : عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال:إن السنة لا تقاس، ألا ترى أن المرأة تقضي الصوم ولا تقضي صلاتها، يا أبان إن السنة إذا قيست محق الدين.(الكافي ١/٥٧) وما ذكره الصادق هاهنا صحيح لأن النص قد قطع المسألة فلا مجال للرأي. ويزيد الأمر وضوحا ما جاء بعدها من قول موسى الكاظم: ما لكم والقياس إن الله لا يسأل كيف أحل وكيف حرم.(الكافي ٥٧)، إذن فالأئمة عندما ردوا القياس إنما ردوا القياس الفاسد الذي يقوم على الرأي المقابل للنص أو القائم على الظن والخرص أو القياس الذي اختلت أحد أركانه.والله أعلم. انظر في هذه المسألة أعلام الموقعين٨٩ ـ ١٠٤.

(٥) انظر مناقب آل أبي طالب٢/٣١٧ ـ ٣٢٢. وقد ذكر ابن كثير أن خبر فوات صلاة العصر على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق معروف وأنه لم يثبت أن عادت الشمس للرسول فيبعد أن يعطي الله ـ

دليلهم أن الشمس رجعت لسيدنا سليمان[١] . الإمام يستطيع أن يحيي الموتى . فما الدليل ؟ دليلهم أن سيدنا عيسى أحيا الموتى[٢]! الإمام له ولاية تكوينية ويستطيع أن يتصرف في الأرض والسماء فما الدليل ؟ الدليل أن آصف الذي كان يعرف حرفًا من حروف الاسم الأعظم قد أتى بسرير بلقيس في طرفة عين ، فالإمام الذي يعرف سبعين حرفًا من حروف الاسم الأعظم يستطيع أن يعلم كذا وكذا[٣] ..! أليس كل هذا قياسًا ، هل تجدون اسمًا في لغة العرب والعجم له سبعون حرفًا !! إن هؤلاء يستندون بكل عقائدهم الخرافية على هذه القياسات!"[٤].

*** والخلاصة : أن البرقعي ينفي أن يكون لله شريك في التصرف في الكون، وأن هذا القول لُفِّق على الأئمة رحمهم الله ـ وليس هو من منهجهم.**

❁❁❁

ـ هذه المزية لعلي رضي الله عنه ولا يعطيها للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال ابن كثير: وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني قلت لمحمد بن عبيد الطنافسي ما تقول فيمن يقول رجعت الشمس على علي بن أبي طالب حتى صلى العصر فقال من قال هذا فقد كذب. وقال إبراهيم بن يعقوب سألت يعلى بن عبيد الطنافسي قلت إن ناسًا عندنا يقولون إن عليًّا وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعت الشمس إليه ،فقال كذبٌ هذا كله. أما الشيعة فقد رووا أن الشمس رُدّت للرسول ولعلي كما في حديث رواه ابن بابويه ـ بلا سند ـ في كتابه(من لا يحضره الفقيه١/٢٠٣).وانظر: البداية والنهاية ٦/٧٩ ـ ٨٠.

(١) لعل البرقعي يعني يوشع إذ هو الذي ردت له الشمس، كما هو معروف عند الجميع انظر: البداية والنهاية ١/٢٢٣، من لايحضره الفقيه٢٠٣،وسائل الشيعة١١/٣٧٤.

(٢) انظر الولاية التكوينية لهشام شري العاملي ٦٠.

(٣) يشير البرقعي إلى ما رواه الكليني في الكافي عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفا وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفا، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. الكافي(١/٢٣٨) و بصائر الدرجات(٢٠٩).

(٤) كسر الصنم ٧١ ـ ٧٢. ومصداقا لما ذكره البرقعي نجد أن المفيد يقول : "وكثير من المنتمين إلى الإمامية يوجبونه[يعني معجزات الأوصياء] عقلا كما يوجبونه للأنبياء"(أوائل المقالات٦٩).

* المطلب الثاني *

* مسائل تتعلق بتوحيد الإلهية *

* المسألة الأولى: الشرك في العبادة[١].

يرى البرقعي رحمه الله أن العبادات يجب أن لا تصرف إلا لله وحده، وأن صرف أي شيء منها لغير الله يعد شركًا.

يقول رحمه الله: " في الإسلام الدعاءُ عبادةٌ، ودعاء غير الله شرك، ويقول القرآن: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الجن : ٢٠] ، ولكن في المذهب نداء المقربين إلى الله تعالى هو أمر ضروري ولازم"[٢].

ويقول أيضًا: " الإسلام لا يعرف النذر والوقف والهدايا للمقابر والموتى، وهذا محرم ويدخل في الإسراف، وتعتبر كل هذه البدع من الضرورات المهمة في المذهب"[٣].

وعندما يقارن البرقعي بين حال الذين يقومون بالاستغاثة بغير الله من المسلمين وكفار الجاهلية الذين كانوا يقومون بنفس العمل يصل إلى نتيجة مفادها: أن هؤلاء المسلمين" أسوأ منهم لأنهم [أي كفار الجاهلية] كانوا إذا استغاثوا بغير الله في دعائهم وتوسلوا بكبرائهم فإنه لم يكن لهم كتاب ولا هداية، ولكن المسلمين علّمهم كتابهم

---

(١) من خلال الاطلاع على أقوال كثير من علماء الشيعة نجد أن طائفة منهم يتبنى أقوالًا تخالف توحيد الله في العبادة، ومن ذلك ما يلي:

- تفسير بعضهم النصوص الواردة التي عن الشرك في العبادة بأن معناها النهي عن الإشراك في الولاية، ومن هؤلاء أبو الحسن الشريف بن المولى البناطي الفتوني حيث قال: "إن الأخبار متضافرة في تأويل الشرك بالله والشرك بعبادته بالشرك في الولاية والإمامة، أي يشرك مع الإمام من ليس من أهل الإمامة .." ويمكن تصنيف هذا الفريق بأنه مفرط في الغلو. أصول مذهب الشيعة ٥٢٦/٢ نقلاً عن مرآة الأنوار٢٠٢.
- صرف أنواع من العبادات لغير الله كالدعاء والركوع والطواف وغيرها.

غير أن ثمة طائفة من الشيعة تخالف هذا الاتجاه الغالي، وتدعو إلى نبذ مظاهر الشرك والغلو والابتداع. ولعل هذه الشخصيات التي نلقي عليها الضوء تمثل هذا الاتجاه. والله أعلم.

(٢) كسر الصنم ٣٩٩.

(٣) كسر الصنم ٤٠٠.

مائة مرة أن لا يستغيثوا بغير الله ولا يجعلوا أحدًا غيره حاضرًا وناظرًا، ولكن لم يستمع هؤلاء لذلك وكأنه لا علم لهم، فهم أسوأ بذلك وأدنى من كفار الجاهلية"[١].

* المسألة الثانية: شرك الطاعة.

يعدّ البرقعي الكتابَ والسنةَ هما المرجعين لمسائل الدين، كما يعدّ الاتباع المطلق لأي أحد غير الله ورسوله من الشرك المنهي عنه، كما يجد البرقعي في الروايات عن الأئمة من آل البيت كثيرًا من النصوص الدالة على أنهم كانوا يأمرون بتحكيم الكتاب والسنة فقط، ومن هذه الأقوال التي ذكرها البرقعي[٢]:

قول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في كتابه لمالك الأشتر: وَارْدُدْ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الأمُورِ، فَقَدْ قَالَ اللهُ سبحانه لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾، فَالرَّدُّ إِلَى اللهِ: الأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِه، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ: الأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ[٣].

كما استدل البرقعي بقول علي رضي الله عنه :(نظرت إلى كتاب الله وما وُضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتبعتُه وما استن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاقتديته)[٤].

ويقوله أيضًا في إحدى وصاياه المروية عنه: (وصيّتي لكم أن لا تشركوا بالله شيئًا ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم فلا تضيّعوا سنته ، أقيموا هذين العمودين وأوقدُوا هذين المصباحين)[٥].

وقوله أيضًا: (فجعلت أتبع مأخذ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم فأطأ ذكرَه)[٦].

وقوله أيضا: (استعمَلنا الله وإياكم بطاعته وطاعة رسوله)[١]

---

(١) كسر الصنم ٢٦٣.

(٢) كسر الصنم ١٤١ ـ ١٤٢.

(٣) انظر نهج البلاغة رسالة رقم ٥٣ ص٦٣١ ـ ٦٣٢.

(٤) نهج البلاغة ٤٩١ ـ ٤٩٢(مؤسسة المعارف خطبة ٢٠٣) .

(٥) نهج البلاغة نهج البلاغة ٣٥٩(مؤسسة المعارف خطبة رقم١٤٧).

(٦) نهج البلاغة ٥٢٩ (مؤسسة المعارف خطبة رقم ٢٣٤).

وقوله: (ولكم علينا العمل بكتاب الله تعالى وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقيام بحقه والنَّعشُ[٢] لسنته)[٣].

ويقول : (ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كافٍ لكَ في الأسوة)[٤].

وقال في الخطبة: (الوالي ... يحيي ميت الكتاب والسنة)[٥].

كما استدل بقول الإمام الباقر رضي الله عنه: "إذا حدثتكم بشئ فاسألوني من كتاب الله"[٦]. وهنا يعلق البرقعي بقوله: "إن الأئمة كانوا تبعًا لكتاب الله وسنة رسوله ولم يكن لديهم سنة خاصة بهم".

واستدل أيضًا بالأثر المروي عن أبي بصير أنه قرأ على جعفر الصادق رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة٣١] فقال أبو عبد الله الصادق: (أما والله ما دَعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دَعَوْهُم ما أجابوهم ولكن أحلّوا لهم حرامًا وحرّموا عليهم حلالًا فَعَبدوهم من حيث لا يشعرون)[٧].

* **والخلاصة** أن البرقعي يرى بأن الكتاب والسنة وأقوال الأئمة تدل على أن الطاعة يجب أن تكون لله وحده، وأن مخالفة ذلك يعد خللًا في توحيد العبد، وهذا ما عابه البرقعي على كثير ممن اعتبرهم مقلدين لعلمائهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال.

❀❀❀

(١) نهج البلاغة ص٤٥٠.
(٢) نعش الشيء: أنهضه وأقامه. وانتعش: نشط ونهض. انظر القاموس المحيط ٧٨٤.والمعجم الوسيط: ٩٣٤.
(٣) نهج البلاغة ص٤٠٤. (مؤسسة المعارف خطبة رقم ١٦٧).
(٤) نهج البلاغة ص ٢٨٢(مؤسسة المعارف خطبة رقم١٥٨).
(٥) وتمام العبارة كما في نهج البلاغة(في خطبة فيها ذكر الملاحم) قال: "يأخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوئ أعمالها، وتخرج له الأرض من أفاليذ كبدها، وتلقي إليه سلمًا مقاليدها، فيريكم كيف عدل السيرة، ويحيي ميت الكتاب والسنة". نهج البلاغة(مؤسسة المعارف خطبة رقم ١٣٦).
(٦) رواه الكليني عن أبي الجارود الكافي١/٦٠.
(٧) الكافي ٥٣/١.

* المطلب الثالث *

* رأيه في الإمامة *

من أهم المسائل التي خالف فيها الإمامية جمهور الأمة عقيدتهم في الإمامة التي بدأت بتفضيل علي ثم انتهت إلى القول بالنص والعصمة وما تبع ذلك من الغلو الذي أدخله الرواة الكذابون، حتى صدق قول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بقوله: (يهلك فيّ رجلان : محب غال يقرظني بما ليس فيّ ، ومبغض قال يرميني بما نزهني الله منه)[1].

ويمكن بيان موقف البرقعي من القول بالإمامة من خلال النقاط التالية:-

أولا :الشورى أساس اختيار الإمام :

يرى البرقعي بأن الحاكم في الإسلام يتم تنصيبه عن طريق الاختيار والانتخاب القائم على أساس الشورى، ولهذا يقول: " الإمامة والقيادة تكون باختيار العقلاء ، وأصحاب الحل والعقد"[2].

---

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (رقم ٩٥١، ١١٤٧، ٩٦٤) وجاء عند ابن أبي عاصم من قول علي رضي الله عنه ـ وهو مما له حكم الرفع ـ : (يهلك في رجلان مفرط فى حبي ومفرط فى بغضي) قال البوصيري: رواه أحمد بن منيع، ورواته ثقات، وأبو يعلى.. وكذا رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل.اهـ. إتحاف المهرة (٢٠٥/٧ح٣٩٤٠) وانظر المطالب العالية (٢٥١/٤ح٦٦٧٦) وحسنه الألباني في كتاب السنة لأبي عاصم ٩٨٤. والدكتور وصي الله محمد عباس في تحقيقه لفضائل الصحابة (٧٠٥/٢). وانظر تفسير فرات الكوفي الشيعي ٤٠٥ بلفظ: :(إن فيك مثلاً من عيسى بن مريم إن النصارى أحبوه حتى جعلوه إلهًا وإن اليهود أبغضوه حتى بهتوه وبهتوا أمه، وكذلك يهلك فيك رجلان محب مطري يطريك بما ليس فيك ومبغض مفتر يبهتك بما ليس فيك) ، وانظر بحار الأنوار ج١٦٧/٤٣ .

(٢) كسر الصنم ٢٣٤.

ويستدل البرقعي على هذا بقول علي رضي الله عنه: (من اختاره المهاجرون والأنصار للإمامة والقيادة فهو إمام وهو لله رضًا)[١]، وبقوله أيضًا للناس ــ حينما طعنه ابن ملجم ـ اجتمع الناس حوله وقالوا : من نبايع بعدك، فقال لكم الخيار ... الذي ترونه صالحًا، قالوا : نبايع ابنك الحسن. قال الخيار لكم[٢] . وسيدنا الأمير نفسه عندما أراد مبايعته قال : لا يتولى أحد هذا الأمر إلا باختياركم له"[٣].

ويقول رحمه الله:" من ينتخبه المسلمون أو حاكمهم لولاية الأمر فإنه ولي الأمر وينفذ أحكام الله"[٤]

ويرى البرقعي بأن ما يقرره هو القول السائد في القرون المتقدمة، وأن القول بالنص على الأئمة الاثني عشر لم يظهر إلا متأخرًا ،فيقول:" غير أنه بعد قرنين من الزمان أو ثلاثة جاء صانعو النصوص وادعوا له [أي للإمام] ذلك وأصبحوا أحرص على إمامته من الإمام نفسه"[٥] .

مناقشة البرقعي لأدلة الإمامية:

من خلال مناقشة البرقعي المسألة الإمامة نجد أنه يقرر أنَّ القول بالنص على إمامة علي رضي الله عن وأرضاه غير صحيح، وقد اعتمد البرقعي رحمه الله تعالى في توضيح المسألة على أمرين: الأول: مناقشة أدلة الإمامية، والثاني: مخالفة عقيدة الإمامة لما جاء عن الإئمة.

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطبة السادسة.

(٢) والخبر في مروج الذهب (٢/٤١٣): (أن الناس دخلوا على علي بعد أن ضربه ابن ملجم، فقالوا له: يا أمير المؤمنين! أرأيت إن فقدناك ـ ولا نفقدك ـ أنبايع الحسن؟ قال: لا آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر.

(٣) كسر الصنم ٢٣٤ مع التصرف بالتقديم والتأخير.وقد ذكر الطبري عن جندب بن عبد الله أنه دخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه –بعد ما طعن ـ فسأله: "إن فقدناك ـ ولا نفقدك ـ فنبايع الحسن؟ فقال: ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر، فرد عليه مثلها، فدعا حسنًا وحسينًا، فقال: أوصيكما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زوى عنكما، وقولا الحق وارحما اليتيم ..[إلى آخر وصيته رضي الله عنه]. تارخ الطبري ٣/٩٣٧ .

(٤) كسر الصنم ١٤٧.

(٥) كسر الصنم ٣٤٦.

الأول: مناقشة أدلة الإمامية

وهنا بين البرقعي أن الأدلة التي يستدل بها القائلون بذلك لا تخرج عن كونها:

١. إما أدلة صحيحة ثابتة، ولكنها لا تدل على قول الإمامية.

٢. أو أدلة ضعيفة سندًا، مع ما في متنها من الضعف في الدلالة على مراد الإمامية.

ولتوضيح ذلك نقف مع مناقشة البرقعي لأشهر أدلة الإمامية، لنرى رأيه فيها.

أولا: آية الولاية[١].

من أبرز الأدلة التي يستدل بها الإمامية على قولهم بالنص، قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [المائدة: ٥٥] حيث اعتبر الطبرسي هذه الآية "من أوضح الدلائل على صحة إمامة علي بعد النبي بلا فصل"[٢]، لأن الآية ـ كما يُروى ـ قد نزلت في علي رضي الله عنه عندما تصدق على فقير وهو راكع[٣].

ووجه استدلالهم من جهتين: الأولى: هو أنهم قالوا: (الولي) بمعنى الأولى والأحق. والثانية: هو أنه لم يفعل ذلك إلا علي فهو المراد بقوله: (الذين آمنوا) لا سيما وأن الآية قد جاءت بصيغة الحصر[٤].

<u>رأي البرقعي:</u>

١. يرى بأن الآية عامة في المؤمنين وليست خاصة بعلي والأئمة، لأن قوله (الذين) يدل على ذلك[٥].

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية ٢/٣١ـ ٣٢، ٧/٥ ـ ٣١ تفسير ابن كثير ٢/٦٨ ـ ٦٩، الصواعق المحرقة٦٣، مختصر التحفة الاثني عشرية ١٤٠، أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية ٢/٨٢٢ ـ ٨٢٩، دراسات عن الفرق لأحمد جلي ١٨٥.

(٢) مجمع البيان٢/١٢٨.

(٣) انظر مجمع البيان للطبرسي ٢/١٢٦ ـ ١٢٨.

(٤) انظر تفسير التبيان للطوسي٣/٥٤٩. حق اليقين لعبد الله شبر ١/١٤٤.

(٥) كسر الصنم ١٠٨. قال القرطبي رحمه الله: (والذين) عام في جميع المؤمنين.(تفسير القرطبي٦/١٤٣)، =

٢. تخصيص الآية بعلي والأئمة بمثل هذه الأحاديث التي يستدل به الشيعة خطأ لأنه من رواية الكذابين والمجهولين[١].

٣. أن الولاية في الآية بمعنى المحبة[٢]، بدليل القرائن السابقة واللاحقة، حيث قال تعالى قبلها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾ [المائدة: ٥١] وقال بعدها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَ ﴾ [المائدة: ٥٧].

فيتضح بهذا أن الآيات تنهى عن "ولاية" وتأمر بـ"ولاية"، تنهى عن موالاة الكفار وتأمر بموالاة المؤمنين.

يقول البرقعي: "فبناءً على هذا ، يكون قصر اللفظ على الأئمة هو تلاعب بالقرآن"[٣].

٤. يشير البرقعي إلى الحديث الذي يروى في سبب نزول الآية وهو أن عليًّا تصدق بحلة تساوي ألف دينار، وهنا يتساءل البرقعي : "هل لبس علي حلة ثمينة كتلك التي قالوا إنها تساوي ألف دينار ؟!"[٤].

٥. يقرر البرقعي أن المراد بقوله الذين ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ۝﴾: "أي يدفعون الزكاة برضاهم ورغبتهم . وهم على عكس المنافقين الذين يكرهون تأدية الزكاة.

- وسئل أبو جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عن (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) فقيل له: من الذين آمنوا؟ قال: الذين آمنوا! قلنا[والراوي عبد الملك] قلنا: بلغنا أنها نزلت في علي بن أبي طالب. قال: علي بن أبي طالب من الذين آمنوا.(تفسير الطبري ٦٢٨/٤ ح:١٢٢١٦ـ ١٢٢١٧).

(١) كسر الصنم ١٠٨و٢٢٨. وممن ضعّف هذا الحديث من العلماء: ابن تيمية في كتاب (المنهاج٢/٣٠) وابن كثير في تفسيره (٧٧/٢).

(٢) الولاية ـ بفتح الواو ـ لغة: الواو اللام والياء أصل صحيح يدل على القرب، والوَلْي القرب والدنو والمطر بعد المطر، والوَلِيّ: المحب والصديق والنصير.(معجم مقاييس اللغة ١٠٦٤) (القاموس المحيط١٧٣٢). أما الولاية –بكسر الواو ـ فهي الإمارة والنقابة كما قال سيبوية. (لسان العرب ٤٠٧/١٥).

(٣) كسر الصنم ١٠٨.

(٤) كسر الصنم ٢٢٨، اختلفت الروايات فيما تصدق به علي رضي الله عنه ففي بعضها أنه تصدق بحلة قيمتها ألف دينار (الكافي ٢٨٨/١ ـ ٢٨٩ح:٣) وفي بعض الروايات أنه تصدق بخاتم (الطبري ١٢٢١٥/٤) .

كما قال تعالى بالنسبة لإنفاق المنافقين ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ۝﴾[١].

* **والخلاصة:** هي أن البرقعي يرى بأن الآية تدل على وجوب تولي المؤمنين، الموصوفين بكونهم يؤدون الصلاة والزكاة برضى من أنفسهم، وأن تخصيص هذا المعنى بعلي رضي الله عنه لا يساعده سياق الآيات، كما لا يساعده الأحاديث المروية الضعيفة.

ثانيا: آية البلاغ[٢].

ومن أدلة الشيعة على عقيدتهم في الإمامة: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧]

حيث يستدل الشيعة بأن الله أنزل هذه الآية بعد حجة الوداع آمرًا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ ولاية علي من بعده، وبأن النبي صلى الله عليه وسلم جمع الناس في غدير

---

(١) كسر الصنم ١٤٣. وقد ذهب بعض العلماء إلى القول بأن المراد: الركوع الحقيقي، واستدلوا بما روي عن علي من تصدقه بالخاتم، واستدل القائلون بهذا القول بالآية على جواز الحركة اليسيرة في صلاة النافلة، حكاه البغوي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، واختاره القرطبي ،إلا أن القائلين بهذا القول لم يقولوا بأن الآية تدل على وجوب الإمامة لعلي رضي الله عنه بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بلا فصل؛ لأنهم يفسرون الولاية بالمحبة والنصرة . وإن كان الأقرب هو ما ذكره البرقعي من أن المراد بقوله (وهم راكعون) الخضوع والرضى، وهو اختيار يدل عليه أن العرب كانت تسمي الحنيف إذا لم يعبد الأوثان "راكعا"، ويقولون "ركع إلى الله أي اطمأن إليه وخضع. قال النابغة:

سيبلغ عذرًا أو نجاحًا من امرئ ... إلى ربه رب البرية راكع

ويقال: ركع الرجل إذا افتقر بعد غنىً وانحطت حاله، ومنه قول بعضهم:

ولا تهين الفقير، علّك أن ... تركع يومًا والدهر قد رفعه

قال القاسمي رحمه الله: (وهم راكعون) حال من فاعل الفعلين، أي يعملون ما ذكر ـ من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ـ وهم خاشعون ومتواضعون لله ومتذللون غير معجبين.(تفسير القاسمي٤/١٧٤).وانظر (تفسير ابن كثير ٢/ ٧١) ،(تفسير الشوكاني٢/٦٥)،(تفسير السعدي ٢٣٦)، (تفسير البغوي ٣/٧٣)، (تفسيرالقرطبي٦/١٤٤) ،(لسان العرب ٨/١٣٣)، (تفسير المنار٦/٤٤٢).

(٢) انظر منهاج السنة النبوية ٤/٣١ـ ٥١ ،ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/٤١٧ ـ ٤١٨، ورسالة في الرد على الرافضة٢٢١ ـ ٢٢٤ وأصول مذهب الشيعة للقفاري ٢/٨٣٦ ـ ٨٤٣.

خم[1] وأخذ بيد علي وخاطب الناس قائلا: يا معشر المسلمين ألست أولى بكم من أنفسكم. قالوا: بلى. قال: " من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه وعادي من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الدائرة معه حيث دار، ألا هل بلغت،ثلاثا"[2].

وهنا يطرح البرقعي أسئلة أساسية أمام هذا الاستدلال:

١. أين الخلافة والنص لعلي في الآية وخطبة الغدير ؟[3]

فالحديث في تصور البرقعي إنما ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم "وعظهم هناك ساعة أو أكثر وكان يقول : (من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاده) ثم لم ينطق شيئًا بشأن الخلافة وليس في القرآن آية كهذه" ثم يقول البرقعي: " فعليكم أيها الرواة إما أن تتلو علينا الآية التي نزلت بشأن الخلافة أو أن تضربوا الصفح عن هذه الروايات التي جاء بها أبو الجارود الملعون[4] ، وسهل بن زياد[5]"[6] .

---

(١) خم : واد بين مكة والمدينة على ثلاثة أميال من الجحفة فيه غدير. انظر معجم البلدان ٢ /٣٨٩.

(٢) مجمع البيان للطبرسي ٦/١٥٣، ١٥٢٠(دار مكتبة الحياة – بيروت ١٣٨٠هـ) ، وبحار الأنوار للمجلسي ٣٧/٢٢٥، وتفسير الصافي٢/٥١ ـ ٧١ . والحديث رواه أحمد (٤/٢١٨) والترمذي (٥/٥١٩ح٣٧١٣) وابن ماجه(١/٤٣) كلهم بدون زيادة :"اللهم والي من والاه .. ـوما بعده ـ". وقد ضعف ابن تيمية هذه الزيادة من جهة السند ومن جهة المتن، انظر منهاج السنة٤/٨٦ ومجموع الفتاوى٤/٤١٨.

(٣) يعرّف الأصوليون النص بأنه:ما يفيد بنفسه من غير احتمال. ويمثلون له بقوله"تلك عشرة كاملة" حيث لا تحتمل أنها تسعة ولا أي عدد آخر(انظر:روضة الناظر٢/٥٦٠) و عند التأمل نجد ما يلي:
أولا:الآية لا تتضمن نصا في خلافة علي رضي الله عنه.
ثانيا: لوسلمنا بأن المقصود عليٌ بدلالة الحديث" من كنت مولاه.." فإن الحديث ليس نصا كذلك .

(٤) ابو الجارود: هو زياد بن المنذر الهمداني وقيل منذر بن زياد، وقيل الثقفي، ويقال النهدي، أبو الجارود الكوفي الأعمى، لقبه الإمام الباقر سرحوب ـ قيل على اسم شيطان يسكن البحر ـ قال ابن معين: كذاب. وقال النسائي وغيره: متروك. وقال ابن حجر: كذاب وليس بثقة. من غلاة الشيعة ، كان يضع الحديث في الفضائل والمثالب، وإليه تنسب الجارودية الزيدية التي وافقت جمهور الإمامية في تكفير الصحابة. ميزان الاعتدال للذهبي ٢/٩٣.الأعلام للزركلي٣/٥٥.(الملل والنحل١/١٨٥).

(٥) سهل بن زياد: هو أبو يحيى الواسطي الملقب بمؤمن الطاق ، قال النجاشي –من الإمامية ـ : قال بعض أصحابنا لم يكن سهيل بكلّ الثبت في الحديث.(رجال النجاشي١٩٢ ترجمة٥١٣ ط مؤسسة النشر بقم)، (منتهى المقال٣/ ٤٣١ ط مؤسسة آل البيت ببيروت).

(٦) كسر الصنم٢٢٩.

٢. هل يخاف الرسول ﷺ؟ وممن يخاف؟

فالآية كما يفهم كثير من الإماميين جاءت تهدد النبي إن لم يبلغ خوفًا من الناس، وهنا يقول البرقعي رحمه الله:" وكيف يخاف النبي في هذا الموطن وهو الذي لم يعرف الخوف أبدًا ومنذ اليوم الأول لرسالته ... كيف يخاف أخيرًا وفي إمرته سبعون ألفًا من المسلمين مستعدون للجود بأنفسهم وأرواحهم في سبيل الدعوة"[١].

ثم يشير البرقعي إلى أن العاقل لا يمكن أن يتصور أن الرسول صلى الله عليه وسلم سيخاف من أناس قدّموا "تلك التضحيات في بدر، وأحد، والخندق، وخيبر، وفتح مكة، وغيرها وجاهدوا في كل تلك الحروب، وقدموا فداءً كبيرًا من الأموال، والأنفس حتى فتحت مكة.."[٢].

٣. من هم (الناس) الذين عرّض الله بكفرهم في الآية وحذّر رسوله بأن يخاف منهم؟

يذكر البرقعي أن قول الشيعة يعني أن الصحابة رضي الله عنهم بعد كل التضحيات التي قدّموها بهجرتهم والتخلي عن أموالهم وجهاد قومهم في نصرة الإسلام يعرّض الله بكفرهم، ولهذا يقول البرقعي: "وفي آخر حياة الرسول صلى الله عليه وسلم. أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. صحابته أنه سيحج بهم ليعلمهم مناسك الحج، وحج رسول الله مع المهاجرين والأنصار الذين أثنى الله عليهم في مواطن كثيرة من القرآن .. وفي طريق عودتهم إلى المدينة في غدير خم وهي موضع بين مكة والمدينة أنزل الله الآية الآنفة الذكر ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ... ﴾ ..[فعلى رأي الإمامية] كأن الله تعالى يقول فيها لرسوله يا رسولي لا تخف من أصحابك لأنهم جميعًا كفرة ومرتدون، وليسوا أهلًا للهداية والله يعصمك من شرهم. وبلغ أمر ولاية علي عليه السلام وخلافته.

أنزل الله هذه الآية في حق أصحاب النبي،[فـ] بدلَ أن يقول لهم إن الله تقبل أعمالكم وشكر سعيكم في حجكم، ولكن قال لهم: بلّغ يا رسول الله ما نزل إليك من ربك بشأن خلافة علي وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من هؤلاء الكفار المنافقين

---

(١) كسر الصنم ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٢) كسر الصنم٢٢٩.

والله لا يهدي هؤلاء الكفار يعني أصحابك بهذا ثم شرح الآية حسبما تأولها الكذابون .

الآن : لا بد أن نسأل : من هم الكفار في هذه الآية الذين يحفظ الله رسوله منهم ؟ هل هم أصحابه الذين حجوا معه ، وبذلوا أرواحهم ، وضحوا معه بكل شيء ثم يوصفون بعد ذلك بأنهم كفرة ؟ أليس هذا بعيدًا عن إنصاف الله وعدالته ؟"[(١)].

٤ . هل يدل السياق على تفسير الإمامية؟

يجيب البرقعي بقوله: "لا قطعًا بدليل القرائن السابقة واللاحقة ؛ فإن هذه الآيات تتعلق بكفر اليهود ، والنصارى ، ودولة الروم حيث نزلت هذه السورة في محاربتهم ، وكل آياتها في سورة المائدة.

ومن جملتها يقول الله لرسوله: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ وبعد ذلك مباشرة في الآية ٦٨ يقول ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ...﴾ ...

يعني ليس هناك فصل في سياق القرآن بين أمر الله بتبليغ الرسالة والرسالة نفسها .

وكذلك في سائر الآيات قبل وبعد هذه الآية، حيث كلها تتعلق بكفار اليهود والنصارى، وليس هناك كلام عن الولاية، ونحن وضحنا ذلك في كتابنا (قبس من القرآن) فليرجع إليه القارىء الكريم . [(٢)]"

- **والخلاصة** :أن البرقعي يرى أن قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ الآية تدل على وجوب تبليغ الرسول كل ما أنزل إليه من الله بدون تخصيص ذلك بإمامة علي، لأن الآية عامة، ولم يذكر فيها شيء عن الإمامة، وأن الأحاديث المذكورة في خطبة غدير خم ليس فيها ذكر الإمامة، كما أن قوله والله يعصمك من الناس يعني الكفار بدلالة ما بعدها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾.

---

(١) كسر الصنم ٢٢٩.

(٢) كسر الصنم ٢٣٠.

ثالثا: آية التطهير وحديث الكساء:

وقف البرقعي عند استدلال الإمامية على عقيدة الإمامة بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب٣٣]. فقد روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة وعليه مرط مرحّل[1] من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ رواه مسلم[2].

فالإمامية يقولون بأن الآية تثبت الطهارة لمن أدخلهم الرسول في الكساء، ومن ثم فهي تدل على عصمتهم دلالة مؤكدة وغير المعصوم لا يكون إماما[3].

مناقشة البرقعي لرأي الإمامية

- من يدخل في الخطاب[4]؟

يرى البرقعي أن قوله تعالى: (آل البيت) يدخل فيه نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسائر أهل بيته لعدة دلالات:

الأولى: دلالة السياق.

فزوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدخلن في قوله (آل البيت) لأن الآية تقع بين آيات تتعلق بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) المرط: كساء من صوف أو خز يؤتزر به أو يتلفع به. والمرحّل: الذي قد نقش فيه تصاوير الرِّحال. المعجم الوسيط (مادة مرط) ٨٦٤ و القاموس المحيط ٨٨٧ (باب الطاء فصل الميم). النهاية في غريب الحديث ٢/٢١١.

(٢) صحيح مسلم ٧/١٣٠.

(٣) انظر مجمع البيان للطبرسي ٢٢/١٣٧ ـ ١٣٩ وتفسير التبيان للطوسي ٨/٣٤٠ (مكتبة الأمين ـ النجف ـ تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي /١٣٧٦ ـ ١٣٨٢هـ).

(٤) انظر تحقيق المسألة في كتاب جلاء الأفهام لابن القيم ٣٢٤ ـ ٣٤٧.

فقد قال الله تعالى في الآيات قبلها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأحزاب : ٢٨].

وقال بعد ذلك ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأحزاب : ٣٠] وثم قال ﴿ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الأحزاب : ٣١] ،ثم قال بعدها ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] إلى آخر الآيات.

يقول البرقعي: "وليست آية التطهير كما توهم الغلاة، فقد ظنّوها آية مستقلة بينما هي ليست كذلك، وهي جزء من الآية التي تتعلق بنساء النبي صلى الله عليه وسلم..."[1].

الثانية : أن الله جعل الزوجة من آل بيت الرجل.

ومن الأدلة التي استدل بها أبو الفضل البرقعي قول الله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود : ٧٣] والمخاطب زوجة إبراهيم عليها السلام، فدل على دخول الزوجة في آل الزوج[2].

الثالثة: أنه لا يمكن لعاقل أن يقول إن الله لم يشأ الطهارة والنظافة من زوجات رسول الله بل أرادها فقط من صهره وبنته ، مع أن الآية - كما تبين - أقل ما يقال بأنها تحتمل دخولهم[3].

---

(١) كسر الصنم ٢٢٤. وانظر مختصر التحفة الاثني عشرية١٤٩.

(٢) كسر الصنم .٢٢٦. يقول الأمين الشنقيطي: والتحقيق أنهن داخلات في الآية، وإن كانت الآية تتناول غيرهن من أهل البيت. ثم استدل على ذلك بأمرين: الأول:أن الآيات نزلت بسببهن و أهل الأصول قد أجمعوا على أن صورة سبب النزول قطعية الدخول، و الثاني: أن الله تعالى سمى زوجة إبراهيم في أهل بيته في الآية. (أضواء البيان ٥٧٧/٦). وانظر مختصر التحفة الاثني عشرية ١٥١.

(٣) انظر كسر الصنم ٢٢٧.

▪ نوع الإرادة في الآية[1]

ففي حين ذهب الإمامية إلى أن الإرادة في قوله (إنما يريد الله..) هي إرادة كونية(حتمية الوقوع) وهو ما يعني أن التطهير واقع حتمًا وعليه فالأئمة(الذين خصصهم الإماميون) سيكونون معصومين؛ وقد ذهب البرقعي ـ في المقابل ـ إلى القول الآخر وهو أن الإرادة هنا تشريعية بمعنى (يحب) وهي إرادة ليست حتمية الوقوع، من قبيل قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ وقد قدم البرقعي دلائل قوية على ما ذهب إليه وهي:

السياق: حيث فيه ذكر الله تكاليف شرعية كالأمر بإقامة الصلاة والزكاة، فتكون الآية مثل قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ ..حتى قوله .. ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝﴾ [المائدة:٦][2].

أ. على تفسير الشيعة فإن الآية تثبت عدم عصمة أهل البيت قبل ذلك لأن الله يريد أن يذهب عنهم رجسًا كان موجودًا ويزيله[3].

ب. أنه لا فضيلة للعصمة الذاتية التي تكون من إرادة إلهية تكوينية تستحيل معها

---

(١) الإرادة عند أهل السنة نوعان: الأولى: الإرادة الكونية الخلقية، وهي مشيئته الشاملة لجميع الحوادث، وهذه المشيئة مقارنة للقضاء والقدر، وهذه الإرادة لابد من وقوعها، ومن أمثلتها في كتاب الله قوله تعالى: (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإيمان ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) [الأنعام١٢٥]. والنوع الثاني: الإرادة الشرعية الدينية وهي محبته ورضاه، وهي مقارنة للأمر والنهي والرضا والغضب، وهذه قد يقع مرادها وقد لا يقع، ومن أمثلتها قوله تعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)[البقرة١٨٥].انظر مجموع الفتاوى ٥٨٢/١٠، الاستقامة٤٣٣/١، منهاج السنة النبوية ١٥٧/٣.

أما الإرادة عند الإمامية فإن مراد الله تعالى غير لازم لإرادته، لهذا حاجهم بعض العلماء بقولهم هذا، لأن لازمه أن يكون التطهير في الآية ـ التي استدلوا بها على العصمة ـ غير محقق الوقوع. انظر مختصر التحفة الاثني عشرية١٥٢ ـ ١٥٣.

(٢) كسر الصنم ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٣) كسر الصنم ٣٣٥. يقول الدهلوي: دلالة الآية على العصمة غير مسلمة بل هي تدل على عدمها، إذ لا يقال في حق من هو طاهر إني أريد أن أطهره ضرورة امتناع تحصيل الحاصل، وغاية ما في الباب أنهم محفوظون من الذنوب بعد تعليق الإرادة بإذهابها. (مختصر التحفة الاثني عشرية١٥٢).

المعصية.وأن الإمام سيكون بمثابة الحجر والمدر الذي لا يخطئ بإرادة الله التكوينية[١].

ويلخص البرقعي رأيه مبينًا أن "الكلام ليس عن طهارة جبرية وليس هناك عصمة ذاتيه ، بل على أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أن يبعدوا أنفسهم عن التلوث ويجعلوا أنفسهم نظيفين بطهارة البدن والخلق ... وهذا هو ما أراده الله منهم لأنهم فضلًا عن كونهم مؤمنين يتصلون بسمعة رسول الله صلى الله عليه وسلم" [٢].

* **والخلاصة:** أن البرقعي يرى أن قوله تعالى: ﴿ ... يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ يشمل من جللهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالكساء مع زوجاته رضي الله عنهن أجمعين، بدلالة سياق الآيات أولاً و بدلالة الآيات الأخرى التي سمى الله فيها الزوجة من أهل بيت الرجل ثانيًا، وبدلالة العقل الذي لا يمكنه القول بأن الله لا يريد طهارة زوجات رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

كما أن البرقعي يرى ان الآية لا تدل على عصمة أحد، لأن الإرادة في الآية شرعية، ولأن معنى ذلك أنهم لم يكونوا معصومين قبل ذلك.

ثانيا: بيان مخالفة عقيدة الإمامية لما جاء عن الأئمة

يرى أبو البرقعي رحمه الله أن الأئمة لم يكونوا يؤمنون بما تعتقده الشيعة الإمامية من وجود نص على اثني عشر إمامًا معصومًا، بل كانوا يؤمنون بمبدأ الشورى والانتخاب.

ويدلل البرقعي على ما نسبه للأئمة بما يلي:

أ. أقوال علي رضي الله عنه

يقف مع أقوال للأئمة - يرويها الشيعة في كتبهم - تخالف عقيدة الإمامة، وهي:

قول علي رضي الله عنه: (والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها)[٣]، وقال أيضًا: (بسطتم يدي فكففتها ومددتموها

---

(١) كسر الصنم ٢٢٦.

(٢) كسر الصنم٢٢٥ ـ ٢٢٦. يقول السعدي : (إنما يريد الله) بأمركن بما أمركن به، ونهيكن بما نهاكن عنه (ليذهب عنكم الرجس) أي الأذى والشر والخبث. (نفسير الكريم المنان ٦٦٤).

(٣) نهج البلاغة /خطبة ٢٠٥.

فقبضتها...حتى انقطعت النعل وسقط الرداء ووُطِيء الضعيف)[١] ، وقال أيضًا: (دعوني والتمسوا غيري .. وأنا لكم وزيرًا خير لكم مني أميرًا)[٢]، وقال أيضًا: (تقولون البيعة البيعة فقبضت كفي فبسطتموها)[٣]، وقال أيضًا: (بايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مخيرين)[٤]، وقال أيضًا: (إني لم أرد الناس حتى أرادوني ولم أبايعهم حتى بايعوني)[٥]، وقال علي رضي الله عنه ـ مستشهدًا على صحة بيعته ـ : (إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إمامًا كان لله رضى فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى فقاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين[٦])[٧] ويقول علي رضي الله عنه ـ معتبرًا بيعته بدون رضى المسلمين غير معتبرة ـ حين قال:(فإن بيعتي لا تكون إلا عن رضى المسلمين[٨])[٩].

ثم يعقب البرقعي ـ بعد ذلك ـ بقوله: "وأمثال هذه الكلمات كثيرة في نهج البلاغة ،

---

(١) المرجع السابق /خطبة ٢٢٩ .

(٢) المرجع السابق/ خطبة ٩١. وفي تاريخ الطبري عن محمد بن الحنفية قال: كنت مع أبي حين قتل عثمان ... فأتاه أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فقالوا ان هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من إمام ولا نجد اليوم أحق بهذا الأمر منك ولا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله فقال لا تفعلوا فإني أكون وزيرًا خيرًا من أن أكون أميرًا ، فقالوا لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك قال ففي المسجدفإن بيعتي لا تكون خفيًا ولا تكون إلا عن رضا المسلمين .. فقال ابن عباس: فلقد كرهت أن يأتي المسجد مخافة أن يشغب عليه وأبى هو إلا المسجد، فلما دخل المسجد دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه ، ثم بايعه الناس. تاريخ الأمم والملوك ٣/٨٢٥.

(٣) المرجع السابق /خطبة ١٣٧.

(٤) المرجع السابق /رسالة رقم ١.

(٥) المرجع السابق/ رسالة رقم ٢.

(٦) المرجع السابق/ رسالة رقم ٦.

(٧) كسر الصنم ٣٤٨.

(٨) تاريخ الطبري٣/٨٢٥.

(٩) كسر الصنم ٣٤٨.

إذن لو أن الله عيّنه فإنه لا يستطيع أن يتبرأ من الخلافة بكل هذا الكلام، لقد تبرأ من الخلافة إلى درجة أنه كان يقول : (هذا ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها)[١]. بناءً على هذا لو أوجب الله عليه الحكم لم يستطع إظهار أمور كهذه، والعجب أنه لم يدع في مكان ما أنّه الإمام المنصوص، غير أنه بعد قرنين من الزمان أو ثلاثة جاء صانعو النصوص وادعوا له ذلك وأصبحوا أحرص على إمامته من الإمام نفسه"[٢].

ب. عدم علم سادات آل البيت بعقيدة الإمامة

استشهد البرقعي بما جاء عن بعض أعلام آل البيت المتقدمين ما يدل على أنهم لم يكونوا يعلمون بعقيدة النص، مع أنهم من المتقدمين، ومن ذلك:

١ ـ عدم إشارة الحسن رضي الله عنه للنص.

يروي البرقعي أن عليًا لما توفي وأخبر الحسن رضي الله عنه بوفاته، قام ابن عباس وقال: (إن أمير المؤمنين توفي وقد ترك لكم خلفًا فإن أجبتم خرج إليكم وإن كرهتم فلا أحد على أحد) فبكى الناس وقالوا : بل يخرج إلينا[٣].

وبهذا يستدل البرقعي على أن البيعة تمت للإمام الحسن باختيار الناس له لا بوصية من علي رضي الله عنه، ولا بنص من الله ورسوله[٤].

٢ـ عدم إشارة الحسين رضي الله عنه للنص.

فالإمام الحسين رضي الله عنه وأرضاه –كما يقرر البرقعي ـ لم يبادر بالخروج حتى بايعه أهل الكوفة، وأعطوا عهدهم لنائبه مسلم بن عقيل بن أبي طالب[٥]، وحين دعوه لم يستند في إمامته إلى هذه النصوص قط ، بل في جميع خطبه وحججه التي ألقاها للناس لم يذكر ولو النص على إمامته أو إمامة أبيه ، وحتى في جوابه على رسائل أهل

---

(١) المرجع السابق/ خطبة ٥.

(٢) كسر الصنم٣٤٦. وانظر تاريخ الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢١٧.

(٣) شرح نهج البلاغة ٤/٨، مروج الذهب ٢/٤٤.

(٤) كسر الصنم ٣٤٨.

(٥) انظر تاريخ الأمم والملوك ٣/١٠١٠.

الكوفة التي وصل عددها - في بعض الروايات - إلى ثنتي عشرة ألف رسالة لم يقل إلا : (من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين أنا باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل فإن كتب إلي بأنه قد اجتمع راي ملئكم وذوي الحجى والفضل على مثل ما قَدِمَت به رسلكم وقرأت في كتبكم فإني أَقْدِم إليكم إن شاء الله ...)[١].

والشاهد أن الحسين رضي الله عنه قد علق الأمر باجتماع أهل الحل والعقد، وليس بالنص.

٣. عدم علم محمد بن الحنفية بالنص.

فمع قرب محمد بن الحنفية من علي رضي الله عنهما، وما جاء من حب علي له[٢]، إلا أنه لم يكن يعلم بالنص على الأئمة الذين تعتقد بهم الإمامية، ويحكي البرقعي اتفاق أهل الأخبار على ذلك فيقول: "لم يسمع سيدنا محمد بن الحنفية رضي الله عنه ابن أمير المؤمنين بهذه النصوص، لأنه باتفاق التواريخ كما رووا في هذا الكافي وفي كتاب إعلام الورى للطبرسي ص ٢٥١[٣] وفي كتاب الاحتجاج عن أبي عبيدة وزرارة عن سيدنا الباقر رضي الله عنه أنه قال: (لما قتل الحسين جاء محمد بن الحنفية إلى علي بن الحسين فخلا به وقال قد قتل أبوك ولم يوصِ وأنا عمك وصنو أبيك وولادتي من علي وأنا في سني وقدمي أحق بها منك)[٤] . والآن إذا كان محمد بن الحنفية ذلك السيد المبجل وممدوح أهل البيت إذا كان يعرف هذه النصوص فلم يتكلم بكلام كهذا ؟"[٥].

---

(١) كسر الصنم ٣٤٩. ولا أعلم لم ترك البرقعي إكمال كلام الحسين عليه رضوان الله مع أهميته، وهو قوله : (فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط، والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله. والسلام) (تاريخ الأمم والملوك للطبري٣/١٠١٣).

(٢) ذكر الطبري في تاريخه وصية علي رضي الله عنه وفيها أنه قال للحسن والحسين: أوصيكما به ـ يعني ابن الحنفية ـ فإنه شقيقكما، وابن أبيكما،وقد علمتما أن أباكما كان يحبه..(تاريخ الأمم والملوك ٣/٩٣٧).

(٣) انظر الرواية في : الكافي ١/٣٤٨، إعلام الورى ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

(٤) وفي الكافي : (فلا تنازعني في الوصية والإمامة ولا تحاجني..)١/٣٤٨.

(٥) كسر الصنم ٣٤٩.

٤. إنكار زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم للنص.

استدل البرقعي بما روى الكليني من أن زيدًا لم يكن يعلم بالنص على الأئمة الاثني عشر، بل أنكر تعيين الأئمة وقال لأخيه الباقر: "ليس الإمام منا من جلس في بيته و أرخى ستره وثبط عن الجهاد ولكن الإمام منا من منع حوزته، وجاهد في سبيل الله حق جهاده ودفع عن رعيته وذب عن حريمه"[١].

وزيد بن علي رحمه الله الذي يستدل بقوله البرقعي؛ هو الذي قال عنه الباقر ـ عندما أخذ البيعة لنفسه في العراق ـ وقد قيل له: إن أخاك زيدًا فينا يبايع؟ فقال: بايعوه فهو اليوم أفضلنا[٢].

* **والخلاصة:** أن البرقعي يقرر بأن النص لو كان موجودًا وواضحًا من زمن النبي صلى الله عليه وآله سلم والأئمة؛ لما نقل عن هؤلاء هذا التجاهل أو الإنكار للنص، في وقت كانت الأمة أحوج ما تكون إلى بيانه.

ونحن نزيد على ما ذكر البرقعي سؤالًا مهمًّا: ما هو التفسير المنطقي لإهمال الأئمة – وأولهم علي عليه رضوان الله ـ بيان هذا النص لذرياتهم الأقربين كابن الحنفية الذي يُعد من أحب أبنائه، ومثله زيد بن علي (زين العابدين) الذي يعد ابن إمام، وكذا حسن (المثنى) بن الحسن الذي يعد ابن إمام، فهل بلغت الشفقة بالأئمة أن يبينوا النص لأولئك الرواة الكذابين في حين لم يشفقوا على أبنائهم، إن هذا بلا شك برهان واضح يدل على عدم النص أصلًا.

٢ـ قيام كثير من سادات آل البيت بالخروج وطلبهم البيعة من الناس لأنفسهم وليس للأئمة

وهنا يستعرض البرقعي ما جاء عن كثير من سادات آل البيت من الخروج على بعض الحكام وأخذهم البيعة لغير الأئمة الاثني عشر، مما يعني عدم علمهم جميعًا بالنص.

---

(١) الكافي ١/٣٥٧.

(٢) الأنساب للبلاذري٣/٢٤٠.

ومن هؤلاء الذين يذكرهم البرقعي[(١)]:

١. **زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه[(٢)].**

٢. **عبد الله بن الحسن بن الحسن.**

٣. **محمد بن عبد الله(المحض) بن الحسن بن الحسن،الملقب بالنفس الزكية[(٣)].**

٤. **حسين بن علي بن الحسن(المثنى)بن الحسن، الملقب بشهيد الفخ[(٤)].**

---

(١) انظر كسر الصنم ٣٤٩ـ ٣٥٢.

(٢) حاول بعض الرواة أن يختلق خبرًا يفيد رجوع زيد بعد علمه بالنص على الأئمة : فقد رووا أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه جاء لإقناع زيد بالنص على الأئمة ، يقول البرقعي: مع العلم بأن زيدًا ولد عام ٨٠هـ في حين أن جابرًا توفي في عام ٧٤هـ، فلا زيد رأى جابرًا ولا جابر رأى زيدًا.. (انظر:كسر الصنم ٣٥٠).

(٣) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي رضي الله عنه(١٤٥هـ)، يلقب بـ"النفس الزكية" خرج على المنصور مع أكثر من ثلاثمائة من العلويين وأهل المدينة ، وكان ممن ساعده الصادق رضي الله عنه وكان ابنا الصادق موسى وعبدالله في ركابه كما في كتاب مقاتل الطالبيين وغيره ، وممن قام معه السيد المبجل عيسى بن زيد بن علي بن الحسين مع محمد بن عبدالله؛ الذي قال : من يتخلف عن بيعة محمد بن عبدالله أضرب رقبته . قاتله جيش المنصور فقتل وأرسل رأسه إلى المنصور، وذكر ابن خلدون: أن الإمامين مالك وأبي حنيفة كانا يريان إمامة النفس الزكية أصح من إمامة المنصور، وروى الطبري أن الإمام مالك استفتي في الخروج مع محمد وقيل له:إن في أعناقنا بيعة لأبي جعفر. فقال: إنما بايعتم مكرهين، وليس على مكره يمين. فأسرع الناس إلى محمد ولزم مالك بيته. ونقل الزركلي عن الصفدي في كتابه الوافي أن طائفة "المحمدية" من الجارودية تنسب إليه، وهي التي كانت تؤمن بأن الصادق لم يمت ويزعمون أنه في جبل "حاجر" في نجد، وانه سيخرج يوما ما ، ومن هذه الفرقة الراوي الشيعي المشهور جابر بن يزيد الجعفي. تاريخ الطبري(١٥٧٩/٤) تاريخ ابن خلدون(١٩٠/٣) سير أعلام النبلاء(٢١٠/٦ ـ ٢١٨)، مقاتل الطالبيين(٢٣٢). تهذيب التهذيب (٢٥٢/٩)، (الإعلام٢٢٠/٦). كسر الصنم ٣٥٠.

(٤) هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسن(المثنى) بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم(١٦٩هـ) يلقب بـ(صاحب الفخ) أو (شهيد الفخ)، خرج على الهادي العباسي في المدينة لما رأى ما ينكره فأخذ البيعة له من الناس، وقال في خطبة بيعته: يا أيها الناس، أنا ابن رسول الله، وفي حرم رسول الله ، وفي مسجد رسول الله، وعلى منبر نبي الله، أدعوكم إلى كتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فإن لم أف لكم فلا بيعة لي في أعناقكم. قاتله جيش الهادي في منطقة (فخ) فقتل. وفخ ضاحية من ضواحي مكة تسمى اليوم بالشهداء أو الزاهر، وسميت بالشهداء لدفن الحسين بن علي وأنصاره فيها. شذرات الذهب ٢٦٩/١، تاريخ الطبري ١٦٨٩/٥، ميزان الاعتدال٥٤٤/١،الأعلام (٢٤٤/٢)، مقاتل الطالبيين ٢٨٨ ـ ٣٠٨، كسر الصنم ٣٥٠ .

٥. **عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالأشتر**[١].
٦. **علي بن محمد بن عبد الله المحض**[٢].
٧. **حسن بن محمد بن عبد الله المحض**[٣].
٨. **إبراهيم بن عبدالله المحض**[٤].
٩. **يحيى بن عبدالله المحض**[٥].
١٠. **محمد بن جعفر الصادق**[٦].

---

(١) عبدالله بن محمد (النفس الزكية) بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم (١٥١هـ).يلقب بالأشتر، خرج بالمدينة مع أبيه على المنصور، ذهب إلى السند ـ مظهرًا التجارة ـ ليأخذ البيعة لوالده فأعطاه أميرها (عمر بن حفص) بيعته وبيعة قواده، وبينما هو يتهيأ للخروج أتاه نعي والده (النفس الزكية)، و ـ بنصيحة من ابن حفص ـ رحل إلى بعض بلاد السند عند أحد ملوك غير المسلمين، فلقي كرمًا وأقام أربع سنين أسلم فيها على يده عدد كبير، ووصل الخبر إلى المنصور فخلع ابن حفص وجعل مكانه هشام بن عمرو بن بسطام التغلبي، ثم تختلف الروايات في كيفية موت عبد الله الأشتر. تاريخ الطبري(١٦٢٩/٤)، مقاتل الطالبيين ٣١٠ ـ ٣١٤، الأعلام١١٦/٤ ـ ١١٧.

(٢) هو علي بن محمد(النفس الزكية)بن عبد الله (المحض) بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم، كان أبوه قد وجهه مع أخاه موسى إلى مصر يدعوان إلى بيعته، فنجى موسى وأخذ علي إلى أبي جعفر فحبسه مع أهله فمات في الحبس. (مقاتل الطالبيين ٢٠١).

(٣) هو حسن بن محمد(النفس الزكية) بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم، خرج مع حسين بن حسن في واقعة الفخ، فألقي عليه القبض بعدها وضربت عنقه صبرًا. (مقاتل الطالبيين ٤٣٤)، (مروج الذهب٢٦٩/١).

(٤) هو أبو الحسن إبراهيم بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم، على شاكلة أخيه محمد(النفس الزكية) في الديانة والعلم، أمره أخوه بالخروج في العراق فخرج وتمكن مدّة، فلما بلغه مقتل أخيه حزن حدًّا،.ثم قاتل جيش المنصور حتى قتل سنة ١٤٥هـ (مقاتل الطالبيين ٣١٥ ـ ٣٨٦) (تاريخ الطبري ١٦٠٤/٤ ـ ١٦١٥) (البداية والنهاية١٠/ ٩١).

(٥) هو أبو الحسن يحي بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه. رباه جعفر الصادق وروى عنه كثيرا وعن أبيه وأخيه محمد (النفس الزكية)، وكان مالك بن أنس يجلّه ، وكان ممن أوصى إليه جعفر بماله وولده عند وفاته، خرج مع حسين بن حسن فنجى في وقعة الفخ ، وهرب إلى نواحي الديلم، فكتب له الرشيد كتاب أمان، ثم نقضه الرشيد وقتله، وقد قيل إن سبب ذلك أبيات أنشدها يحي رحمه الله أمامه عرّض فيها بظلم بني العباس وتمنيه قيام دولة العلويين، فقتله الرشيد على إثرها. (مقاتل الطالبيين٤٦٣ ـ ٤٨٣).

(٦) هو أبو جعفر محمد بن جعفر(الصادق)بن محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم، كان فاضلًا، ولما أمر المأمون آل أبي طالب أن يركبوا إلى خراسان بدونه أبو إلا أن يركبوا معه، ظهر بالمدينة مع بعض الطالبيين وبايعه الناس ولقبوه بأمير المؤمنين، وحوصر قريبًا من مكة فطال الحصار و لم يقاوم رجاله فأخذ لهم الأمان على أن يذهبوا إلى خراسان، ولما مات جيء بجنازته فدخل المأمون بين عمودي السرير فحمله حتى وضعه في لحده، وقال: هذه رحم مجفوّة منذ مائتي سنة. مقاتل الطالبيين ٥٤١. كتاب الإرشاد للمفيد٢٨٦.

١١. سليمان بن عبدالله المحض[١].
١٢. إدريس بن عبدالله المحض[٢].
١٣. عبدالله الأفطح بن جعفر الصادق[٣].
١٤. أحمد بن موسى الكاظم[٤].
١٥. زيد بن موسى الكاظم[٥].

وهنا يقول البرقعي: " وإن كان هناك نص، كان عليهم ـــ أي هؤلاء الذين خرجوا ـ أن يعرفوه لا أن يعرفه عدد من الوضاعين الغلاة"[٦].

وقد صدق البرقعي فإن وجود النص على الاثني عشر ووضوحه ـ كما يذكر الإمامية ـــ يتنافى مع خروج هؤلاء المقربين من الإئمة، وأخذهم البيعة لغير الأئمة الاثني عشر، ولا يسع المتأمل لمثل حالهم إلا أحد الاحتمالات التالية:

الاحتمال الأول: أن الأئمة علموا النص ولم يبلغوه لهؤلاء المقربين على حين أنهم

---

(١) هو سليمان بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم، خرج مع الحسين شهيد الفخ وأسر ثم قتل صبرًا بمكة شذور الذهب ١٨٣/٢،(مقاتل الطالبيين رقم ٣٧ ٣٦٥ط مؤسسة الأعلمي ببيروت).

(٢) هو إدريس بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه،شارك حسين بن حسن عندما ظهر وأفلت من مقتلة الفخ، وخرج إلى أفريقيا فأرسل إليه الرشيد رافضيًّا خبيثًا فسمّه فمات.تاريخ الطبري٥/١٦٩١، مقاتل الطالبيين ٤٠٦ ـ ٤٠٩، شذور الذهب١/٢٦٩.

(٣) عبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، لقب بالأفطح لأنه أفطح الرأس، وقيل: لأنه كان أفطح الرجلين، وقيل غير ذلك. قال بإمامته كثير من جل مشايخ الشيعة وفقهائها بعد موت أبيه كما ذكر النوبختي وهم الفرقة المسماة بالفطحية، إلا أنه مات بعد والده بسبعين يوما، أما المفيد فقد طعن في اعتقاده ونسبه للإرجاء ومخالطة الحشوية. رجال الكشي ٢١٩،فرق الشيعة للنوبختي ط كربلاء٩٩، الإرشاد للمفيد٢٨٥ ـ ٢٨٦ط إيران.

(٤) هو أحمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كان كريمًا ورعًا، قالت بإمامته طائفة في زمن أخيه الكاظم (فرق الشيعة للنوبختي ١٠٧) (منتهى المقال للمازندراني١/٣٥٥).

(٥) هو زيد ين موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، يقال له زيد النار لكثرة ما حرق من الدور بالبصرة من دور بني العباس وأتباعهم، خرج مع أبي السرايا ومحمد بن اسماعيل سنة ٢٠٠هـــ زمن المأمون وولوه على البصرة(تاريخ الطبري ٥/١٨٢٩، ١٨٣٣)(مقاتل الطالبيين٤٣٦).

(٦) كسر الصنم ٣٥٢.

بلغوه للرواة الكذابين من أمثال المغيرة بن سعيد وغيره، وهذا طعن كبير لا يرضاد مؤمن على أحد من أهل الفضل في هذه الأمة، لاسيما أمثال الإمام الصادق رحمه الله الذي يعد من فحول أهل العلم في زمانه، فهذا الاحتمال غير وارد.

الاحتمال الثاني: أن الأئمة بلغوا النص للناس، ولكن هؤلاء وأمثالهم من ذريتهم تركوا النص، وشغفوا بحب الرياسة مما جعلهم ينافسون الأئمة، وهذا يرده ما نجده من الثناء عليهم من قبل الأئمة وعلماء الشيعة في كتب تراجم الرجال عند الإمامية، وبهذا يكون هذا الاحتمال غير وارد، فلا يبقى إلا الاحتمال الأخير وهو:

الاحتمال الثالث: أن النص على اثني عشر بأسمائهم كذبة كذبها بعض الرواة، وأن الأئمة لم يكونوا ممن يؤمن بهذا المعتقد، ولم يتكلموا به، ولهذا خرج أمثال هؤلاء . وهذا هو الذي يتفق مع المعروف من ديانة الأئمة والعلماء من آل البيت، وهو الذي يتسق مع شفقتهم على الناس عمومًا وعلى أبنائهم وأقربائهم خصوصًا، إذ لو كان ثمة نص لاقتدوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما أراد البلاغ فنادى قريش عمومًا ثم خصص في بلاغه حتى سمى ابنته الشريفة فاطمة رضي الله عنها كما في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه: قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤] دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشًا، فاجتمعوا فعم وخص، فقال: (يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها) متفق عليه. وفي رواية لأحمد والترمذي: (غير أن لك - يعني فاطمة - رحمًا، وسأبلها ببلالها)[1].

* شبهة وردّ :

يجيب بعض الشيعة على خروج أمثال هؤلاء الأفاضل وطلبهم البيعة بقولهم: إنما

---

(١) البخاري (الفتح ٨/٣٦٠ ح ٤٧٧١). (مسلم١/١٩٢ح٢٠٤). (أحمد ٢ /٣٦٠ح٨٧١١). (الترمذي٥/٣١٦ ح٣١٨٥).

خرجوا للدعوة إلى الرضى من آل البيت، من غير أن يطلبوها لأنفسهم.

وقد أجاب البرقعي على هذا بأنه قد ثبت أن بعض هؤلاء الذين خرجوا قاموا بأخذ البيعة لأنفسهم بل طلب بعضهم من بعض الأئمة الاثني عشر أن يبايعه.

ومن ذلك أن محمد بن عبد الله (النفس الزكية) أخذ البيعة لنفسه من أهل المدينة، وساعده الإمام الصادق على ذلك[١].

وكذلك يحيى بن عبد الله المحض فقد أخذ البيعة لنفسه في بلاد كيلان والديلم وقويت شوكته، وهو الذي أرسل إلى موسى بن جعفر(الإمام السابع) يدعوه إلى إمامة نفسه كما جاء في الكافي[٢].

* أخيراً :

فإن ثمة حقيقة علمية يجب أن تكون واضحة، وهي أن هؤلاء الذين خرجوا وأخذوا البيعة لإمامتهم، لم يكونوا يطلبون الإمامة بالمعنى الذي اصطلح عليه الإمامية ـ وهي الإمامة الإلهية التي ترافقها المعجزات ونحوه ـ، بل كانوا يطلبون الإمامة بمعناها الشرعي وهو ولاية أمر المسلمين من أجل إصلاح ما فسد.

وهذا يدعونا إلى التوقف مع كتابات بعض أهل السنة وبعض المؤرخين لتاريخ الشيعة، حيث يُفهم من عرضهم لخروج بعض من مضى ذكرهم بأنهم كانوا يدّعون الإمامة الإلهية.

ونحن وإن قلنا بأن بعضًا من الذين شاركوا هؤلاء قد يكونون ممن يعتقد وجود النص على الأئمة، إلا أن هذا المعتقد يجب أن لا يحمّل لأولئك العلويين[٣].

---

(١) كسر الصنم ، وانظر في ترجمته السابقه تأييد الصادق له ص ١٤٥.

(٢) انظر الكافي باب ما يفصل به بين المحق والمبطل١/٣٤٣.

(٣) في عرْض الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله لهذا الموضوع نجد بأنه يذكر من خرج للإمامة زمن الأئمة كعبد الله الأفطح وغيره فيطلق عليهم "مدّعي الإمامة من أهل البيت في حياة الصادق" و"مدّعو الإمامة في عهد موسى الكاظم"...وهكذا(انظر الشيعة والتشيع٢٢٠، ٢٤٥، ٢٥٤، ٢٥٩)..ومثل هذه العبارة تشعر بأنهم كانوا يدعون المرتبة المنصوص عليها كما كان يؤسس لها متكلمو الإمامية، وليس الأمر كذلك إذ أنهم رحمهم الله لم يكونوا على هذا الاعتقاد، بل كما ذكرنا كانوا يخرجون لطلب الإمامة والخلافة من=

والمقصود أن الإمامة التي سعى لها من سعى من أحفاد الأئمة هي ذات الإمامة التي سعى لها الحسين رضي الله عنه وغيره، التي هي في الحقيقة مرتبة مكتسبة وليست إلهية،وقد أرادوا الوصول إليها من أجل إصلاح الأمة التي كانوا يرون أن أحوالها بدأت تسوء شيئًا فشيئًا في ظل إمارات دبّ فيها الجَوْر.

ج. عدم علم كثير من خواصّ الأئمة

يستدل البرقعي على عدم مصداقية عقيدة الإمامة عند الاثني عشرية أيضًا بما جاء عن بعض المقربين من الأئمة من عدم علمهم بالنص على الأئمة.

ومن أهم من ذكرهم البرقعي:

١. أبو حمزة الثمالي[١].

وقد سبق ذكر الخبر الذي يدل على عدم علمه في سياق تطور المذهب (في المقدمة)[٢].

وقد أكد بعض الشيعة الاثني عشرية عدم علم أبي حمزة الثمالي بأسماء الأئمة قبل موت الصادق بقوله: "فذهب بعد ذلك [أي الثمالي]إلى المدينة ليطّلع بنفسه على الوصي من بعد الإمام جعفر بن محمدعليه السلام"[٣]، مما يعني أنه لم يكن يعرف

-أجل إصلاح الأمة، كما أننا لا نفترض أن المؤيدين لهم كانوا جميعًا على القول بـــ"الإمامة الشيعية" بل فيهم من الصالحين من أهل السنة وعلمائهم وفيهم من غيرهم من زيدية أو شيعة مفضلة وغيرهم من كانوا يرون التغيير بالسيف، ولو تأملنا خروج الحسين رضي الله عنه ثم بعده بمدّة محمد الملقب بالنفس الزكية ومن كان معهما لرأينا مصداق ذلك.والله أعلم.

(١) أبو حمزة الثمالي: ثابت بن دينار الأزدي بالولاء، من رجال الحديث الثقات عن الإمامية، يقول المازندراني: لا خلاف بين الطائفة في عدالته. وقال أحمد وابن معين: ليس بشيء. وقال أبو حاتم: لين الحديث. قتل ثلاثة من أولاده مع زيد بن علي الحسين، رووا عن الرضا أنه قال عنه:هو لقمان زمانه، توفي عام ١٥٠هـــ . ميزان الاعتدال ١/٣٦٣.الطبقات الكبرى ٦/٣٦٤.انظر منهج المقال٧٤ و رجال النجاشي ٨٣ ، رجال الكشي ٤٨٥.

(٢) انظر المقدمة.

(٣) أعلام الهداية/تأليف المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، انظر:
http://www.14masom.com/14masom/09/mktba9/book03/009.htm_Toc4120376.

الوصي قبل ذلك.

إن إشارة البرقعي إلى عدم علم الثمالي بمن هو الإمام بعد الصادق ـ وهو بمنزلته القريبة من الباقر والصادق ـ تحمل دلالة قوية على أن القول بالنص على الأئمة لم يكن موجودًا أصلًا، وإلا للزمنا أن نقول إن الصادق والباقر كتما هذا العلم المهم عن أحد أقرب رواته.

٢. أبو جعفر الأحول الملقب بـ(مؤمن الطاق)[١].

٣. هشام بن سالم[٢].

فقد جاء عن هشام بن سالم أنه قال : كنا في المدينة بعد وفاة أبي عبد الله عليه السلام أنا ومؤمن الطاق (أبو جعفر) والناس مجتمعون على أنّ عبد الله (الأفطح) صاحب (الإمام) بعد أبيه، فدخلنا عليه أنا وصاحب الطاق، والناس مجتمعون عند عبد الله وذلك أنهم رووا عن أبي عبد الله عليه السلام : أن الأمر[٣] في الكبير ما لم يكن به عاهة، فدخلنا نسأله عمّا كنا نسأل عنه أباه، فسألناه عن الزكاة في كم تجب ؟ قال: في مائتين خمسة، قلنا: ففي مائة ؟ قال: درهمان ونصف درهم . قلنا له : والله ما تقول المرجئة هذا. فرفع (الأفطح) يده إلى السماء، فقال : لا ، والله ما أدرى ما تقول المرجئة ! قال : فخرجنا من عنده ضُلّالًا، لا ندري إلى أين نتوجه أنا وأبو جعفر الأحول، فقعدنا في بعض أزقّة المدينة باكين حيارى لا ندري إلى من نقصد وإلى أين نتوجّه !؟

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي الكوفي، من أصحاب الصادق و الكاظم، كان صرافًا في سوق طاق المحامل في الكوفة فاختصم مع رجل في درهم مزيف فغلب فقال: أنا شيطان الطاق، فلقب به. وقيل أول من لقبه بذلك أبو حنيفة، وقيل إن هشام بن الحكم الرافضي لما بلغه أنهم لقبوه بشيطان الطاق سماه هو مؤمن الطاق. قال الذهبي: شيعي جلد ،إهـ ـ لم أجد له سنة وفاة فيما اطلعت ـ. لسان الميزان٥/٣٠٠. سير أعلام النبلاء ض١٠/٥٥٣. منتهى المقال٦/١٣٥.

(٢) هو هشام بن سالم الجواليقي، مولى بشر بن الحكم ، كان من سبي جوزجان ، قال الحلي: ثقة ثقة .(رجال العلامة للحلي ١٧٩)، (رجال البرقي ٣٥).

(٣) يقصد بالأمر الإمامة.

نقول: (نذهب) إلى المرجئة ؟ إلى القدرية؟ إلى الزيدية؟ إلى المعتزلة؟ إلى الخوارج؟"[١].

وهنا يقف البرقعي ليبين أن هذه النصوص لو كانت موجودة لما جاء عن أبي حمزة ومؤمن الطاق التوقف، ولما وردت عنهم الحيرة بعد وفاة الإمام[٢].

٣. زرارة بن أعين[٣].

استشهد البرقعي بما جاء عن زرارة أنه لما سمع بوفاة الإمام الصادق مال الناس إلى عبدالله (الأفطح) ابنه الأكبر، فأرسل زرارة ابنه عبيداً إلى المدينة ليتحقق ويعلم من الإمام اللاحق ، ولما أحس بالاحتضار وأوشك عليه كان ابنه عبيد لم يرجع من المدينة فبحث عنه فقالوا له : لم يرجع بعد من المدينة فطلب القرآن وقال : يا إلهي أنا لا أدري من الإمام ، أنا أقبل بكل ما في هذا الكتاب وأقبل من يصدق هذا الكتاب . وقال ليس لي إمام إلا هذا الكتاب.[٤]

كما استشهد البرقعي بكثرة أسئلة أصحاب الأئمة عن الإمام بعد كل واحد ، وطلبهم منه تعيين الإمام بعده، مما يدل على عدم علمهم بأسماء الأئمة[٥].

---

(١) الإرشاد للمفيد: ٢٢١/٢ ، مدينة المعاجز: ٢٠٨/٦. وانظر بقية القصة في زيادة عند المجلسي في بحار الأنوار(ج٤٨/ص٥٠).

(٢) كسر الصنم ٣٥٤.

(٣) هو زرارة بن أعين بن سُنسن الشيباني الكوفي (١٥٠هـ)، يكنى أبا الحسن أو أبا علي ، وقيل إن زرارة لقبه واسمه عبد ربه، ذكر المازندراني أن جلالته وعلو مرتبته في المذهب واضحة، وقال عنه ابن حجر يترفض . انظر: منتهى المقال ٢٥٠/٣ ـ ٢٥٦. لسان الميزان٤٧٣/٢.

(٤) كسر الصنم ٣٥٤، هكذا نقل البرقعي القصة وهي مروية بعده روايات منها ما رواه الكشي عن عمر بن شعيب عن عمة زرارة قالت: لما وقع زرارة واشتد به قال: ناوليني المصحف، فناولته وفتحته فوضعه على صدره ، وأخذه مني، ثم قال : يا عمة اشهدي أن ليس لي إمام غير هذا الكتاب.اهـ. كما نقل الحافظ ابن حجر عن كتاب الجمهرة لابن حزم القصة باختلاف يسير، فقال: كان زرارة بن أعين المحدث يدعي إمامة الأفطح عبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي هو وجماعة معه، فقدم المدينة فلقي عبد الله فسأله عن مسائل من الكوفة فألفاه لا يدري ، فرجع إلى الكوفة، فسأله أصحابه عنه ـ وكان المصحف بين يديه ـ فأشار لهم إليه [يعني المصحف] وقال لهم : هذا إمامي لا إمام لي غيره. قلت[والكلام لابن حجر] فهذا يدل على أنه رجع عن التشيع. . رجال الكشي ١٥٤ ـ ١٥٧. لسان الميزان٤٧٣/٢ ـ ٤٧٤.

(٥) كسر الصنم ٢٤٠. وقد جمع البرقعي أسماء من ورد سؤاله للإمام في كتاب الكافي من زمن الحسين إلى زمن الرضا فبلغ عددهم (١٠٤) شخص. انظر أسماءهم في كسر الصنم ٢٤١ ـ ٢٤٣.

يقول أبو الفضل البرقعي: وموطن السؤال الآن : "كيف أن هؤلاء [١] الذين هم من خواص أصحاب الأئمة لم يكونوا على علم بالنصوص الواردة بشأن الأئمة الإثنى عشر ولم يسمعوا بها. ولكن في عصرنا أصبح. أي النص على الأئمة. من ضروريات المذهب تقليدًا معروفًا عن الوضّاعين الكذابين، وكل من لا يعرف ذلك فيعد من الذين لا دين لهم . ولو كان هناك ثمة نص حقيقي لما قام الخلاف بين المذاهب الشيعية نفسها .

واقرؤا إن شئتم كتاب فرق الشيعة الذي ألفه العالم الشيعي الكبير أبو محمد حسن بن موسى النوبختي [٢]، وكتاب المقالات والفرق للباحث والمحقق الشيعي سعد بن عبدالله الأشعري [٣]، ثم انظروا كيف وجد في عصر الأئمة أكثر من سبعين مذهبًا وفرقة للشيعة، فلو كان هناك نص ثابت لما وجدت كل هذه المذاهب [٤] .

*** والخلاصة : ان البرقعي يرى بأن عدم علم أمثال هؤلاء البارزين المقربين من الأئمة من أكبر الأدلة على بطلان وجود نص على اثني عشر إمامًا ــ كما هي عقيدة الإمامية ـ ؛ لأنهم إما أن يكونوا لم يعلموا النص من الأئمة، وإما أن يكونوا قد علموا وتخلوا عن هذا الاعتقاد لبطلانه.**

ويجب القول بأن كل هذه الأدلة التي يذكرها البرقعي تنفي أمرًا مهمًا وهو أن الآيات التي يستدل بها الشيعة على الإمامة ـ وهي موجودة بين يدي كل الناس آنذاك ـ ليست نصًا صريحًا وإلا لما احتاج أمثال الثمالي وزرارة إلى أن يحتاروا في تعيين الأئمة ـ كما سبق ـ .

❀❀❀

---

(١) هكذا العبارة في الأصل المترجم.

(٢) أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي ، متكلم إمامي وصفه الذهبي بالعلامة ذو الفنون و بالشيعي المتفلسف صاحب التصانيف ، وهو ثقة عند الإمامية كما حكى الطوسي و الحلي. سير أعلام النبلاء ١٥/٣٢٧. الفهرست ٢٥١ ـ ٢٥٢. رجال النجاشي ٦٣. رجال ابن داود ١١٩. رجال الطوسي٤٢٠. رجال الحلي٣٩. الأعلام٢/٢٢٤.

(٣) هو أبو القاسم سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي (٣٠٠هـ وقيل قبلها بسنتن وقيل بعدها بسنة). فقيه إمامي ، ثقة عندهم، له كتاب الضياء في الرد على المحمدية والجعفرية، وكتاب فرق الشيعة.رجال النجاشي ١٧٧. رجال الحلي٧٨.

(٤) كسر الصنم ٣٥٥. مع ملاحظة أن البرقعي لم يضعف الأحاديث التي أتت بأصل البشارة بمهدي يأتي في آخر الزمان، وإنما ضعف الأحاديث التي يرويها الشيعة، والتي تقول بأن المهدي هو محمد بن الحسن. كما سيأتي في الفقرة التالية.

* المطلب الرابع *
* عقيدتهم بمهدوية (محمد بن الحسن) *

تشكل عقيدة الإيمان بمهدية محمد بن الحسن المحور الذي يدور حوله المذهب حاليًا، والأساس الذي يقوم عليه بنيان التشيع الإمامي اليوم، لأنه الحجة التي لا بد منها لبقاء الدين.

فبعد أن مات الإمام الحادي عشر الحسن العسكري ـ وليس له ولد في الظاهر ـ افترق الشيعة وتحيروا بسبب انتقاض ما اعتقدوه من تسلسل اثني عشر إمامًا، فافترق الشيعة إلى فرق شتى قيل: أربع عشرة فرقة كما يقول النوبختي[1]، وقيل: خمس عشرة كما يقول القمي[2]، وكان من هذه الفرق فرقة واحدة قالت بأن الحسن قد أعقب ولدًا اسمه محمد قد أخفاه خوفًا عليه، وهذه هي الفرقة الاثنا عشرية[3].

وقد تناول البرقعي مناقشة الإمامية في كون محمد ابن الحسن هو المهدي من ثلاثة جهات:

أولًا: ضعف الأحاديث التي تثبت مهدوية محمد بن الحسن.[4].

ثانيًا: عدم ثبوت ولادة محمد بن الحسن العسكري.

إذ يرى البرقعي أن الحسن العسكري لم ينجب، وأن محمدًا لم يولد أصلًا، وأن الأحاديث التي يرويها الكليني لإثبات ذلك كلها ضعيفة وساقطة[5].

ثالثًا: تصريح الإمام الحسن بأنه لم يعقب.

حيث يشير البرقعي إلى ما ذكره بعض المؤرخين عن الحسن العسكري كالقمي

---

(١) فرق الشيعة٩٦.

(٢) المقالات والفرق١٠٢.

(٣) انظر أصل مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية ٣/١٠٠٤ ـ ١٠٠٧.

(٤) كسر الصنم ٢٤٧، ٣١٩ ـ ٣٢٣.

(٥) انظر كسر الصنم ٣١٨. انظر (باب مولد الصاحب رضي الله عنه)[يعني المهدي] في الكافي ١/٥١٤ ـ ٥٢٥.

والنوبختي من أنه "لم يُرَ له خلف، ولم يُعْرف له ولد ظاهر، فاقتسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر وأمه"[(١)].

رابعًا: عدم علم أكثر الشيعة آنذاك بولادته، وهو ما صرح به كل من[(٢)]: محمد بن سعد الأشعري: الذي يعد من تلامذة الحسن العسكري. والحسن بن موسى النوبختي: وهو معاصر للحسن العسكري.

والخلاصة: أن البرقعي ينفي أن يكون محمد بن الحسن هو المهدي، معتمدًا على نفي ولادته أولًا، وعلى تضعيف الأحاديث التي تذكر ولادته ثانيًا، وبيان ضعف الآيات التي أرادوا الاستدلال بها على جواز إمامة الطفل ثالثًا، كما اعتمد رحمه الله على نفي بعض أعلام الشيعة الذين عاصروا المهدي - المُدَّعى - ووالده العسكري رابعًا، كما يعضد البرقعي نفيه بحقيقة تاريخية وهي عدم علم أغلب الطائفة بولادة الابن(المهدي) وتفرقهم بعد والده إلى طوائف.



---

(١) المقالات و الفرق ٩٦. فرق الشيعة للأشعري ١٠٢.

(٢) كسر الصنم ٢٤٨.

* المطلب الخامس *

* العصمة *

انتقد البرقعي رحمه الله تعالى الشيعة الإمامية في اعتقادهم عصمة الأئمة من الذنب والخطأ والنسيان[١]، وبيّن رحمه الله أن الأئمة أنفسهم علّموا الناس أن العصمة في النص الإلهي وليس في أشخاصهم، واستشهد البرقعي على ذلك بقول الإمام الباقر رحمه الله: "إذا وردكم عنا حديث فاسألوا أين ورد هذا في كتاب الله وفي أيّة آية (أي ما يؤيّده)"[٢].

ويقف البرقعي على دليل الإمامية المشهور في هذه المسألة -وهي آية التطهير- ليجيب على ذلك بأنّ الآية تدل على أن من تشملهم الآية غير معصومين أصلًا "لأن الله يريد أن يذهب عنهم رجسًا كان موجودًا ويزيله"[٣].

❁❁❁

(١) انظر مرآة العقول للمجلسي ٤/٣٥٢، الشيعة والتشيع لمحمد الحسيني الشيرازي٦٧.

(٢) كسر الصنم ١٤١. وجاء عن الباقر رحمه الله قوله: "انظروا ما أمرونا وما جاءكم عنا، فإن وجدتموه للقرآن موافقًا فخذوا به، وإن لم تجدوه موافقًا فردوه".الأمالي للطوسي١/٢٣٧.

(٣) كسر الصنم ٢٢٥.

* المطلب السادس *
* جوانب من الغلو في الأئمة *

ينكر البرقعي الغلو في الدين ويرى بأن الإسلام بريء من أشكال الغلو التي دخلت على المسلمين عمومًا سواء عند الشيعة أو السنة، ويرى بأن من صور الغلو التي دخلت في المذهب الإمامي:

١. القول بأن الأئمة هم أسماء الله وصفاته.

فقد أورد الكليني في الكافي كثير من الروايات التي تنصّ على أن الأئمة هم وجه الله وعينه ويده، ومنها:

عن أبي جعفر الباقر قال "..ونحن وجه الله نتقلب في الأرض بين أظهركم ونحن عين الله في خلقه ويده المبسوطة بالرحمة على عباده.."[1].

وعن أبي عبدالله الصادق:"إن الله خلقنا فأحسن صورنا وجعلنا عينه في عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة، ووجهه الذي يؤتى منه وبابه الذي يدل عليه، وخزّانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار، وجرت الأنهار وبنا ينزل غُيث السماء، وينبت عشب الأرض وبعبادتنا عُبد الله ولولا نحن ما عُبد الله".[2]

ويروون عن الصادق قوله:" نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا"[3] وغيرها من الرويات.

---

(١) الكافي ١/١٤٣ .
(٢) الكافي ١/١٤٤.
(٣) الكافي ١٤٣ـ ١/١٤٤.

موقف البرقعي:

يضعف البرقعي هذه الروايات كلها[(١)]، وينبه إلى مخالفتها للقرآن الكريم، فالله قد عين أسماءه، ومنها : (الرحمن) و(الله) و(الخالق) و (البارئ) و(المصور) ونحوها كما في قوله : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء١١٠] . وقال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحشر:٢٤] ولم يقل الله إن أسمائي هي الأئمة أبدًا. ثم يبين البرقعي أن الأئمة لم يتكلموا بهذا، وأن الرواة الكذابين "قد نسبوا ذلك إلى الإمام ليُحكموا ضربتهم للإسلام ! والكليني أصبح ناشرًا لهذه الخرافات ومقلدوه يقلدونه بلا علم[(٢)].

٢. تفضيل الأئمة على الأنبياء.

يرد البرقعي على بعض الإمامية الذين جعلوا منزلة الأئمة أفضل من منزلة الأنبياء[(٣)]،

---

(١) ضعف الحديث الأول: لأن فيه محمد بن سنان الكذاب(كسر الصنم١٠٤). والثاني: لأن رواته من الغلاة المشركين كما نقل عن المجلسي (كسرالصنم١٠٦). والثالث: لأن رواته مجهولين. والرابع: لأن من رواته حمزة بن يزيع الضعيف الذي روج لمذهب الواقفية بعد أخذه المال من البطائني، كما ذكر المقاني (كسر الصنم ١٠٦) . والخامس: سنده مجهول كما ذكر المجلسي(كسر الصنم١٠٥).

(٢) كسر الصنم ١٠٥.

(٣) يقول الدكتور القفاري:" وقد غدا هذا المذهب بعينه من أصول الاثني عشرية"، وممن قرر ذلك من علماء الإمامية :

١. الحر العاملي (صاحب الوسائل). فقد عقد بابًا فقال: "باب أن النبي والأئمة الاثني عشر ـ عليهم السلام ـ أفضل من سائر المخلوقات من الأنبياء والأوصياء السابقين والملائكة وغيرهم. وذكر أن الروايات عندهم في ذلك أكثر من أن تحصى. انظر: الفصول المهمة في أصول الأئمة١٥١ ،١٥٤.

٢. المجلسي (صاحب بحار الأنوار). عقد بابًا بعنوان: "باب تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء وعلى جميع الخلق وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق، وأن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحبهم صلوات الله عليهم". بحار الأنوار٢٦/٢٦٧.

٣. ابن بابويه القمي.(صاحب الاعتقادات). قال:" يجب أن يعلم أن الله عز وجل لم يخلق خلقًا أفضل من محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة... وأنه لولاهم ما خلق السماء والأرض ولا الجنة ولا النار ولا آدم ولا حواء ولا الملائكة ولا شيئا مما خلق صلوات الله عليهم أجمعين". اعتقادات ابن بابويه١٠٦ ـ ١٠٧.

٤. محمد بن الحسن الصفار(٢٩٠هـ) حيث عقد بابًا في كتابه بصائر الدرجات سماه: باب أن الإئمة (ع) أفضل من موسى والخضر. انظر بصائر الدرجات ٢٢٩. ط المرعشي ١٤٠٤هـ بقم.

٥. هاشم بن سليمان البحراني. صاحب كتاب: تفضيل الأئمة على الأنبياء، وكتاب: تفضيل علي عليه السلام على أولي العزم من الرسل. انظر الذريعة١/١١١.الأعلام ٨/٦٦.

٦. روح الله الخميني. حيث قال: "وإن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل". الحكومة الاسلامية/٥٢/ ط: المكتبة الاسلامية الكبرى / طهران.

معتبراً هذا القول من وضع الرواة الخرافيين الذين أسسوا قاعدة الغلو في المذهب.

مناقشة البرقعي لأدلتهم:

وقد استدل القائلون بأفضلية الأئمة على الأنبياء بآيات وأحاديث، أما الأحاديث فقد حكم عليها البرقعي بالضعف[1]، وأما الآيات فمنها:

أ - قول الله تعالى - في إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة: ١٢٤].

فالمفضلون للأئمة يفسّرون الآية بما رووه عن الصادق رحمه الله من قوله: "..وقد كان إبراهيم صلى الله عليه وسلم نبيًا وليس إمامًا حتى قال: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾.."[2]. فقد اعتبروا الإمامة مرتبة ثالثة خص الله بها إبراهيم بعد النبوة ثم الخلة ثم الإمامة[3].

وقد بين البرقعي أن ما يروى عن الصادق ضعيف، وأن الآية لا تدل على مرادهم من وجوه[4]:

الأول: أن القرآن يدل على أن الأنبياء هم من الأئمة، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤]، والقصد من الأئمة في هذه الآية سيدنا يعقوب وسائر أنبياء بني إسرائيل من ذرية إبراهيم كما في سياق الآيات.

الثاني: أن الإمامة بمعنى القيادة، وهذا واقع لكل الأنبياء، سواء كان النبي إبراهيم أم يعقوب أو غيرهما، لأن الأنبياء يقودون الناس للهداية عن طريق الوحي الإلهي.

الثالث: أن مقام النبوة لا ينال بالاكتساب، بل هو فضل من الله تعالى، بينما الإمامة مقام كسبي ينال بالسعي والعلم والعمل، كما قال تعالى – عن بعض المؤمنين: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ

---

(١) كسر الصنم ١٢٧ ـ ١٢٨.

(٢) انظر الكافي ١/١٧٤ ـ ١٧٥. والحديث ضعفه المجلسي والبرقعي لأن فيه درست بن منصور وهشام بن سالم، وأبو يحيى الواسطي. انظر: كسر الصنم١٢٨.

(٣) انظر تفسير الصافي للكاشاني ١/١٨٦. ط:الأعلمي ببيروت.

(٤) انظر الوجوه مفصلة في كسر الصنم١٢٨ ـ ١٣١.

﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝﴾ [الفرقان : ٧٤] وهنا يقول البرقعي: "تدل هذه الآية أن أي عبد صالح من عباد الله إذا سعى بالعلم والعمل ووفقه الله فاز بمرتبة إمام المتقين ، فهل يستطيع أي إنسان مهما اتصف بالتقوى والصلاح أن يجاوز مقام الأنبياء . والعياذ بالله ؟".

ثم يقرر رحمه الله بأن"أي مسلم إذا استطاع أن يكون عالمًا عاملًا فهو إمامًا هاديًا للناس، ولكن حتمًا لا يصل إلى مقام النبوة وأنى له أن يفوق الأنبياء" [1]

٣. القول بأن الأئمة هم أركان الأرض، ولولاهم لساخت.

ومن مظاهر الغلو التي ردها البرقعي : قول الغلاة: "إن الأئمة هم أركان الأرض"[2]، "وأن الأرض لو بقيت بغير إمام لساخت"[3]، وقولهم:" لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها، كما يموج البحر"[4]، حيث اعتبر البرقعي هذا كله من الغلو في الأئمة.

وحتى يتضح أن ما ينكره البرقعي - على من نعتهم بالغلاة – هو واقع عند بعض الإمامية اليوم، نورد شيئًا من أقوال المعاصرين:

يقول آية الله العظمى محمد الحسيني الشيرازي :" إن زمام العلم بأيديهم عليهم السلام حسب جعل الله سبحانه، كما أن زمام الإماتة بيد عزرائيل، فلهم عليهم السلام التصرف فيها إيجادًا وإعدامًا، (فلولاهم لساخت الأرض)، (لكن قلوبهم أوعية مشيئة الله تعالى)، فكما منح الله القدرة للإنسان على الأفعال الاختيارية منحهم القدرة على التصرف في الكون "[5].

ويقول: " فإذا فرض يومًا ما خلو العالم من الحجة، فسيفنى الكون وينعدم كل شيء، كما ورد في الحديث الشريف: «لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها» ."[6]

ويقول محمد الفاضل اللنكراني:" فواجبنا جميعًا اليوم هو الاعتراف بأنّ إفاضة

---

(١) كسر الصنم١٣٠ ـ ١٣١.

(٢) في الكافي باب بعنوان : باب أن الأئمة هم أركان الأرض. الكافي١/١٩٦ ـ ١٩٨.

(٣) ذكر الكليني في باب أن الأرض لا تخلو من حجة أثرًا عن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبد الله : أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال:لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت.الكافي١/١٧٩.

(٤) يروونها عن الباقر الكافي ١/١٧٩.

(٥) من فقه الزهراء عليها السلام ١/١٢ ط الثانية دار الصادق ، بيروت.

(٦) انظر: كتاب الإمام زين العابدين قدوة الصالحين للشيرازي.

http://www.14masom.com/14masom/06/mktba6/book08/04.htm

كافّة النعم الظاهرية والباطنية هي بواسطة وجوده المقدّس: (لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها)؛ ففي الحقيقة هو ولي النعم للبشرية جمعاء والشكر لهذه النعم هو إحياء ذكراه في كافّة شئوننا الخاصّة والعامة، داخل البلاد وخارجها"[١].

وممن يقرر ذلك أيضًا محمد تقي المدرسي[٢]، ومحمد سعيد الطبطبائي الحكيم[٣]، وجعفر مرتضى العاملي وغيرهم[٤].

فيتضح من هذا أن هذا الاعتقاد الغالي لا يزال له وجود في الساحة الإمامية، وإن كنا لا ننسب هذا إلى الجميع لوجود من لا يقبل بمثل هذه الدرجة من الغلو.

موقف البرقعي:

يضعف البرقعي كل هذه الرويات، ويرى أنها تخالف العقل والقرآن بشكل واضح، حيث قرر القرآن بأن الله ثبت الأرض بالجبال كما قال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥][٥].

هذه بعض صور الغلو التي وقع بها مذهب الإمامية، وقد أجملت ردّ البرقعي عليها[*]، والله أعلم.

❀❀❀

(١) انظر خطاب (نداء بمناسبة الخامس عشر من شعبان) تجده في موقعه
http://www.lankarani.org/Arabic/neda/p005.html.

(٢) ليلة القدر معراج الصالحين للمدرسي –فصل محطة مسئولية
http://www.almodarresi.com/books/675/sq0wgdhk.htm

(٣) انظر سؤال رقم ١١ في موقعه
www.alhakeem.com/arabic/mrg/mrg1/002.htm - 43k

(٤) انظر كتاب كربلاء فوق الشبهات – صفحة الإهداء.

(٥) كسر الصنم ١٥٣.

- للاطلاع على بعض صور الغلو الأخرى والتي رد عليها البرقعي انظر :

١.ردّه على قولهم بأن الأئمة لهم أرواح خاصة (كسر الصنم ٢٠٧ - ٢٠٩و٢٧١ - ٢٧٢).

٢.ردّه على قولهم بأن العقول تحار في وصف شأن الإمام (كسر الصنم١٥٤).

٣.ردّه على قولهم بأن عصا موسى وآيات الأنبياء عند الأئمة (كسر الصنم ١٨٤).

* المطلب السابع *
* موقفه من القرآن *

يرى البرقعي بأن القرآن الذي نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم محفوظ من التحريف والتبديل لأن الله تعالى قد تكفل بحفظه ، كما قال جل وعلا: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

كما يقرر البرقعي أن القول بتحريف القرآن من الأقوال المنكرة التي أتى بها الرواة الكذابون، ويأسف البرقعي لاعتراف طائفة كبيرة من علماء الشيعة بما نُسِب إلى الصادق رحمه الله من طريق علي بن الحكم وهشام بن سالم أنه قال:(إن القرآن الذي جاء به جبرائيل إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم سبعة عشر ألف آية[١])[٢].

وهنا يقول البرقعي : "على القارئ أن يعلم أن القرآن المتواتر بين المسلمين من صدر الإسلام إلى عصرنا هذا لا تزيد آياته على ٦٢٣٦ آية ليدرك بسرعة أن هذه الرواية تريد أن تقول: إن قرابة أحد عشر ألف آية قد حذفت من القرآن وسرقت ولم يعلم بها أحد إلا علي بن الحكم وهشام بن سالم وقد سمعا ذلك من الإمام هما فقط" [٣]

(١) ذكر المجلسي في كتاب(مرآة العقول)١٢/٥٢٥ أن خبر: "إن القرآن الذي جاء به جبرائيل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم سبعة عشر ألف آية" قال:لا يخفى أنّ هذا الخبر وكثير من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره وعندي أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأسًا، بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة فكيف يثبتونها بالخبر؟[أي كيف يثبتون الإمامة بالخبر إذا طرحوا أخبار التحريف؟]. وانظر قول أبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (انظر تفسيره ١/١٠) وأبي القاسم الكوفي (٣٢٥هـ) انظر(كتابه الاستغاثة ٢٥) و أبي منصور الطبرسي في كتابه الاحتجاج(١/٣٧،٣٧٦،٣٧٠،٢٢٤) و الكشي في تفسير الصافي (١/٣٤،٣٣،٣٢) و نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية ٢/٣٥٧ ـ ٣٥٨ والنوري الطبرسي في كتابه فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب.

(٢) الكافي ج٢ باب فضل القرآن الحديث ٢٨.

(٣) كسر الصنم ٣٦٩.

موقفه من التأويلات الفاسدة:

إن التأويل الفاسد للآيات من الأمور المذمومة التي كان للبرقعي موقفًا معارضًا لها، حيث بين أنها من وضع الضلّال الذين أرادوا اللعب بعقول المسلمين، كما بين رحمه الله أن صنيعهم هذا هو من العبث والاستهزاء بكتاب الله[١].

وقد تعجب البرقعي من كثير من علماء الشيعة الذين قبلوا تلك التأويلات كالمجلسي الذي وصفه بأنه "يؤول ويقبل الخرافات التي في الكافي"[٢].

أمثلة للتأولات الفاسدة وموقف البرقعي منها :

ومن أمثلة التأويل الفاسد تفسير "الآيات" في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ۝ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ۝﴾ [القمر: ٤١ ــــ ٤٢] حيث فسر البعض الآيات هنا بالأئمة[٣]، وهنا يبين البرقعي أن هذا التأويل ـ المُفْتَرى على الباقر ـ فاسدٌ لأن الحديث في الآيات عن آل فرعون ، كما يستبعد البرقعي أن تكون الآيات التي كذب بها آل فرعون هم الأئمة[٤].

ونحو ذلك تفسير قوله ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ۝﴾ بأنه علي رضي الله عنه[٥]، مع أن الآية في سياق لا تحتمل هذا، فقد بيّن البرقعي أن هذه الرواية تعني أن الكفار لما كذبوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا له لن نقبل رسالتك، قال الله لهم إن عليا وذريته يشهدون للرسول بصدق رسالته، وهنا يقول البرقعي: "هل يعقل أن يقول الكفار إننا لا نقبل رسالتك فيقول الله الحكيم لهم: اذهبوا واسألوا عليًّا وهو طفل في بيت رسول الله حيث تكفي شهادته"[٦].

---

(١) كسر الصنم ٢٧٣،١٥٧.

(٢) كسر الصنم ١٥٧.

(٣)أورد الكليني في الكافي أثرًا عن يونس بن يعقوب رفعه إلى أبي جعفر[الباقر] رحمه الله في قوله عز وجل ﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾ يعني الأوصياء كلهم. الكافي ٢٠٧/١.

(٤) كسر الصنم ١٥٧.

(٥) عن يزيد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ﴿قل كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾. [الرعد:٤٤] قال: إيانا عنى، وعلي أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وسلم وانظر تفسير القمي فقد فسرها هذا١/٣٦٧.

(٦) كسر الصنم ١٨١.

● نقده للبعد عن القرآن:

ينتقد البرقعي رحمه الله واقع الإمامية في وقته المتمثل في بعد كثيرٍ من أتباعها عن القرآن الكريم دراسة[(١)] وتدبرًا وتحاكمًا، ويلخص أسباب هذا الواقع في سببين:

السبب الأول: الروايات التي تقرر بأن الذين يفهمون القرآن هم الأئمة فقط.

ففي مرويات الكليني وغيره روايات كثيرة تقرر بأن القرآن كله متشابه [بمعنى غامض] وأنه لا يعلم تفسيره وبيانه إلا الأئمة وأما بقية الناس فنظرهم في القرآن قد يؤدي بهم للوقوع في الفتنة[(٢)].

ويرى البرقعي بأنّ "كثيرًا من الناس قد تنحوا عن القرآن وابتعدوا عنه بسبب هذه الروايات المختلقة"[(٣)].

ويرى البرقعي بأن القرآن بيّن وواضح في مجمله لكل أحد، ويرد على هذا الاستدلال بما يلي:

١. أن الله وَصَفَ كتابه بأنه: ﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ [العنكبوت:٤٩] ووصفه بأنه: ﴿كِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝﴾ [المائدة: ١٥] وأنه ﴿بيان للناس﴾ [آل عمران: ١٣٨]، ولهذا أمرنا الله بتدبره فقال ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، لهذا قرر أبو الفضل أنه "هل يمكن أن ينزل الله آيات لا يفهمها أحد ثم يلزمنا بفهمها والعمل بها ويوجب العقاب على عدم فهمها والعمل بها ؟! إن

---

(١) مما يدل على بعد شريحة من الشيعة الإمامية عن القرآن قول آية الله العظمى الخامنئي: (مما يؤسف له أن بإمكاننا بدء الدراسة ومواصلتنا لها إلى حين إجازة الاجتهاد من دون أن نراجع القرآن ولو مرّة واحدة..لماذا هكذا؟ لأن دروسنا لا تعتمد على القرآن) ويقول أيضًا: (إذا أراد شخص كسب أي مقام علمي في الحوزة العلمية كان عليه أن لا يفسر القرآن حتى لا يتهم بالجهل ...بحيث كان ينظر إلى العالم المفسر الذي يستفيد الناس من تفسيره على أنه جاهل ولا وزن له علميًّا، لذا يضطر إلى ترك درسه..ألا تعتبر ذلك فاجعة .انظر ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية للدكتور جعفر الباقر ـ دار الصفوة ص ١١١.

(٢) انظر بعض هذه الروايات في كتاب الكافي باب أن الراسخين في العلم هم الأئمة ٢١٣/١ ففيه رواية عن جعفر الصادق" نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله" .

(٣) كسر الصنم ١٦٣ .

هذا عين الظلم والاستبداد والله سبحانه منزه عنه"[١].

ويقول:" يجدر القول أنه إذا كان دين الإسلام عامًّا فلابد أن يكون سهلاً، والله تعالى كلامه أبين من كل بيان، وأعلم من كل علم وقد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾[٢].

٢. أن استدلال أصحاب فكرة البعد عن القرآن بقوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ استلالال مغلوط؛ لأن التأويل[٣] – الوارد في الآية – في نظر البرقعي بمعنى" التحقق الخارجي " الذي لا يعلم كيف سيقع إلا الله، ويمثل البرقعي بقول الله تعالى - حكاية عن يوسف -:﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ [يوسف: ٤] حيث "يستطيع كل إنسان أن يفهم معنى الآيات وتفسيرها، أما التحقق الخارجي للآية فلم يعرفه أحد حتى وصل يوسف إلى الملك والسلطة، وجاء إخوة يوسف وأبوه وأمه وخضعوا لعظمته، هنا قال سيدنا يوسف عليه السلام: هذا تأويل رؤياي من قبل.

كما يمثل البرقعي على مراده بمثال آخر، وهو قول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [النبأ: ١٨]، فيقول: كل أحد يعرف معنى هذه الآية، حيث ينفخ الصور يومًا ويأتي الناس أفواجًا، أما الوجود الخارجي للصور وتحققه في الخارج على أي كيفية تكون، لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى»[٤].

---

(١) كسر الصنم ١٦٣ ـ ١٦٤.

(٢) كسر الصنم ٢٥٢.

(٣) التأويل له معنيان في اللغة: الأول: بمعنى العاقبة والمرجع والمصير. والثاني: بمعنى التفسير والبيان. وأما في الاصطلاح فيطلق على ثلاثة معان: الأول : بمعنى تفسير الكلام وبيان معناه، ومنه قوله تعالى: (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرًا). والمعنى الثاني : ما يؤول إليه الكلام، أو حقيقة ما يقع عليه الكلام في الخارج، ومنه قوله تعالى: (هذا تأويل رؤياي). والثالث:هو صرف اللفظ عن ظاهره، والأخير هو الذي يراد في اصطلاح المتأخرين. تهذيب اللغة١٥/٤٥٨. الصحاح للجوهري ٤/١٦٢٧ ـ ١٦٢٨.لسان العرب١١/٢٣ ـ ٣٣. ظاهرة التأويل وصلتها باللغة د. أحمد عبد الغفار ط دار الرشيد.مجموع الفتاوى١٣/٢٨٨ ـ ٢٨٩.

(٤) كسر الصنم ١٦٤. اختلف أهل العلم في المتشابه المذكور في الآية: هل يمكن لأحد أن يعلمه، أو هو مما استأثر الله بعلمه؟ على قولين: الأول : أن المتشابه لا يعلمه إلا الله، وهؤلاء هم الذين اختاروا الوقف في الآية على قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾، وهذا مذهب الجمهور.ثم يختلف هؤلاء في معنى (المتشابه) على أقوال.

=

٣. قول الكليني (الراسخون في العلم هم الأئمة) مخالف للقرآن واللغة وكلام الأئمة.

ـ فالقرآن: قد وصف علماء اليهود الذين يعرفون البشارة بمحمد بالراسخين في العلم كما في قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ﴾ فـ"إذا قيل لعلماء اليهود أنهم الراسخون في العلم فيكون علماء المسلمين من باب أولى راسخين في العلم"[١]

ـ وفي اللغة: "الراسخ في العلم يعني الذي يكون ثابتًا في العلم وراسخًا في المسائل لا يتزعزع ولا يتحير"، "وهذا القدر غير محصور لأحد"[٢].

ـ كما استدل البرقعي ـ على عموم معنى الراسخين في العلم ـ بقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: (واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السّدود المضروبة دون الغيوب، والإقرارُ بجُملةِ ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح اللّهُ اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علمًا وسمّى تركهمُ التعمق في ما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخًا، فاقتصر على ذلك)[٣].

= الثاني: أن تأويل التشابه مما يعلمه الراسخون في العلم، لأن الله لا يتعبد الناس بخطاب لا سبيل إلى فهمه. وهو مما صح عن ابن عباس ومجاهد، وبه قال ابن قتيبة والنووي وابن تيمية وآخرون. والشيعة على هذا القول ولكنهم حصروا الراسخين بالأئمة ـ كما مر ـ وأما القائلون بذلك من أهل السنة فقد جعلوا ذلك عامًّا في كل من رسخ في العلم، وعلى قول هؤلاء يكون كل ما في الكتاب يمكن فهم معناه، وإن كان ثمة أشياء لا تعلم فهي في الكيفيات لا المعاني، كالنفخ في الصور، والجنة وغيرها مما يعلم معناها ولا يعلم كيفيتها إلا الله، وأما الحروف المقطعة فإنها على الأقرب ليست كلمات ذات معان فلا تدخل في ما أمرنا بالتدبر فيه أصلًا. انظر تفسير الطبري٣/١٨٣ ـ ١٨٦. معالم التنزيل للبغوي ٣/١٠ ـ ١١. تفسير القرطبي٤/١٢ ـ ١٤. فتح القدير للشوكاني١/٣١٥ ـ ٣١٧.التفسير الصحيح ١/٤٠٠. شرح صحيح مسلم للنووي١٦/٢١٨،مجموع الفتاوى١٧/٤٠٠.قواعد التفسير للشيخ الدكتور خالد السبت٥٢٠، ٦٦٢، ٦٦٩. موقف المتكلمين للغصن١/٣٩٠ ـ ٤١٢.

(١) كسر الصنم١٦٥.

(٢) كسر الصنم١٦٥.

(٣) نهج البلاغة خطبة٨٩.

ف"بناءً على قول سيدنا علي فإن من لا يدخل في الغيبيات معترفًا بعجزه وجهله هو من الراسخين"[١] .

***والخلاصة :** هي أن البرقعي يقرر بأن القرآن كله بيّن وواضح، وليس في القرآن ما لا يعرف معناه، ولهذا أمرنا الله بتدبره والتفكر فيه كله.

كما يرى بأن التأويل المذكور في قوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) بمعنى ما يؤول إليه الأمر، أي في الكيفية، وهذا التأويل مما لم نكلف به ولم يرتبط به عمل.

***تنبيه هام :**

ويجدر بنا أن نذكر أن قسمًا من الإمامية من لم يوافق الرواة الغلاة في هذه المسألة ، ومن أبرزهم المفسّر الطوسي، حيث قال :" والذي نقول في ذلك أنه لا يجوز أن يكون في كلام الله تعالى وكلام نبيه تناقض وتضاد، وقد قال تعالى : "إنا جعلناه قرآنًا عربيًا" وقال: "بلسان عربي مبين" وقال:"و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه" وقال:"فيه تبيان لكل شيء" وقال" ما فرطنا في الكتاب من شيء" فكيف يجوز أن يصفه بأنه عربي مبين، وأنه بلسان قومه، وأنه بيان للناس ولا يفهم بظاهره شيء؟ وذلك منزه عن القرآن .

وقد مدح الله أقوامًا على استخراج معاني القرآن فقال:"لعلمه الذين يستنبطونه منهم"، وقال في قوم يذمهم حيث لم يتدبروا القرآن، ولم يتفكروا في معانيه:"أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها"، وقال إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي". فبين أن الكتاب حجة، كما أن العترة حجة، وكيف يكون حجة ما لا يفهم منه شيء؟ وروي عنه عليه السلام أنه قال:"إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فاقبلوه، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط"، وروي مثل هذا عن أئمتنا عليهم السلام، وكيف يمكن العرض على كتاب الله، وهو لا يفهم منه شيء؟ وكل ذلك يدل على أن ظاهر هذه الأخبار متروك، والذي نقول به أن معاني القرآن على أربعة أقسام: [وهي باختصار كلامه]: قسم اختص الله بعلمه ومثل له بعلم الساعة. وقسم ظاهره مطابق لمعناه يعرفه كل من عرف اللغة ، مثل "قل هو

---

(١) كسر الصنم ١٦٥.

الله أحد" ونحوها. وقسم مجمل بينه غيره ،مثل " وأقيموا الصلاة". وقسم لفظه مشترك، لا يقطع بأحد المعنيين ما لم يدل الدليل على ذلك[١].

وبهذا نعلم أن بعض علماء الإمامية لم يوافقوا الرواة الكذابين الغالين في قولهم بأن القرآن غامض لا يفهم من ظاهره شيء، والله أعلم.

السبب الثاني : القول بأن القرآن غير كاف للأمة.

مما لا شك فيه أن الله جل وعلا قد أنزل كتابه ليكون مصدرًا كافيًا لهداية الناس إلى كل خير، وصدهم عن كل شر، وليس في الوجود كتاب يصلح لأن يكون بهذه الصفة غير القرآن الذي أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

والعجيب أن فئة من الإمامية لم يكتفوا بالطعن في سلامة النص القرآني من النقص والزيادة، ولم يكتفوا أيضًا بما ادعوه من أن القرآن لا يفهمه إلا الأئمة، بل زعموا أن القرآن غير كاف للهداية بل صرح بعضهم بأنه فتنة، وأن الكفاية لا تحصل إلا بكلام الأئمة، مع أن كلامهم مختلط بكثير من الكذب، لتكون النتيجة: أن الحجة في المختلط بالكذب، وليس في القرآن.

وقد وقف البرقعي رحمه الله تعالى مع ما نقله بعض علماء الشيعة الإمامية عن محمد بن الحسن (المهدي الغائب) من قوله في الثناء على كتاب الكافي: "كاف لشيعتنا"، ثم يقول رحمه الله: كيف يكون كتاب الله الذي هو نور وهداية غير كاف للأمة، أما كتاب الكافي فيكون كافيًا ؟ هل كتاب الكافي أحسن وأوضح وأكثر علما من القرآن؟ هل يقول مثل هذا الكلام أي مسلم يؤمن بالقرآن فضلًا عن الإمام؟[٢].

كما بين البرقعي أن القرآن كافٍ لهداية للناس بدلالة القرآن وبما قاله الأئمة، فالقرآن جاء بأوصاف للقرآن؛ تبين مدى الكفاية فيه، ومن تلك الأوصاف[٣]:

١. أن الله حصر الهداية بالقرآن في آيات كثيرة،منها قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

---

(١) التبيان ١/٤ـ ٧. وبنحو ذلك قال الطبطبائي في تفسيره (انظر:كتاب مطارحات قرآنية٥٥).

(٢) انظر:كسر الصنم ٣٤ـ ٣٥.

(٣) انظر:كسر الصنم ٣٥ـ ٣٦.

٢. أن الله جعله سببًا للهداية في آيات كثيرة، منها قوله على لسان خير المهتدين ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ : ٥٠]

٣. أن الله صرح بأنه كاف للهداية في مثل قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٥١].

٤. أن الله وصف الذين يعرفون أن القران كاف للهداية بالعلم في مثل قوله تعالى : ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦] يقول البرقعي: "فالذين لا يعتبرون القرآن كافيا للهداية لابد أنهم سفهاء"

وغيرها من أنواع التصريحات الربانية في القرآن على كون القرآن كتاب هداية.

كما أن البرقعي استشهد ببعض ما جاء عن علي رضي الله عنه على أن القرآن مصدر كاف للناس. ومن ذلك :

- قول أمير المؤمنين:(كفى بالكتاب حجيجا وخصيما)[(١)].
- وقوله أيضا في التعليق على قوله تعالى : ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠].قال علي رضي الله عنه :"فالرد إلى الله الرد إلى كتابه"[(٢)].

وبهذا يكون البرقعي قد بين أن القرآن هو المصدر الكافي للهداية، خلافا لما أراده الغلاة من صد الناس عن القرآن وربطهم بالمرويات المختلطة بالزور والكذب الكثير.

رابعًا : نقد البرقعي لدعوى ظنية الكتاب :

من المسائل المقررة في مذهب الشيعة الإمامية –لاسيما المتأخرين منهم ـ اعتقادهم ظنية دلالة النصوص القرآنية ما لم توافق قول الإمام[(٣)]، ويروون في هذا عن علي

(١) كسر الصنم ٣٥. وانظر: نهج البلاغة خطبة٨١.

(٢) كسر الصنم ٣١. وانظر: نهج البلاغة خطبه ٥٣.

(٣) أشد فئات الإمامية تطرفًا تجاه حجية القرآن هي فئة الإخباريين، حيث يقررون بأن ظواهر القرآن وبواطنه ليست حجة على الناس لأن علمها منوط بالأئمة والحجة في كلام الإئمة وتفسيرهم للقرآن، بينما يرى

رضي الله عنه أنه قال: "هذا كتاب الله الصامت، وأنا كتاب الله الناطق"[١].

موقف البرقعي:

اعتبر البرقعي هذه الدعوى مردودة بدلالة القرآن وبما جاء عن الأئمة رضي الله عنهم:

فالقرآن بيّن بوضوح أن الله تعالى جعل كتابه الحكم عند النزاع ، قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠] وقال ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩].[٢]

كما بين البرقعي أن الله تعالى أخبر أن القرآن هو حجته بعد الرسل على كل الناس، سواء في ذلك العالم أو الجاهل أو الإمام أو المأموم، قال جل وعلا: ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥﴾ [النساء: ١٦٥][٣].

أما كلام الأئمة ففيه الكثير من التصريح بأن حجة الله تعالى على عباده قامت بالقرآن، وليس بهم أو غيرهم. وقد استشهد البرقعي على ذلك بشيء من ذلك منها:

١. قول أمير المؤمنين - عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - :(أرسله بحجة كافية)[٤] يعني القرآن.
٢. تصريح علي رضي الله عنه بأن القرآن كاف للعباد، حينما قال: (كفى بالكتاب

الأصوليون بأن ظواهر القرآن حجة - وإن كانت ظنية الدلالة - لعموم الأدلة في الدعوة لتدبر القرآن وفهمه. وممن صرح بظنية دلالة القرآن من الإمامية:ابن الشهيد الثاني في (المعالم ١٩٢) والمحقق البحراني في(الحدائق الناضرة١/٨٧) والوحيد البهبهاني في (الرسائل الفقيهة٢٢٤) والميرزا القمي في (قوانين الأصول٣٠٩) ومحمد تقي الحكيم في (الأصول العامة للفقه المقارن٢٤٣) وغيرهم.وانظر أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية١/١٧٢ - ١٧٣.

(١) الفصول المهمة للحر العاملي٢٣٥.

(٢) انظر كسر الصنم ١٢٥ - ١٢٦.

(٣) انظر كسر الصنم ٤٠ .

(٤) كسر الصنم ٣٥ . وانظر: نهج البلاغة ،خطبة رقم ١٥٩.

حجيجًا وخصيما)[١].

ولا يخفى على المتأمل أثر الفكر الاعتزالي الذي لحق الشيعة وغيرهم، في نشأة فكرة ظنية النصوص التي نزل بها جبريل، وقطعية الدلالات العقلية التي تختلف فيها العقول[٢]، حتى وصل الحال ببعض متأخري المعتزلة إلى القول بأن التمسك بمجرد ظواهر الكتاب والسنة يعد من أصول الكفر[٣].

* نتائج عقائد الغلاة تجاه القرآن في نظر البرقعي:

يرى البرقعي أن خلاصة العقائد التي روج لها الغلاة ـ بعد قولهم بالتحريف ـ تئول إلى اعتقادين باطلين حيال القرآن، هما:

الأول: أننا لا نفهم القرآن، وأنه ظني الدلالة ما لم يوافق قول الإمام، فليس علينا النظر في القرآن.

الثاني: أن كلام الأئمة صعب مستصعب[٤]، يشق فهمه، والتصديق به ـ في بعض الأحيان ـ لما فيه من الغرائب والأقوال التي تحير العقول.

وتكون نتيجة هذين الاعتقادين ما يلي[٥]:

١ـ أن الناس معذورون لأن الله قد حير الناس حين أنزل كتابًا ظني الدلالة وغير واضح ما لم يوضحه الإمام، الذي يتكلم بكلام صعب على العقول، والله كما أخبر عن نفسه بأنه﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٢ـ بحسب هذا الاعتقاد ـ يكون الله قد أحال الناس من الكتاب الذي وصفه بأنه سهل (ولقد يسرنا القرآن للذكر) إلى الصعب وهو كلام الأئمة، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

---

(١) كسر الصنم ٣٥ .وانظر: نهج البلاغة خطبة رقم ٨١.

(٢) مع ملاحظة أن المعتزلة يقولون بثبوت النص القرآني خلافًا لغلاة الإمامية الذين يطعنون في النص ويقولون بظنية الدلالة.

انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ٦٠١ ـ ٦٠٢.

(٣) انظر: شرح أم البراهين للسنوسي ٢١٧،(مجموع الفتاوى ٢/١٢٧، ٢٣٦).

(٤) انظر: الكافي باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب ١/٤٠١ ـ ٤٠٢.

(٥) هذه النتيجة هي من لوازم قولهم، ويجب أن يعرف بأننا لا نقول بأنهم يقولون بهذه اللوازم، بل نستدل على بطلان اعتقادهم بلزوم قولهم لهذه اللوازم؛ لأن القول الحق لا يلزم عنه باطل، بخلاف الأقوال الباطلة فإن لوازمها الباطلة تدل على زيفها.

* يقول أبو الفضل رحمه الله:

" ولكن ما يثير العجب من علماء زماننا أنهم يقولون: إن القرآن وآياته مشكل وظني الدلالة ولا بد أن يُعرض على أحاديث الأئمة ويجب قبول ما قاله الأئمة في أحاديثهم في تفسير القرآن ، مع أن الأئمة قالوا : حديثنا صعب مستصعب والقرآن سهل وبيّن، حيث قال الله مرارًا في كتابه العزيز : (ولقد يسرنا القرآن) (هدى للناس) (وبيان الناس) (وهدى وموعظة) (وهذا بلاغ للناس) (هذا بصائر للناسر ى ورحمة) وغير هذا كثير بحيث يستطيع أن يفهم القرآن أبسط الناس ، يعني يمكن أن يفهموه بالتدبر ، ولكن أحاديث الأئمة حسب قولهم لا يفهمها سوى الأنبياء والملائكة والمؤمن المتحقق فقط !.

إذن من أجل أن نفهم القرآن يجب أن نرجع إلى أحاديث الأئمة ، وهذا يعني الرجوع من السهل إلى الصعب ، وهذا أمر باطل ونكون كمن يبحث عن شيء في وضح النهار ثم يرجع إلى الذي يحمل بيده شمعة ليجده له. وأما الإشكال الوارد على هذه الروايات فهو إذا كان حديث آل محمد صعب ومستصعب إلى هذا الحد بحيث لا يفهمه سوى الأنبياء والملائكة فبقية الناس معذورون لأنه:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ولم يطلب الله إلى العامة فهم الشيء الصعب ، فيكون الناس معوقين عن ذلك"[1].

* **والخلاصة :** أن البرقعي يقرر بأن القرآن محفوظ من التحريف ـ خلافا لمن قال به من الشيعة ـ ، وأن القرآن هو حجة الله الواضحة البينة، التي لا تحتاج إلى قيّم من أجل أن يُفهم، وأن الرواة الغلاة وأتباعهم أرادوا إبعاد الناس عن القرآن حين ادعوا بأن القرآن صعب الفهم وظني الدلالة وأنّ الحجة في كلام الأئمة الذين لا يفهم القرآن غيرهم، وللأسف فقد نجحوا ـ كما يرى البرقعي ـ في إبعاد كثير من الإمامية عن القرآن.



(١) كسر الصنم ٢٧٩.

* المطلب الثامن *
* موقفه من الصحابة *

من المسائل الجوهرية في الخلاف بين طائفة الإمامية وبقية المسلمين موقفهم من الصحابة رضي الله عنهم ، حيث يشكك الإمامية في إيمان أغلب الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما يشككون في نواياهم تجاه نصرة الإسلام ، بينما نجد بقية المسلمين يُنزِلون أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنزلة العالية التي ذكرها الله بقوله: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠] وفي مقابلهم فئة أخرى هي الأقل وهم المنافقون الذين أخبر الله عن نسبتهم في مجتمع المؤمنين آنذاك بـ(من التبعيضية)بقوله:﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾ [التوبة١١١] فيؤمن عموم المسلمين بأن الصحابة خير المسلمين وأنهم يتفاوتون في الفضل فيما بينهم، ولكن أقلهم منزلة خير ممن بعدهم لشرف الصحبة، خلافًا لمن قال من الشيعة: بأن أغلبهم كانوا من المنافقين ، أو أنهم ارتدوا بعد النبي إلا قليلًا منهم.

<u>البرقعي يناقش الإمامية في الموقف من الصحابة</u>[1]

أنكر البرقعي على مذهب الإمامية الطعن في أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، واعتبر رحمه الله الصحابةَ خيارًا عدولًا بدلالة القرآن والعقل والواقع وبدلالة ما جاء عن الأئمة من الثناء عليهم.

* دلالة القرآن:

ففي القرآن يجد البرقعي كثيرًا من الآيات التي تثني على الصحابة بحيث لا يمكن قبول الطعن الذي يدعيه الإمامية، ومنها:

(١) ناقش البرقعي مسألة الصحابة بشكل واضح و مركز في كسر الصنم ٢١٥ ـ ٢٢١ .

- قول الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠]
- وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [التوبة : ٩٨]
- وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [التوبة : ٢٠]
- وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنفال : ٧٤]
- وقوله: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبة : ١١٧]
- وقوله: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح : ١٨] حتى يصل إلى قول: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح : ٢٩]

وغيرها من الآيات، التي يرى البرقعي أنها تثني على الصحابة الكرام بما لا يتفق مع الطعن فيهم بالنفاق أو الردة.

* دلالة العقل:

وهنا يتساءل البرقعي :"هل هؤلاء المهاجرون الأولون الذين رضي الله عنهم ووعدهم الجنة الخالدة والفوز العظيم فهل هؤلاء هم الذين اغتصبوا حق علي ؟... هل كان الله سبحانه يجهل . نعوذ بالله . أنهم سوف يفعلون ذلك ومع ذلك أهملهم وتركهم

يتمكنون؟"، و"إذا كانوا كفارًا ومرتدين فبمن تتعلق هذه الآيات التي تثني على المهاجرين والأنصار ؟ هل توفي كل هؤلاء المهاجرين والأنصار الذين أثنى الله عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم أنهم خافوا من أبي بكر وعمر؟".

كما يسأل البرقعي من يتبنى القول بردة الصحابة، فيقول:"قولوا لنا : هل كان جيش أبي بكر سوى هؤلاء المهاجرين والأنصار؟ هل كان لأبي بكر أفواج من السافاك والحرس (الثوري) أم تراه جهز جيشًا من الخارج ، أم أنه. نعوذ بالله. اشترى جميع المهاجرين والأنصار بمبالغ كبيرة كان يرشوهم بها ؟. أم ترى كانت له قبيلة كبيرة في المدينة ؟".

وبهذا نعلم أن البرقعي يستبعد" أن يكون الله سبحانه قد مدح المهاجرين والأنصار إلى هذا الحد ووعدهم المغفرة والجنة ثمَّ كان يجهل ــ نعوذ بالله ـ عاقبة أمرهم من أنهم سيرتدون كما يدعي الغلاة وأنهم سوف يغصبون حق علي"[١] .

* دلالة الواقع (التاريخ):

ومن دلائل التاريخ التي يشير لها أبو الفضل هي:

- وقوف الصحابة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم .
- هجرتهم معه إلى المدينة، تاركين وطنهم وبيوتهم كما أخبر الله عنهم.
- جهادهم معه بأموالهم وأنفسهم حتى في وقت شدّة الحر كما في الآيات.
- عدم تخلف أكثرهم عن الحج معه
- خروجهم في الجيوش بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنشر الدين.
- وقوف علي رضي الله عنه مع الخلفاء بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وتقديمه النصرة والمشورة[٢] .

وغيرها من الشواهد التاريخية التي لا ينسجم معها القول بردة أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

أقوال الأئمة في الثناء على الصحابة:

لقد ورد عن الأئمة عليهم من الله الرضوان كثير من الروايات الدالة على ثنائهم على الصحابة، ومن هذه الروايات التي استدل بها البرقعي[٣] :

---

(١) كسر الصنم٢١٦ ـ ٢١٧.
(٢) كسر الصنم ٢٢١.
(٣) كسر الصنم ٢٢١.

أ. ما ذكره علي رضي الله عنه من مدحه لهم وحزنه على فراقهم ، حين قال: (أوّه على إخواني الذين قرءوا القرآن فأحكموه وتدبروا الفرض فأقاموه وأحيوا السنة وأماتوا البدعة ، دُعوا للجهاد فأجابوا ووثقوا بالقائد فاتبعوه)[١].

ب. ما جاء عن الإمام الرابع علي بن الحسين(زين العابدين) من تمجيده إياهم، ففي دعائه الذي يروونه أنه يقول : (اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحابة والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره وأسرعوا إلى وفادته وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته وانتصروا به ... اللهم وصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) خير جزائك الذين قصدوا سمتهم وأتْمروا وجهتهم ومضوا على شاكلتهم ... إلى آخر الدعاء)[٢] . يقول البرقعي : "إذا كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا جميعًا وكانوا غاصبين ، فلماذا يدعو لهم سيدنا السجاد وسائر الأئمة ويمجدونهم ؟"[٣]

موقف البرقعي من الخلفاء الأربعة.

يرى أبو الفضل رحمه الله أن الخلفاء الأربعة أول من يدخل في الآيات التي أثنى الله بها على الصحابة رضي الله عنهم[٤]. كما يرى أن أبا بكر رضي الله عنه هو أفضل الصحابة رضوان الله عليهم. فقد قال عن حادثة السقيفة:" لقد اجتمع هؤلاء الأخيار الذين أثنى الله عليهم في كتابه واختاروا أفضلهم لحفظ كيان الإسلام وطلبًا لرضا الله"[٥] .

---

(١) نهج البلاغة/ خطبته رقم ١٨٠.

(٢) الصحيفة السجادية/ ص٤٢. الدعاء الرابع ـ الناشر: الهادي / قم.

(٣) كسر الصنم ٢٢١.

(٤) كسر الصنم ٢١٦ ـ ٢١٧.

(٥) كسر الصنم ٢١٧. وللمؤلف كلام يؤخذ منه أنه يقول بأنّ أفضل الصحابة هو علي، حيث قال: "صحيح أن عليًّا كان أعلم الصحابة وأفضلهم، ولكنه لم يعرف نفسه بالإمام المنصوص ، وهو في بعض كلماته اعتبر نفسه أحق بالخلافة من غيره.." (كسر الصنم٣٤٧). ولكن المترجم للكتاب د.عبد الرحيم قال في حاشيته: لما تكلمت مع المؤلف بهذا الأمر قال: لا يعلم أن عليًّا كان أعلم من غيره من الصحابة أو أفضلهم.إهـ. فلعل المؤلف يقصد بكلمته السابقة أن عليًّا يرى أنه أفضل الصحابة للخلافة ، أي أنه يرى أفضليته السياسية لا الدينية.والله أعلم.

كما يعد انتخاب أبي بكر في السقيفة بسرعة كان قرارًا صائبًا من الصحابة، لأن الهدف "تدارك الفوضى التي أوشكت أن تقع ولحفظ الإسلام وتدبير الأمن والحيلولة دون تسلط الكفار والمشركين ، وتم تشكيل حكومة لسد الفرقة وحفظ هيبة الإسلام وكيانه . ولو لم يفعلوا ما فعلوا لقامت قائمة بعض الكذابين كمسيلمة الكذاب وآخرون آلاف من أمثاله ولتمكنوا من القضاء على الإسلام وهو لا يزال حديث العهد لأن أغلب الأعراب حول المدينة قد ارتدوا"[(١)] .

فضل زوجات الرسول صلى الله عله وسلم:

سبق وأن بينا أن البرقعي يرى بأن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب : ٣٣] يدل على "أن الله شاء الطهارة ورفع الرجس عن جميع أسرة النبي وأهل بيته سواء في ذلك زوجاته أو صهره أو بنته "[(٢)] . وهذا يكفي لرد من طعن في نزاهة زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبيان تزكية البرقعي لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم.



(١) كسر الصنم ٢١٦.

(٢) كسر الصنم ٢٢٧.

* المطلب التاسع *

* رأي البرقعي في الخرافات *

يعتبر البرقعي رحمه الله تعالى دين الإسلام دينًا موافقًا للفطرة والعقل، بعيدًا كل البعد عن الخرافة، ولهذا أنكر رحمه الله كثرة الخرافات التي روّج لها الرواة الكذابون الغلاة الذين لعنهم الأئمة وفسّقوهم.

يقول رحمه الله تعالى:" دين الله تعالى ليس فيه خرافات ولكن المذهب مليء بالخرافات"[(١)]، ويقول: "لقد دخل إلى الإسلام خرافات باسم الإمام، ونحن نعلم أن الخرافات في الدين لا يقبلها العقلاء والعلماء بل هي سبب نفرتهم، وقد دخلت هذه الخرافات على الغالب عن طريق وضع الحديث، وعن طريق الثقة بالمتقدمين، ولذا يجب تطهير ساحة الإسلام من أمثال هذه الشوائب"[(٢)].

من صور الخرافة التي نبه عليها البرقعي:

١. قولهم: إن عليًّا خرج من نقطة الباء في "بسم الله" كما ورد في بعض روايات الكافي[(٣)].

٢. الادعاء بأن موسى الكاظم علم الناس وهو رضيع[(٤)].

---

(١) كسر الصنم ٣٩٨.

(٢) كسر الصنم ٣٩.

(٣) أنظر الكافي ١/١١٤ . وانظر تعليق البرقعي في كسر الصنم ٩٧ ـ ٩٨.

(٤) ورد في الكافي (١/٣١٠) عن يعقوب السراج قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو واقف على رأس أبي الحسن موسى وهو في المهد، فجعل يسارّه طويلًا، فجلست حتى فرغ، فقمت إليه فقال لي: أدن من مولاك فسلم، فدنوت فسلمت عليه فرد علي السلام بلسان فصيح، ثم قال لي: اذهب فغير اسم ابنتك التي سميتها أمس، فإنه اسم يبغضه الله، وكان ولد لي ابنة سميتها بالحميراء. فقال أبو عبد الله [الصادق]: انته إلى أمره ترشد. فغيرت اسمها.

وقد ضعف البرقعي سند هذا الأثر لأنه من رواية محمد بن سنان ، وهو من الكذابين المعروفين ، ومن الغلاة كما يقول عنه علماء الرجال الشيعة، وفيه أيضًا يعقوب السراج وهو ضعيف أيضًا كما يقول عنه ابن الغضائري. انظر كسر الصنم ٢٣٩.

٣. القول بأن الإمام لا يكون جنبًا وأنه لا يتثاءب وينظر من ورائه كما ينظر أمامه وتفوح من غائطه ريح المسك[(١)].
٤. القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم رضع من ثدي أبي طالب[(٢)].
٥. القول بأن بنات الأنبياء لا يحضن[(٣)].

كما ينبه البرقعي على بعض القصص الخرافية التي نسجها الغلاة حول الأئمة ومنها:ما حكاه الكليني عن الحسن بن علي رضي الله عنه أنه قال: إن لله مدينتين، إحداهما في المشرق، والأخرى في المغرب، عليهما سور من حديد وعلى كل واحدة منهما ألف ألف مصراع، وفيها سبعون ألف لغة، يتكلم كل لغة بخلاف لغة صاحبها، وأنا أعرف جميع اللغات وما فيهما وما بينهما وما عليهما حجة غيري وغير الحسين أخي[(٤)].

ونحو ذلك ما أورده الكليني عن أبي جعفر قال: بينما أمير المؤمنين على المنبر، إذ أقبل ثعبان من ناحية باب من أبواب المسجد، فهم الناس أن يقتلوه، فأرسل أمير المؤمنين عليه السلام أن كفوا، فكفوا وأقبل الثعبان ينساب حتى انتهى إلى المنبر فتطاول، فسلم على أمير المؤمنين عليه السلام ، فأشار أمير المؤمنين إليه أن يقف حتى يفرغ من خطبته، ولما فرغ من خطبته أقبل عليه فقال: من أنت؟ فقال[الثعبان]:عمرو بن عثمان خليفتك على الجن ، وإن أبي قد مات وأوصاني أن آتيك فأستطلع رأيك وقد أتيتك يا أمير المؤمنين فما تأمرني به؟ وما ترى؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أوصيك بتقوى الله وأن تنصرف فتقوم مقام أبيك في الجن، فقلت له[جابر

---

(١) ورد في الكافي ٣٨٨/١ ـ ٣٨٩ عن الباقر أنه قال: للإمام عشر علامات: يولد مطهرًا مختونًا، وإذا وقع على الأرض وقع على راحته رافعًا صوته بالشهادتين، ولا يجنب، وتنام عيناه ولا ينام قلبه، ولا يتثاءب، ولا يتمطى، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه، ونجوه كرائحة المسك والأرض موكّلة بستره وابتلاعه...). وانظر تعليق البرقعي في كسر الصنم ٢٧١.

(٢) ورد في الكافي ٤٤٨/١عن الصادق رحمه الله أنه قال: لما ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكث أيامًا ليس له لبن، فألقمه أبو طالب ثدي نفسه، فأنزل الله فيه لبنًا فرضع منه أيامًا حتى وقع أبو طالب على حليمة السعدية فدفعه إليها. وانظر تضعيف البرقعي للأثر في كسر الصنم ٣٠٠.

(٣) ورد في الكافي ٤٥٨/١ عن أبي الحسن رضي الله عنه قال: إن فاطمة صديقة شهيدة، وإن بنات الأنبياء لا يطمثن. وانظر كسر الصنم ٣٠٤.

(٤) الكافي ٤٦٢/١.

يقول للباقر]: جعلت فداك فيأتيك عمرو وذاك الواجب عليه؟ قال: نعم[١].

وهنا يوجه البرقعي سؤالين مهمين يبينان بطلان هذه القصة الخرافية، وهما:

أولاً: "لماذا عندما تحولت عصا موسى إلى حية بيده عرف بذلك كل الناس وامتلأت الكتب بخبره، في حين أتت حية إلى مسجد الكوفة بحضور ألوف الناس ومع ذلك لم يتحركوا ولم يخافوا ولم يطلع على ذلك أحد إلا عمرو بن شمر وجابر الغالي المذهب؟"

ثانيًا: لماذا لم يخف الناس عندما رأوا خليفة الجن وينقادوا له ويرضوا بحكمه؟[٢].

* **والخلاصة**: أن البرقعي يرى بأن الدين منزه عن الخرافات التي أكثر منها غلاة المذهب الإمامي.

هذه بعض صور الخرافة التي أنكرها البرقعي وقد ذكرت شيئًا منها مع موقف البرقعي منها[٣].

* أثر الخرافات على تفكير الناس:

مما لا شك فيه أن الخرافة إذا سيطرت على العقول فإنها ستنحرف بها عن الفهم الصحيح للحقائق الدينية والكونية، بحيث يتعطل عقل الإنسان عن التحليل الصحيح للحقائق الشرعية والظواهر الكونية الطبيعية.

وقد حكى البرقعي شيئًا من تجربته المرّة مع الناس وهو يجاهد في سبيل فتح عقولهم ليرو الحقائق كما هي، ولكنه كان يصطدم بالأوهام والخرافات التي كانت قد ترسخت في عقول من حوله.

ومن المواقف التي ذكرها:

الموقف الأول:

قال: "لما كنت في الخامسة والثلاثين من عمري سافرت إلى شيراز في فصل الشتاء،

---

(١) الكافي ١/٣٩٦.

(٢) كسر الصنم ٢٧٦.

(٣) لمزيد من الأمثلة انظر في كسر الصنم: ٢٦٩ و ٢٧٤ و ٢٩٩و ٣٠٩ و ٣١٢ و ٣٢٦ ـ ٣٢٧.

ووصلت مع الغروب إلى (آباده)[١] ذهب الناس فيها لشدة البرد إلى داخل المقهى ، ولاعتزامي الصلاة سألت عن المسجد فدلوني عليه وذهبت إليه وصليت فيه وكان عدد المصلين كبيراً ، وكانوا قد شربوا الشاي وهم بانتظار خطيب يأتي إليهم من (إقليد) .

فاغتنمت الوقت وصعدت المنبر وبينت لهم شيئًا من الحقائق الإسلامية وقد سروا بكلامي، وكنت أخشى أن تتحرك السيارة ويفوتني الموكب فيها فاختصرت مقالي وعندما خرجت من المسجد ودخلت توًّا إلى الشارع رأيت المسافرين كلهم في السيارة ينتظرونني ، وقالوا يا سيد لماذا عطلتنا ، وعندما دخلت السيارة تحركت مباشرة والناس في المسجد ، وهم إذ سروا لكلامي كانوا يقولون فيما بينهم: إنه ينبغي عليهم تكريمي وضيافتي عندهم ليستمعوا إلى المزيد من أقوالي وإرشاداتي ، وراحوا يبحثون عني في الشارع وأطراف المسجد فلا يجدونني ، وكانوا يقولون لبعضهم يا ويلتنا ! هذا السيد هو إمام الزمان حتمًا ، لقد جهلناه ولم نعرف قدره ، ولكن هيهات لقد ذهب عنا وليتنا تمسكنا بزناره وطلبنا منه العون والبركة ، ثم بدأوا بالبكاء والنياحة وضرب الخدود والصدر وقد وصل الخبر إلى شيراز وصار كلام الناس في المجالس هو ذهاب إمام الزمان إلى آباده ولكننا سكتنا ولم نتجرأ على إظهار الحق"[٢] .

الموقف الثاني:

يحكي البرقعي واقعة أخرى تدل على أثر الخرافة على عقول الناس من حوله فيقول: "وفي عصرنا هذا حدث أن تركوا الناقة التي حملت حملًا في الشارع في مشهد خراسان وذهبت الناقة داخل صحن الإمام الرضا فأحاطها الناس وأحدثوا صخبًا وقالوا إن الناقة أتت لزيارة الإمام وبدءوا يجزون شعرها تبركًا بها وآذوها بذلك حتى ماتت .

وبعد ذلك جاء أحد علماء الشيعة ومجتهديهم إلى بيتي وسألني : ماذا تقول في هذه المعجزة وأن الناقة أتت إلى الزيارة هل تنكر هذا ؟ فسألته : لماذا تراها أتت تلك الناقة بالذات ولم تأت غيرها ؟ وهنا أجابني ذلك المجتهد : إن هذه الناقة كانت شيعية وبقية النوق سنية . ! "[٣] .

إن هذه المواقف التي حكاها البرقعي تبين بجلاء مدى تأثير الخرافات والخزعبلات على عقول الناس، وكيف تحول العقل من مصدر لفهم الحقائق الشرعية والكونية كما شاءها الله تعالى إلى مصدر للأوهام ومركز لصرف الحقائق عن وجهها الصحيح.

---

(١) وهي مدينة بين شيراز وأصفهان.

(٢) كسر الصنم ٢٥٠ وفي موضع آخر هو ٣١٩ ـ ٣٢٠.

(٣) كسر الصنم ٣٠٩.

* **وأخيراً:** يجب علينا جميعًا أن نعلم أن الفرق بين الغيب والخرافة شعرة دقيقة، ذلك أن الفاصل هو أن ما صح الخبر به وجب الإيمان به وما لم يصح من الأخبار والروايات فإنه مطروح.

ومن جهة أخرى فإن الفرق بين المعجزات والكرامات ـ التي نؤمن بها ـ وبين الخرافات التي نرفضها، هو:

١. أن المعجزات والكرامات تكون مما جاء النص بوقوع جنسها على يد بعض الأنبياء والأولياء أو من شاء الله وقوعها على يده.

٢. أن تقع على يد من يستدل بها على الهداية للصراط المستقيم، فأما ما يقع على يد من يضل الناس فإنه من باب الدجل والشعوذة فهي استدراج له أو فتنة لمن يصدقه .

٣. أن تكون مما يقبله العقول السليمة وإلا لناقض وقوعها مقصود الإعجاز، إذ المراد إخضاع البشر للرسالة المؤيدة بذلك الخارق، ولهذا سماه الله في القرآن (آيات) لأنه يريد أن تكون علامة ودليلاً على رسالته.

ولعل مما يوضح ذلك أن الله يؤيد كل رسول بجنس ما يقبل كل قوم وقوعه بل ما يتعاظم قومه بالعلم به كتأييد الله موسى عليه السلام بالعصا و تحول لون يده الذي هو من جنس علم السحر بل أعظم لأنه مما لا يطيقه السحرة.

أما الخرافات فعلامتها كذب الناقل أو غلوه، مع رفض العقل السليم ـ الذي لم يألف الخرافات والأوهام ـ .

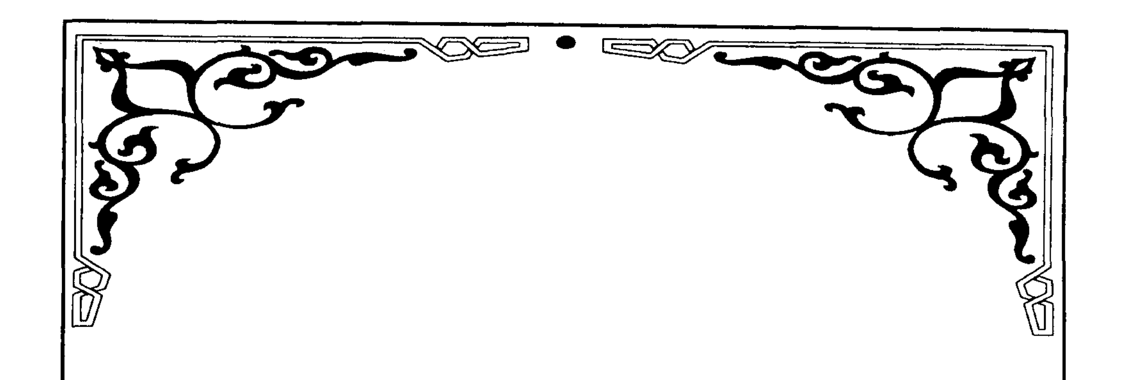
ويجب العلم أن دعاة الرسالات السماوية ـ سواء المرسلين أو الأنبياء أو سادات أتباعهم ـ لم يجعلهم الله فوق البشر بحيث يعيشون حياة كلها خوارق وكرامات بل هم كما وصف سبحانه خيارَهم بأنهم: ﴿بشر مثلكم﴾، ولهذا كانت الخوارق في حياتهم طارئة ، فموسى عليه السلام أيده الله تعالى بتسع آيات وصالح بالناقة وعيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى وإخباره بما يدخرون في بيوتهم. وهكذا.

ومن هنا نعلم أن من علامات الانحراف في مذهب غلاة الإمامية: الإفراط في صياغة حياة مليئة بخوارق للأئمة[1]، أو ما يسمونها بالمعاجز، بحيث يفضي الحال بالمتبع للمذهب إلى رفع الأئمة فوق مستوى البشر.

❁❁❁

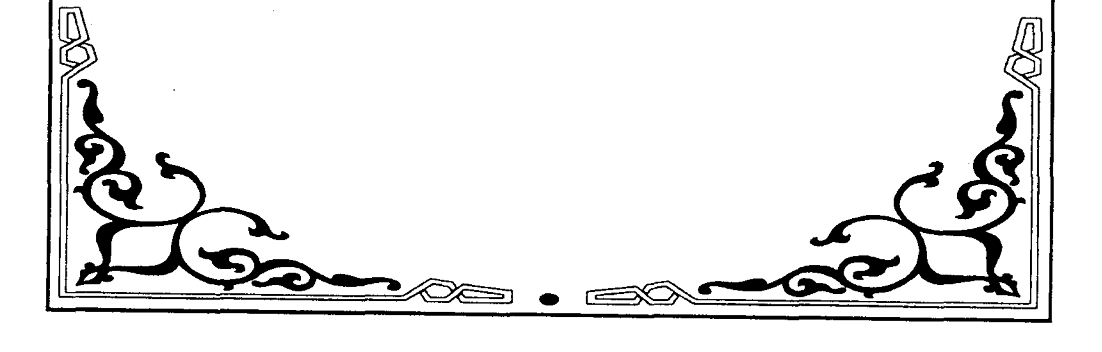
---

(١) ويكفي في ذلك الاطلاع على (كتاب مدينة المعاجز) لهاشم البحراني.



الفصل الثاني

أحمد الكسروي





المبحث الأول

* ترجمته *



اسمه:

هو أحمد مير قاسم بن مير أحمد الكسروي ، ولد في تبريز عاصمة أذربيجان عام ١٢٦٧هـ تقريبا، وبحسب ما ذكر أحد الكتّاب فإنه من أسرة يعود نسبها إلى أهل البيت[١].

حياته وأعماله:

تلقى تعليمه الشرعي في إيران ، وصار يؤم المصلين في أحد قرى أذربيجان[٢]، كما أنه أخذ في التعلم بنهم، حتى أجاد عدة لغات هي: اللغة العربية، والتركية، والإنجليزية، والأرمنية، والفارسية الحديثة، والفارسية القديمة (البهلوية) ومن أعماله:

عمل أستاذًا في جامعة طهران، كما تولى عدة مناصب قضائية ، فتولى عدة مرات رئاسة بعض المحاكم في المدن الإيرانية، كما أصبح أحد كبار مفتشي وزارة العدل الأربعة في طهران، ثم تولى منصب المدعي العام في طهران، وعمل محررًا لجريدة (برجم) الإيرانية.

اغتياله:

ما أن انتهى الكسروي من تأليف كتابه"التشيع والشيعة" حتى تعرض لمحاولة الاغتيال، حيث ضرب بالرصاص من قبل مجموعة في طهران، فدخل المستشفى، وأجريت له عملية جراحية، و تم شفاؤه .

ثم أخذ خصومه يكيدون له، ويحيكون له المؤامرات من الإيقاع به، فقد رموه

---

(١) انظر مقال :استنساخ الحضارات داخل إيران للكاتب "نجاح محمد علي" في صحيفة الزمان ٢٠٠٢/١/١.

(٢) المرجع السابق.

بمخالفة الإسلام، ورفعوا ضده شكوى إلى وزارة العدل ، ودعي للتحقيق معه، و في آخر جلسة من جلسات التحقيق ضرب بالرصاص مرة أخرى ، و طعن بخنجر ، فمات على إثر ذلك، و كان في جسمه تسعة و عشرون جرحًا، وقد عاش سبعًا و خمسين سنة.

ويُذكر أن الذي قام بإطلاق النار عليه هو "نواب صفوي"، سنة ١٩٤٦م[١] .

مؤلفاته:

١. (آيين)أي: دستور، أو دين، وقد نشر فيه أفكاره الأساسية،سنة ١٣١١هـ.
٢. صوفيكاري (كتاب في نقد الصوفية)
٣. بهائيكري (كتاب في نقد البهائية)
٤. شيعيكري .(كتاب في نقد الشيعة)
٥. التشيع والشيعة.

كما كان للكسروي مقالات كثيرة في مجلة (بيمان) وجريدة (برجم).

❁❁❁

(١) انظر: جريدة (الزمان) العدد ١٣٨١ التاريخ ٢٠٠٢ ـ ١١ ـ ٤
http://www.ahwazstudies.org/arabic/azizi15.htm



المبحث الثاني

* آراء الكسروي *



من الممكن لأي قارئ لما كتبه الكسروي أن يعلم أن الكسروي قد غلب عليه طابع الثورة - بكل ما تحمله الكلمة من معنى - أعني الثورة على المذهب الإمامي، وهذا ما يتضح في أمرين:

الأول: غلبة الحدّة على خطابه.

الثاني: عدم الانضباط والتوسط في اتخاذ بعض المواقف.

فكما أن الثورات الثقافية تتميز بالقوة وعدم اتخاذ المواقف المنضبطة في كثير من الأحيان لأنها تنحى منحى ردة الفعل، فكذلك الكسروي قد أخذ طابع الثورة في نقده، أكثر من كونه ناقدًا موضوعيًا منضبطًا بالضوابط العلمية.

ولعل شدة الانحراف، وحالة التخلف الفكري، والإغراق في الخرافة التي سادت في زمن الكسروي بشكل صارخ؛ هي التي دفعته لمثل هذه الحالة وهذا الخطاب المتسم بردة الفعل، ولا يضيرنا شيءٌ إذا وقفنا على ما قال الكسروي ما دمنا ملتزمين بأن نأخذ الحق من أفكاره، وأن نرد عليه ما سيظهر لنا من أخطائه ولو كانت في حق من نختلف معهم.

ويمكن تلخيص أفكار أحمد الكسروي، بما يلي:

* المطلب الأول *

* مسائل تتعلق بتوحيد الربوبية *

يرى الكسروي بأن تأمل الناس لمعالم ربوبية الله تعالى وسننه في الكون من أهم الأمور التي غفل الناس عنها.

ويتحدث الكسروي عن بعد الناس عن النظر في سنن الله في الكون، التي تدل على عظمة الله تعالى؛ فيقول: "ومن جهالة العامة أنهم لا يحسبون من الله إلا كلَّ أمرٍ خارق للعادة أو شاذ لا يقع إلا نادرًا، فترونهم يرون الأشجار في الربيع فلا يتعجبون، ولا يحسبونه من قدرة الله، ولكنه إن أزهرت شجرة في الخريف أخذتهم الهزة فترونهم يحركون رءوسهم وهم يقولون: "انظروا إلى قدرة الله"[1].

ويذكر الكسروي أن هذا الطابع هو الذي أورث الشيعة - في زمنه - طابع الركون وانتظار الفرج من الله بأن يخرج الإمام المهدي ليصلح الأحوال، من غير أن يفكروا في السعي لإصلاح حالة الذل والهوان التي سادت في إيران إذ ذاك، بإعمار الأرض بالعلوم والصناعات الحديثة.

كما يذكر الكسروي بأن الفكر السلبي بلغ ببعض معاصريه من الإمامية إلى درجة معارضة كل من يسعى في سبيل الإصلاح "معتقدين أن صلاح العالم مفوض من الله إلى محمد بن الحسن العسكري، وليس للآخرين".

والحق أن ما ذكره الكسروي مهم في تصحيح التصور الإسلامي ، لأن الداء الذي أشار إليه كان منتشرًا بين طوائف متعددة من المسلمين، لأسباب أهمها بعض التصورات الخاطئة التي توغلت باسم المهدي أو المخلص، أو بسبب الفهم الخاطئ لمعنى التوكل على الله.

غير أن العصر الذي تلا فترة الكسروي قد شهد تطورًا في الساحة الشيعية في مفاهيم من أهمها مفهوم الإصلاح الديني، حيث خفت نور التيار الذي ينتقده الكسروي، وتغلب الاتجاه الشيعي الحركي - بشتى تياراته المتباينة - كتيار الثورة الإسلامية في إيران، والخالصي[2] في العراق، وهو ما نتج عنه تطورات كبيرة جديرة بالبحث.

---

(1) التشيع والشيعة ١٢٢.

(2) ستأتي ترجمة مفصلة له في الفصل الخاص بالخالصي. ص ٢٤٠.

* المطلب الثاني *

* مسائل تتعلق بتوحيد العبادة *

يرى الكسروي بأن الإسلام جاء ليعلم الناس التوجه إلى الله وحده بالعبادة ، وترك عبادة من سواه[(١)].

وفي هذا السياق ينبه الكسروي إلى ما يعده من المنكرات التي فشت؛ وهو عبادة القباب والأولياء، فيقول:

"وآخر منكراتهم ما هو رايج فيهم [يعني الإمامية] من عبادة القبب، فقد شادوا على قبر كل واحد من أئمتهم، في خراسان أو العراق أو الحجاز قبة من الذهب أو الفضة، وبنو مباني، ونصبوا خدّامًا، فيقصدها الزائرون من كل فج عميق، فيقفون أمام الباب متواضعين ويستأذنون متضرعين، ثم يدخلون فيقبلون القبر، ويطوفون حوله، ويبكون، ويبتهلون ويسألون حاجات لهم، فهل هذه إلا العبادة؟!"[(٢)].

ثم يذكر الكسروي أن هؤلاء إذا نُصحوا يدافعون بقولهم: إننا لا نعتقد أن الأئمة آلهة ولا نزورهم لنعبدهم، بل نعتقدهم عبادًا مقربين عند الله، ونزورهم لكي نستشفعهم في حاجاتنا.

ويصف الكسروي هذه الحجة بأنها داحضة، ثم يقول: "إن الله لا حاجة إلى الاستشفاع عنده ، وليس الله تبارك وتعالى كأحد من ملوك الأرض حتى يستشفع أحد عنده[(٣)]، ثم إن هذا الجواب عين جواب المشركين، فإن القرآن يحكي لنا أنه لما كان النبي يلوم المشركين من قريش ويقول لهم : أتعبدون ما تنحتون. أجابوه قائلين: هؤلاء شفعاؤنا عند الله"[(٤)].

كما يبين الكسروي أن من أسباب رواج هذه الانحرافات اعتقاد كثير من الشيعة

---

(١) المرجع السابق ٢٤.

(٢) المرجع السابق١٤٣.

(٣) يجب أن يقال بأن الكسروي إن أراد إنكار الشفاعة أصلًا، فهذا خطأ يخالف ما ثبت في القرآن والسنة، وإن أراد إنكار اتخاذ الوسطاء بين الله وخلقه في الدعاء وطلب الحاجات في الدنيا فهذا صحيح.

(٤) المرجع السابق ١٤٣ ـ ١٤٤.

بأن الأئمة أحياء وأنهم قادرون على كل شيء، وهو ما يعده الكسروي انحرافاً في التوحيد[١].

ويستدل الكسروي في رده على هذه الاعتقادات بذكر حادثة دخول جيش عبد العزيز بن سعود بن محمد النجف وكربلاء عام ١٢١٦هـ، فقد استولى الجيش على المدينتين وهدمت القباب التي على قبور الأئمة، وأخذت الأموال التي وضعت في مزاراتهم[٢].

ومع أن الكسروي أظهر أسفه على القتل والسلب الذي وقع إلا أنه استخلص من هذه الواقعة دلائل كبيرة، هي:-

أوّلًا: "أن تلك القبور والقبب لا تقدر عن دفع الضرر عن نفسها فكيف تدفعه عن الآخرين.

الثاني: أن الأمور لا تجري إلا بأسبابها الظاهرة فإن النجف كان لها سور، ودافع عنها أهلها فسلمت من الضرر، وكربلاء لم يكن لها سور ولم يدافع عنها أهلها فأصيبت بتلك الأضرار الفادحة"[٣].

والخلاصة أن الكسروي يقرر بأن العبادة يجب أن لا تصرف إلا لله وحده، وأن ما انتشر من طلب الحاجات من الأئمة والصالحين هو ضرب من ضروب الشرك التي جاء الإسلام بإبطالها.



(١) المرجع السابق ١٤٨.

(٢) انظر هذه الحادثة في كتاب عنوان المجد/٢٦١.

(٣) المرجع السابق ١٤٧ - ١٤٨.

* المطلب الثالث *
* الغلو في الأئمة *

من المسائل التي كان لها حض في مناقشات الكسروي؛ موضوع الغلو، فقد بين رحمه الله وغفر له أن من أهم مظاهر الغلو التي دخلت المذهب الإمامي ما يلي:

١. القول بأن الله تعالى خلق العالم لأجل الأئمة.
٢. القول بأن الله قد فوض للأئمة أمر الكون.
٣. القول بأن الله قد خلق الأئمة قبل أن يخلق العالم بآلاف السنين.
٤. القول بأن بقاء الأرض والسماء حاصل بوجودهم.
٥. أنهم يرزقون[(١)].
٦. نسبة علم الغيب إليهم.
٧. القول بحلول الله في الأئمة[(٢)].
٨. القول بأن حب علي حسنة لا يضر معها سيئة.

ويرى الكسروي بأن هذه المظاهر وغيرها من أشكال الغلو مما يهدمه القرآن، فيقول " فيتعجب المتعجب من أن النبي مع جلالة قدره كان يتواضع ويقول ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ والقرآن يخاطبه قائلاً ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الشورى٥٢] "[(٣)].

ولكن الكسروي يقف وقفة إنصاف ليبين أن كثيراً من علماء الشيعة في زمنه ـ عدا الشيخية كما يقول ـ قد أحجموا عن الاعتقاد بأن الأئمة خالقين ورازقين وأن أمور العالم مفوّضة إليهم ، وأن كثيراً من علماء الشيعة في وقته كانوا يتبرءون من هذا الكلام، ويقول أيضا: "نعم إنهم قد ذكروا الأخبار وملئوا بها كتبهم، بيد أنهم أوّلوها ولم يقرّوا للأئمة غير كونهم علة غائية للخليقة، خلق الله العالم لأجلهم، ولم يقبل الأخبار على علاّتها إلا الشيخية.."[(٤)].

---

(١) النقاط السابقة في المرجع السابق ١٢٥.
(٢) المرجع السابق ٩٦ ـ ٩٧.
(٣) المرجع السابق ١٢٦.
(٤) المرجع السابق ١٢٦ ـ ١٢٧.

وهذا النص من كلام الكسروي يجب أن ينظر بتمعن لأنه يعد رصدًا مهمًا في توصيف تلك الفترة.

ومما ينتقده الكسروي على المذهب الإمامي: إفراطهم في جعل القرآن مادحًا لعلي، فيقول "وقد أفرطوا في ذلك إفراطًا لا مزيد عليه، فترون أنهم جعلوا القرآن كديوان شاعر مادح هاج، فكل آية فيها بشارة أو ذكر نعيم جعلوها في علي، وكل آية فيها إنذار، أو ذكر عذاب جعلوها في عمر وأبي بكر.."[١].

تقديس البقع التي يدفن فيها الأئمة.

يرى الكسروي بأن من الأخطاء التي وقع فيها كثير من المنتسبين للمذهب الشيعي تقديس الديار والبقع التي يدفن فيها الأئمة، وقد زاد ذلك التقديس ببدعة أخرى ينبه إليها الكسروي ألا وهي الاهتمام بنقل الموتى إلى كربلاء والنجف بسبب ما روّج له بعض فقهاء المذهب في فضائل ذلك، كقولهم أن الميت إذا دفن في واحد من المشاهد أمن عذاب القبر وسؤال منكر ونكير، وأنه إذا كان يوم القيامة فتح من قبره باب إلى الجنة، يدخلها من غير حساب[٢].

كما استنكر الكسروي فتوى الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء بجواز نبش وإخراج الميت كله أو بعضه لنقله إلى أرض كربلاء أو النجف، ويؤكد الشيخ جعفر رأيه بقوله: "ولولا قيام الإجماع و السيرة على عدم وجوبه لقلنا بوجوبه في بعض المحال"[٣].

كما ينقل الكسروي فتوى الملا محمد علي الاردوبادي[٤] بجواز كسر عظم الميت ووضعه في كيس صغير من أجل إخفاء الجنازة عن موظفي الجمارك، ويقول: "إن نقل الجنائز أمر قريب الوجوب"[٥]. ولا شك بأن ما استنكره الكسروي في محله، لأن الإسلام جاء بما يحفظ للإنسان كرامته حيًّا وميتًا، ومنها أنه قد نهى عن إيذاء الميت كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم "كسر عظم المؤمن الميت ككسره حيًّا"[٦].

❀❀❀

(١) المرجع السابق ٨٩.
(٢) المرجع السابق ١٥٠.
(٣) المرجع السابق ١٥١.
(٤) لم أجد له ترجمة، ولكن قال الكسروي بأنه من معاصريه.
(٥) المرجع السابق ١٥١ نقلاً عن كتاب الدعاة الحسينية للاردوبادي.
(٦) رواد أبو داود (٥٥٤/٣) ابن ماجه (٥١٦/١) أحمد (٥٨/٦، ١٦٨).

* المطلب الرابع *

* رأيه في عقيدة الإمامية في الإمامة *

تناول الكسروي الحديث عن عقيدة الإمامة عند الشيعة الإمامية بشكل واضح، ويمكن أن نلخص ذلك بما يلي:

أولاً : الخلافة بالشورى وليست بالنص.

يرى الكسروي بأن منصب الخليفة عند المسلمين يثبت بالشورى وليس بالنص، ويعتبر الكسروي قول الإمامية بأن الإمام لا يكون إلا بالنص الإلهي جاء في سياق التطور الإمامي الذي انتهى بانفصال الشيعة عن جماعة المسلمين، وانتكاس الشيعة من قواد للثورات في العصور الأولى إلى جماعة معتزلة للجهاد والإصلاح فترة طويلة من التاريخ[١].

ويرى الكسروي بأن لفظ "الإمام" كان يشير في عرف المسلمين إلى من يتقدم على الآخرين ليقودهم أو يرشدهم، وأن المسلمين كانوا يسمون الخلفاء والفقهاء أئمة بهذا الاعتبار، حتى استحدث بعض الشيعة للإمام مفهوم النيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم والقول بالنص[٢].

وقد ناقش الكسروي أشهر أدلة الإمامية مبينًا أن قولهم بأنهم في سبيل تقرير قولهم أوجبوا على الله تعالى أن يجعل إمامًا؛ قائلًا: "وليس للناس أن يسنوا على الله سنة ويكلفوه بها"[٣].

كما بين أن قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ تدل على نقيض ما يريد الإمامية، وهو وجوب طاعة من تولى من المسلمين ممن اختاره المسلمون لدخوله في قوله (منكم) ويسأل الكسروي:لِمَ لمْ يُسمِ

---

(١) انظر:التشيع والشيعة ٥٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ٥١.

(٣) المرجع السابق ١١٠.

الله عليًا فتكون الآية صريحة لا تحتمل الخلاف؟"[١].

كما أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [المائدة٥٥] التي تسمى آية التطهير، لا تدل على القول بالإمامة في نظر الكسروي، لأنه يكذّب سببَ النزول الذي تستدل به الشيعة الإمامية، ولأن الآية في نظره وردت بلفظ(الذين) وهي صيغة جمع لا تصلح أن تكون في واحد[٢].

ويرى الكسروي بأن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من كنت مولاه فعلي مولاه) لا تعلق له بالإمارة والخلافة، وكل ما فيه أنه أمر بالتوصية بالولاء لعلي رضي الله عنه[٣].

رأي الكسروي في أدلة عقيدة الإمامة.

١. عدم تنصيص القرآن على اسم علي[٤].

٢. اجتماع الصحابة على مبايعة أبي بكر رضي الله عنه.

حيث يستبعد الكسروي أن يجتمع الذين حموا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وناصروه ونشروا الدين من بعده على التخلي عن الإمامة لو كانت من حقائق الدين.

كما يتساءل الكسروي: أي نفع كان لهم في خلافة أبي بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله؟[٥].

٣. قول علي رضي الله عنه: (إنما الشورى في المهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا فهو لله رضىً"[٦].

٤. عدم ذكر الحسن رضي الله عنه أي نص على إمامته في جميع رسائله التي أرسلها لمعاوية[٧].

٥. ذب أحد أكبر العلويين وهو زيد بن علي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[٨].

٦. تأييد كثير من العلويين لبعض الخارجين على بني أمية والعباسيين، مثل

---

(١) انظر:المرجع السابق١١١.
(٢) انظر:التشيع ١١٢ ـ ١١٣.
(٣) انظر: التشيع ١١٣.
(٤) انظر: التشيع ١٠٩.
(٥) انظر:التشيع ١١٤.
(٦) انظر: التشيع ١١٥.
(٧) انظر التشيع ١١٥.
(٨) انظر التشيع ١١٥.

تأييدهم للنفس الزكية وغيره ممن سبق عرضهم عند الحديث عن رأي البرقعي في الإمامة.

٧. موت الحسن العسكري ـ وهو الإمام الحادي عشر ـ بلا عقب[1].

* **والخلاصة**: أن الكسروي يرى بأن الإمامة التي يعتقدها الإمامية لا تدل عليها النصوص، وأن إيجاب وجود الإمام عقلًا هو من الإيجاب على الله وهو مما لا يليق بالبشر أن يتفوهوا به، وأن الرأي القائل بأن الإمامة بالشورى هو الموافق للقرآن وكلام علي ومواقف كبار العلويين.



(١) انظر التشيع ٦٩.

* المطلب الخامس *

رأيه في المهدي

لم يوافق الكسرويُّ المذهبَ الإمامي على القول بولادة محمد بن الحسن الذي تعتقد بأنه المهدي، بل ذهب إلى تأييد القول بأن الحسن مات بلا عقب، وأن عثمان بن سعيد السيمري ـ وهو أول النواب ـ هو أول من ادّعى وجود الابن المخفي[١].

ويذكر الكسروي بأن موت الحسن العسكري بلا عقب أحدث انقسامًا كبيرًا في ذلك الوقت.

غير أن الكسروي ذهب إلى إنكار فكرة المهدي من أصلها؛ معللًا ذلك بأنه من موروثات الزرادشتية[٢] التي دخلت إلى الفكر الإسلامي عن طريق الفرس الذين أسلموا، وهذا ما سيتم نقاشه ـ بإذن الله ـ في مبحث الملاحظات على الكسروي.



(١) التشيع ٦٨.
(٢) ديانة تأسست في بلاد فارس في القرن السادس قبل الميلاد علي يد زرادشت بن يورشب، وتسمى المجوسية لأن قبيلة المجوس من الفرس هم أول من تبع الزرادشتية، ومن عقائدهم: الإيمان بإله النور والخير (أهورامزدا) وإله الشر(أهرمان) المؤمنون يجب عليهم نصرة إله الخير، والنار مظهر من مظاهر إله النور ولذا يعبدونها، ويؤمنون بالنبوات وبالآخرة. انظر: موسوعة الأديان ٢٧٩ ـ ٢٨١، وكتاب الصابئة والزرادشتية للدكتور أسعد السحمراني ٤٣ ـ ٦١

* المطلب السادس *

* رأيه في الصحابة *

اتجه الكسروي اتجاهًا حسنًا في نظرته إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مصرّحًا بمخالفته لمذهب الإمامية في هذه المسألة ، حيث عدّ القدح في الصحابة من أقبح الأعمال، فقال : "وبلغ منهم المعاداة إلى أن صاروا يبغضون سائر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المهاجرين والأنصار، وينسبونهم إلى الارتداد بحجة أنهم كانوا قد بايعوا الخلفاء الثلاثة.." ثم يرد الكسروي على الإمامية فيقول"ولا ريب أن ذلك من أشنع أعمالهم، فإن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار صدّقوا النبي حين كذّبه الآخرون، ونصروه بأقوالهم وأنفسهم فكانوا كرامًا عند النبي صلى الله عليه وسلم ولاسيّما الشيخين"الصديق والفاروق"، وما نسبوه إليهم من مخالفة وصية النبي ونزع الخلافة من يد علي وغير ذلك فلم يكن إلا زورًا وبهتانًا.."[(١)].

كما يبين الكسروي بأن مكانة أبي بكر وعمر عنده بقول: "إن الشيخين لما وليا الخلافة سارا بالمسلمين أحسن سيرة، وأبديا من السياسة والعدالة والتقوى ما قد حفظه التاريخ، وراج الإسلام في زمنهما كثيرًا، فمن الشناعة أن يقدح أحد فيهما أو يجوز اللعن عليهما، أو ينسبوا إلى الارتداد إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم قد بايعوهما"[(٢)].

غير أن الكسروي مع تزكيته للصحابة، وما أبداه من الاحترام للمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، إلا أنه قد خلط ذلك بشيء من التهم والنقائص التي كان يظن وجودها في بعضهم، وهذا ما سنقف معه بشيء من المناقشة في الملاحظات بإذن الله.

❊❊❊

---

(١) التشيع ١٣٧.
(٢) التشيع ١٣٧ ـ ١٣٨. وانظر: ٨٩، ١١٤.

* المطلب السابع *

* موقفه من الخرافة *

انتقد الكسروي كثرة الخرافات التي تنتشر في كتب المذهب الإمامي باسم المعجزات أو الفضائل.

وقد مثل الكسروي لتلك الخرافات بما يلي:

١. القول: بأن الشيعة خُلقوا من طينة خاصة[(١)].

٢. العلاقة الحميمة بين الأئمة والجن.

وفي هذا السياق يمثل الكسروي بكثرة الروايات التي تخبر أن الأئمة كانوا يكلمون الجن ويتعاونون معهم، مثل خبر مجيء ملك الجن"زُعفر"مع جنده يوم كربلاء لنصرة الحسين وامتناع الحسين من الإذن لهم في الحرب معه[(٢)].

كما يشير الكسروي إلى جانب آخر، وهو ما يروى من الأساطير التي تبين العلاقة بين الأئمة والحيوانات، مثل القصة التي تذكر أن لبوة وشبل وذئبة دخلوا على علي رضي الله عنه في المسجد وحوله أصحابه ، فكلمهم بكلام لم يفهمه أحد، فسأل عمر : لما أتت هذه السباع وما كانت تريد؟ فقال علي : إن الأسد لم يعش لها شبل، فجاءتني تلتمس العمر لشبلها الذي ولدته أخيرا، فأجبت ملتمسها، وأمرت الذئبة بحضانة الشبل وتربيته، فإن اللبوة قد دنا أجلها وستهلك بعد أيام.

فلما سمع عمر ذلك حدثته نفسه أن يرسل إلى محل الأسد ليرى أتموت الأسد أم لا؟ فعلم علي بما ينوى بغضًا وحسدًا، ولكي يثبته في نيته قال: يجب أن ترسل رجلا لكي يدفن الأسد. فقال عمر: وهل يدفن السبع؟. فقال علي: نعم لأنها كانت من شيعتنا. ومضت على ذلك أعوام حتى صار الإمام خليفة وسار إلى الكوفة،

---

(١) انظر: التشيع ١٣٥. وانظر الكافي ٤/٢. بحار الأنوار ١٢/٢٥ ـ ١٣.

(٢) انظر: التشيع ١٣١.

ففي يوم بينما كان في المسجد إذ بذئبة وأسد دخلا ووقفا أمام الإمام، فقالت الذئبة: يا أمير المؤمنين، جئت لأردّ الأمانة، فإني ربيت الشبل الذي أمرتني بحضانته وها هو أسد رئبال، فشكرها الإمام، ثم كلم الأسد وأسر إليه بأسرار[١].

وهذه القصة وأمثالها من الخرافات والاساطير التي لا تمت للحقيقة بصلة، ولذا أنكرها الكسروي ، وهي بلا شك مما يجب أن ينزه عنه الدين الإسلامي.

❀❀❀

(١) التشيع ١٣١.

* المطلب الثامن *
* موقفه من المآتم وما يصاحبها من الأعمال *

يعد الكسروي إقامة المآتم وما يصحبها من رفع الأصوات بالنحيب والعويل وضرب الصدور والرءوس من الأمور القبيحة البعيدة عن الإسلام الصحيح.

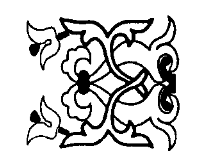
ويقول الكسروي:" مما لا ريب فيه أن الحسين قتل مظلومًا مخدوعًا، ولكن أي جدوى لتكرار البكاء والنحيب وإقامة المآتم عليه بعد مضي ألف وثلاثمائة عام؟؟"[(1)].

كما يبين الكسروي وجهة نظره في تلك الراويات التي يرويها الإمامية عن بعض الأئمة في فضل البكاء على الحسين نحو قولهم: "من بكى أو تباكى وجبت له الجنة"[(2)]، فبين الكسروي أنها روايات باطلة[(3)].

كما نبه الكسروي على حقيقة وهي أن ما يردد في مجالس العزاء الحسينية هي مما يغذي الأحقاد على أهل السنة من خلال تصويرهم بصورة الراضي عن مأساة الحسين رضي الله عنه[(4)].

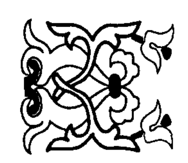
❀❀❀

(1) التشيع ١٤١.
(2) بحار الانوار ٤٤/٢٨٨.
(3) التشيع ١٤٣.
(4) التشيع ٤٢.



المبحث الثالث

موقف الإمامية من الكسروي



المؤيدون للكسروي:

يتحدث بعض المعاصرين للكسروي عن الضجة الكبيرة التي أحدثتها أفكاره القوية التي كان يطرحها في مجلة "بيمان"[(١)]، ثم في جريدة "برجم"[(٢)]، ومن ثم انتقل الكسروي لتقديم أفكاره في مجموعة من الكتب.

وقد وجدت الآراء التي يدعو لها الكسروي صدى كبيرًا بين المثقفين وفئة الشباب بالذات، وهم الذين وصفهم أحد معاصري تلك الفترة بقوله: "فأحاط به الآف منهم، وقاموا بنصرته، وبث آرائه، ونشر كتبه، وأخذوا على عاتقهم حراسته من كيد أعدائه"[(٣)].

كما أن الكاتب نجاح محمد علي يقول: "ويُعرف بأن قلمه وأسلوبه في الكتابة سحر الشباب في تلك الفترة"[(٤)].

وقد انتشرت أفكار الكسروي حتى وصلت إلى بعض الأقاليم المجاورة، ولعل سبب تأليف كتاب التشيع والشيعة يكشف عن شيء من هذا، وهو أن شابًّا كان من عائلة إيرانية تقيم في الكويت انحاز إلى أفكار الكسروي، فأخذ ينشر أفكاره، ويتحدث بها بين شيعة الكويت، فقام بعض الكويتيين بالكتابة إلى الكسروي طالبًا منه أن يكتب لهم أفكاره بالعربية ليعرفوها، فكتب كتاب التشيع والشيعة في أسبوعين[(٥)].

---

(١) وهي مجلة شهرية فارسية ظلت تصدر في حياة الكسروي لمدة سبع سنوات، ثم منعت.

(٢) وهي صحيفة يومية فارسية صدرت في حياة الكسروي لمدة أحد عشر شهرًا ثم منعت.

(٣) انظر مقدمة كتاب التشيع والشيعة للكسروي ـ المقدمة من وضع إدارة صحيفة برجم الفارسية.

(٤) صحيفة الزمان. ٢٠٠٢/١/١ (مقال :استنساخ الحضارات في إيران).

(٥) انظر: التشيع ٢٦ ـ ٢٧.

خصوم الكسروي:

وقف أمام الكسروي فئات متعددة، منها فئات متدينة وجدت في أفكار الكسروي تجديداً لبعض المفاهيم التي تنافي كثيراً من أسسها.

كما كان في صف المعارضين له فئات تتبنى النحلة الفلسفية، كالمتعصبين لعمر الخيام وغيره، لأنهم وجدوا الكسروي يعارض الصيغ الفلسفية التي عقّدت الدين وأخرجته عن روح الإسلام[١].

وقد سجّل الكاتب يوسف عزازي رأي الاتجاه التقليدي في الوسط الإيراني حين صنّف الكسروي بأنه "علماني قومي"[٢]، وأما الكاتب علي آل محسن فقد ذكر وجهة نظر أخرى هي أن الكسروي "كان متحرراً من كل قيود الدين، ولم يكن ضد مذهب الشيعة وعقائده فحسب، بل كان ضد الدين ومبادئه، وقد حمل على التشيع بما هو دين لا بما هو مذهب مخصوص، ولهذا لم يظهر منه أي ميل لمذهب أهل السنة أو غيره من المذاهب الإسلامية، بل قام بتأييد الحزب الشيوعي في إيران.."[٣].

وقد رأى خصوم الكسروي أن أخطر ما صنعه الكسروي هو فتح الباب للطعن في الحوزة العلمية وأفكارها، وهذا ما يؤكده يوسف عزازي بقوله: "إن أهمية كسروي لم تأت من إنشائه ديناً جديداً بل من بحوثه وكتاباته التي أثرت على أجيال مختلفة، إذ فقد حياته بسبب نقده اللاذع لمؤسسة علماء الدين الشيعة وأدائهم التاريخي."[٤]، ومما يزيد الأمر وضوحاً هو أن كتاب "كشف الأسرار" للخميني هو في الحقيقة رد على كتاب "أسرار الألف عام للكسروي"[٥]، ولكن الخميني لم يسم الكسروي باسمه إلا أنه وصفه بالخبيث لأنه دعا الناس إلى يوم إحراق كتب الأوراد ككتاب مفتاح الجنان وغيره[٦].

---

(١) انظر: التشيع ٢٦.

(٢) انظر: جريدة (الزمان) العدد ١٣٨١ التاريخ٤/١١/ ٢٠٠٢، مقال: المثقفون في إيران بين الدين والعلمانية ـ نشاط حذر للعلمانيين تحت ستار اصلاحي واهن.
http://www.ahwazstudies.org/arabic/azizi15.htm

(٣)كتاب لله ثم للحقيقة لعلي آل محسن ٢٩/١ تجد الكتاب على موقع شبكة الشيعة العالمية.
http://www.shiaweb.org/books/llah_llhaq/pa3.html

(٤)انظر: جريدة (الزمان) العدد ١٣٨١ التاريخ ٢٠٠٢ ـ ١١ – ٤، مقال: المثقفون في إيران بين الدين والعلمانية ـ نشاط حذر للعلمانيين تحت ستار اصلاحي واهن.
http://www.ahwazstudies.org/arabic/azizi15.htm

(٥) انظر: http://www.alwelayah.net/shuhda/sierah/iran/. 21htm

(٦) انظر: كتاب تفسير البسملة للخميني ٧٧.



المبحث الرابع

أبرز الملاحظات على الكسروي



من خلال ما مضى يتبين أن الكسروي قام بثورة فكرية في وقت مبكر من القرن الأخير، ونحن وإن كنا نثمّن له رجوعه عن كثير م[illegible]رافات ، وشجاعته في بيان رأيه، إلا أن هذا لا يعفينا من ذكر أخطاء بارزة وقع فيها الكسروي، ولعل أبرز نتيجة لأمور:

١. إفراطه في الاعتماد على العقل.

٢. أثر ردة الفعل تجاه الانحراف الكبير الذي رآه في مجتمعه.

٣. أثر ردة الفعل للأفكار الدخيلة على إيران، ومنها الإلحاد والمادية.

٤. قلة علمه في جوانب مهمة.

وهذا ما يدفعنا للتنبيه على أبرز الملاحظات التي وقع فيها الكسروي، ومنها:

أولاً : بناء تصورات خاطئة عن بعض الصحابة.

سبق أن مر معنا موقف الكسروي من قدح الإمامية في ديانة أكثر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما يصل إلى اللعن والحكم بالردة عليهم.

ومع أن الكسروي يثني على ديانة الصحابة ويذكر لهم جهادهم ونصرتهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، إلا أنه تبنى مواقف خاطئة و تصورات مغلوطة عن بعض خيار الصحابة.

وعلى سبيل المثال: يتبنى الكسروي القول بأن عثمان رضي الله عنه كان كَلِفًا بأقاربه، وأنه ضعيف الرأي، وأن أقاربه من بني أمية قد استحوذوا عليه، وعدلوا به عن محجة العدل[1] .

---

(١) انظر: التشيع ٣٢.

كما تبنى الكسروي القول بأن عائشة كانت تحسد عليًا ، وأنها كانت توغر الناس عليه لذلك[١].

كما أنه يطرح فكرة أن عليًا كان لا يعرف السياسة والتدبير، ويحاول تبرير ذلك باختلاط الأمور على علي رضي الله عنه[٢].

وكذلك يصف الكسروي طلحة والزبير بأنهما نكثا بيعتهما لعلي رضي الله عنه[٣].

ويزعم الكسروي بأن الحسن بن علي رضي الله عنه بُويع دون أن يُشاور ويُمحص، وأن الذين بايعوه قضوا على أنفسهم لأن الحسن في نظر الكسروي "كان ضعيف الرأي، يحب راحة نفسه، ويصعب عليه تحمل أعباء الأمور"[٤].

ولهذا يمتدح الكسروي الذين عارضوا الحسن عندما تنازل لمعاوية بالخلافة[٥].

كما أنه يذكر أن معاوية قد أسلم كرهًا، ويقطع بأنه لم يكن مؤمنًا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم[٦].

ويؤكد الكسروي أن ذِكْرَه لهذه التهم، لا تلغي جهاد هؤلاء ولا الطعن في إيمانهم، - باستثناء معاوية الذي يطعن في أصل ديانته.

ولو ذهبنا نفتش عن السبب الذي دفع الكسروي لمثل هذه التهم، فإننا لن نجد إلا تصديق الروايات التاريخية الضعيفة التي تنتشر في وسط الشيعة بدرجة كبيرة بحيث يوحي استفاضتها بصحتها.

والواجب أن نقول أننا نعلم أن الصحابة ليسوا معصومين من الوقوع في الخطأ، ولكننا لا نقبل أن ينسب لهم ما ليس فيهم زورًا وبهتانًا.

فعثمان رضي الله عنه لم يول من بني أمية إلا خمسة، وقد عزل منهم اثنين[٧]، وأما الولاة الذين لا ينتسبون لبني أمية فهم ستة عشر واليًا[٨]، فكيف يقال بأنه كان

---

(١) انظر التشيع ٣٣.

(٢) انظر التشيع ٣٦.

(٣) انظر التشيع ٣٣.

(٤) انظر التشيع ٣٧.

(٥) انظر التشيع ٣٩ ـ ٤٠.

(٦) انظر التشيع ٤١، ١٣٨.

(٧) ولى عثمان خمسة من بني أمية، هم: معاوية، وعبد الله بن أبي السرح، والوليد بن عقبه، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن عامر، وقد عزل عثمان الوليد، وولى مكانه سعيد ثم عزله أيضا. انظر حقبة من التاريخ ٦٩.

(٨) وهم: أبو موسى الأشعري، والقعقاع بن عمرو، وجابر المزني، وحبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وأبو الأعور السلمي، وحكيم بن سلامة، والأشعث بن قيس، وجرير البجلي، وعتبة بن النهاس، ومالك بن حبيب، والنسير العجلي، والسائب بن الأقرع، وسعيد بن قيس، سلمان بن ربيعة،خنيس بن حبيش. انظر حقبة من التاريخ ٦٩.

كَلِفًا بتولية أقاريه من بني أمية.

وعلي رضي الله عنه كان على درجة عالية من الفقه والفطنة والتدبير، إلى درجة أن عمر بن الخطاب كان يتعوذ من معضلة ليس لها أبا الحسن[١].

كما أن عائشة رضي الله عنها لو كانت تحسد عليًّا رضي الله عنه، لما روت فضائل علي رضي الله عنه ومن أعظمها حديث الكساء كما في صحيح مسلم[٢].

وأما طلحة والزبير رضي الله عنهما فلم ينكثا [illegible]ما، وإنما خرجا مع عائشة للمطالبة بقتل قتلة عثمان، فلما أوضح لهما القعقاع رضي الله عنه رأي علي رضي الله عنه في تهدئة الفتنة ثم السعي في القصاص مالوا إلى رأي علي رضي الله عنهم جميعًا، ولكن الخوارج أثاروا القتال الذي كان يكرهه علي وعائشة وطلحة والزبير، حتى لا يجتمع الصحابة عليهم[٣].

كما أن الحسن رضي الله عنه قد بويع بعد أن صلى على أبيه برضى الناس، ويدل عليه ما جاء أن ابن عباس هو من دعا الناس إلى بيعة الحسن، وقال لهم: (إن أمير المؤمنين توفي وقد ترك لكم خلفًا فإن أجبتم خرج إليكم وإن كرهتم فلا أحد على أحد) فبكى الناس وقالوا : بل يخرج إلينا[٤]. وكان أول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة ـ وكان والي علي على أذربيجان ـ ولكن الحسن لم يكن محبًّا للقتال، ويميل إلى جمع كلمة المسلمين، ولما كان الحسن بظاهر المدائن، قُتل قيس بن سعد، فثار الناس في

---

(١) الإصابة في حياة الصحابة لابن حجر٧/٥٩.

(٢) رواه مسلم ٧/١٣٠.

(٣) ذكر ابن كثير أن عائشة سألت القعقاع: ماذا تقول أنت؟ فقال: إن هذا الأمر دواؤه التسكين، فإذا سكن اختلجوا ـ أي أُخذوا ـ [أي قتلة عثمان]، فإن أنتم وافقتمونا فعلامة خير، وتباشير رحمة، وإدراك الثأر، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر وإعسافه كانت علامة شر، وذهاب هذا الملك، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولا، ولا تعرضونا لبلاء فتتعرضوا له فيصرعنا البلاء وإياكم، وأيم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه...فقالوا[أي عائشة وطلحة والزبير] قد أصبت وأحسنت فارجع فإن قدم علي وهو على مثل رأيك فقد صلح الأمر.

فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح كره ذلك من كرهه ورضي من رضيه.

وأرسلت عائشة إلى علي تعلمه أنها إنما جاءت للصلح، ففرح هؤلاء وهؤلاء...إلى آخر الخبر. انظر البداية والنهاية١٠/١٨٥

(٤) شرح نهج البلاغة ٤/٨، مروج الذهب ٢/٤٤.

النهب، وجرح الحسن، فلما رأى الحسن تفرق جيشه عليه مقتهم، وكتب عند ذلك لمعاوية، فتم التنازل لمعاوية، وسمي ذلك العام عام الجماعة، وكان الأجدر بالكسروي أن يمتدح الحسن رضي الله عنه على ما حصل على يده من حقن الدماء، وجمع كلمة المسلمين، مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : (إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين)[(١)]، ولأنه بلا شك من الخلفاء الراشدين لأن الرسول صلى الله عليه وسلم : (الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكا)[(٢)]، وإنما اكتملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنه لأنه تنازل لمعاوية في أول ربيع من سنة إحدى وأربعين، وهذا تمام الثلاثين من موت النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما معاوية فيكفي أن يقال بأن الحسن ما كان ليضيع الأمة ويتنازل بالخلافة لرجل كافر.

وبالعموم فإننا وإن كنا لا نعتقد العصمة في الصحابة جميعًا، إلا أننا لا يمكن أن نقبل أن يطعن بهم أحد بالباطل، كما أننا نتوقف عن ذِكر مساؤهم وعيبوهم إجلالًا لأمر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ونهيه عن الوقيعة بهم، وتقديرًا لمنزلتهم وجهادهم في سبيل نشر الدين والذود عنه، بل نستغفر لهم ونسأل الله أن يُسلّم قلوبَنا نحوهم كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر : ١٠]. والله أعلم.

ثانيًا : تصوره الخاطئ عن بعض أئمة آل البيت.

من أبرز الملاحظات على الكسروي أنه يقدم تصورًا مغلوطًا عن بعض سادات آل البيت، ولعل سبب ذلك تصديق الكسروي لكثير مما نسب إليهم من الروايات المكذوبة.

وعلى سبيل المثال : يعد الكسرويُّ الأمامَ الصادق هو المؤسس لفكرة النص على الإمامة، وأنه أول من نسب علم الغيب للأئمة، وأنه مخترع القول بالولاية التكوينية، وأنه لولا الأئمة لساخت الأرض ، وغيرها من مظاهر الغلو.

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٧٤٦) (٧١٠٩). وأحمد(٥/٣٧ـ ٣٨).

(٢) رواه أحمد ٥/٢٢٠ـ ٢٢١. أبوداود رقم ٤٦٤٦. والترمذي رقم ٢٢٢٦. وابن حبان ١٥٣٤.

ويخلص الكسروي إلى نتيجة مفادها: أن الصادق أحدث محدثات كثيرة، وأن التشيع - في معناه الإمامي - إنما هو من مبتدعاته. كما يتهم الكسروي الصادق بأنه كان صاحب أهواء وأغراض وأنه حاول إفساد الأمر على النفس الزكية لما خرج على الخليفة المنصور حتى لا تتم البيعة للنفس الزكية[١].

كما ينسب تهمة الابتداع أيضا للإمام موسى الكاظم وعلي الرضا[٢].

وبطلان هذه التصورات عن جعفر الصادق وموسى الكاظم وعلى الرضا وغيرهم واضح، إذ لم يكن هؤلاء كما تصوّرهم روايات الغلاة والكذابين، بل كانوا على جادة الحق، ويكفي في براءتهم لاسيما الصادق رسائله التي كتبها للأمصار يذم فيها الذين يكذبون عليه، ويعلم براءته منهم كما سبق.

وأما ابن تيمية رحمه الله - وهو أحد أبرز من يتهمه الإمامية بالناصبية - فيقول: "جعفر بن محمد من أئمة الدين باتفاق أهل السنة"[٣].

كما حكى ابن تيمية أن جعفرًا وكثيرًا من سادات آل البيت من أعظم الناس صدقًا وتحقيقًا للإيمان والتقوى وأنهم بريئون مما نسبه لهم الغلاة[٤].وقال أيضا: "ما كُذب على أحد ما كذب عليه"[يعني جعفر الصادق][٥].

ونتيجة لسوء ظن الكسروي بالإمام الصادق ومن بعده من الأئمة، فقد ذهب إلى تحليلات وتفسيرات خاطئة لبعض الأحداث؛ منها: أنه تأوّل قولَ جعفر الصادق لأهل المدينة لما أخبروه بنية الخروج مع "النفس الزكية" فقال لهم الصادق: "لا تفعلوا فإن الأمر لم يأت بعد" فقد رأى الكسروي أن الصادق أراد بهذا العذر أن يُخفي عن العلويين رأيه في الإمامة ويبرر به تخلفه[٦].

ولو تعقّل الكسروي وأحسن الظن بالإمام لوسعه أن يقول بأن الصادق أبدى رأيه في توقيت الخروج، أو أنه رأى أن الخروج لن يزيد إلا من التسلط وزيادة الظلم على آل البيت، ولعل الأول أقرب لأن ابن خلدون ذكر أن الصادق وأبا حنيفة كانا

---

(١) انظر:التشيع ٤٦ - ٥١.
(٢) انظر: التشيع ٦٥ - ٦٦.
(٣) منهاج السنة النبوية٢/٢٤٥.
(٤) المرجع السابق٢/٤٦.
(٥) المرجع السابق٢/٤٦٤.
(٦) التشيع ٦١.

يريان أن بيعة النفس الزكية أصح من بيعة المنصور[١]، ولأنه ترك اثنين من أبنائه (وهما موسى وعبدالله) يشاركان مع النفس الزكية، مع أن محمدًا (النفس الزكية) أراد إعفاءهما لكن جعفرًا أصرّ على ذلك[٢]، وروى الأصفهاني أن الصادق بكى بعد مقتل النفس الزكية وأخيه إبراهيم وقال: "رحم الله ابني هند[٣] إنهما إن كانا لصابرين كريمين، والله لقد مضيا ولم يصبهما دنس".

ومع أنه قد جاء أن الصادق استأذن النفس الزكية في عدم الخروج إلا أنه قال بعد موت النفس الزكية: "ما آسى على شيء إلا على تركي إياهما لم أخرج معهما[يعني النفس الزكية وأخاه إبراهيم]"[٤].وكل هذا مما يزيدنا تفنيدا لمزاعم الكسروي غفر الله له.

ثالثًا: قوله في المهدي.

يميل الكسروي إلى نفي فكرة المهدي من أساسها، ويعدّها من خرافات الزرادشتية[٥] التي نقلها الفرس الذين أسلموا معهم للمسلمين.

وظاهر أن الكسروي تجاهل كل النصوص الواردة، ولم يتعرض لها بالتصحيح أو التضعيف، وبنى فكرته على أساس النفي، ثم أتى بتحليله لطريقة دخول الفكرة إلى الساحة الإسلامية.

وعلى هذا يسع أي أحد أن ينفي أي شيء لا يروق له من الدين ثم يتعلل بأنه من الثقافة المشتركة بين المسلمين وأي ديانة أخرى، وهذا أسلوب ساقط في الإثبات

---

(١) انظر:تاريخ ابن خلدون(٣/١٩٠). وروى الطبري أن الإمام مالك استفتي في الخروج مع محمد وقيل له:إن في أعناقنا بيعة لأبي جعفر. فقال: إنما بايعتم مكرهين، وليس على مكره يمين. فأسرع الناس إلى محمد ولزم مالك بيته. تاريخ الطبري(٤/١٥٧٩).

(٢) انظر: تاريخ ابن الاثير ٥/٢٥٥ ـ ٢٥٧. مقاتل الطالبيين ٢٢٣.

(٣) يعني والدة النفس الزكية، وهي هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزى بن قصي. انظر مقاتل الطالبيين ٢٠٦.

(٤) مقاتل الطالبيين ٢٢٣.

(٥) يؤمن الزرادشتية بظهور "ساوشيانت"أو "أشيزريكا" وهو الرجل المخلص في آخر الزمان. انظر موسوعة الاديان(دار النفائس)٢٨٠

والنفي؛ لأن جميع الناس يملكون نسبة من الحق مع تفاوت فيها، إذ لا يوجد أحد يمثل الباطل المطلق في كل آرائه أبدًا، وكفى بإبليس شاهدًا فإنه يقر بربوبية الله واستحقاقه التعظيم وأنه المتصرف في الأمور؛ بدلالة إعراضه عن القسم بغير الله في قوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾، وطلبه حاجته من الله حين قال: ﴿فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾، فكيف يقال بمن هو أقل شرًّا من إبليس.

وهكذا اليهودية والنصرانية بل والبوذية وغيرها تتضمن كتبهم الدعوة إلى بعض الأقوال والفضائل الصحيحة، فلا يسوغ أن يرد ذلك إذا وافق شرعنا.

وكذلك يقال مع الزرادشتية، فإننا إذا تجاوزنا مسألة المهدي نجدها تقر في عقائدها بالنبوات ،وبنهاية العالم، وبالمعاد الأخروي[1]، فلا يسوغ أن نرد شيئًا لكونه من شرائع الزرادشتية، بل يقال: ما ثبت في شرعنا أثبتناه وقطعنا به بحسب قوة ثبوته، ثم إن موافقة بعض الملل لنا فيه مما يستأنس به فقط.

وهكذا يقال في مسألة المهدي؛ إنّ من ردّ الأحاديث ورآها غير ثابتة سندًا، أوردنا له حكايةَ كثيرٍ من أهل العلم التواترَ المعنوي على ذلك وناقشناه بكل موضوعية[2]، فيلزمه تفنيد حكاية الثبوت أو التواتر، وإلا لزمه قبول ذلك والإيمان به.

رابعًا: إنكاره نزول عيسى عليه السلام.

أنكر الكسروي نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان، مشيرًا إلى أن ذلك من معتقدات النصارى في المسيح[3].

ولا يخفى أن أسلوب الكسروي هنا شبيه بأسلوبه في إنكار فكرة المهدي، إلا أن إنكاره لرفع عيسى عليه السلام ثم نزوله آخر الزمان أشد خطأً لأن ثبوت نزول المسيح

---

(١) انظر: كتاب (الصابئة الزرادشتية اليزيدية) للسحمراني ٤٧ ـ ٦٢.وموسوعة الأديان(دار النفائس)٢٨٠.

(٢) انظر حكاية بعض العلماء لتواتر أحاديث المهدي في كتاب"المهدي المنتظر" ـ رسالة دكتوراه ـ د.عبد العليم البستوي ٤٠ ـ ٥٩.

(٣) التشيع ٢٥، ٤٦.

آكد، لأنه ورد ذكره في النص القرآني، إضافة للأحاديث المتواترة[١]، وأما المهدي فلم يرد في القرآن وإنما تكاثرت الأحاديث فيه حتى رأى كثير من أهل العلم تواترها.

يقول تعالى: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الزخرف : ٥٧] إلى قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ وفي قراءة ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ [الزخرف٥٧ ـ ٦١] قال القرطبي: أي علامة وأمارة على قيام الساعة[٢].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (والذي نفسي بيده؛ ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، فيكسر الصليب..)الحديث. رواه الشيخان[٣].

يقول الإمام الطحاوي رحمه الله:"ونؤمن بأشراط الساعة ، من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء..."[٤].

وممن حكى تواتر نزول المسيح عليه السلام: الإمام الطبري[٥]، وابن كثير[٦]، وصديق حسن خان القنوجي[٧]، والغماري[٨]، ومحمد أنور شاه الكشميري[٩]، وغيرهم.

خامسًا : نفي أن يكون للنبي معجزة غير القرآن.

ذهب الكسروي إلى نفي أن يكون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم معجزة غير القرآن، فهو يقول:"فمما لا ريب فيه أن النبي لم يأت بمعجزة غير القرآن، وحق القول بأنه لم يكن

---

(١) انظر أقوال العلماء في تواتر نزول المسيح في كتاب "أشراط الساعة" للوابل٣٤٢ ـ ٣٥٤.

(٢) تفسير القرطبي ١٦/١٠٥.

(٣) البخاري رقم ٣٤٤٨. مسلم رقم:٢٤٢.

(٤) العقيدة الطحاوية ٣١.

(٥) انظر:تفسير الطبري ٣/٢٩١.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير ٧/٢٢٣.

(٧) انظر :الإذاعة ١٦٠.

(٨) انظر :عقيدة أهل الإسلام في نزول المسيح عليه السلام ٥.

(٩) انظر كتابه: التصريح بما تواتر في نزول المسيح.

يحتاج إلى معجزة (غير القرآن)..بيد أن المسلمين في الأزمنة المتأخرة لم يرضوا بما قد رضي به نبيهم، ورأوا من الواجب أن يذكروا له معجزات كما ذكر لموسى، فجعلوا يضعون قصصًا، ويخترعون معجزات، من شق القمر، والصعود إلى السماء..."[1].

وما ذهب إليه الكسروي خطأ لا يوافق عليه، لعله نتج عن الإفراط في تحكيم العقل، لأن ثبوت معجزات للنبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن جار مجرى التواتر إجمالاً، كما أن بعض المعجزات المعينة ثابتة بالتواتر،ومنها:

- الإسراء والمعراج: قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ ﴾ [الإسراء : ١].

فقد حكى الكتاني تواتر حديث الإسراء والمعراج، ونقل ذلك أيضا عن الحافظ العراقي[2].

- حادثة شق الصدر للنبي صلى الله عليه وسلم الواردة في أحاديث كثيرة منها حديث أنس رضي الله عنه في صحيح مسلم[3] وفيه : (إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق قلبه..) الحديث.

وقد حكى تواتر هذه الحادثة ابن حجر والكتاني والقرطبي في المفهم[4].

- انشقاق القمر، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ ﴾ [القمر : ١].

وقد حكى تواتر انشقاق القمر كل من القاضي عياض، وابن عبد البر، والتاج السبكي، وابن حجر العسقلاني، والمناوي، والكتاني[5].

---

(١) التشيّع ١٣٣.

(٢) انظر:نظم المتناثر ٢٠٧ ـ ٢٠٩.

(٣) مسلم رقم ٢٦١.

(٤) انظر: نظم المتواتر ٢٠٩ ـ ٢١٠.

(٥) انظر نظم المتناثر ٢١١ ـ ٢١٢.

والخلاصة أن ما أنكره الكسروي ثابت، ورأيه في هذه المسألة بعيد عن الصواب.

سادسًا: إنكاره مشروعية الاستشفاء بالقرآن.

يرى الكسروي بأن الاستشفاء بالقرآن والدعاء من عصيان الله، والخروج عن أمره، وعن سبب اختيار هذا القول يقول الكسروي: "إن الله جعل لكل داء دواء، وقدر شفاء الأمراض في المداواة، ومما لم يكن ولن يكون شفاء الأمراض بالدعاء..."[١].

ولعل التوجه العقلاني عند الكسروي هو الذي حمله على إنكار ما ثبت في الكتاب والسنة، بل وحتى التجربة.

فإن الله تعالى قد قال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

كما علم النبي صلى الله عليه وسلم أمته الاستشفاء بالرقى القرآنية وغيرها، في أحاديث كثيرة[٢].

* **والخلاصة**: أن الكسروي أراد أن يبين أن الإسلام جاء باتخاذ الأسباب، ولكنه أغرق في المحسوس، ونسي أن أقوى الأسباب الاستشفاء هو التوجه إلى الله تعالى بالدعاء وتلاوة كلامه على محل الداء.

* **وأخيرًا**: هذه أبرز الملاحظات على أحمد الكسروي، وهي أخطاء وقع فيها الكسروي إما من جهة قلة علمه، أو من جهة اعتماده على العقل في الدفاع عن الإسلام، والمنصف يقدّر للكسروي اندفاعه في سبيل إلغاء الخرافة والغلو الذي كان سببًا لتخلف المسلمين وتفككهم، لكن هذا لا يعني التغافل عن مثل هذه الأخطاء التي سبق التنبيه عليها، ولعل قوة انتشار الخرافة والغلو مع عدم وجود كتب ممحصة في المذهب الإمامي قادته إلى رؤية خاطئة في توصيف العلاج.

ومهما يكن فإن جهد الكسروي يعدّ تجربة يجب أن لا تُهمل، لأن حياته وجهوده تكشف عن حقائق كبيرة، من أهمها أن الناس مهما أغلق عليهم بمغاليق الخرافة

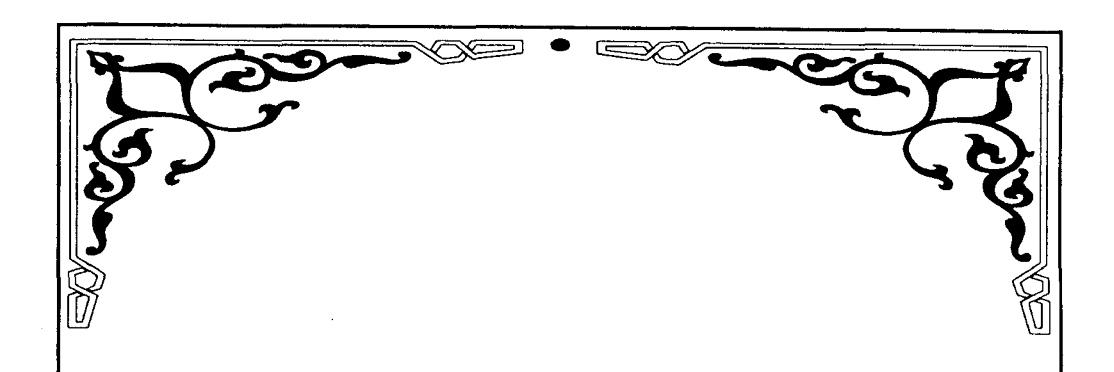
---

(١) التشيع ٢٤.

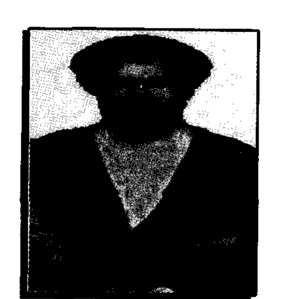
(٢) انظر: زاد المعاد لابن القيم ٤/١٦٨ ـ ١٨٨.

والغلو، فإن خروج بعضهم من أغلالها غير مستبعد، كما أن إنكار الكسروي لبعض المتواترات والأمور المشروعة، أمر قد يكرره بعض من يسعى إلى إخراج الناس من الأوضاع المتردية، فيميل إلى إلغاء بعض المفردات الشرعية التي اختلطت ببعض الانحرافات، وهو أمر يدل على أهمية العلم المبني على أصول صحيحة، وهذا ما كان ينقص الكسروي، والله أعلم.





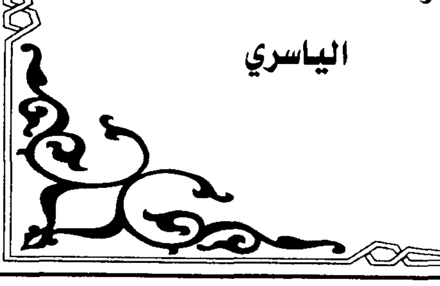
الفصل الثالث



محمد الياسري

"إن الدافع الرئيسي في ذهابي إلى الحوزة العلمية الشريفة هو طلب العلم وكذلك الدفاع عن مذهبنا الإمامي الاثني عشري ضد الانتقادات التي توجه إليه وخاصة من قبل إخواننا المسلمين من المذاهب الفقهية الأخرى، وكانت أخطر هذه الانتقادات التي تواجه مذهبنا هي: الغلو في أئمة أهل البيت وفي مراقدهم الشريفة الطاهرة ... لقد كانت هذه التهمة تزعجني جداً وتؤرقني لا سيما عندما كنت أسمع الذين يوجهون هذه الانتقادات إلى مذهبنا يستشهدون بأدلة من الواقع الحاضر".

الياسري







المبحث الأول

ترجمته[1]



اسمه ونسبه:

محمد بن إسكندر الياسري، وكان أبوه يلقب بسيد كاظم، من أسرة اليواسر المعروفة التي يرجع نسبها إلى النسل العلوي.

نشأته وحياته العلمية:

ولد الياسري في أواخر الستينيات الميلادية الماضية في مدينة الحلة، ونشأ بها، وهذه المدينة وإن كانت لا تعد من المدن المقدسة لدى الشيعة ولكنها تعتبر من أهم المدن التي كان لها دور كبير في نشر التشيع بين قبائل الجنوب[2].

وكان أبوه السيد إسكندر الياسري معروفاً في مدينة الحلة وله احترامه بين الناس، كما كان الشيعة يقصدونه لكتابة الحجب وفك العقد وشفاء المرضى وهذا أمر شائع أوساط العراقيين في السادة الهاشميين. كما تعلم الياسري العلوم الحديثة حتى حصل على الهندسة وعمل بعدها في منشأة التصنيع الحربي.

ثم إن الياسري تعلم في الحوزة العلمية لعدّة سنوات، تردد فيها على كل من السيد حسين بحر العلوم[3] وسماحة الشيخ بشير الباكستاني[4] وكذلك سماحة

---

(١) استفدت كثيرًا من ترجمة الياسري من بعض المقربين منه قبل وفاته.

(٢) دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث للنفيسي ٦٩.

(٣) من أبرز مراجع الشيعة المعاصرين، وقد توفي في النجف في ظروف غامضة في شهر ربيع الأول سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م عن عمر يناهز الخامسة والسبعين، ويتهم بعض الأطراف النظام البعثي في مقتله.

انظر: http://www.aljazeera.net/news/arabic/htm 03 – 24 – 6/6/2001

والوكالة الشيعية للأنباء :

htmhttp://www.ebaa.net/khaber/archev/khaber.htm31/khaber031

(٤) أحد المراجع المعاصرين المقلدين في العراق.

الشيخ الغروي وسماحة الشيخ البرجوردي[١]" [٢]، لكن من المهم أن نعلم أن الياسري لم يتعلم كثيرًا في الحوزة العلمية إذ لم تدم مدّة تعلمه أكثر من سنوات كما يصرح بذلك بعض من يعرفه جيّدًا، فليس من الموضوعية أن ندرس أفكار الياسري على أنه كان عالمًا إماميًّا، ولا حتى من طلبة العلم المتقدمين في الطائفة، لكنه مثقف ديني دفعه تدينه وإخلاصه في حب آل البيت إلى أخذ شيء من العلم الجعفري، ثم ممارسة البحث بنفسه عن الحق، وهذا لا ينفي أن يكون كلامه نافعًا فإن الحق يقبل من كل أحد.

مؤلفاته:

الذي وقفت عليه مما كتب:

١. مذهبنا الإمامي الاثني عشري بين منهج الأئمة والغلو.
٢. المنهاج أو المرجعية القرآنية.
٣. القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة.

وفاتـه:

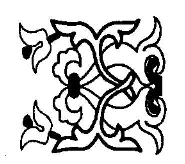
بعد أن نشط الياسري في إرشاد من حوله إلى ما تبين له من الآراء، تعرض لكثير من المضايقات والأذى، وقد كان حذرًا جدًّا حتى إنه لم يكن ينام في غرفة لها نافذة - أخذًا بأسباب التوقي من الاغتيال - ، كما كان لا يسير إلا مسلّحًا، إلا أنه قُتل أخيرًا على أيدي بعض المتعصبين أثناء رجوعه من صلاة الفجر بسيارة صهره، إذ أطلق عليه النار ثلاثة أشخاص، فمات رحمه الله تعالى مباشرة سنة ١٩٩٧م.

❀❀❀

---

(١) هو أحد مراجع التقليد العراقيين، اغتيل في النجف سنة ١٩٩٨م عن عمر يناهز السابعة والستين. انظر: http://iraqcenter.com/esdarat/bayanat/archive.html2/3-

(٢) مذهبنا ٣.



المبحث الثاني





تحول الياسري

نشأ محمد الياسري رحمه الله تعالى من أول حياته وهو يدين بالولاء للأئمة على صورة هي أقرب ما تكون إلى الرجل العامي الشيعي منه إلى العالم الشيعي.

ومع أنه كان قد درس في الحوزة العلمية لسنوات قليلة، وأنه كان إماماً لجامع ويدرس الناس فيه، إلا أنه لم يكن يؤمن ببعض الاعتقادات الضالة التي يعتقدها الغلاة في المذهب، ليس عن قصد مخالفة لأحد، ولكن شأنه شأن كثير من العامة المقلدين الذين يقلدون بعض علماء المذهب، مع إحسان الظن بهم، معتقدين أنهم لا يخالفون منهج أهل البيت القائم على احترام القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

غير أن لقاء الياسري برجل من أهل السنة اسمه: (محمد بن حَجّي كريم) كان يعتبر بداية لمرحلة جديدة للياسري، ولأهميته فسأنقله عن الياسري ـ كما حكاه ـ كاملاً، فيقول:

إن بداية كتابة هذا البحث [أي كتاب القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة الإمامية الاثني عشرية][1] كانت عن طريق حضوري مؤتمراً إسلامياً في بغداد التقيت فيه صديقاً قديماً وكان من أهل السنَّة بدأني بالسلام قائلاً: كيف حال السادة الياسرية قلت: الحمد لله وهل تعرفني؟ فقال: ألست سيد محمد بن سيد كاظم[2] من حي الزهراء في النجف؟ قلت: بلى، ومن فضيلتكم؟ فقال: أنا محمد بن حجي كريم جيرانكم في المنطقة عام ١٩٧٥، عرفته فقبَّلته وسألته عن حاله وأهله فقال: أنا مدرس وأنت أراك ترتدي العِمّة؟ فقلت: درست في الحوزة العلمية وأنا الآن إمام جامع وأدرس الطلاب أيضاً. التقيت به عدة لقاءات في المؤتمر ثم دعاني إلى بيته في مدينة صدام في بغداد، كان متحمساً لدرجة الانفعال عندما يتكلم عن حال الأمة الإسلامية والمسلمين في الوقت الحاضر، يحمل هدفاً

---

(١) وهو أول خطوة للياسري نحو البحث بنفسه.

(٢) سيد كاظم هو اسم آخر لوالده السيد إسكندر مشتهر به في منطقته.

كبيرًا وأمنية عظيمة وهي توحيد الأمة الإسلامية، وكان هذا أعظم ما أتمناه، قال لي: لكم يحزنني أن أرى المسلمين وفي العراق خاصة متفرقين بسبب تأثير أعداء الإسلام. قلت: لماذا لا يقوم علماء الدين الإسلامي في العراق أولًا بخطوة أولية للتقريب بين وجهات النظر ثم توحيد المسلمين على المدى البعيد؟ قال: بدأت بالأصعب. قلت: لماذا؟ قال: السبب في علمائكم ومراجعكم الذين أسسوا مذهبكم وشيدوه، فقلت: هذا اتهام باطل، إن علماءنا ومراجعنا يعتمدون على روايات أئمة أهل البيت الطاهرين عليهم السلام بأسانيدهم الخاصة، فقال: لو توفرت شروط صحة رواية ما عن الإمام علي رضي الله عنه أو الحسن أو الحسين أو الباقر أو غيرهم من أئمة الإسلام لأخذنا بها وعملنا بها ولكن هذه الروايات مكذوبة وملفقة تنسب زورًا وبهتانًا إلى الإمام علي رضي الله عنه وذريته والدليل على أن هذه الروايات أكاذيب أن معانيها تخالف كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصول الدين الإسلامي وأن من أخرجها ورواها رجال يطعنون بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وآله سلم والصحابة الكرام من المهاجرين والأنصار بل وحتى بالإمام علي رضي الله عنهم وأن أصحاب المراجع والأصول المعتمدة تلقفوا عقائد عبد الله بن سبأ اليهودي وزادوها غلوًّا ثم نسبوها للإمام ولذريته رضي الله عنهم وهم منها براء ونحن متأكدون من براءة الإمام علي وذريته رضي الله عنهم من هذه الروايات تمامًا. فقلت له مهدئًا لانفعاله: إن كل من يريد أن يتعرف على عقيدة طائفة فلا بد له من أن يرجع إلى أمهات كتب تلك الطائفة ومراجعها وأصولها المعتمدة في الحديث والتفسير حتى يكون منصفًا في الحكم وعادلًا في الاستنتاج لأن عليها مدار عقائد تلك الطائفة، ولهذا السبب عليك أن تعكف على دراسة أمهات الكتب والمراجع المعتمدة عندنا نحن الشيعة الإمامية الاثني عشرية في الحديث والتفسير بأسانيدها عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام لأننا لا نقبل إلا كلام المعصومين الموجود في هذه الكتب، فقال لي: وهل درست أنت هذه المراجع والأصول المعتمدة عندكم وتأكدت من عدم وجود مطاعن بكتاب الله القرآن وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأتباعه وتلاميذه وأصحابه من المهاجرين والأنصار؟ فقلت له: الحقيقة لا ولكني سوف أبحث وأحقق فيها وأبرهن لك على أنك واهم وعلى خطأ كبير وأنه لا يوجد ولا دليل واحد على ما قلت وذكرت من وجود مطاعن في أصولنا ومراجعنا المعتمدة بكتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو صحابته من المهاجرين والأنصار وسوف أقدم البحث هدية لك، فقال لي اتفقنا... وهكذا بدأت أبحث بجد ونشاط تاركًا التعصب جانبًا واضعًا أمام عيني الوصول إلى الحقيقة لا غيرها.

في ليلة اليوم الذي قررت فيه المباشرة بالعمل بصدق وإخلاص رأيت في المنام جدي

أمير المؤمنين عليه السلام يضع يده اليمنى على رأسي والطريق أمامي يشع نورًا عظيمًا فاستيقظت مستبشرًا وبدأت العمل نشطًا وكانت أول خطوة هي تجميع المصادر والمراجع والأصول المعتمدة في الحديث والتفسير، والحمد لله فقد كانت هذه المصادر موجودة في مكتبة السيد الحكيم قدّس الله سره ..." (١).

ومن خلال ما ذكر الياسري يمكن اعتبار أهم الأسباب التي دفعته إلى المرحلة الجديدة ترجع إلى أمرين:

أولاً: نقاشه مع ابن حجي.

ثانيًا: رؤيته لعلي رضي الله عنه.

والحقيقة أن هذا الموقف الذي ذكره الياسري يحتوي على أمور يجب أن لا تمر دون تأمل واعتبار، وهي:

١. وجود حوار مباشر بين الياسري(الشيعي) وابن حجي كريم(السني)، وهذا الحوار ليس فيه تعرض لشخصية الآخر، بل فيه ضيافة واحترام.

٢. أن التطلع إلى "وحدة المسلمين" هي نقطة التقاء بين ابن حجي والياسري.

- فابن حجي "سنيّ" يصوره الياسري بأنه "يحمل هدفًا كبيرًا وأمنية عظيمة وهي توحيد الأمة الإسلامية".

- والياسري "شيعيّ" كان كما يقول: "وكان هذا أعظم ما أتمناه" يعني وحدة المسلمين.

وهذا ما يعني أهمية هذين المرتكزين في نجاح الحوار بين أبناء الأمة في الوصول إلى نتيجة حميدة، لاسيما مع غير الطائفيين أو أصحاب التعصب الأعمى.

٣. أن الياسري لم يكن يعلم بأن المذهب يطعن في القرآن أو يخالف التوحيد أو يكفّر الصحابة، مع أنه تردد على الحوزة العلمية، ويعيش في محيط شيعي متدين.

وإذا اعتبرنا الياسري عيّنة "عشوائية" - كما هو في العرف الإحصائي - فإن النتيجة هي وجود شريحة قليلة أو كثيرة من هذا النوع في المجتمع الشيعي، وهو ما يدلّنا على خطأ من حكم بتعميم هذا القول على جميع الشيعة، والله أعلم.

❁❁❁

---

(١) القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة الإمامية الاثني عشرية ص ٥.



المبحث الثالث

* آراء الياسري *



يقوم مشروع الياسري وأفكاره التي سعى لتقديمها على أساس واحد، وهو بيان أن عقيدة الأئمة من آل البيت هي العقيدة الصحيحة الموافقة للقرآن الكريم، وأن في المنتسبين للأئمة من حرّف هذه العقيدة النقية عن قصد، من خلال نسبة الروايات الباطلة لأعلام أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، ولهذا اعتمد الياسري في توضيحه للاعتقاد الصحيح على بيان العقيدة الإسلامية كما دل عليها القرآن أولاً، ثم مقارنة ذلك بما وافقها من الروايات عن الأئمة عليهم السلام، وبيان ما خالفها من الروايات المكذوبة عليهم[1]، وهو ما سيتضح من خلال ما يلي:



---

(١) انظر كتاب مذهبنا الإمامي الاثني عشري بين منهج الأئمة والغلو للياسري ١٣.

* المطلب الأول *
* مسائل تتعلق بتوحيد الربوبية *

يرى الياسري بأن الله وحده هو المنفرد بصفات الربوبية التي وصف بها نفسه في القرآن، كالملك والرزق والخلق والنفع والضر وغيرها، كما يبين الياسري بأن الغلاة قد خلعوا بعض صفات الربوبية على الأئمة من آل البيت، ومن ذلك:

نسبة علم الغيب لغير الله :

يبين الياسري بأن القرآن قد دل على أن الله وحده هو المختص بعلم الغيب[١]، كما يرى بأن الأئمة عليهم السلام قد وافقوا القرآن على ذلك، بل وحاربوا كل فكرة تقوم على أساس نسبة علم الغيب إلى غير الله، ومن تلك الروايات التي يستدل بها الياسري[٢] أنه قيل لأبي الحسن عليه السلام: (إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب فقال: سبحان الله، والله ما بقيت في جسدي شعرة ولا في رأسي إلا قامت، ثم قال: لا والله ما هي إلا رواية من رسول الله صلى الله عليه وسلم)[٣]. كما يستدل الياسري برواية أبي بصير أنه قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: (إنهم يقولون، فقال الإمام عليه السلام: وما يقولون؟ قلت: يقولون: تعلَمُ قطر المطر وعدد النجوم وورق الشجر ووزن ما في البحر وعدد التراب، فرفع يده إلى السماء وقال عليه السلام: سبحان الله سبحان الله، والله ما يعلم هذا إلا الله)[٤] .

وبهذه الآثار وغيرها يستدل الياسري على أن الأئمة قد وافقوا القرآن الكريم في بيان اختصاص الله بعلم الغيب، خلافاً للغلاة الذين يعتقدون بأن الأئمة يعلمون الغيب، كما في الروايات الأخرى التي مثل لها الياسري بما يلي[٥]:

---

(١) انظر هذه الآيات في كتاب: مذهبنا ٢٠، المنهاج٥٤.

(٢) انظر مذهبنا ٥٣ ـ ٥٤.

(٣) رجال الكشي/ ٢٩٢.

(٤) رجال الكشي/ ١٩٣.

(٥) مذهبنا ٨٠ ـ ٨١.

١. عن الإمام علي عليه السلام: (إن الله عرف الخلق اقتدار الأئمة عليهم السلام على علم الغيب من خلق ورزق وأجل وعمل وعمر وحياة وموت، وعلم غيب السموات والأرض)[١].

٢. عن الباقر عليه السلام: (والذي بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم، إن الإمام ليعلم ما في يومه وشهره وسنته)[٢].

٣. عن أبي عبدالله عليه السلام: (إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما سوف يكون) [٣].

وهنا يصرح الياسري بموقفه من دعوى الغلاة مبينًا أن ذلك من الشرك وادعاء الأنداد لله تعالى، وهو ما تبرأ منه علي رضي الله عنه بقوله عن الإمام علي عليه السلام: (اللهم إني بريء من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى، اللهم اخذلهم أبدًا، ولا تنصر منهم أحدًا)[٤].

أ- نسبة التصرف في الكون للأئمة:

يرى الياسري بأن نسبة التصرف بالكون للأئمة خلقًا أو رزقًا أو إحياءً أو إماتةً، أو القول بأن الأئمة ينفعون أو يضرون من الافتراء على الله، والشرك به تعالى.

ويقرر الياسري بأن الأئمة كانوا يؤكدون ما ثبت في القرآن من اختصاص الله وحده بصفات الربوبية، والبراءة من أقوال الغلاة، ويستشهد بقول زين العابدين رضي الله عنه حين قال: (إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء، وأشار بيده إلى العراق)[٥]، وقوله أيضًا: (ما أكذبكم وما أجرأكم على الله، نحن من صالحي قومنا وبحسبنا (يكفينا) أن نكون من صالحي قومنا)[٦].

ويعد الياسري هذه الكلمات التي يقررها الأئمة رضي الله عنهم التوحيد الخالص مخالفة للشرك الذي أتى به الغلاة المفسدون في مروياتهم ، والتي يذكر

---

(١) وانظر :الاحتجاج للطبرسي ١/ ٣٥٦.

(٢) مذهبنا ٨٠. وانظر :رجال الكشي ص ٣٠٤.

(٣) مذهبنا ٨٣. وانظر: أصول الكافي ١/ ٢٦١ ــ بحار الأنوار ٢٦/ ٢٨.

(٤) مذهبنا ٣١، بحار الأنوار ٢٥/ ٢٨٤.

(٥) مذهبنا ٥٤. وانظر: (رجال الكشي/ ١٩٢).

(٦) مذهبنا ٥٥. وانظر: (الصلة بين التصوف والتشيع ١/ ١٤٨ لكامل مصطفى الشبيبي).

الياسري منها([١]) :

▪ رواية الكليني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (إن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء)([٢]).

▪ قول داود بن كثير الرقي([٣]): (حج رجل من أصحابنا فدخل على أبي عبدالله عليه السلام فقال: فداك أبي وأمي، إن أهلي قد توفيت وبقيت وحيدًا، فقال أبو عبدالله عليه السلام: أفكنت تحبها؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: ارجع إلى منزلك فإنك سترجع إلى المنزل وهي تأكل شيئًا، قال: فلما رجعت من حجتي ودخلت بيتي رأيتها قاعدة وهي تأكل)([٤]).

▪ رواية محمد بن راشد عن أبيه عن جده قال: سألت جعفر بن محمد عليه السلام فقال: سلني ما شئت، فقلت: إن أخًا لي مات في هذه المقابر فتأمره أن يجيئني؛ اسمه أحمد، فقال الإمام عليه السلام: (يا أحمد ! قم، فقام من قبره وهو يقول أتيته)([٥]).

▪ ورواية الكشي عن الصادق أنه قال: رأيت المعلى بن خنيس([٦]) حزينًا كأنه ذكر أهله فمسحت على وجهه فأصبح مع أهله ثم تركته حتى نال ما نال الرجل من أهله، ثم أحسست وجهه فعاد كما كان عندي في المدينة)([٧]).

وبالعموم فإن الياسري يرى بأن من زعم بأن الأئمة يعلمون الغيب أو يشاركون الله بشيء من الخلق والرزق أو النفع والضر أنه داخل في قول أبي عبد الله الصادق عليه السلام: (الغلاة شر خلق الله، يصغرون عظمة الله، ويدعون الربوبية لعباد الله، والله إن الغلاة لشر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا)([٨]).

❀❀❀

---

(١) مذهبنا ٧٧، ٨٣، ٨٤.

(٢) أصول الكافي ص ٤٠٧.

(٣) هو أبو خالد أو أبو سليمان داود بن كثير الرقي، مولى بني أسد، من أصحاب موسى الكاظم، ذكر الكشي بأن الغلاة يذكرون بأنه من أركانهم، وأنهم يروون عنه المناكير من الغلو (رجال الكشي٢ ٤٠ ـ ٤٠٧) وقال النجاشي: ضعيف جدًا. وقال الغضائري:إنه كان فاسد المذهب ضعيف الرواية لا يلتفت إليه. ومع ذلك فقد لجأ بعض علماء الإمامية إلى تزكيته كالمفيد والحائري.انظر منتهى المقال٣/٢٠٩ ـ ٢١٣.

(٤) بصائر الدرجات ص ٢٩٤. المناقب ٤/٢٣٩.

(٥) وانظر: بحار الأنوار ٤٧/ ١٣٧.

(٦) انظر أقوال علماء الشيعة فيه في هذا البحث ص ٤٢٤.

(٧) مذهبنا٨٢. انظر: الكشي ١٧٧ ــ ٣٢٤.

(٨) مذهبنا ٥٥. وانظر: (بحار الأنوار ٢٥/ ٢٨٤)، (رجال الكشي/ ١٩٢).

* المطلب الثاني *

* مسائل تتعلق بتوحيد العبادة *

يؤكد الياسري بأن من أصول الإسلام العظمى ومذهب أئمة آل البيت خصوصًا إفراد الله وحده تعالى بالعبادة، وذلك بأن يتوجه المؤمن لربه وحدَه بكل العبادات دون سواه[١].

ويذكر الياسري في هذا الصدد أنّ الأئمة قد بينوا أن توحيد العبادة لا يصح من المؤمن ولا يقبل إلا بتحقيق أمرين:

الأوّل: أن يفرد العبد ربه بكل العبادات.

الثاني: أن يعبد الموحد ربه بالطريقة التي شرعها الله لعباده في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وليس بالأهواء أو البدع التي يخترعها الناس بغير دليل[٢].

ويذكر الياسري في هذا الصدد بعض أقوال الأئمة، التي تدل على هذين الأصلين العظيمين، ومن ذلك قول أبي الحسن الرضا رحمه الله: (طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يحزن قلبه بما أعطي غيره)[٣].

كما يستدل بقول الصادق رضي الله عنه: (الإيمان لا يثبت ولا يكون إلا بإخلاص العمل)[٤].

---

(١) مذهبنا ٦.

(٢) مذهبنا ص٣، ٤٧. ويلاحظ أنّ هذه الشروط التي ذكرها الياسري رحمه الله هي نفس الشروط التي يذكرها أهل السنة في شروط قبول الأعمال. انظر: تفسير البغوي ٤/٤٦٩ ، قواعد الأحكام ١/١٢٤، النونية مع شرح الهراس٢/١٢٩، مدارج السالكين٢/٩٥، أعلام السنة المنشورة٣٣ ـ ٣٤.

(٣) مذهبنا ٣٨. وانظر: ٢ / ١٦، وسائل الشيعة ١/٤٣، بحار الأنوار٧٠/٢٢٩ ، و٨٤ / ٢٦١ .

(٤) مذهبنا ٣٨.

من مخالفات الغلاة في توحيد العبادة

يذكر الياسري بأن الغلاة خالفوا توحيد العبادة الذي كان عليه الأئمة عليهم رضوان الله في صور متعددة، من أبرزها:

١. صرف أشياء من العبادات لغير الله.

وهنا ينبّه الياسري إلى أن القرآن قد دل على أن كل العبادات يجب أن لا تصرف إلا لله، ويدخل في ذلك عبادات القلب والجوارح.

ويرى الياسري بأن هذا ما دل عليه قول أبي عبد الله الصادق عليه السلام في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن الله عز وجل: (من أشرك معي غيري في عمل عمله لم أقبله إلا ما كان لي خالصًا)[1].

وقد مثّل الياسري لبعض هذه العبادات التي يجب ألا تصرف إلا لله، ومن أهمها:

الاعتصام والتوكل بالله وحده.

التوكل: هو تفويض الأمر أو الاعتماد[2]، وهو في نظر الياسري هو مما يجب أن لا يكون إلا على الله وحده بدلالة آيات من أبرزها[3]: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران : ١٥٩] ونحوها من الآيات.

كما أن الياسري يقرر بأن الأئمة قد وافقوا القرآن حينما أمروا بالتوكل على الله وحده، وعدم تفويض الأمور إلى غيره، ومن ذلك ما يذكره الياسري عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال :(أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام: ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيته، ثم تكيده السموات

---

(١) مذهبنا ٤٠. انظر: الكافي : ٢/٢٩٥، بحار الأنوار : ٧٢ /٢٨٨، وقريب من هذا الحديث رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه" رواه مسلم ، وفي رواية ابن ماجه: "فأنا منه بريء وهو للذي أشرك" . صحيح مسلم رقم ٢٩٨٥. سنن ابن ماجه رقم ٤٢٥٥.

(٢) انظر مدارج السالكين٢/١١٣ ـ ١١٧. كتاب المكاسب للمحاسبي (ملحق بكتاب المسائل) ١٢١ ـ ١٢٥.

(٣) انظر المنهاج٤٦.

والأرض ومن فيهن؛ إلا جعلت له المخرج من بينهن، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السموات والأرض من يديه، وأسخت الأرض من تحته، ولم أبال بأي واد هلك)[(١)].

وعن علي بن الحسين عليه السلام ـ وقد سأله رجل ـ هل رأيت أحدًا دعا الله فلم يجبه؟ قلت: لا، قال: فهل رأيت أحدًا توكل على الله فلم يكفه؟ قلت: لا، قال: فهل رأيت أحدًا سأل الله فلم يعطه؟ قلت: لا[(٢)].

*** الخوف[(٣)].**

يرى الياسري بأن الخوف من العبادات القلبية التي يجب أن لا توجه إلا لله تعالى، حيث أن الله تعالى بين ذلك في آيات كثيرة[(٤)] منها:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران : ١٧٥] وقوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب : ٣٩] وقوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر : ٣٦].

وقوله : ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾، وغيرها من الآيات التي يقرر الياسري بأنها تدعو إلى إفراد الله بخوف العبادة.

---

(١) مذهبنا ٣٩. وانظر: الكافي: ٢/٦٣ ، جامع السعادات: ٣/٢٢٣.

(٢) مذهبنا ٣٩. وانظر: الكافي: ٢/٦٣ ، جامع السعادات: ٣/٢٢٣.

(٣) الخوف ينقسم إلى نوعين ـ من جهة كونه عبادة أو لا؛ النوع الأول :الخوف الطبيعي، والنوع الثاني: الخوف تألهً وعبادةً. يقول السعدي رحمه الله: "اعلم أن الخوف والخشية تارة يقع عبادة وتارة يقع طبيعة وعادة، وذلك بحسب متعلقاته، فإن كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد وتقرب بذلك الخوف إلى من يخافه وكان يدعو إلى طاعة باطنة وخوف سري يزجر عن معصية من يخافه كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان، وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، لأنه شرك في هذه العبادة التي هي من أعظم واجبات القلب ... وإن كان الخوف طبيعيًا كمن يخشى من عدو أوسبع أو حية أو نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهر: فهذا النوع ليس عبادة وقد يوجد في كثير من المؤمنين ولا ينافي الإيمان.." انظر القول السديد (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي٣/٣٤ ـ ٣٥).

(٤) ذكر الياسري كثيرا من الآيات، اقتصرت على بعضها. انظر المنهاج٣٢.

وهو ما يخالف واقع شريحة من الناس الذين يخافون من معاقبة الأولياء لهم لأسباب متعددة[(١)].

الدعاء:

يؤكد الياسري بأن القرآن مع كثير من أقوال الأئمة متفقة على أن الدعاء عبادة، وأنه يجب أن لا يوجّه إلا لله تعالى.

وقد عقد الياسري في كتابه المنهاج بابًا عنوانه"الدعاء لا يوجه إلا لله وحده" و ذكر فيه أكثر من عشرين دليلًا قرآنيًا على ذلك من أبرزها:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الجن : ٢٠] وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] وقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر : ٣٨] وقوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة١٨٦]، وغيرها من الآيات[(٢)].

---

(١) على سبيل المثال: تعد أضرحة الأئمة والأولياء مراكز مهمة لأخذ الأقْسام على العقود المالية والتجارية واتفاقات القبائل وغيرها في العراق، وكلما كانت القضية أهم اختير لها الضريح الأعظم، ويعد ضريح العباس بن علي في كربلاء من أعظمها تأكيدا للقسم بين القبائل، فإن السائد عند عوام الشيعة أن العباس كان شديدًا، ويعبرون عنه بقولهم "راسه حار" ويريدون بأنه لا يتغاضى عن إثم رجل يقسم باسم العباس أو في حرمه كاذبًا، وعلى سقف مقام العباس صورة رجل يقولون ـ في الروايات الكربلائية ـ بأنها صورة لرجل أقسم بحرمة العباس كاذبًا. كذلك يقولون عن الشخص "نسي العباس" ويريدون أنه رجل غير ورع، بحيث فارقه التقوى فكذب حين أقسم بالعباس.

جدير بالذكر بأن مما يجعل بعضهم يزداد خوفه من العباس أن النظرية الإمامية عند العامة تقول بأن الأنبياء والأئمة معصومون ورحماء ولا يؤذون البشر، أما العباس فهو ليس إمام إضافة إلى شدّته وصرامته.

كما أن القصص التي تذكر في معاقبة الإولياء لمن ينتهك حرمة أضرحتهم كثيرة جدًّا، وبالعموم فإن هذه الخرافات من الأمور التي يحاول الياسري وخوئيني والخالصي ومحمد حسين فضل الله وغيرهم من دعاة الإصلاح في المذهب الشيعي ـ على تفاوت فيما بينهم ـ أن يصفوا المذهب الإمامي منها . انظر : دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث للنفيسي ٧٤ ـ ٧٥.

(٢) انظر: كتاب المنهاج ٥٣.

ويعدّ الياسري منهج الأئمة عليهم السلام متوافقاً مع القرآن في بيان أن الدعاء من العبادة، فقد ذكر عن الباقر رضي الله عنه قول الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر٦٠]، أنه قال عليه السلام: (هو الدعاء، وأفضل العبادة الدعاء)[1].

ويرى الياسري بأن الأئمة قد أكدوا على إفراد الله تعالى بالدعاء ، فهو يرى بأن علياً رضي الله عنه قد بين أن أفضل الأسباب للفلاح التوجه إلى الله مباشرة دون وسائط حين قال: (وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله)[2].

كما يبيّن الياسري منهج علي رضي الله عنه الموافق للقرآن في توحيد الله بالدعاء حينما استدل بقول علي أيضاً : (وألجئ نفسك في الأمور كلها إلى إلهك، فإنك تلجئها إلى كهف حريز ومانع عزيز)[3].

يقول الياسري: "إن الأنبياء والرسل والأولياء إذا أصابهم ضر أو ابتلاء أو مصيبة في الدنيا والآخرة؛ فهم يلجئون إلى الله وحده لا شريك له، ويتضرعون إليه ويدعونه وحده، ويسألونه وحده ويتوكلون عليه ويستعينون به وحده، فكل هذه الأمور هي عبادة، ووظيفتهم هي تعليم الناس أن يفعلوا كل هذه الأمور لله وحده لا شريك له"[4].

---

(١) الكافي ٢/٤٦٦. ومثله :

- قول الصادق رحمه الله تعالى في تعقيبه على الآية نفسها: قال الصادق عليه السلام: هي واللّه الدعاء قد أمر اللّه سبحانه بالدّعاء ووعد بالإجابة وهو لايخلف الميعاد، وتوعّد بالنّار على تركه فقال: ﴿إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين﴾ انظر: عدة الداعى لابن فهد الحلى. ص٤٩ تجده على الموقع التالي:
- ttp://www.hadith.net/persian/products/magazine/mirath/01/002.htm_02
- وقول الصادق رحمه الله: ادع ولا تقل قد فرغ من الأمر، فإن الدعاء هو العبادة. ثم تلا الآية ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي..﴾. الكافي٢/٤٦٧.

وقوله الصادق عليه السلام ـ لما سئل عن رجلين أحدهما أطال القرءة في الصلاة والآخر أطال الدعاء ـ فقال: الدعاء أفضل أما سمعت الله يقول ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾[غافر ٦٠] هو والله العبادة هو والله أفضل (ثم كرر القسم على ذلك مراراً) انظر التهذيب للطوسي٢/١٠٢.

(٢) نهج البلاغة/ ٩٣٦.

(٣) نهج البلاغة/ ٩١٠.

(٤) مذهبنا ٣٣.

* **والخلاصة**: التي يريد الياسري بيانها هي أن القرآن وكلام أئمة آل البيت متفقان على الأمر بإفراد الله وحده بالعبادة، وأن ذلك الدعاء هو رأس العبادة كما بين جعفر الصادق رحمه الله تعالى، خلافاً لما يذهب إليه الغلاة في المذهب.

* شرك الطاعة:

يقرر الياسري رحمه الله أن من أركان توحيد الله الذي هو إفراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالطاعة المطلقة، لهذا قال رحمه الله: " الطاعة المطلقة لله سبحانه وتعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقط"(١)

والأدلة القرآنية التي يسوقها الياسري في كتابه المنهاج على هذا الأصل كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝ ﴾ [النساء : ٥٩].

وقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]

وقد ساق الياسري تفسير أبي عبد الله الصادق رحمه الله لقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا ﴾ حيث قال: (أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم ما أجابوهم، ولكن أحلوا حراماً وحرموا حلالاً فأطاعوهم على ذلك، فعبدوهم من حيث لا يشعرون)(٢).

كما ساق قول الصادق عليه السلام: (من أطاع رجلاً في معصية فقد عبده)(٣).

وقريب من هذه الروايات التي يذكرها الياسري عن الصادق رحمه الله ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من رواية عدي بن حاتم أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ فقلت: إنا لسنا نعبدهم، قال: «**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه**» فقلت: بلى، قال: «**فتلك عبادتهم**» رواه أحمد والترمذي(٤).

وقد لخص الياسري ما يريد بيانه في هذه المسألة بقوله: "إن الطاعة هي العبادة

---

(١) المنهاج٢٢.

(٢) الكافي:٢ / ٣٩٨.

(٣) الكافي: ٢/٣٩٨.

(٤) أحمد (المسند ٤/٢٥٧، ٣٧٨). الترمذي رقم ٣٠٩٤.

كما في الرواية [أي رواية الصادق السابقة] والعبادة هي الطاعة".[١] وبالتالي فإن الطاعة يجب أن لا تصرف بإطلاق إلا لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولا شك بأن من اطلع على كتب التفسير وشروح الحديث عند الإمامية يجد كثيرًا منها يتفق مع ما ذكره الياسري من حيث المبدأ[٢]، ولكن الاختلاف يكون في أمرين من جهة التطبيق وهما:

الأول: هل الأئمة كالرسول ﷺ في وجوب طاعتهم مطلقًا؟

الثاني: هل تقليد العامي للمجتهد في ما يعلم مخالفته للنص يعد داخلًا في شرك الطاعة؟

وللإجابة على الأول يجب علينا أن نستحضر أن الإمامية يعتقدون بأن من وظائف الإمام حماية الشريعة، كما يجب أن نستحضر أنهم يقولون بعصمة الأئمة، وبالتالي فإنه لا يخطئ، وعليه فإن طاعته واجبة بإطلاق، ولو كان ظاهر أمره يخالف القرآن، لأن الإمام ـ في تصورهم ـ لن يأمر بما يخالف الشرع لعصمته، ولأن دلالة القرآن —لدى كثير منهم ـ ظنية ما لم توافق تفسير الإمام وبيانه، وهو ما يصرح به كثير من علماء الطائفة الإمامية.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: كيف يجيب هؤلاء على الآية وتفسير الصادق رحمه الله لها ؟

هنا يجيبنا الفيض الكاشاني ـ بإجابة كثير من علماء الإمامية ـ فيقول: "وأما طاعة الرسل وأوصيائهم فهي في الحقيقة طاعة الله لأنهم عن الله يأمرون وينهون"[٣].

والحقيقة أن ثمة جانبًا آخر غفل عنه أمثال الكاشاني من الإمامية وهو أن الرسول وأئمة آل بيته الشريف عليهم الصلاة والسلام، قد بينوا أن المرجع إلى الكتاب والسنة

---

(١) مذهبنا ٤٧.

(٢) يقول الطبرسي في تفسيره: "وروي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن معنى اتخاذهم أربابا أنهم قبلوا منهم التحريم والتحليل بخلاف ما أمر الله تعالى، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله (عليهما السلام)، فسمى الله ذلك: اتخاذهم إياهم أربابًا من حيث كان التحريم والتحليل لا يسوغ إلا لله تعالى. وهو قول أكثر المفسرين" التبيان ٥/٢٠٦.

(٣) تفسير الصافي ٢/٣٣٧.

الصحيحة فقط، وليس لأحد آخر سواه، فقول علي رضوان الله عليه ـ يوصي المسلمين ـ بقوله: "وصيّتي لكم أن لا تشركوا بالله شيئًا، ومحمد صلى الله عليه وسلم فلا تضيّعوا سنته، أقيموا هذين العمودين وأوقدُوا هذين المصباحين"(١) ولم يقل اتبعوا غيرهما.

كما قال أيضا رضي الله عنه: "استعملَنا الله وإياكم بطاعته وطاعة رسوله"(٢) ـ ولم يقل رضي الله عنه استعملنا بطاعة أي أحد آخر ـ ، وغيرها من النصوص الكثيرة التي تدل على علو منزلة علي رضي الله عنه في الاتباع.

نعم لو نقّح علماء الشيعة روايات الأئمة سندًا، وأخرجوا ما يخالف القرآن والسنة الثابتة من جهة المتن، ثم قال أحد من الشيعة أنا أتبع هذا الصحيح، فإن الخلاف سيكون لفظيًّا تقريبًا، شأنه شأن المقلدين في سائر المذاهب.

ولكن هيهات وآثار الأئمة محكوم عليها بين الطائفة بعدم التنقيح، بل والافتخار بأنهم ليسوا كأهل السنة عندهم كتب نقح أصحابها الأحاديث الصحيحة من الضعيفة، وأن الروايات متروكة لمن يصفونهم بال"مجتهدين" يختارون منها ما يشاءون، وما على العامي إلا التقليد.

والخلاصة أن الياسري رحمه الله تعالى يرى بأن العبادات سواء منها القلبية كالإخلاص والصدق و التوكل والاستعانة والخوف أو العملية كالدعاء وغيره يجب أن لا تكون إلا لله تعالى.



---

(١) نهج البلاغة ٣٥٩ (مؤسسة المعارف خطبة رقم١٤٧).

(٢) نهج البلاغة ص٤٥٠.

* المطلب الثالث *

* الغلو في الصالحين *

موضوع الغلو من المواضيع الأساسية التي ناقشها الياسري رحمه الله تعالى بإفاضة، مبينًا موقف الإسلام منه، وسلامة طريقة آل البيت من صوره التي أدخلها المفسدون، كما بين الياسري القواعد التي وضعها الأئمة لرد مشروع الغلاة الرامي لإدخال الغلو في الإسلام باسم آل البيت.

نشأة الغلو في الإسلام ووسائل انتشاره:

يرى الياسري بأن الإسلام لما انتشر في البلدان التي ينتشر فيها الغلو كدول النصارى والفرس والمجوس؛ صعب على أعداء الدين هناك أن يقاوموا قوة الإسلام، فاتخذوا أسلوبًا آخر؛ يصفه الياسري بقوله:"دخلوا الإسلام تقية، وتظاهروا به وأدخلوا عقائدهم الغالية في الدين الإسلامي، وأظهروها بمظهر إسلامي"[١].

والهدف الذي وضعه هؤلاء المفسدون هو ـ كما يحدده الياسري ـ هو : "تدمير الدين الإسلامي وتدمير وسائل وأسباب بقائه وانتشاره"[٢].

ويوضح الياسري الوسائل التي اختارها المفسدون لتحقيق هدفهم بقوله:ـ

"اختاروا شخصيات إسلامية لها مكانة كبيرة في نفوس المسلمين وقلوبهم وجعلوهم شعارًا وراية لتمرير عقائدهم الغالية الشركية ودسها في الإسلام، ومن هذه الشخصيات التي كانت لها مكانة كبيرة في نفوس وقلوب المسلمين شخصيات أئمة أهل البيت عليهم السلام"[٣].

كما يرى الياسري بأن المفسدين لجئوا إلى هدم وسائل بقاء الدين، وهي:

١ ـ القرآن كتاب الله العظيم المحفوظ.

٢ ـ سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣ ـ حملة الرسالة الإسلامية وجنودها الذين أوصلوا القرآن والسنة النبوية

---

(١) مذهبنا ٧.

(٢) مذهبنا ٨.

(٣) مذهبنا٧ ـ ٨.

للناس كافة وهم المهاجرون والأنصار وأئمة أهل البيت عليهم السلام[١].

يقول الياسري: "لقد حاول الغلاة إخفاء أهدافهم ومقاصدهم عن طريق اعتماد المبادئ الإسلامية ذاتها كمادة لعملهم؛ فكان القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ميادين لنشاطهم وحركتهم، وكانت قاعدتهم الأساسية هي إما التحريف اللفظي أو التحريف المعنوي لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم يلصقون تحريفهم بأئمة أهل البيت عليهم السلام عن طريق روايات يخترعونها ويلفقونها"[٢].

محاربة الأئمة للغلو:

يذكر الياسري في هذا الصدد أن الأئمة قد أدركوا كثرة الكذب الذي نشط المفسدون في اختراعه ونسبته إليهم، وهو ما دعا الأئمة لوضع القاعدة المشهورة عنهم وهي عرض جميع مروياتهم على القرآن الكريم، ورد ما يخالفه منها، وهو ما يعده الياسري قاعدةً أسسها الأئمة لحفظ الناس من الانحراف، ولهذا يقول: " إن هذه القواعد التي تركها لنا أئمة أهل البيت عليهم السلام تشكل ثروة علمية عظيمة وغالية يجب على كل مسلم يدعي حب أهل البيت عليهم السلام أن يتمسك بها قولاً وعملاً وتبليغًا وتعليمًا وخاصة نحن الشيعة الإمامية؛ فنحن أحق بهذا الأمر العظيم وأولى به" [٣].

لكن الياسري لم يخف شدّة أساه على كتب المذهب التي كثر فيها المرويات المكذوبة التي تخالف القرآن، فقال:" والذي يحزننا أن هذه الروايات المكذوبة ملأت كتبنا ومراجعنا المعتمدة"[٤].

* من صور الغلو:

يذكر الياسري بأن من صور الغلو التي أتى بها الرواة الكذابون:

---

(١) انظر: مذهبنا ٨.

(٢) مذهبنا ٨.

(٣) مذهبنا ٩.

(٤) مذهبنا ٩.

١ـ القول بأن عليًّا رضي الله عنه أعلى درجة من الأنبياء والمرسلين.

فقد أنكر الياسري قول محمد علي الموسوي:" إن الأئمة عليهم السلام أهدى من جميع الأنبياء، وأعلم الخلق من الأولين والآخرين عمومًا. ومن الأنبياء والأوصياء خصوصًا"[١]،فقد عقّب الياسري على ذلك بأن هذا القول من الغلو الذي يوافق روايات الغلاة.[٢]

٢ـ القول بأن تعيين الإمام علي أهم من بعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأن تركه نقض للفرض وهدم للبناء، كما ينقله الياسري عن آية الله الخراساني[٣].

٣ ـ القول بأن الأئمة يشاركون الله في الحساب يوم القيامة.

ومثله القول بأن الأئمة يدخلون من يشاءون الجنة ويدخلون من يشاءون النار.

وهذا ما أوردته روايات الكذابين التي يذكرها الياسري، ومنها:

ما رواه ابن بابويه في الرواية القائلة : "إن الله أعطى عليًّا الجنة والنار، فيُدخل من يشاء ويخرج من يشاء عنها"[٤].

ومثلها الرواية القائلة: (إن الأئمة عليهم السلام موكلون من الله بحساب شيعتهم)، ثم قرأ: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝﴾ [الغاشية٢٥][٥].

٤ ـ أن قدرة الأئمة غير محدودة، وأن نفوذهم يشمل كل ما يحيط الوجود، وإن إرادتهم هي إرادة الله، وإرادة الله هي إرادتهم[٦].

٥ـ أن الحج إلى أضرحة الأئمة أفضل من الحج إلى مكة.

ومن الروايات التي تدل على ذلك[٧]:

أ . (من زار قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة كتب الله له ألف ألف حجة مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وألف ألف عمرة مع الرسول صلى الله عليه وسلم،

---

(١) انظر: ضياء المنصفين لمحمد علي الموسوي ص ٣٧.

(٢) انظر: مذهبنا ٩٣.

(٣) انظر: مذهبنا ٩٢. نقلاً عن "الرسالة المعجزة والإسلام ص ١٠٧".

(٤) مذهبنا ٧٩. وانظر: ابن بابويه القمي/ علل الشرائع ١/ ٦٤.

(٥) مذهبنا ٧٩. وانظر: إرشاد القلوب للديلمي ٢/ ٢٥٦.

(٦) انظر مذهبنا ٨٠.

(٧) انظر : مذهبنا ١٠٦ـ١٠٨.

وعتق ألف رقبة، وحمل ألف فرس في سبيل الله)[١].

ب. (من كان يوم عرفة عند الحسين فقد شهد عرفة)[٢].

جـ. (من أتى قبر الحسين يوم عرفة بعثه الله يوم القيامة ثلج الفؤاد)[٣].

د. (من زار أرض كربلاء ليلة عرفة وأقام بها العيد؛ وقاه الله شر سنته)[٤].

هـ. (إن الله يتجلى لزوار الحسين قبل أهل عرفات)[٥].

و. (زيارة الحسين في شط الفرات كمن زار الله في ه)[٦].

ز. (زيارة الحسين يوم عاشوراء لقاء بثواب ألفي حجة وألفي عمرة وألفي غزوة)[٧].

ح. (ثواب كل درهم ينفق في الحج بألف، وفي زيارة الحسين بعشرة آلاف)[٨].

٦ـ نسبة شيء من صفات الله للأئمة، مثل علم الغيب أو الخلق أو الإحياء والإماتة وغيرها[٩].

٧ـ المبالغة في نسبة الفضائل للأئمة.

مثّل الياسري لذلك بما رووه عن عبد الله بن مسعود قال: (أتيت فاطمة عليها السلام فقلت لها: أين بعلك؟ فقالت: عرج به جبريل عليه السلام إلى السماء، فقلت: في ماذا؟ فقالت: إن نفرًا من الملائكة تشاجروا فسألوا حَكَمًا من الآدميين، فأوحى الله سبحانه وتعالى لهم أن تخيروا، فاختاروا عليًّا)[١٠].

والخلاصة أن الياسري يرى بأن الإسلام مبرأ من كل أشكال الغلو التي أدخلها المفسدون بقصد هدم الدين، وأن الأئمة رضي الله عنهم قد بينوا موقفهم من الغلو، ووضعوا قاعدة مهمة تكفي لرد جميع مرويات الغلاة وهي قاعدة الرد إلى القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

---

(١) وسائل الشيعة١٤/٤٦٠.
(٢) التهذيب ٦/٥١. وسائل الشيعة١٤/٤٦٢.بحار الأنوار ٩٨/٩٢.
(٣) وسائل الشيعة ١٤/٤٦٣.
(٤) وسائل الشيعة ١٤/٤٦٤.بحار الأنوار٩٨/٩٠.
(٥) وسائل الشيعة ١٤/٢٦٥. بحار الأنوار ٩٨/٣٦.
(٦) الوسائل ١٤/٤١١. وفي روايات أخرى (يوم عاشوراء) التهذيب٦/٥١. وفي أخرى (يوم عرفة) مستدرك الوسائل ١٠/٢٨٤.
(٧) الوسائل ١٤/٤٦٧.
(٨) انظر هذه الروايات في (وسائل الشيعة ج٥/ ٢٩٠ ــ ٤٩٠).
(٩) انظر بعضها في فصل البرقعي.
(١٠) مذهبنا ٩٩ ـ ١٠٠ . وانظر : الاختصاص للمفيد ٢١٣.

* المطلب الرابع *
تمسكه بالقرآن الكريم

المتأمل لكتب الياسري رحمه الله تعالى يجد اهتمامًا بالغًا بالقرآن الكريم، فهو المرجع الأول الذي يعتمد عليه الياسري في آرائه ومناقشاته،كما أنه في نظر الياسري المرجعية التي يمكن أن تجمع الأمة الإسلامية على الحق.

وقد ألف الياسري كتابه (المنهاج) أو (المرجعية القرآنية) ونجده يكتفي في هذا الكتاب بوضع عناوين ثم يسرد تحتها آيات كثيرة تدل قارئها على ما عنون له من مسائل الدين بشكل واضح، من دون أن يعلق الياسري بشيء إلا في مواضع يسيرة، إيمانًا منه بكفاية القرآن لبيان الحقائق وهداية الناس.

ويمكن بيان أبرز ما قدمه الياسري من أفكار حول القرآن بما يلي:

أولاً: القرآن محفوظ من التحريف.

يرى الياسري أن القرآن كتاب الله المحفوظ من جميع أنواع التحريف، فهو "قطعي الثبوت" كما يصرح الياسري، وقد استدل على هذا بأدلة كثيرة ذكرها في كتابه المنهاج[1].

ثانيًا: القرآن استوعب جميع أصول الدين وأساسياته[2].

يستدل الياسري على هذا بآيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩]، كما يبين الياسري بأن "أصول الدين وأساسياته نصوص قرآنية قطعية وليست اجتهادات أو استنباطات عقلية ظنية"، ولهذا يصرح رحمه الله بأن: "القرآن يغني عما سواه ولا

---

(١) انظر: المنهاج ٧.

(٢) انظر: المنهاج ٨ ـ ٩.

يغني سواه عنه" بدلالة آيات كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة العنكبوت:٥١ ، ٥٢]

وقوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾ [الأعراف:١٨٥]

ثالثًا : القرآن سهل واضح ميسر للفهم ليس فيه باطن يخالف ظاهره.

يرى الياسري بأن القرآن سهل ميسر للفهم ، بدلالة قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ ﴾ [القمر: ١٧]

ولهذا يذكر رحمه الله تعالى الآيات التي وبخ الله بها من لا يتدبر القرآن مثل قوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝ ﴾ [محمد:٢٤]

كما أن الياسري بين أن القرآن واضح، وذكر أن الله وصف الذين يزعمون أن القرآن لا يفهم بأوصاف قبيحة، كما سيأتي.

من صفات الذين يدّعون أن القرآن لا يفهم(١)

أشار الياسري إلى أن الله وصف الذين يدّعون أنهم لا يفهمون القرآن بأوصاف منهم:

- **أنهم ضعفاء الإيمان، وإنهم من الملعونين .**

كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾ [البقرة:٨٨].

- أنهم المطبوع على قلوبهم.

كما قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا

(١) انظر المنهاج ١٢ ـ ١٣.

قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ [النساء: ١٥٥].

■ وأنهم المتبعون لأهوائهم.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ [محمد: ١٦].

وهذه الصفات التي أشار إليها الياسري كفيلة بأن تدعو كل مسلم إلى الإقبال على القرآن دراسة وتدبرًا.

* نقد الياسري للقول بتحريف القرآن:

سبق القول بأن الياسري لم يكن يعتقد بأن القرآن محرّفٌ في كل مراحل حياته، وأنه لم يخطر بباله في يوم من الأيام أن يكون أحدٌ من أعلام المذهب الإمامي قد قرر هذا الاعتقاد الخطير، ولكن الاتهام الذي وجّهه له ابن حجي - كما سبق - دفع الياسري إلى البحث والاطلاع بنفسه على أقوال علماء المذهب، فوقف في بحثه على حقائق مهمة أخرجها في كتابه (القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة الإمامية الاثني عشرية).

وقد سلك الياسري في بحثه طريقة علمية جيدة، حيث قام باستعراض أبرز أعلام المذهب من القرن الرابع كالقمي والكليني إلى أن وصل إلى الأعلام المتأخرين كمحمد تقي الكاشاني والخوئي، مبيّنًا في عرضه لأغلب الأعلام ثلاثة أمور:

أولًا: مكانته في المذهب، من خلال عرض أقوال علماء المذهب فيه.

ثانيًا: تصريح ذلك العالم بأنه يعتقد بأن القرآن الموجود محرّف.

ثالثًا: تصريح علماء بعض الطائفة عنه بأن ذلك العالم يعتقد بتحريف القرآن.

ويمكن اختصار بعض الأمثلة التي أشار إليه الياسري فيما يلي[1]:

أولاً: محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٩هـ).

نقل الياسري أقوال جمع من العلماء الدالة على علو منزلته في المذهب

---

(١) وقد رتبت هذه الشخصيات بحسب ترتيب وتقسيم الياسري لها في كتابه.

الجعفري، وهي - باختصار - تدل على أنهم يعتبرونه ثقة، وحجة، وعارفاً، وعالمًا بالأخبار الصحيحة عن الأئمة عليهم السلام، وأنه من أعظم علماء المذهب في معرفة الأخبار الصحيحة وتمييزها[١].

ثم بين الياسري عقيدة الكليني في القرآن؛ مبينًا أنها تظهر بجلاء من خلال كثرة الأخبار الدالة على أن القرآن الذي نزل أكثر مما هو موجود بأضعاف[٢]، وهو ما جعل الفيض الكاشاني يقول: (إنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن لأنه روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي ولم يتعرض لقدح فيها مع أنه ذكر في أول الكتاب أنه يثق بما رواه وأنه التزم الصحة فيما رواه)[٣].

كما نقل الياسري عن النوري الطبرسي في فصل الخطاب قوله: (تحريفُ القرآن مذهب ثقة الإسلام الكليني حيث نسبه إليه جماعة العلماء لنقله الأخبار الكثيرة الصريحة في هذا)[٤].

كما نقل تصريح كل من السيد محسن الكاظمي والسيد أبي الحسن العاملي والمجلسي ونعمة الله الجزائري بأن الكليني يعتقد بتحريف القرآن[٥].

ثانيًا: محمد باقر المجلسي (ت:١١١١هـ).

يقول الياسري:" إن منزلة هذا العالم الكبير تظهر من خلال كونه واضعًا لأحد أصولنا الثمانية بل لأكبر هذه الأصول وأعظمها"[٦] ويقصد به كتاب بحار الأنوار.

وقد نقل الياسري رحمه الله تعالى أقوال علماء المذهب في الثناء على المجلسي، ثم عقب بقوله: وأثناء بحثي في أقوال وكلام وروايات المجلسي وجدته يؤمن بعقيدة تحريف القرآن بل ويدعو إليها وينشرها ويصر عليها ويتشدد لها في مؤلفاته وإليكم بعضًا من أقواله ورواياته [ثم ساق أربع عشرة رواية نقلها المجلسي].

ثم نقل الياسري تصريح المجلسي باعتقاده حيث قال المجلسي: (لا يخفى أن خبر تحريف القرآن وكثيرًا من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره وأن الأخبار في هذا الباب متواترة وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد على الأخبار رأسًا

(١) انظر: كتاب القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة للياسري ١٠ ـ ١٣.
(٢) انظر: كتاب القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة للياسري١٣ ـ ١٧ .
(٣) المرجع السابق ١٧. وانظر تفسير الصافي/ المقدمة السادسة ١٤.
(٤) كتاب القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة للياسري١٧.
(٥) انظر: المرجع السابق ١٧ ـ ١٨.
(٦) المرجع السابق ٢٨.

بل إن الأخبار في تحريف القرآن لا تقصر عن أخبار الإمامة)[١]. يقول الياسري في توضيح قول المجلسي: أي إذا قلنا إن الإمامة موجودة فيجب أن يكون القرآن محرفاً، وإذا قلنا أن القرآن غير محرف فهذا يعني أن الإمامة ليست موجودة[٢].

وهذا ما جعل بعض أعلام المذهب يصرحون بأن المجلسي يعتقد أن القرآن الموجود محرف، ويمثل الياسري بالطبرسي حيث قال: (العلامة محمد باقر المجلسي صرح بأنه يؤمن بتحريف القرآن)[٣].

ثالثًا: محمد تقي علي محمد النوري الطبرسي (ت:١٣٢٠هـ).

وهو كما يقول الياسري: "صاحب أحد أصول ومراجع طائفتنا ألا وهو (مستدرك الوسائل) وكذلك صاحب كتاب (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)· تتلمذ العلامة المحدث النوري الطبرسي على يد العلامة الكبير مجدد الشيعة في القرن الثالث عشر السيد الشيرازي"[٤].

وقد قام الياسري بتوثيق كتاب فصل الخطاب حتى يقطع السبيل على من يريد التشكيك في نسبة الكتاب للطبرسي[٥]، ثم نقل الياسري هدف المؤلف من تأليفه للكتاب كما في قوله في مقدمته: (ويقول العبد حسين بن محمد تقي الطبرسي جعله الله من الواقفين ببابه المتمسكين

---

(١) مرآة العقول للمجلسي/ ١٢/ ٥٢٥. ضمن شرح باب أن القرآن كله لم يجمعه إلا الأئمة.

(٢) انظر: كتاب القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة للياسري٣١ ـ ٣٢.

(٣) فصل الخطاب، (المقدمة الثالثة/ في ذكر أقوال علمائنا في تحريف القرآن) ص٢٦ــ٣١.

(٤) كتاب القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة للياسري٣٤.

(٥) كتاب القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة. وممن نقل عنهم الياسري توثيقه للكتاب: ـ

- الملا باقر بن إسماعيل الكاجوري أيده بكتابه (هداية المرتاب في تحريف الكتاب) ذكره الطهراني في (الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج٢٥ ص١٩١).
- العلامة الملا محمد بن سليمان بن زوير السليماني [ذكره آغا بزرك الطهراني في الذريعة ج١٨ ص٢٧].
- العلامة الشيخ هادي النجفي في كتابه (محجة العلماء) [الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج١٦ ص٢٣٢، ج٢٠ ص١٤٤].
- العلامة الشيخ المولى محمد كاظم الخراساني في كتابه (الكفاية) [الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج١٦ ص٢٣٢، ج٢٠ ص١٤٤].
- وقد ذكر محمد مهدي الموسوي الأصفهاني في كتابه (أحسن الوديعة ص٨٩): ((إن المسيحيين ترجموا هذا الكتاب بلغاتهم ونشروها)) اهتمامًا منهم بالمؤلف والكتاب.
- العلامة أغابزرك الطهراني: في كتابه نقباء البشر في القرن الرابع عشر عند ترجمة النوري الطبرسي.
- السيد ياسين الموسوي: في مقدمة كتاب النجم الثاقب للنوري الطبرسي.
- رسول جعيفران: في كتابه أكذوبة التحريف.
- العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي: في كتابه حقائق هامة حول القرآن الكريم.

بكتابه، هذا كتاب لطيف وسفر شريف عملته في إثبات تحريف القرآن وفضائح أهل الجور والعدوان وسميته فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)[١].

رابعًا: المحدث يوسف البحراني[٢].

نقل الياسري عنه أنه قال: (لا يخفى ما في هذه الأخبار من الدلالة الصريحة والمقالة الفصيحة على تحريف القرآن وبشكل واضح ولو تطرق الطعن إلى هذه الأخبار على كثرتها وانتشارها لأمكن الطعن إلى أخبار الشريعة كلها كما لا يخفى، إذ الأصول واحدة وكذا الطرق والرواة والمشايخ والنقلة ولعمري أن القول بعدم التغيير والتبديل لا يخرج من حسن الظن بأئمة الجور وانهم لم يخونوا في الأمانة الكبرى مع ظهور خيانتهم في الأمانة الأخرى التي هي أشد ضررًا على الدين ـ يقصد الولاية والخلافة ـ)[٣].

هذه ـ باختصار ـ بعض الأمثلة التي عرضها الياسري في كتابه.

والخلاصة هي أن الياسري يرى بأن كثيرا من أعلام المذهب يقررون عقيدتهم بوقوع التحريف في القرآن، وهو أمر ينكره الياسري أشد الإنكار ويرى بأنه يخالف اعتقاد الأئمة من آل البيت رحمهم الله وجميع المسلمين.



---

(١) فصل الخطاب/ المقدمة.

(٢) هو يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرازي البحراني، من آل عصفور. من أهل البحرين، توفي في كربلاء ١١٨٦هـ/١٧٧٢م. كان له دور كبير في تاريخ التشيع في البحرين، من أشهر كتبه: الدرة النجفية من الملتقطات اليوسفية، وأنيس المسافر، و لؤلؤة البحرين، وسلاسل الحديد في الرد على ابن أبي الحديد (ألفه في الرد على شارح نهج البلاغة في إثباته خلافة الخلفاء الثلاثة) وقد رد عليه علم العراق أمين السويدي في كتابه الصارم الحديد في عنق صاحب سلاسل الحديد) انظر الأعلام ٢١٥/٨. الذريعة (٢٦٥/١)، (٤٦٥/٢).

(٣) الدرة النجفية العلامة المحدث يوسف البحراني ص٢٩٨(ط:مؤسسة آل البيت لإحياء التراث).

* المطلب الخامس *
* الإمامة *

يرى الياسري بأن أئمة آل البيت وعلى رأسهم علي رضي الله عنه يمثلون مستوى عال من العلم والعبادة والجهاد في سبيل الحفاظ على الدين، وهو ما يفسر به الياسري المنزلة الواردة لبعضهم عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مثل كون علي لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق وأنه رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كما في الأحاديث المشهورة[(١)].

نستطيع أن نأخذ موقف الياسري من عقيدة النص على الأئمة الاثني عشر من خلال أمور ذكرها في كتابه المنهاج تحت عنوان "الإمامة"، وهي باختصار:

١ـ أن القرآن يبين أن الله تعالى إذا أراد تعيين أحد لمنصب (تشريعي أو تنفيذي) فإنه يصرح باسمه، ولم يصرح القرآن بأن عليًّا يجب أن يكون بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم[(٢)].

٢ ـ الإمامة لا تستلزم الأفضلية، وأنها تصح أن تكون للمفضول مع وجود الأفضل" وكما وهب الله الخلافة والملك لطالوت وهو ليس نبيًّا فلا يلزم أن يكون الإمام أفضل أهل عصره إذ قد كان طالوت ملكًا بأمر الله سبحانه وتعالى ونصه في حين أن نبي الله يوشع وداود موجودان"[(٣)].

---

(١) مذهبنا ص ٥، والياسري يشير إلى حديث علي رضي الله عنه:(عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق) رواه أحمد في المسند(١/٩٥، ١٢٨) وفي فضائل الصحابة٢/٦٩٦. والترمذي٥/٥٩٤ . وابن ماجه١/١٤٢وغيرهم. وقد صححه الدكتور وصيّ الله بن محمد عباس في تحقيقه لفضائل الصحابة (ح٩٤٨). وأما حديث بريدة وغيره (لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله..) فقد رواه مسلم ٤/١٨٧١ح٩٨٧.وأحمد (٥/٥٣٥) (٢/٣٨٤). والنسائي في الخصائص ص٥.

(٢) المنهاج ٨٩ ـ ٩٠.

(٣) المنهاج٩٠.

٣ .أن العصمة ليست من لوازم الأئمة، لأن اشتراطها يخالف تعيين الله طالوت ملكًا ـ وهو غير معصوم ـ مع وجود النبي المعصوم يوشع بن نون عليه السلام[١].

يرى الياسري بأن الأئمة قد أكّدوا أصلًا مهمًّا وهو: «أن كل ابن آدم خطاء، وأن كل إنسان معرض للخطأ والنسيان والسهو والغفلة وغيرها من العوارض والصفات البشرية".

كما ذكر الياسري أن الأئمة قد أكدوا في كلامهم أصلاً مهمًّا هو: "أن كل ابن آدم خطاء، وأن كل إنسان معرض للخطأ والنسيان والسهو والغفلة وغيرها من العوارض والصفات البشرية، فها هو الإمام علي عليه السلام يقول: (لا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفيني الله من نفسي ما هو أملك به مني، فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره)[٢]، ويؤكد أيضًا الإمام علي عليه السلام هذا الأصل قائلا: (ما أهمني ذنب أمهلت بعده حتى أصلي ركعتين)[٣].

٤ . طريق اختيار الإمام في القرآن هو: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الشورى٣٨][٤].

والخلاصة هي أن الياسري يرى بأن الإمامة تكون بالشورى وعليه فإنه لا نص عليها، وأن الإمامة تصح أن تكون للمفضول مع وجود الأفضل، وأنه لا تلازم بين الإمامة والعصمة.

❊❊❊

---

(١) المنهاج ٩١.

(٢) نهج البلاغة ٢/ ٢٠١.

(٣) نهج البلاغة ٤/ ٧٢.

(٤) المنهاج ٩١.

* المطلب السادس *
* رأيه في الصحابة *

اتخذ الياسري في موضوع الصحابة رضي الله عنهم طريقًا معتدلًا ومنصفًا، بعيدًا عن كل تهويش أو تزييف.

ويمكن أن نلخص رؤيته للصحابة الكرام فيما يلي:

أولا: الثناء على الصحابة:

يعد الياسري أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم من"حملة الرسالة الإسلامية وجنودها الذين أوصلوا القرآن والسنة النبوية للناس كافة وهم المهاجرون والأنصار"[1].

كما بيّن الياسري أن الله تعالى زكاهم في القرآن في آيات كثيرة ، منها قوله: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبة : ١١٧] وغيرها من الآيات الكثيرة التي سردها الياسري في الاستشهاد على ذلك[2].

يرى الياسري بأن الخلفاء الأربعة الذين تولوا من بعد رسول الله تعالى هم راشدون عدول، وأنهم أي الأربعة خيار الأمة.

ولهذا عقد الياسري فصلاً في كتابه المنهاج عنوانه (الخلفاء الراشدون) ثم ذكر الآيات التي يرى بأنهم من أول الداخلين فيها، وهي:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور : ٥٥]

---

(١) مذهبنا ٨.

(٢) انظر المنهاج ٦٩ ـ ٧١.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ [الحجرات : ٧]

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج : ٤١]

﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨﴾ [الحشر : ٨]

يعتبر الياسري أن أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم هن أمهات المؤمنين، ويشير إلى أن لهم فضائل في القرآن منها:

أ - منزلتهن العظيمة من المؤمنين، كما في قوله: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ [الأحزاب:٦]

ب - أنهن داخلات في قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء..﴾ **إلى أن قال تعالى:** ﴿وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ۝٣٣﴾ [الأحزاب:٣٢، ٣٣] (١).



(١) انظر المنهاج ٧١ ـ ٧٣.

* المطلب السابع *
رأيه في النوح واللطم عند المصائب

من المظاهر البشعة التي صارت للأسف من سمة المذهب الإمامي، ما يفعله الكثير ممن يحضر مجالس العزاء ومواكب الذكرى الحسينية وغيرها من لطم الخدود وضرب الرءوس والصدور بالسلاسل والسيوف، مع ما يرافق ذلك من النياحة والعويل.

وقد بين الياسري [1] رحمه الله تعالى أن مذهب الأئمة يخالف هذه الطريقة الجاهلية ، واستدل على ذلك بما رواه علماء السنة والشيعة من قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»[2]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم أيضًا: «النائحة إذا لم تتب البسها الله يوم القيامة درعًا من جرب وثوبًا من قطران»[3].

كما استشهد الياسري على أن منهج الأئمة يخالف هذه الظاهرة بقول علي رضي الله عنه: (ينزل الصبر على قدر المصيبة، ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط عمله)[4].

وقول علي رضي الله عنه : (تغلبكم نساؤكم على ما أسمع، ألا تنهونهن عن هذا الرنين)[5].

يجدر بنا أن نبين أن المعارضين لمثل هذه المظاهر المخالفة للإسلام في صفوف الشيعة يمثلون فئة لا بأس بها، لاسيما في المتأخرين منهم وعلى رأس هؤلاء آية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني ـ المرجع الأعلى للشيعة في وقته ـ وآية الله

---

(١) انظر كلامه في كتاب مذهبنا ٧٠.

(٢) البخاري (ح:١٢٩٤، ١٢٩٧). مسلم (ح١٠٣). ومستدرك الوسائل(٢/٤٥٢ رقم ٢٤٤٣) بحار الأنوار(٧٩/٩٣)كلهم عن ابن مسعود.

(٣) مسلم (ح٩٢٣). أحمد (٥/٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤). الحاكم (١/٣٨٣). ومستدرك الوسائل(٢/٤٢٥ رقم٢٤٤٦) كلهم عن أبي مالك الأشعري.

(٤) نهج البلاغة/قصار الحكم رقم ١٤٤.

(٥) نهج البلاغة /قصار الحكم رقم ٣٢٢.جامع أحاديث الشيعة ٣/٣٨٧. البحار ٨٢/٨٩.

العظمى السيد محسن الأمين العاملي - كبير علماء الشيعة في سوريا في وقته - الذين أعلنا حرمة هذه الأعمال عام ١٣٥٢هـ مما سبب انحسارًا كبيرًا في مثل هذه الأعمال[1]، لكنها لم تلبث أن عادت بعد وفاة الأصفهاني سنة١٣٦٥هـ[2] على يد المراجع بعده، ولا زال بعض علماء الشيعة ومثقفيهم لا يرتضون هذه الأعمال، التي تخالف الشريعة وتشوه الإسلام.



(١) وعلى أن العاملي من الأعلام المنظرين للمذهب الإمامي في العصر الحديث إلا أنه قد أُتهم بالانحراف بسبب هذه أي؛ فتوى تحريم اللطم والتطبير من قبل أرباب الخرافة، كما يتجلى ذلك في قول أحد شعراء الشيعة الدمشقيين، معرضًا بالعاملي:

يا راكبًا إما مررت بجلّق فابصق بوجه (أمينها) المتزندق

انظر مجلة الواحة/العدد الأول/ مقال:النقد الذاتي وسلطة العوام لفؤاد ابراهيم .
www.alwaha.com/issuel/is.1sb13.htm.

(٢) الشيعة والتصحيح ١٠١.

* المطلب الثامن *
* دعوته إلى الوحدة الإسلامية *

يرى الياسري بأن الله تعالى أمر المسلمين بالاجتماع ونهاهم عن الفرقة في آيات كثيرة في كتابه، فقال: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٥٩][١].

وهذه الآيات يقول الياسري بأنها تدل على " أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالوحدة والجماعة لأن قوة الإسلام في الجماعة، ونهانا عن التنازع والفرقة"[٢].

كما يرى الياسري بأن الأئمة ساروا على نهج القرآن في الأمر بلزوم جماعة المسلمين والحرص على وحدة كلمتهم، ويذكر الياسري شاهدا على ذلك[٣]:

- قول الإمام الصادق عليه السلام: (من فارق جماعة المسلمين قدر شبر خلع ربقة الإسلام من عنقه)[٤].
- عن الإمام علي عليه السلام: (فإياكم والتلون في دين الله، فإن جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل، وإن الله سبحانه لم

---

(١) المنهاج ٦٧.
(٢) مذهبنا ٣٠.
(٣) مذهبنا ٦١.
(٤) أمالي الصدوق/ ٢٩٧، الوسائل ٥/ ٣٧٧.

يعط أحدًا بفرقة خيرًا، ممن مضى ولا ممن بقي)[١].

- عن الإمام علي عليه السلام: (وخير الناس حالًا النمط الأوسط فالزموه، والزموا السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة فإن الشاذ من الناس للشيطان)[٢]
- عن الإمام الصادق رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **«من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم»** [٣]

وهذه الأقوال يرى فيها الياسري منهجًا قرآنيًا يدعو إلى اجتماع الكلمة، وبيان أن "من فارق الجماعة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه"[٤].

الوحدة لا تكون إلا بالرجوع إلى القرآن.

من محاسن الياسري أنه لم يتكلم عن أهمية اجتماع الكلمة فقط، بل رسم الطريق الذي يراه الحل الأمثل للوصول إلى ذلك.

فقد بين رحمه الله تعالى أن وحدة المسلمين لن تكون إلا بأن يقبل المسلمون جميعًا العودة إلى القرآن ليحلوا جميع خلافاتهم، ويتركوا كل ما خلفه، وقد نقل عن الياسري أنه كان كثيرًا ما يقول: "إن القرآن ليس شيعيًا ولا سنيًا" يعني بأنه مرجعًا عامًا للجميع.

ويعدّ الياسري الرجوع للقرآن هو المنهج الذي رسمه بعض أئمة آل البيت في آثارهم، مثل قول أبي عبد الله الصادق رحمه الله :(كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف)، وقوله أيضًا : (إن على كل حق حقيقة؛ فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه)، وقوله: عن أبي عبد الله عليه السلام: (جاء رجل فسأله عن اختلاف الحديث عنهم يرويه من نثق به ومن لا نثق به؟ فقال الإمام عليه السلام: إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدًا من كتاب الله أو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلا فالذي جاءكم به

(١) نهج البلاغة/ خطبة١٧٤(المعارف) ١٧١(صالح).

(٢) نهج البلاغة/ خطبة١٢٥(المعارف) ١٢٣(عبده).

(٣) الكافي ٢/ ١٦٤.

(٤) مذهبنا ٦١.

أولى به) وغيرها من الأقوال.

يقول الياسري رحمه الله: "ولو أن المسلمين طبقوا وعملوا بهذه القواعد لتوحدت الأمة الإسلامية"[١].

ومن المهم أن نقول بأن الياسري لم يرد بيان أن المصدر الوحيد هو القرآن، لأنه رحمه الله يؤكد على أن السنة الثابتة هي مما يجب الرجوع إليه وأن الإعراض عنهما صفة الكافر أو المنافق[٢]، ولكنه يرى بأن المصدر الذي يمكن أن يتفق عليه الجميع ابتداء هو القرآن، وهو الكفيل بأن يحاكموا إليه الأقوال الاعتقادية، ومن ثم الاجتماع على منهج قرآني بعيد عن الغلو والشرك، الذين بينهما القرآن غاية البيان.

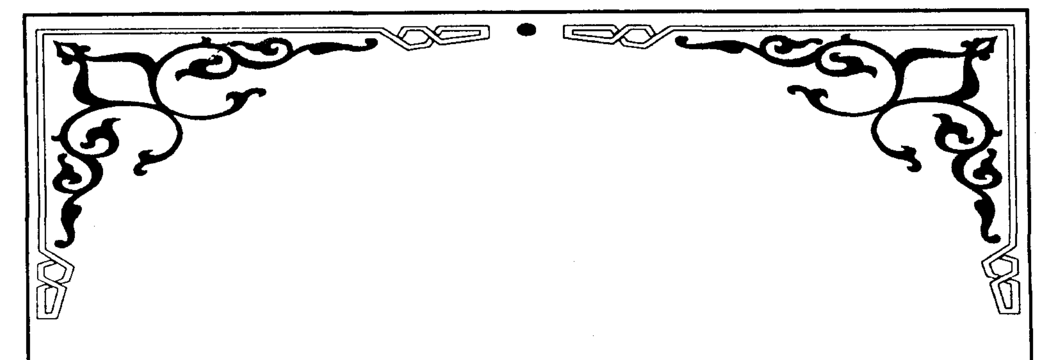
وأخيراً: فمن خلال ما مضى يتبين أن السيد محمد الياسري رحمه الله تعالى ابتدأ مسار النقد والتصحيح من حيث لم يحتسب، فقد أراد أن يدافع عن المذهب في أحد أخطر القضايا الحساسة، فاكتشف أن ثمة حقائق قد غُيبت عنه وهي أن طائفة من أبرز أعلام المذهب يقررون عقيدة تحريف القرآن ونقصانه، وهو ما قاده إلى الشك، ومن ثم المراجعة والبحث بنفسه في كثير من القضايا الأخرى، فانتهى به الأمر إلى ترك عقيدة النص والعصمة (الإمامة)، وأهم منها الوعي على ألوان الغلو الذي أُدخل إلى ساحة المذهب باسم الأئمة رحمهم الله، ولم يستطع الياسري أن يكتم ما تبين له فذهب يؤلف ويتكلم ليبين أن القرآن يخالف ذلك، وأن الأئمة لم يأمروا بذلك إطلاقاً، فكانت النتيجة أن دفع الياسري حياته ثمناً لذلك، فرحمه الله رحمة واسعة.



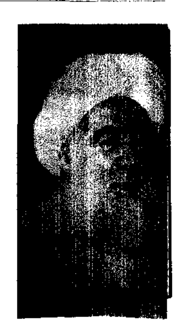
---

(١) مذهبنا ٩.

(٢) انظر فصل (وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة، والإعراض عنهما صفة الكافرين أو المنافقين) في المنهاج ١٨.



الفصل الرابع



آية الله العظمى

إسماعيل آل إسحاق

(العلامة الخوئيني)

"بعد خمسين سنة من البحث والمطالعة ومعرفة الإسلام والبحث في مختلف المذاهب الفلسفية والعرفانية وأفكار الغلاة ومختلف المذاهب، وصلت إلى هذه النتيجة: أن حقيقة الدين هو القرآن الكريم، فإن القرآن يدعونا مرارًا إلى قراءته والتدبر والتفكر فيه، وسبب كل هذا الضلال والحيرة والبعد العام عن حقائق القرآن هو عدم قراءة القرآن والتدبر في القرآن وعدم معرفة نظرة القرآن إلى الكون والحياة"

العلامة الخوئيني





المبحث الأول

ترجمته



اسمه ونشأته:

هو إسماعيل بن عبد الكريم آل إسحاق الخوئيني.

ولد رحمه الله سنة ١٣٥٨هـ /١٩٣٧م في مدينة زنجان، ونشأ في كنف والده آية الله عبدالكريم الخوئيني[١] من بين تسعة من الأبناء ، ومع هجوم المتحالفين في الحرب العالمية الثانية تعرضت مدينة زنجان للقصف، مما جعل والده ينتقل إلى قرية "خوئين"[٢] التي صار ينتسب إليها.

تعلم القرآن والأدب الفارسي والعربي في خوئين، ثم لما بلغ من العمر ثماني سنوات انتقل مع والده إلى مدينة قم حيث أكمل بقية دراسته على والده وغيره من الأساتذة.

ثم انتقل الخوئيني إلى النجف ليكمل دراسته، وبقي فيها ثلاث سنوات، درس فيها على آيةالله محسن الحكيم، وأبي القاسم الخوئي وغيرها، ثم رجع إلى قم ودرس عند البروجردي والخميني وحسين المنتظري.

ثم تزوج الخوئيني، وانتقل إلى طهران بدعوة من محمد رضا المهدي وحسين النوري وإمامي الكاشاني، فأقام في طهران وبدأ يدرس في المدرسة العلوية.

ثم بإشارة من البروجردي دخل كلية الإلهيات، في جامعة طهران، ودرس فيها على يد الأستاذ مرتضى مطهري وغيره لمدّة خمس سنوات.

---

(١) كان والده عبد الكريم من تلامذة آخوند ملا كاظم الخرســـاني، ومن أقران آية الله العظمى البروجردي، وآية الله سيد الزنجاني، وأستاذ رضا روزبة، وله تسعة من الأبناء كلهم دخلوا مجال العلم الشرعي.

(٢) قرية قريبة من آذربيجان. انظر: معجم البلدان ١٥٢/٣.

أعماله:

شارك الخوئيني في عدّة أعمال مهمة منها:

- تأسيس مؤسسة رفاه طلاب العلوم الدينية في قم، وقد شارك في افتتاحها آية الله قدوسي المشرف، وبحضور الآلاف من الطلاب، ولخطورة هذه المؤسسة قام جهاز السافاك (جهاز المخابرات آنذاك) بإغلاقها، ومنع الخوئيني من التدريس مدّة أربع سنوات، ثم نفي بعدها إلى مدينة بيجار[1].

- نشط الخوئيني بعد الثورة في المجال الثقافي والاجتماعي، فقد قام بفتح حلقات وتقديم الدروس في مدينة بوشهر وتبريز، كما قام بتقديم المعونات الإنسانية عن طريق مؤسسة بيت الزهراء الخيرية، كما كان له مشاركات في إلقاء المحاضرات في إذاعة تبريز وآبادان وغيرها.

- إشرافه على برنامج "علاقة الجامعة بالمسجد" وهو برنامج تبناه مجموعة من العلماء في طهران عن طريق وزارة التعليم، واستمر الخوئيني مشرفًا على البرنامج لمدّة عام، ثم توقف البرنامج لوقوف حزب آخر من العلماء ضدّه.

- المساهمة في تأسيس مركز المستضعفين الخيري.

- ترأس مركز حماة القدس للتحقيقات الإسلامية.

- رشح الخوئيني نفسه لرئاسة الجمهورية ـ بطلب من مؤيديه ـ وذلك في الدورة الثانية، وهي ذات الدورة التي رشّح فيها محمد علي رجائي نفسه فيها، وقد أعلنت الجرائد هذا الخبر ولكن تم في الأخير رفض ترشيحه أخيرًا دون ذكر أي سبب.

- رشّح الخوئيني نفسه للاشتراك في "مجلس الخبراء لانتخاب القائد"[2]، ولكن لم يخرج اسمه ضمن قائمة المرشحين أيضًا.

ابتلاؤه:

تعرض الخوئيني رحمه الله تعالى إلى كثير من الابتلاءات بسبب تمسكه بآرائه التي تخالف الغلو والخرافة، وقد كانت رسالته التي وجّهها إلى الخميني[3] بداية

(١) مدينة في محافظة كردستان.

(٢) وهو مجلس يتكون من اثني عشر شخصا شرعيًا وستة من ذوي الاختصاصات المختلفة.

(٣) سيأتي تلخيص أفكار هذه الرسالة.

لكثير من المحن التي لقيها بعد ذلك.

فبعد أن قام الخوئيني بنشر رسالته قبض عليه وسجن . رغم سابقته العلمية ومكانة أسرته علميًّا واجتماعيًا وسياسيًا . ، وربما كانت هذه المكانة من أكبر أسباب محاولة كسره ومحاولة الحيلولة دون بروزه أكبر .

كما سعى المخالفون للخوئيني إلى إيجاد أي مبرر من أجل أن يدينوه بالعمالة ولكنهم لم يفلحوا، فاضطروا لإجباره بعد ستة أشهر من الضرب والتعذيب إلى أن يقر بذنب لم يرتكبه وقرروا إعدامه، وتم إحضار عائلته من قم إلى طهران، فقام بتقديم الوصية المكتوبه لهم، وإخبارهم بالحكم الذي صدر بحقه، ولكن عناية الله تعالى أدركت إسماعيل الخوئيني، فقد مرض الخميني مرضه الأخير ثم مات، فتم تأخير حكم الإعدام، ثم تم نفيه إلى سجن إوين. وهو في حالة صحية سيئة..

ومن أجل زيادة الضغط عليه وتضييق الخناق عليه، جاء الأمر بإلغاء عمله كرئيس في مكتب مركز حماة القدس، وقد لقي من جراء ذلك أزمة مالية كبيرة؛ لأنه يعيل خمسة عشر فردًا، وهو لا يستجيز أخذ شيء من سهم الإمام(الخمس).

كما أن زيادة مرض قلبه كانت تحول دون سهولة حركته، مما اضطره إلى بيع مزرعته، التي كانت تشكل ثمرة ثلاثين سنة من الجهد، من أجل العلاج.

وأخيرًا: فإن من أشد ما لقي الخوئيني هو تخلي أسرة (آل إسحاق) عنه خوفًا من فقد مناصبهم ومكانتهم السياسية والاجتماعية، إلا أنه رحمه الله لم يتراجع عن مبادئه، وكان وبكل رباطة جأش كثيرًا ما يردد قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ [التوبة١١١] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف٣٠]، كما كان كثيرًا ما يسلي نفسه بما لقيه من ألطاف الله وعنايته في كثير من محطات حياته من أجل أن يَطْمئن ويُطَمئِن من حوله.

وفاته:

لم يتوقف الخوئيني رحمه الله تعالى عن نشاطه الثقافي إلى آخر يوم من حياته، مع ما كان يلقاه من تهديد وتضييق، وقد بقي إلى آخر يوم من حياته وهو يتابع

التأليف.

وقد توفي رحمه الله تعالى يوم التاسع من رجب من عام ١٤٢١هـ الموافق٧ /١٠/٢٠٠٠م بعد أن بلغ من العمر ثلاثًا وستين سنة.

آثاره العلمية:

كتب الخوئيني رحمه الله كثيرًا من الكتب والمؤلفات والمقالات والرسائل، ونظرًا لكثرتها سأسوق شيئًا منها:

أولا: الكتب المطبوعة:

١.البحث في المذاهب والأديان.

٢.تبيين الإسلام "معرفة الله في نظر الأنبياء".٢٠مقالا ..

٣.الإيمان والإنسان.٣٠مقالًا ..

٤.منطقنا "آفات المعرفة.٣٥مقالًا ..

٥.أنواع المعرفة.٤٠مقالًا ..

ثانيًا: كتب لم تطبع:

١.موانع المعرفة.٤٠ مقالًا ..

٢.الأكاذيب الكبيرة الموجودة ووحدة الوجود.

٣.الأكاذيب الكبيرة وتكامل الداروينى.

٤.الأكاذيب الكبيرة روح الفلسفي المجرد.

٥."الحسين" وليس يا حسين وواحسين.

٦."هو علي" وليس يا علي.

٧.أنواع الشرك وأقسامه.

٨.البدع في الدين(منظوم).

٩.الجواب على الأسئلة الدينية.

١٠. التربية الإسلامية.

١١. الموسوعة القرآنية. وهي موسوعة كبيرة تنقسم إلى ثمانية أقسام:

أ -عالم القرآن.

ب - إله القرآن (الإله في القرآن، صفات الله في القرآن، توحيد الله في القرآن، أفعال الله في القرآن..).

ت - النبوة في القرآن.

ث - الآخرة في القرآن (عدالة الله، العدالة الاجتماعية والعدالة في حق الإنسان).

ج - الإمامة في القرآن (الإمامة عند الشيعة، الإمامة عند السنة).

ح - أخلاق القرآن (عرض لأخلاق القرآن مع مقارنة بالأخلاق عند الفلاسفة والصوفية).

خ - أحكام القرآن (محرمات، واجبات).

ثالثًا: المقالات والرسائل، ومن أهمها:

١.التعبد والعبادة في القرآن.

٢.الاستعانة في القرآن.

٣.الصراط في القرآن.

٤.العقل والتعقل في القرآن.

٥.التقديس والتقدّس في القرآن.

٦.بنو إسرائيل في القرآن.

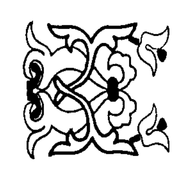
٧.الشفاعة في القرآن.

٨.الدعاء في القرآن.

٩.الولاية في القرآن.

هذه أهم الآثار التي كتبها الخوئيني رحمه الله ، وقد بقي غيرها الكثير، وقد كان يعرّف الخوئيني نفسه أحيانًا بقوله : صاحب الألف مقال في نصرة الإسلام، وهذا يشير إلى كثرة مقالاته وآثاره.

❀❀❀

المبحث الثاني

أسباب تحول الخوئيني

نشأ آية الله الخوئيني رحمه الله تعالى في بيئة شيعية وأسرة لها مكانتها العلمية والاجتماعية، وترقى رحمه الله تعالى إلى أن بلغ مرتبة المرجعية.

والفترة التي عاشها الخوئيني رحمه الله كانت مليئة بالأحداث والتحولات السياسية على الساحة الشيعية في إيران، فمن ولادته ١٣٥٨هـ حتى سنة وفاته ١٤٢١هـ شهدت هذه الفترة الساحة الإيرانية أحداثًا هامة منها[١]:

١. استبداد دولة الشاه.

٢. انتشار الأفكار الشيوعية والأفكار التغريبية.

٣. بروز تيار "العلماء المناضلون" الذين دخلوا في مضمار السياسية، كالكاشاني ومصدق، وهو تيار لقي مضايقات من قبل التيار التقليدي والسياسي في آن واحد.

٤. قيام الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩م.

٥. دخول حكومة الثورة فيما يسميه الخوئيني "المقتلة المتسلسة" وهو تصفية المثقفين والعلماء المخالفين لتوجهات التيار القيادي سواء من أهل المذهب أو غيرهم، وهو ما أدى إلى تراجع كثير من مؤيدي الثورة.

٦. وفاة قائد الثورة وبداية الغليان الداخلي من جراء عدم تحقيق الثورة للرفاه ورجوع الكبت.

وبالتأكيد فإن هذه التقلبات والتحولات كان لها أثر بالغ في أفكار الخوئيني رحمه الله تعالى، ولكن يبقى السؤال المهم:

كيف غيّر الخوئيني كثيرًا من أفكاره؟

للإجابة على هذا السؤال نقف على هذا النص الذي يكشف فيه الخوئيني بنفسه عن كثير من الحقائق حول تحوله، فيقول:

---

(١) اقتصرت على ذكر ملخص لهذه الفترة لأنه قد سبق الحديث عن هذه الفترة في الفصول السابقة.

"بعد خمسين سنة من البحث والمطالعة ومعرفة الإسلام والبحث في مختلف المذاهب الفلسفية والعرفانية وأفكار الغلاة ومختلف المذاهب، وصلت إلى هذه النتيجة: أن حقيقة الدين هو القرآن الكريم، فإن القرآن يدعونا مرارًا إلى قراءته والتدبر والتفكر فيه، وسبب كل هذا الضلال والحيرة والبعد العام عن حقائق القرآن هو عدم قراءة القرآن والتدبر في القرآن وعدم معرفة نظرة القرآن إلى الكون والحياة"[1].

ويتحدث الخوئيني في موضع آخر عن رحلة البحث والتحقيق في أبيات كتبها بعنوان: "أشكرك يا إلهي" قال فيها:

أشكرك يا إلهي، فقد تفكرت بفكري حسب الاستطاعة

أين كنت؟ متبع للفلاسفة والمنطقيين ومتفكر بفكرهم

كتبت قبل أربعين سنة شرحًا على منظومة ملا هادي

أظن طريقتهم على الهداية وأرى اللحاق بهم

اهتديت بسبب القرآن والإسلام وفهمت معنى آيات القرآن والإسلام

.. إلى آخر ما قال رحمه الله[2].

إن هذه الكلمات السابقة تكشف ما يلي:

١. أن الخوئيني كان مقتنعًا بالتشيع المرتبط بآراء فلسفية خطيرة.

٢. أن القرآن كان هو الدافع الأساسي للخوئيني نحو مرحلة فكرية جديدة في حياته.

٣. أن المرحلة الجديدة جاءت متأخرة في حياة الخوئيني؛ لأنه يصرّح بأنه تحول بعد خمسين سنة من البحث.

ويمكن أن نصل إلى تحديد أدق لمرحلة الخوئيني الجديدة عندما نعرف أن رسالة الخوئيني التي وجهها إلى الخميني منتقدًا إياه تبني فلسفة ابن سينا والسهرودي وغيرهم من أصحاب وحدة الوجود، كانت هذه الرسالة في آخر سنة من حياة الخميني

---

(١) ضمن آخر رسالة للخوئيني ص ١٧.

(٢) النص مترجم . والأبيات في القسم الأول من الموسوعة القرآنية.

أي عام ١٤٠٨هـ تقريبًا، بمعنى أن الخوئيني تحولت نظرته عن الفلسفة قريبًا من هذه السنوات التي يكون فيها قد جاوز الخمسين من عمره.

كما أن من أهم الأحداث التي كان لها أثر على نفس الخوئيني لقاءه بالمحدث الدكتور أحمد ميرين السياد البلوشي[1] رحمه الله، فقد ترك هذا اللقاء أثرًا كبيرًا في آراء الخوئيني رحمه الله.

وأخيرًا فإن الخوئيني رحمه الله تعالى آثر أن يتخلى عن مرتبة المرجعية في المذهب، لّما تبين له كثيرٌ من الآراء الصحيحة، وكما يقول عن نفسه في أبيات من الشعر الفارسي:

"تركت منصبًا بعد ما كنت مرجعًا للمذهب كالآخرين ابتغاء وجه الله ولخوف عقوبة الجناية على دين الله.

لو لم أترك لكنت خائنًا، لن أكون من أهل التزوير.

ولن آخذ أموالًا من الناس.

ولن أكون داعيًا إلى ترويج المذهب

بل سأكون موحدًا ومتبعًا للإسلام"[2].

❋❋❋

---

(١) وهو المتخصص الوحيد في علم الحديث من أهل السنة في إيران آنذاك، سجن بتهمة الانتماء للوهابية، ثم سافر إلى الإمارات وبعد عودته ألقي عليه القبض في مطار بندر عباس، وبعد يومين وُجدت جثته ملقاة في الطريق، وذلك سنة ١٩٩٦م. انظر مقال الدكتور عبد الرحيم البلوشي:

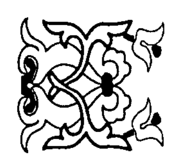
Avril/163/alaislami3.html - http:attajdid.tm.ma/archives/2001/k23

(٢) النص مترجم من قصيدة بالفارسي بعنوان "أشكرك يا إلهي". انظر: القسم الأول من الموسوعة القرآنية



المبحث الثالث

آراء الخوئيني



* المطلب الأول *

بعض ما يتعلق بالتوحيد

إذا تأملنا كلام العلامة الخوئيني رحمه الله تعالى فإننا نجد فيه صفاءً ووعيًا توحيديًا واضحًا، فهو يؤكد على أن أهم قضية عالجها القرآن هي قضية التوحيد والنهي عن اتخاذ الأنداد من دون الله تعالى، ويستدل الخوئيني على ذلك بأن الله تعالى جعل أعظم الذنوب هو الشرك بالله تعالى، وأخبر أنه يغفر الذنوب ما عدا الشرك، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء٤٨][1].

ويوضّح الخوئيني رحمه الله تعالى أنه حاول قدر المستطاع إيقاظ الغافلين لهذا الجانب فيقول: "بذلت جهدي وسعيت لإثبات التوحيد ونفي الشرك بأنواعه كما بذل الآخرون في هذا الصدد، وإبراهيم [عليه السلام] قدوة لنا في هذا الموضوع أي التوحيد، حتى رموه في النار، ولكن ما منعت هذه التهديدات والمشقات من بيان التوحيد ونفي الشرك والتخلص منه.

يوجد ألف وخمسمائة آية من آيات القرآن التي فيها بيان التوحيد ونفي الشرك ...وأنا كتبت كتابًا مستقلًا في هذا الموضوع باسم "أنواع وأشكال شركيات" أي:الشرك أنواعه وأشكاله . جزء من حقائق القرآن ومعارفه . وبينت كل ما ورد من الآيات في إثبات التوحيد ونفي الشرك بأنواعه"[2].

---

(١) انظر: الموسوعة القرآنية /القسم الأول ص٤٩ – مخطوط فارسي ـ.

(٢) المرجع السابق ص٥٠.

ويرى الخوئيني أن في القرآن آيات كثيرة تدل على وجوب تحقيق إفراد الله بالعبادة، ومنها قوله: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝﴾ [البينة : ٥] وقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝﴾ [الأعراف : ٢٩]، وقوله: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝﴾ [الزمر : ١١].

وغيرها من الآيات التي يقول الخوئيني عنها : " في كل منها تصريح على الأمر بالاخلاص في العقائد الدينية، وعلى الأمر بالإخلاص في الأعمال والأخلاق، وحكم بوجوب تنزيه التوحيد من شوائب الكفر والشرك والإلحاد والخرافات.."[١].

أبرز المخالفات في باب التوحيد.

يرى الخوئيني رحمه الله تعالى أن من أبرز الانحرافات الخطيرة في باب التوحيد ما يلي:

١. اتخاذ الوسطاء بين الله وخلقه في طلب الحاجات.

يرى الخوئيني أن اتخاذ الوسطاء بين العباد وربهم في طلب الحاجات من الأمور المخالفة لصريح القرآن الكريم، ومن هذه الآيات التي يذكرها الخوئيني:

قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ ﴾ [البقرة٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝﴾ [الشعراء ١٠٠]، وقوله ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝﴾ [المدثر٤٨]، وقوله ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ ﴾ [الأنعام٥١]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام٧٠]، وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝﴾ [السجدة٤] وغيرها من الآيات التي يقرر الخوئيني أنها تدل بوضوح على الأمر بالتوجه إلى الله مباشرة دون اتخاذ وسطاء[٢]، ويقول رحمه الله: "فليعلم أن الله تعالى لا يحتاج إلى أي واسطة سواء كانت إمامًا أو غيره"[٣].

ويذكر الخوئيني أن شفاعة الأنبياء والأئمة وغيرهم من الصالحين يوم القيامة

---

(١) المرجع السابق ص ٩٩.

(٢) انظر: المرجع السابق/ القسم الثاني ١٦٣ تحت عنوان: شفاعة ووسطاء من الكذب والخطأ.

(٣) المرجع السابق ١٨٨ تحت عنوان: الركن الرابع أيضا كذب. وانظر: القسم الأول من الموسوعة القرآنية٦٩.

ثابتة، ولكنه ينبه إلى أن هذه الشفاعة لن تكون لمن يقع في الشرك، ويقول معلقًا على قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [التوبة ١١٤] فيقول الخوئيني:"ما التفت إبراهيم إلى خطئه في أول وهلة، وندم بعدها وتبرأ من أبيه، وعلى هذا الأساس ليعلم الذين يدعون عليًّا والحسين وعزيرًا وعيسى ومريم أن هؤلاء لا يشفعون للمشركين الذين اتخذوهم وسيلة عند الله، وأنهم لا يستطيعون الشفاعة ولو كانوا أولي قربى"[(١)].

ولهذا بيّن الخوئيني أن طلب الدعاء من البشر بقول: يا علي ويا حسين هو من الشرك، وقد أنشد أبياتًا جاء فيها:

قول يا محمد ويا علي شركٌ وكفر لا يخفى

وكذلك الذهاب إلى قبر من قبور الأولياء[(٢)]

أنا أتوب من ذلك الفعل

القرآن ديني والإسلام عملي، فهمت القرآن

ويل للإيرانيين من زعمائهم تأخروا من حيث العلم والفهم، رجعت إلى الحقيقة باكيًا

مفاتيح الجنان[(٣)] صار مفتاحًا لهم [أي الزعماء] والراية تتقلب من يد إلى يد أتأسف عليهم.

لابد من توضيح الدين ويكون العمدة في ذلك القرآن، لا يقبل غير هذا القرآن[(٤)]

٢. القول بالولاية التكوينية.

ينكر الخوئيني رحمه الله تعالى القول بأن الأئمة يتصرفون بالكون أو أن لهم قدرة على ذلك، ويبين أن هذا من الشرك[(٥)].

---

(١) المرجع السابق/ القسم الأول ص ٤٤.

(٢) يريد الخوئيني الذهاب إلى القبور للدعاء والاستغاثة، وأما مجرد الزيارة للاتعاظ والدعاء للميت فهي مستحبة.

(٣) يقصد كتاب مفتاح الجنان تأليف حسن النوري الطبرسي.

(٤) الموسوعة القرآنية / القسم الأول – أبيات بعنوان (باز آمدم) ص ٧٩.

(٥) انظر: كتاب نهاية الإسلام من الموسوعة القرآنية /القسم الثالث ٤٠٠ ـ ٤٠٣، وانظر: القسم الأول من نفس الموسوعة ٦٩ تحت عنوان: الانحرافات الناشئة عن الغلو.

ويتحدث الخوئيني عن أحد أشد الأقوال غلواً، وهو قول التيار غلاة الإمامية، حيث يدّعون "أن أمور العالم كلها بيد الأئمة يقلبنها كيف شاءوا"، ويرى الخوئيني أن هذه العقيدة فاسدة لأنها تخالف حقيقة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشر من البشر كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ [آل عمران١٤٤].

وينتقد الخوئيني فلاسفة الإمامية الذين يجعلون (المهدي الغائب) بمثابة العقل العاشر عند الفلاسفة، فالفلاسفة تقول بأن العقل العاشر هو المتصل بهذا العالم خلقاً ورزقاً، وأما الاتجاه الإمامي الفلسفي فيغلو في الإمام حتى جعلوه واسطة الفيض بين الله وخلقه وقالوا إن الله تعالى يرزق العالم ببركته[١].

٣. القول بأن الأئمة يعلمون الغيب[٢].

٤. القول بوحدة الوجود[٣].

وقد وجّه الخوئيني رسالة إلى الخميني ذكر فيها ملاحظته على رسالته التي وجهها إلى (جور بتشوف) رئيس روسيا آنذاك: وأهم ملاحظة للخوئيني هي تبني الخميني آراء الفلاسفة ومنها القول بوحدة الوجود، وأن رسالته لم تتضمن حقائق القرآن وأدلته، بل فيه إحالات على كُتُب الفلاسفة مثل ابن سينا (وهو كما يقول الخوئيني ممن كفّره أبو حامد الغزالي وذكر عشرين دليلاً على انحرافه)، وكُتُب ابن عربي الإشراقي (وهو كما يقول الخوئيني من معتقدي وحدة الوجود)، وكُتُب (ملا صدرا) الذي يقول الخوئيني عنه (الذي كفره علماء أصفهان بسبب اعتقاده بوحدة الوجود وانحرافاته الفكرية، ونفوه إلى قرية كهك في محافظة قم، وقد تبرأ - أي ملا صدرا - من الفلسفة والعرفان واسغفر في مقدمة كتابه الأسفار).

كما يذكّر الخوئيني الخمينيَ بموقف علماء قم حين أوقفوا درْسه الذي كان

---

(١) انظر: من الموسوعة القرآنية / القسم الثالث ـ نهاية الإسلام ص ١٨٨.

(٢) انظر: الموسوعة القرآنية/ القسم الأول ـ ٨٢، وانظر الرد على نسبة علم الغيب ص١٠١.

(٣) المرجع السابق ٨٢. وقد أنكر الخوئيني على الخميني تبنيه في كتابه (مصباح الهداية) آراء الفلاسفة ومنها وحدة الوجود. (انظر رسالة إلى الخميني في الملحق).

يقدّمه في "المدرسة الفيضية" [١] لأنه كان يدرس فكرة وحدة الوجود، وأيضًا ذكّر الخوئينيُ الخمينيَ بموقف محمد حسين الطبطبائي حين منع البروجردي من تدريس فلسفة الأسفار في مدينة قم [٢].

وما يذكره الخوئيني رحمه الله تعالى يدل على أن الأفكار الفلسفية **كانت تلقى معارضة من قبل تيار آخر أقوى منه**، ولكن الأمر انقلب بعد ذلك حين اعتلى السلطة الخميني فقد أصبحت الآراء الفلسفية مدعومة، وصار الذي يقاومها أمثال الخوئيني.

ونظرًا لأن الخوئيني درس الفلسفة وكان مقتنعًا بها، نجده شديد الإنكار لها لعلمه بما تضمنته من انحرافات خطيرة، وقد ألف رحمه الله تعالى كتبًا ومقالات في رد كلام الفلاسفة، مثل كتابه الأكاذيب الكبيرة . الموجودة ووحدة الوجود،وكتاب الأكاذيب الكبيرة وكتاب تكامل الداروني، وكتاب الأكاذيب الكبيرة.



---

(١) بدأ الخميني تدريس مادة الفلسفة في عام ١٣٤٧ وهو في السابعة والعشرين من عمره واستمر حتى عام ١٩٦٣ حيث جاء الأمر بنفيه.انظر: الامام الخميني لعادل رؤوف ٢٠.

(٢) انظر: رسالة الخوئيني إلى الخميني (في الملحق) .

* المطلب الثاني *
رأيه في الإمامة والمهدي

بعد أن سار الخوئيني في طريق التأمل والمراجعة توصل إلى فكرة مفادها أن المذهب الشيعي هو حزب سياسي، وأن طائفة مفسدة أرادت ضرب الخلافة والمسلمين فقاموا بالتسمي بالإسلام، "واخترعوا عناوين الإمامة والولاية" وأتبعوا ذلك بمحدثات كثيرة.

كما يسأل الخوئيني سؤالًا مهمًّا: " لماذا زعموا بأن المهدي المزعوم غائب؟" وهو سؤال لا يجد الخوئيني له جوابًا إلا أن يقول: "لكي يستطيعوا أن يدعوا خلافته ونيابته والولاية المطلقة، ولأجل تأسيس هذا وترويجه بدءوا يفسرون ويؤولون آيات القرآن الكريم حسب أهوائهم، ووضعوا آلاف الأحاديث باسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واخترعوا مئات المعجزات والكرامات،واخترعوا أجورًا خيالية لزيارة القبور... وتعبوا قرونًا حتى وضعوا كتبًا في مقابل الصحاح الستة[(١)] لأهل السنة كالكافي والوافي ومن لا يحضره الفقيه والاستبصار، ولأجل القوّة اخترعوا الخمس وسهم الإمام، ولأجل الطاعة المطلقة للمراجع اخترعوا المرجعية والرسائل العلمية"[(٢)].

وباختصار فقد أعلن الخوئيني بشكل واضح رأيه في الإمامة حين صرّح بعدم وجود أي نص على الإمامة[(٣)]، وأخذ يستعرض أدلة الشيخ المفيد العقلية ويرد عليها مبينًا أن الآيات التي تذكر لا دلالة فيها على الإمامة، فآية التطهير تدل على فضيلة وليس على الإمامة، وقوله ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ ﴾ [المائدة: ٥٥] لا توجد فيها أي إشارة إلى الإمامة، وهي بلفظ الجمع وليست خاصة بعلي، والمراد منها: تولي جميع المؤمنين،وقوله صلى الله عليه وسلم **(من كنت مولاه فعلي مولاه)** لا يدل إلا

---

(١) الصواب: الكتب الستة، لأن الصحاح منها اثنان، والسنن الأربعة فلم يلتزم مؤلفوها أن لا يروي إلا صحيح.

(٢) ضمن آخر رسالة للخوئيني ص ٢.

(٣) الموسوعة القرآنية/ القسم الأول ص٨١ ـ ٨٢.

على وجوب تولي علي وعدم معاداته بل حبه ونصرته[١].

يبين الخوئيني رحمه الله رأيه الصريح في مسألة الإمامة عندما يصفها بأنها :"الأكذوبة التي هي قطعًا ويقينًا مخالفة للقرآن".

ثم يذكر الخوئيني أن من الأساليب التي اتخذت من أجل ترسيخ مسألتي الإمامة والمهدي هو قيام المنظرين لها بإعطائها منزلة كبيرة بحيث يصعب على من نشأ على الإيمان بها أن يفكر في التشكيك بها، فيقول: "ضخموها[أي الإمامة] وكبّروها، كما ضخموا قضية المهدي المزعوم وعرضوها بشكل قاطع وجدّي، واخترعوا له احتفالات مولد وخرافات أخرى إلى درجة لا يبقى مجال للإنكار ولا حتى التفكير والتدبر في سبب اختراع هذا المذهب وهذا الحزب السياسي.."[٢].

من خلال ما مضى يتبين لنا أن العلامة الخوئيني لم يعد يؤمن بنظرية الإمامة ولا بولادة المهدي الغائب، كما تبين في ردّه السابق على أدلة الإمامية على ذلك.



---

(١) انظر الموسوعة القرآنية/ القسم الأول.

(٢) آخر رسالة ٢ ـ ٣.

* المطلب الثالث *
نقده لموقف الغلاة من القرآن

تحدث العلامة الخوئيني رحمه الله تعالى عن القرآن مبينًا أنه يعتقد بأن القرآن محفوظ بوعد الله تعالى وأنه هو ذاته الموجود بين يدي المسلمين من غير نقص ولا تحريف[١].

ويذكر الخوئيني أن غلاة الإمامية سعوا في تأسيس هذه الفكرة الخطيرة[٢]، ويكشف الخوئيني عن جانب مهم للغاية؛ ألا وهو أن كتاب "فصل الخطاب في إثبات تحريف كلام رب الأرباب" الذي ألّفه النوري الطبرسي لقي معارضة شديدة، بل يذكر الخوئيني بأنه قد صدرت أحكامًا بتكفير مؤلفه من قبل بعض الشيعة والسنة أيضًا، فيقول: "وكتب الغلاة منهم . مثل الشيخ نوري الذي درّس عباس القمي (١٣٥٩هـ) . كتابًا في تحريف القرآن اسمه فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، ولكن توجهت فتوى العلماء سنة وشيعة إليه بتكفيره وعداوته للقرآن، واهتم علماء الإسلام سنة وشيعة بهذا الموضوع اهتمامًا بالغًا، ودافعوا عن القرآن بالرد على مخالفيه وبإظهار نواياهم تجاه القرآن من الريب والتحريف وغير ذلك"[٣].

كما أن من الأمور التي انتقدها العلامة الخوئيني رحمه الله هو تبني الغلاة التفسير الباطني للقرآن، حيث بيّن أنهم قصدوا من ذلك إبعاد الناس عن القرآن ، حيث ادعوا أن للقرآن معنًا باطن لا يعلم معناه إلا الأئمة رحمهم الله، بل ادعوا أن لكل معنى باطنٍ باطنًا آخر إلى سبعين بطن، يقول الخوئيني: "وعلى هذا من المحال أن تفهم المعاني الحقيقية من القرآن عن غير الأئمة"، ثم يبين الخوئيني بأن هذا الاتجاه هو الذي فتح الباب للتلاعب بالقرآن، بحيث كلما أوجدوا أمورًا محدثة تخالف القرآن، قالوا: إن هذا الاختلاف مربوط بالباطن[٤].

❊❊❊

(١) الموسوعة القرآنية / القسم الأول ١٠١.
(٢) الموسوعة القرآنية القسم الأول ١٠١، والقسم الثاني ١٧٨.
(٣) الموسوعة القرآنية/ القسم الثاني ١٧٨ تحت عنوان: تحريف القرآن.
(٤) انظر: الموسوعة القرآنية/ القسم الثاني ١٨٦، ٢٠٨.

* المطلب الرابع *
موقفه من الصحابة

يرى الخوئيني بأن الموقف الذي اتخذه المذهب الإمامي من الصحابة رضي الله عنهم موقف في غاية النكارة، ويرى بأن الدافع الأساسي لهذا هو موقف سياسي، حيث إن هؤلاء الصحابة هم الذي أسقطوا ممالك الفرس والروم، مما دفع بعض أصحاب هذه الأمم المنهزمة إلى الحقد عليهم، فقاموا بالتستر باسم المذهب الشيعي والطعن في هؤلاء الذين نشروا الدين.

ويذكر الخوئيني أن بعض الإمامية وضعوا أورادًا ترسخ بعض العقائد منها مفتاح الجنان[(١)] الذي هو في الحقيقة ترسيخ أهداف سياسية مثل لعن الآخرين وإيجاد الفرقة والاختلاف والأحقاد بين المسلمين[(٢)].

ويمثل الخوئيني بموقف الشيعة من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث يكثرون من لعنه لأنهم ينسبون له كذبا وزورًا أنه ضَرب فاطمة رضي الله عنها وكسر ضلعها، وإسقاط حملها، ويبين الخوئيني بأن مبدأ هذا الكذب هو الحقد من قبل بعض الذين أغضبهم آثار عمر وبقية الصحابة الكرام في نشر الإسلام وطمس حضارتهم، ويستشهد الخوئيني على ذلك باستنكار الإيرانيين إلى اليوم سبي عمر بن الخطاب لبنات ملك الفرس، وأخذ أثاث قصور كسرى غنيمة وتقسيمه[(٣)].

ويقصد الخوئيني بأن هؤلاء لو كانوا صادقين لَمَا استنكروا تغلب المسلمين وهزيمة عباد النار، ولماذا لا يفرحون بالغنيمة المشروعة إذا كانوا يؤيدون نشر الإسلام والجهاد في سبيل الله؟!.

❁❁❁

---

(١) من تأليف عباس القمي(١٣٥٩هـ) وهو تلميذ نوري الطبرسي صاحب كتاب: فصل الخطاب.
(٢) الموسوعة القرآنية/ القسم الثاني ٢١٩.
(٣) انظر: الموسوعة القرآنية/ القسم الأول ٤٠.

* المطلب الخامس *
الطريق إلى الوحدة الإسلامية

يرى الخوئيني أن الطريق إلى وحدة المسلمين هو أن يترك المسلمون هذه المذاهب التي خرجت بأسماء متفرقة ويعودوا إلى الاسم الأول وهو "الإسلام".

وفي هذا الصدد يذكر الخوئيني أن مما أهلك الأمم التي قبلنا تفرق كل ملة إلى فرق كثيرة، مستدلًا على ذلك بما جاء من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝﴾ [الروم: ٣١، ٣٢] [١].

ولهذا خطا الخوئيني هذه الخطوة بنفسه وأخذ يعلن بأنه ليس شيعيًا، وأنه لا ينتمي إلى أي مذهب، ويحارب كل اسم آخر غير اسم الإسلام، بل يفتخر بأنه مثل إبراهيم عليه السلام حنيفًا مسلما وما كان من المشركين، فيقول بعد أن سرد آيات كثيرة تأمر باتباع ملة إبراهيم عليه السلام: " وكذلك الآيات الأخرى في هذا الباب تثبت وتؤكد أن كل مسلم مكلّف بالدين الإسلامي فقط لا غير وانفصاله من الإسلام يكون بوقوعه في الشرك، وبناء عليه يجب على كل مكلف أن يكون مسلمًا، يعني على دين الإسلام وليس له حق في أن يضم شيئًا من المذاهب الإسلامية، ويقول: هذا إسلامي ومذهبي [٢].

ولهذا يقول في آخر أحد منظوماته:

لم أعد داعيًا إلى ترويج المذهب، بل أصبحت موحدًا ومتبعًا للدين الإسلامي [٣].

وهكذا فإن الخوئيني رحمه الله يضع هذا الأساس المتين الذي يجمع المسلمين

---

(١) انظر: موسوعة عالم القرآن/ القسم الأول(المنتقى من كلام الخوئيني ـ مترجم ص ١) .

(٢) المرجع السابق ص ٤.

(٣) المرجع السابق ص ٧.

بحق، لأن وجود المذاهب ولكل مذهب أصوله الخاصة، هو الذي يجعل المسلمين شيعًا كل حزب بما لديهم فرحون،ولا شك بأن ما يقوله الخوئيني في محله إذا قيدنا ذلك بجواز وجود التسميات والاختلافات من غير إحداث أسماء يوالى ويعادى أو يمتحن الناس بها.

وفي حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (**ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثاء جهنم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بأسمائهم على ما سماهم الله عز وجل : المسلمين المؤمنين، عباد الله**). رواه الترمذي في حديث طويل[1].

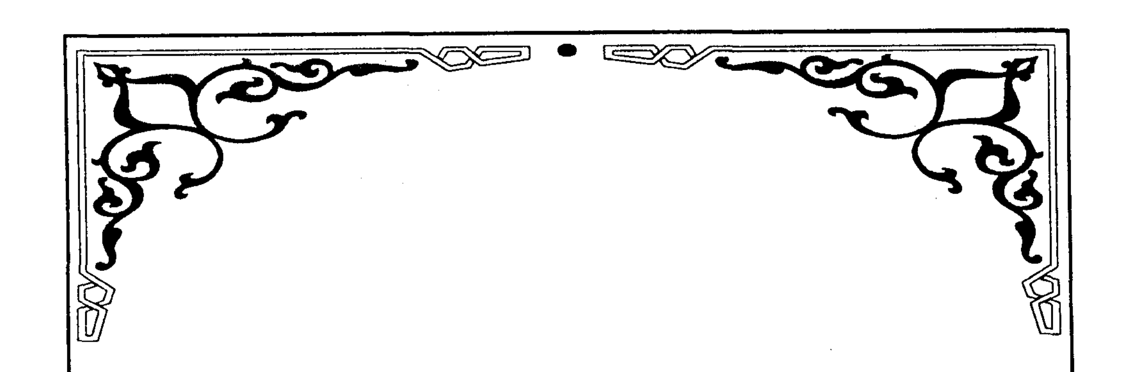
وجاء رجل إلى الإمام مالك رحمه الله فقال : يا أبا عبد الله أسألك عن مسألة أجعلك حجة بيني وبين الله عز وجل، قال مالك : ما شاء الله لا قوة إلا بالله سل، قال: من أهل السنة؟ قال:"أهل السنة الذين ليس لهم لقب يُعرفون به لا جهمي ولا قدري ولا رافضي"[2].



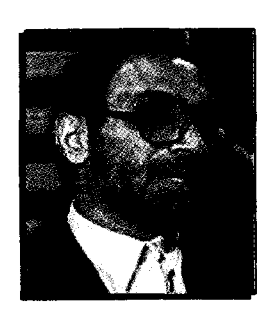
---

(١) الترمذي رقم٢٨٦٣ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب وصححه الألباني (صحيح الترمذي رقم ٢٢٩٨) ، ورواه أيضا الإمام أحمد٤ /١٣٥، ٢٠٥ .

(٢) الانتقاء لابن عبد البر ص ٣٥.



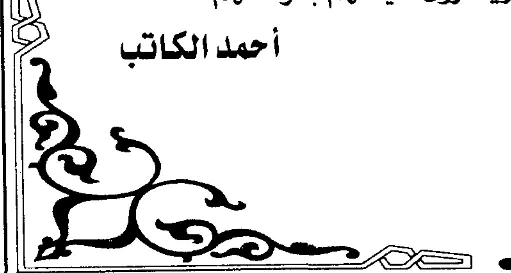
الفصل الخامس

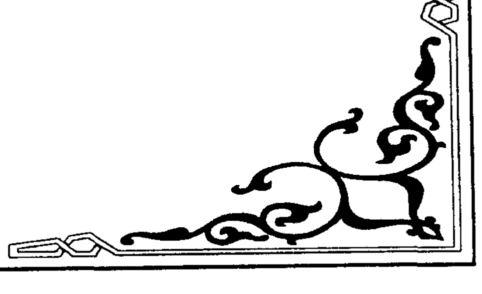


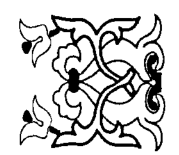
أحمد الكاتب

"وقد آن لهم [أي الإمامية] أن يتخلصوا من هذه النظريات الكلامية التاريخية الواهية، ويعودوا إلى فكر أهل البيت عليهم السلام الذين كانوا يدعون إلى الشورى ويلتزمون بها ويتعاملون مع الخلفاء الراشدين كأفضل ما يكون، ويترحمون عليهم ويأمرون شيعتهم بموالاتهم"

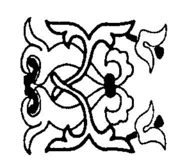
أحمد الكاتب







المبحث الأول



ترجمته

اسمه:

هو أحمد الكاتب، وهذا هو اسمه الجديد، وأما قبل ذلك فكان اسمه (عبد الرسول بن عبد الزهرة بن عبد الأمير لاري).

ولادته ونشأته:

ولد الكاتب سنة ١٩٥٣ في مدينة كربلاء، وقد نشأ في عائلة متدينة.وقد ذكر الكاتب أن لوالدته دورًا كبيرًا في غرس معاني التشيع وأنها قد اهتمت كثيرًا بتعليمه القرآن وهو ابن خمس سنين، ويذكر أنه نشأ بين أحضان أمه التي كانت كثيرًا ما تلاعبه وهي تقول:

لو فتشوا قلبي رأوا وسطه سطرين قد خطا بلا كاتب

العدل والتوحيد في جانب وحب أهل البيت في جانب[١]

كما درس بعد ذلك في مدرسة خاصة أنشأها المرجع آية الله الشيرازي للتعليم الديني، ثم التحق بالحوزة العلمية وهو في الرابعة عشرة من عمره تقريبًا[٢].

وقد درس على كل من: السيد محمد الشيرازي، والسيد كاظم القزويني[٣]، والشيخ غلام الوفائي[٤]، والشيخ جعفر الهادي[٥]، والسيد محمد تقي المدرسي[٦]

---

(١) انظر: رسالة من الأستاذ أحمد الكاتب إلى مرتضى القزويني.
http://www.isl.org.uk/modules.php?nameNews&filearticle&sid192

(٢) عن لقاء قناة المستقلة (الحلقة الأولى من مراجعات الكاتب) في تاريخ ١محرم ١٤٢٤هـ.

(٣) السيد محمد كاظم بن السيد إبراهيم بن السيد هاشم الموسوي القزويني الحائري، ولد في كربلاء ، سنة ١٣٤٨، اشتهر بالخطابة، توفي عام ١٤١٥هـ. انظر:
http://www.al_rasool.net/1٠/pages/6.htm

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) أحد الأساتذة المعاصرين في الحوزة في قم.

(٦) هو محمد تقي بن محمد كاظم المدرسي، ولد في مدينة "كربلاء" بالعراق عام ١٩٤٥م، وقد عاد إلى العراق =

والسيد جعفر الرشتي[١]، والشيخ ضياء الزبيدي[٢].

مؤلفاته:

١. الإمام الحسين كفاح في سبيل العدل والحرية. وهو أول كتاب له، ألفه في سنة ١٩٧٠م.
٢. الإمام الصادق معلم الإنسان. وهو ثاني كتبه، ألفه سنة ١٩٧١م.
٣. تجربتان في المقاومة (عن ثورة العشرين وثورة التنباك في إيران). ألفه سنة ١٩٧٢م.
٤. عشرة ناقص واحد يساوي صفر (عن ضرورة الإيمان بالإمامة لتحقق الإيمان) ألفه سنة ١٩٧٣م.
٥. آلية الوحدة
٦. الحرية في الإسلام.
٧. مشكلة النفاق في العمل الإسلامي.
٨. الإيمان يتجلى في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
٩. مذكرات فاطمة الزهراء[٣].
١٠. تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه.
١١. نقد وتقييم كتاب كفاية الأثر في نصوص الاثني عشر.

❀❀❀

=بعد الاحتلال الأمريكي بعدما هاجر منها زمن حكم البعث. انظر ترجمته في موقعه الرسمي: http://www.almodarresi.com/biography.htm

(١) هو آية الله الشيخ جعفر الرشتي ولد في رشت الإيرانية عام ١٣١٠هـ ١٨٩٢م ثم هاجر إلى العراق ودرس على كبار العلماء، توفي في كربلاء في رجب عام ١٣٩٤هـ . انظر: مجلة النبأ العدد٦١. ضمن مقال: ذكرياتي عن أخي http://www.annabaa.org/nba61/thuqreaty.htm

(٢) من رسالة خاصة(إجابة على بعض الاسئلة)

(٣) ضمن رسالة خاصة.



المبحث الثاني

مراحل تحول أحمد الكاتب



إذا نظرنا إلى حياة أحمد الكاتب الثقافية، فإننا سنجده قد مرّ بمرحلتين أساسيتين[1]:

المرحلة الأولى

مرحلة التمسك بالعقيدة الإمامية

حتى سنة ١٩٨٨م

أهم سمات هذه المرحلة:

١. التمسك بالاعتقاد الإمامي.

في هذه الفترة نشأ أحمد الكاتب وشب على عقيدة الإمامية، فقد نشأ في كربلاء وهو يتمنى أن يكون جنديًا من جنود المهدي المنتظر، ثم أصبح داعية حركيًّا إلى المذهب، ولعل تأليفه لكتاب (عشرة ناقص واحد يساوي صفر) يكشف عن مدى قناعته بركنية هذه العقيدة في الإيمان، وقد أخبرني أحمد الكاتب بأنه كان يعتقد في تلك الفترة بأنها جزء من الإيمان الذي ينتفي الدين بانتفائه[2].

٢. دخوله في العمل الحزبي المنظم، والعمل الثوري.

فقد انخرط أحمد الكاتب إلى صفوف منظمة العمل الإسلامي[3] التي تعد ضمن

---

(١) جرى كتابة هذا الفصل عن أحمد الكاتب وهو لا يزال على قيد الحياة ، ويبلغ الآن من العمر ما يقارب إحدى وخمسين سنة، ونسأل الله أن يزيدنا وإياه من طاعته وهداه ويمد أعمارنا في مرضاته، ويثبتنا على الحق إنه خير مسئول.

(٢) المرجع: رسالة خاصة من الكاتب.

(٣) هي منظمة عراقية شيعية تأسست قبيل السبعينيات تحت رعاية آية الله محمد الشيرازي، وهي تتحفظ من اسم "حزب" لتحريم الاحزاب من قبل بعض مؤسسيها، وإيمانهم بوجوب قيادة المرجعية المطلقة، ولذا تبنت=

المدرسة الشيرازية الثورية من جهة، والمتطرفة في تطبيق مبادئها، وقد ترقى الكاتب حتى صار عضوًا قياديًّا في الحركة.

ونتيجة لذلك فقد ترك أحمد الكاتب العراق سنة ١٣٧٠هـ، متنقلًا بين الخليج وإيران وغيرها.

ولما قامت الثورة في إيران غادر الكاتب إلى طهران في أول طائرة من الكويت إلى إيران، وهناك ساهم في افتتاح الجزء العربي في إذاعة طهران وعمل رئيسًا لهذا القسم،وقد كان يهاجم منها النظام العراقي، ويحث الشعب العراقي على الانتفاض[(١)] .

٣.الدعوة إلى المذهب الإمامي في السودان.

حدث خلاف بين قيادة منظمة العمل الإسلامي وقيادة الثورة في إيران في مطلع الثمانينيات فطلب من المنظمة أن تخرج من إيران، فخرجت قيادتها، وتوقف أحمد الكاتب عن عمله في الإذاعة، وبعدها انتقل إلى السودان سنة ١٩٨٦م في حملة تابعة للمنظمة يدعو إلى التشيع الإمامي، وقد حقق أحمد الكاتب نتائج في دعوته، إذ تشيع مجموعة في السودان صارت بعد ذلك نواة الدعوة للتشيع.

هذه أهم ملامح هذه الفترة الأولى في حياة الكاتب.

=المنظمة طرح فكرة ولاية الفقيه قبل الخميني، وهم ممن لا يؤمنون بفكرة المرحلية ـ كما هي حال حزب الدعوة ـ ، بل يؤمنون بما يسمونه حرق المراحل،وهي بالاضافة إلى ذلك تتبنى رؤية متشددة في استخدام التقية في هذا الزمن لعدم الحاجة في نظرهم إليها كثيرًا، مما أعطاهم طابع الثورة والمصادمة، وقد كان من أبرز كوادرها: هادي المدرسي(مشرفًا على أوضاع الحركة في البحرين) ، والسيد محمد تقي المدرسي(مدير أوضاع الجزيرة العربية والكويت) ، ومحسن الحسيني(متابع شئون العراق) ، وبعد انتصار الثورة في إيران تسمى كل فرع للمنظمة باسم آخر، ففي العراق بقي اسم(منظمة العمل الاسلامي) ، وفي البحرين (الجبهة الاسلامية) بإشراف هادي المدرسي، وفي الجزيرة العربية (منظمة الثورة الاسلامية) بقيادة حسن الصفار سابقًا، وكان تقي المدرسي هو المرجع لكل هذه الحركات إضافة لعمله في الكويت. غير أن المنظمة تفكك كثير من أجنحتها واستقل بعضهم باجتهادات كبيرة حيث دخل بعضهم في حوار مع قيادات بلدهم دون موافقة المرجع الأعلى للمنظمة(محمد تقي المدرسي) ومن ثم الانفصال عن مرجعيتها. انظر :كتاب عراق بلا قيادة لعادل رؤوف٢٣١ ـ ٣٠٣.

(١) لقاء الجزيرة (برنامج بلا حدود) الأحد ١٤٢٢/١٠/٢٢هـ الموافق ٢٠٠٢/١/٦م. و لقاءات المستقلة(تحولات أحمد الكاتب) أول محرم ١٤٢٤هـ (الحلقة الأولى) .

المرحلة الثانية
مرحلة المراجعة
من سنة ١٩٨٨ ـ ١٩٩٦م

في عام ١٩٨٨م وأثناء ما كان يدرس أحمد الكاتب في "مدرسة القائم" في طهران "مرحلةَ الخارج"[1]، كان الكاتب يتابع تطبيق نظرية ولاية الفقيه في إيران من أجل ما يحلم به وهو تطبيقها في العراق، وفي تلك الأيام حدثت إشكالية كان لها تبعات كبيرة في نفس الكاتب، حيث دار الجدل بين مجلس المحافظة على الدستور ومجلس الشورى حول قانون العمل الذي ظل يقدمه مجلس الشورى لمدة ثماني سنوات ويرده مجلس المحافظة على الدستور، فقام الخميني بأمر وزير العمل باعتماد القانون من دون موافقة مجلس المحافظة على الدستور، وقد اعترض رئيس الحكومة علي خامنئي، مما جعل الخميني يغضب ويتحدث عن مطلق الصلاحية للولي الفقيه، مبينًا أن الولي الفقيه له إذا عقد اتفاقًا شرعيًا مع الأمة فله أن ينقضه من طرف واحد إذا رأى فيه ما يخالف الإسلام، وأن بإمكانه أن يوقف الشعائر الأساسية كالحج أو يعدم المساجد إذا رأى لوحده المصلحة في ذلك.

وقد أثار خطاب الخميني كثيرًا من الاستفهامات في نفس أحمد الكاتب عن مدى شرعية هذه الصلاحية المطلقة التي تجعل شخصًا واحدًا يتحكم في مصير الأمة، بحيث ينقض أي اتفاق ويلغي أي قانون يريد، أو يوقف أي شعيرة..

فعزم الكاتب على أن يقوم ببحث صلاحيات ولاية الفقيه، وساعده فيه السيد صادق الشيرازي، وقد قاده بحثه إلى الوقوف على سؤال هو : هل شرعية ولاية الفقيه تأتي من قبل المهدي؟ أو تأتيه من انتخاب الأمة له؟

وللإجابة عن هذا السؤال وجد الكاتب نفسه مضطرة لعرض مقدمة تاريخية لفكرة نظرية ولاية الفقيه، وهي النظرية التي كان يتصور بأنها السائدة منذ غيبة المهدي، إلا أن وقوفه على كتب الفقه والتاريخ بحسب التسلسل التاريخي لتأليفها قاده إلى حقيقة

---

(١) وهي آخر المراحل في الدراسة الحوزوية.

مفادها أن أعلام الشيعة المتقدمين بعد الغيبة ينكرون ولاية الفقيه، وأن الفكرة السائدة هي فكرة التقية والانتظار وتحريم الجهاد ومنع تكوين أي إمارة أو دولة.

كما وقف الكاتب بنفسه على تطور الشيعة الإمامية حتى ظهور نظرية ولاية الفقيه.

وقد كان أكبر ما صدم به الكاتب أثناء بحثه؛ اطلاعه على الحيرة والانقسام الكبير الذي وقع بالشيعة حين مات العسكري ـ وهو الإمام الحادي عشر ـ بلا ولد ظاهر، وهو أمر يعترف الكاتب بأنه مما تعمد المحققون الشيعة إخفاءه عن أتباع المذهب، ولذا عزم على أن يفتح هذا الباب من داخل المذهب، وأخيرًا انتهى به التحقق إلى نفي ولادة محمد بن الحسن المهدي، ومن ثم بطلان نظرية الاثني عشر من الأساس.

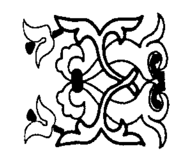
وقد وقف الكاتب "خائفًا مرعوبًا" ـ كما يحكي عن نفسه ـ لخطورة هذه النتائج التي لم يكن يتوقع أن يصل إليها في يوم ما، فقرر أن يستشير بعض أعلام المذهب في نتائج بحثه، فأرسل بحثه إلى مجموعة من الباحثين والعلماء، ولكنه لم ير منهم جوابًا، بل رأى أنهم يتهربون من الإجابة عليه، كما أنه أراد مقابلة بعضهم فقوبل بالرفض، وانتظر الكاتب الإجابة على بحثه الذي قدمه إلى مجموعة منهم مدّة خمس سنوات ولكن ـ كما يقول ـ : "وجدت الكثير منهم يتهرب من قراءة الدراسة، ويمتعض نفسيًّا من مجرد البحث فيها، كأنها تحاول أن توقظه من الاستغراق في حلم جميل"[1]، فقرر بعدها أن ينشر بحثه.

وبهذا يكون الكاتب قد انتقل من كونه إماميًّا متعصبًا إلى شيعيًّا جعفريًّا، وأصبح يرفض أن يوصف بأنه إماميّ أو اثنا عشري، لأنه لم يعد يؤمن بالنص والعصمة اللذين يمثلان حقيقة القول بالإمامة.

كما أخذ يدعو بقوّة إلى مبادئه التي تبينت له من خلال التأليف والكتابة في الشبكة العنكبوتية(الإنترنت) ومن على شاشات القنوات الفضائية وبجرأة واضحة.

❁❁❁

(١) تطور الفكر السياسي ٢١٠ ولتفاصيل هذه المرحلة انظر: الحلقة الأولى من لقاءات قناة المستقلة مع الكاتب (برنامج الحوار الصريح) ١٤٢٤/١/١هـ.



المبحث الثالث

آراء الكاتب



* المطلب الأول *

مسائل تتعلق بتوحيد الربوبية

دافع أحمد الكاتب عن عقيدة آل البيت مبينًا أنها خالية من الشوائب والشركيات التى لم يزل الغلاة يحاولون إلصاقها بهم في حياة الأئمة، وحتى الآن.

كما سعى الكاتب بقوة وجرأة إلى بيان ضعف أدلة الغلاة ومخالفتهم للقرآن وكلام الأئمة من آل البيت رحمهم الله.

ولعل أهم القضايا العقدية التي تبنى الكاتب بيانها والدفاع عنها:

أولا: إنكار القول بالولاية التكوينية :

انتقد الكاتب اعتقاد غلاة الشيعة أن الأئمة قادرون على التصرف في الكون ـ وهو ما يسمى بالولاية التكوينية ـ مبينًا أن القرآن الكريم يرد هذا، وأن الآثار الصحيحة الواردة عن أئمة آل البيت تدل على نقيض ما يقوله أصحاب نظرية الولاية التكوينية،التي هي في نظر الكاتب من الغلو والشرك.

كما بين الكاتب أن الغلاة قديمًا هم الذين أدخلوا هذه العقيدة الفاسدة، من خلال دس الأحاديث على الأئمة، كما بين أن الأئمة قد قاموا بالرد على هؤلاء.

ويرى الكاتب إلى أن كثيرًا من الكتّاب ما زالوا ينسبون هذه المقالة إلى جميع الشيعة قديمًا وحديثًا، إما جهلًا بواقع الشيعة، أو بقصد التنكيل فحسب دون إنصاف[1].

---

(١) مقال (القول بالولاية التكوينية تفويض وغلو وشرك) للكاتب.

انظر:

http://www.iraqcenter.net/vb/forumdisplay.php?s09156c13ddb2d808e0841b5d55e2427c&forumid3

ويتحدث الكاتب عن هؤلاء الغلاة قديمًا وحديثًا، فيذكر أن المتقدمين منهم هم الذين كانوا يُسمون بـ(المفوضة) ويقول: "وهم فرقة من الغلاة الملعونين الذين كان أهل البيت يتبرءون منهم أشد التبرؤ ، فقد سُئل الإمام الرضا عليه السلام : ما تقول في التفويض؟ قال: إن الله تبارك وتعالى فوض إلى نبيه أمر دينه ، فقال :" وما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا" فأما الخلق و الرزق فلا ، ثم قال: إن الله عز وجل يقول ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ وهو يقول ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾. وروى أبو هاشم الجعفري ، قال سألت أبا الحسن الرضا عن الغلاة و المفوضة ، فقال: الغلاة كفار و المفوضة مشركون ، من جالسهم أو خالطهم أو آكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زاوجهم أو تزوج منهم أو آمنهم أو ائتمنهم على أمانة أو صدق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة خرج من ولاية الله عز وجل وولاية رسوله وولايتنا أهل البيت[١] .

كما يتحدث الكاتب عن غلاة الشيعة اليوم فيذكر أنهم هم الذين يسعون إلى نشر عقيدة الغلو والقول بالولاية التكوينية بين عوام الشيعة، ويمثل الكاتب لهؤلاء بآية الله محمد حسين الوحيد الخرساني، الذي يصفه الكاتب بأنه "يقوم باجترار بعض نظريات الغلاة ويمزجها مع أوهام الفلاسفة الباطلة ويضيف عليها بعض الحكايات الأسطورية المضحكة ليحدثنا عن إمام فاعل للوجود مشارك لله تعالى في الربوبية"[٢] .

ويخلص الكاتب إلى القول بأن الخرساني وأمثاله يغفلون عن "حقيقة أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وبقية الأئمة من أهل البيت كانوا في حياتهم محدودي القدرة ضمن أطر الزمان والمكان ولم يكونوا يخترقون الحجب ولا يمتلكون هذه القدرة الخارقة على نصرة أوليائهم أو المستغيثين بهم ، وقد تعرضوا هم إلى أشد ألوان العذاب واستغاثوا بالله تعالى وطلبوا منه النصر والعون"[٣] .

---

(١) المرجع السابق.

(٢) يخاطب الوحيد الخراساني المهدي بقوله: "يافاعل ما به الوجود" ويصفه بقوله: "إن إمام العصر صار عبدًا، وعندما صار عبدًا صار ربًّا، فالعبودية جوهرة كنهها الربوبية.." .(مقتطفات ولائية٣٩). وانظر: مقال: (من أين يستقي الشيخ الوحيد الخراساني أفكاره المتطرفة حول الإمام المهدي؟) لأحمد الكاتب.
www.alkatib.co.uk/last.htm

(٣) www.alkatib.co.uk/last.htm

كما تحدث الكاتب عن موضوع مهم وهو خلط الكثير بين المعجزات المقبولة والأساطير المرفوضة، مبينًا أن ما رواه الكذابون والضعفاء لا يمكن أن نعتبره من المعجزات[(١)] .

ثانيًا: إفراد الله تعالى بعلم الغيب.

يذهب أحمد الكاتب إلى إنكار نسبة علم الغيب إلى أحد سوى الله تعالى، ويعد نسبة ذلك للأنبياء أو الأئمة من الغلو الظاهر.

وبين الكاتب أن القرآن يبطل نسبة علم الغيب لغير الله تعالى كائنًا من كان، ويستدل لذلك بقوله تعالى ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن ٢٦]، وقوله: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل٦٥]، وقوله ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان٣٤].

وقد وضّح الكاتب موقفَ الأئمة من هذا مبينًا أنّ "الإمام الصادق كان دائمًا ينفي عنه علمه بالغيب ويقول بصراحة: (يا عجبًا لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، وما يعلم الغيب إلا الله، لقد هممت بضرب خادمتي فلانة فذهبت عني فما عرفتها في أي بيوت الدار هي)"[(٢)] .

ويستدل أيضا بما جاء عن يحيى بن عبد الله أنه سأل الإمام موسى الكاظم (ع) فقال: جعلت فداك إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب؟ فقال: سبحان الله! ضع يدك على رأسي، فوالله ما بقيت شعرة فيه وفي جسدي إلا قامت . لا والله ما هي إلا وراثة من رسول الله .

وفي رواية أخرى ينقلها الحر العاملي ، يقول فيها الإمام : قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم ومن دينه جناح البعوضة أرجح منه... إني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول «إنا نعلم الغيب»[(٣)] .

ويذكر الكاتب بأن هذا الصنف من الغلاة لا يزال موجودًا في الساحة الشيعية، ممثلًا لذلك بقول أحد المعاصرين: " إن شخصية المعصوم ذات جنبتين، بإحداهما ينفتح على الغيب ويتلقى الوحي من الله ، وان اختصاص وحي النبوة بخاتم الأنبياء لا ينفي أن يكون للأئمة المعصومين من عترته جنبة انفتاح على الغيب والتلقي من

---

(١) انظر: رسالته إلى مرتضى القزويني.
http://www.isl.org.uk/modules.php?nameNews&filearticle&sid192

(٢) تطور الفكر السياسي الشيعي ٧٧، وتنظر الآثار المذكورة في كتاب بصائر الدرجات ٢١٣.

(٣) تطور الفكر السياسي الشيعي ٢٣٠ ـ ٢٣١ ، نقلًا عن كتاب إثبات الهداة للحر العاملي٧٦٧، ٧٦٤.

الله بوحي غير وحي النبوة وإن اختلفت في النوع والكم عن جنبة النبي"[١].

ومما يتعجب له الكاتب أن هذا الفريق من الغلاة يذكر بأن نسبة علم الغيب للأئمة على أنه من المسلمات في فكر آل البيت، ويعد من لا يؤمن به مقصرًا في حقهم، متجاهلًا الرفض الواضح من أهل البيت لهذا الغلو.

أخيرًا: ينبه الكاتب إلى أن هذا الغلو مرفوض عند اتجاه آخر من المعاصرين من أمثال محمد باقر الصدر، ونحوه ممن يعرضون عن مثل هذه الأفكار الغالية جدًا[٢].

ثالثًا: النهي عن الدعاء والاستغاثة بغير الله تعالى.

يرى أحمد الكاتب بأن النصوص قد دلت على تحريم دعاء غير الله تعالى، أو التوجه إلى أحد سوى الله بالاستغاثة، ويستدل الكاتب على ذلك بقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ ، وقوله ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾.

وفي سياق إنكار الكاتب لأفكار الشيخ الوحيد الخراساني الغالية والتي منها توجيه المسلمين وغير المسلمين إلى الاستغاثة بالإمام المهدي (الموهوم الذي لا وجود له)، يذكر الكاتب قولَ الخراساني: "من الضروريات والمسلمات: أن كل من تنقطع به السبل ويتيه في صحراء قاحلة لا يهتدي فيها إلى طريق ، سواء كان يهوديًا أو نصرانيًا، أو مسلمًا شيعيًا أو سنيًا - لا فرق بتاتًا ، إذا ما ندب في ذلك الحين وقال: (يا أبا صالح المهدي أدركني) فان النتيجة قطعية الحصول... والسرّ في ذلك أن الدعاء في تلك الحالة متوجه للإمام حقيقة لأنه نابع عن اضطرار واقعي يخرق الحُجُب ، وفي غير تلك الحالة فان الندبة غير متوجهة إليه!..."

بينما يرى الكاتب أن واقع الأئمة وما تعرضوا له من البلاء يناقض ما يدعو إليه الخراساني ويبين أن دعاء الإمام مع اعتقاد أنه "فاعل ما به الوجود" يعطي للإمام دورًا من أدوار الله تعالى، التي نص الله عز وجل على اختصاصه به، ولذا "طلب[أي الله] من الناس أن يوحدوه ويدعوه وحده لا شريك له في السراء والضراء"[٣].

---

(١) انظر: http://www.alkatib.co.uk/amilyhajr.html

(٢) انظر: تطور الفكر السياسي ٢٣٧. وانظر فيما يأتي رأي الخالصي ٤٠٧-٤١٨، ومحمد حسين فضل الله ٥١٧-٥٣٢.

(٣) وانظر: مقال: (من أين يستقي الشيخ الوحيد الخراساني أفكاره المتطرفة حول الإمام المهدي؟) للكاتب.
www.alkatib.co.uk/last.htm

* المطلب الثاني *
القــــرآن

يرى الكاتب أن القرآن الذي أُنزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يحرّف، وأنه سيبقى لأن الله تعالى تكفل بحفظه.

كما يرى الكاتب بأن القول بأن القرآن محرّف من الأقوال الكفريّة، وأنه يخالف إجماع المسلمين.

وعن وقوع هذا الانحراف والقول به بين المسلمين؛ يبين الكاتب أن غلاة الشيعة قالوا بذلك من عهد متقدم، وأنهم كانوا ينسبون ذلك إلى الأئمة، مع أن الأئمة ـ كما يوضح الكاتب ـ كانوا يتبرءون من هذا القول[١].

ولشدة إنكار الكاتب لهذا القول نجده في مناقشته للأحاديث يضعف أي حديث يشتمل على القول بتحريف القرآن أو أي راو يتبنى هذا المذهب ، مبينًا أن اشتمال الحديث على القول بتحريف القرآن يدل على ضعفه[٢].

إلا أن الأستاذ أحمد الكاتب يعارض بشدّة نسبة القول بالتحريف لجميع الشيعة، مبينًا أنه يعتقد بأن أكثر الشيعة المعاصرين تعارض هذا القول، ولا تقبله[٣].

غير أن أحمد الكاتب لم يوضح حجم هذا القول في الشيعة المتقدمين، ومن القائلين به من المعاصرين، لكنه بين أمرًا مهمًّا؛ وهو أن الذي دفع الغلاة للقول بالتحريف هو عدم وجود نص صريح على القول بالإمامة، وعدم ذكر اسم علي رضي الله عنه، وهو نفس ما دفعهم إلى القول بأن الصحابة حذفوا آيات الولاية الصريحة حلًّا لهذا المأزق الذي وجدوا أنفسهم فيه[٤].

---

(١) تطور الفكر السياسي للكاتب ٨٥.

(٢) انظر: رسالة الكاتب إلى مرتضى القزويني (في الملحق ٢) .

(٣) انظر: لقاء (مراجعات الكاتب) في قناة المستقلة أول محرم سنة ١٤٢٤هـ.

(٤) المرجع السابق.

* المطلب الثالث *
رأيه في الصحابة

يعتقد الأستاذ أحمد الكاتب أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو أفضل الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنه لا يوافق الإمامية على أن الصحابة ارتكبوا جرمًا عندما لم يبايعوا عليًّا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لا يعتبر الإمامة من الأمور المنصوص عليها كما هو عند الشيعة الإمامية.

ويرى الكاتب أن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكونوا - كما تصورهم الروايات والعقائد الإمامية - مرتدين أو منافقين وغيرها من الاتهامات الرامية إلى الطعن في ديانتهم.

وفي تحليل لموقف الإمامية "التكفيري" يذكر الكاتب أن سبب ذلك أمران:

الأول:"مجموعة روايات مختلقة وضعيفة".

الثاني: "موقف كلامي مسبق حول موضوع الإمامة والنص على الإمام علي بالخلافة" وهو ما جعل الشيعة الإمامية "تقوم بقراءة التاريخ من جديد وبشكل معكوس ومخالف للظاهر من حياة أهل البيت عليهم السلام وبالذات الإمام علي بن أبي طالب، وتقتضي اتخاذ موقف سلبي من الذين (اغتصبوا الخلافة من أهل البيت)"[1].

ويقول أيضًا: " وجذر الأمر في نظري يكمن في نظرية الإمامة الإلهية ووجود النصوص بالخلافة للإمام علي من النبي ، ونكران الصحابة لتلك النصوص أو إهمالهم

---

(١) انظر:
http://www.iraqcenter.net/vb/showthread.php?s786a4e40d7dbf7ad5142f52eb5fd82c4&threadid4685

لها ومعاندتهم للرسول ولحكم الله ، ومن ثم الحكم بنفاقهم وكفرهم"[١] .

ولهذا يقول الكاتب : "وقد آن لهم [أي الإمامية] أن يتخلصوا من هذه النظريات الكلامية التاريخية الواهية، ويعودوا إلى فكر أهل البيت عليهم السلام الذين كانوا يدعون إلى الشورى ويلتزمون بها ويتعاملون مع الخلفاء الراشدين كأفضل ما يكون، ويترحمون عليهم ويأمرون شيعتهم بموالاتهم"[٢] .

ولما قام الكاتب الكويتي "ياسر الحبيب" بشتم أبي بكر وعمر ونسبتهما إلى الردة، ورفع على إثر ذلك قضية في المحاكم الكويتية[٣]، علّق الأستاذ أحمد الكاتب بقوله: "الأخ ياسر حبيب لم يفعل شيئًا سوى التعبير بصراحة ووضوح عما يحاول كثير من الشيعة التخلص منه أو تجاهله أو إخفاءه، وأعتقد أن استنكار ما قال لا يكفي من دون القيام بمراجعة للفكر السلبي البائد الذي لا يفيد الشيعة شيئًا، ذلك الفكر الذي وصل إلى طريق مسدود وثبت فشله عبر التاريخ وانتهى أو انقرض بوفاة الإمام العسكري دون خَلَفٍ في منتصف القرن الثالث الهجري"[٤] .



(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر جريدة الرأي العام تاريخ ١/١٢/٢٠٠٣م، http://www.alraialaam.com/01 ـ 12 ـ 2003/ie5/local.htm01، وموقع إسلام أون لاين: http://www.islamonline.net/Arabic/news/2003 ـ 12/04/article11.shtml

(٤) المرجع السابق.

* المطلب الرابع *
رأيه في الإمامة

لقد كان للكاتب جولة في موضوع الإمامة ابتدأ فيها باعتقاده أنها ركن ركين للإيمان، وانتهى به الأمر إلى التخلي عن نظرية الإمامة المنصوص عليها وما تتضمنه من العصمة والغيبة.

فهل تخلى الكاتب عن أحاديث فضائل علي رضي الله عنه وآل بيته؟

لقد بين الكاتب في رسالته إلى مرتضى القزويني أنه لا يشك في صحة "حديث الغدير" - من دون بعض الإضافات الضعيفة - ، وأنه لا يشك في صحة "حديث الثقلين"[1] او "الطائر المشوي"[2] او قصة المباهلة وما نزل فيها او "التصدق بالخاتم" أو غيرها من الأحاديث التي تتحدث عن فضل أهل البيت، ولكنه كما يقول: "ولكني لا أجد فيها حديثًا عن الإمامة الإلهية أو القائمة المسبقة أو المهدي محمد بن الحسن العسكري ، وإنما أجد فيها أحاديث عامة وغير محددة ، وبعيدة عن أفكار الفلاسفة والمتكلمين والغلاة. وإن حبي لأهل البيت واعترافي بفضلهم وقبولي لتلك الروايات لا يلزمني بقبول أية رواية أخرى ، حتى لو كانت ضعيفة السند"[3].

---

(١) وهو حديث زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما) . الترمذي٥/٦٢٢ح٣٧٨٨.مسند الإمام أحمد٣/١٤، ١٧. وقال الهيثمي: إسناده جيد. وقال الالباني: صحيح (صحيح سنن الترمذي ح٢٩٨٠). والحديث أصله في مسلم (٢٤٠٨) .

(٢) الذي فيه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : اللهم ائتني بأحب الناس إليك يأكل معي هذا الطير، فجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد ضعفه كل من ابن القيم في كتاب الفوائد (٣٨٢) ، وابن كثير في البداية والنهاية ٧/٣٧٥ - ٣٧٧، والدهلوي في مختصر التحفة الاثني عشرية(١٦٥) وغيرهم.

(٣) رسالة الكاتب الى مرتضى القزويني.

http://www.isl.org.uk/modules.php?nameNews&filearticle&sid192

وفيما يلي سنعرض الآراء التي توصل إليها الكاتب في موضوع الإمامة:

أولًا: الشورى هي عقيدة آل البيت.

يرى الكاتب أن النظرية التي آمن بها آل البيت وساداتهم كالعباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعًا ومن بعدهم هي نظرية الشورى.

ويستدل الكاتب على ذلك بأقوال ومواقف رموز أهل البيت في الصدر الأول،ومنها:

موقف علي رضي الله عنه من الشورى.

يرى الكاتب أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يؤمن بأن الإمامة بالشورى، بدلالة قبوله الدخول في الشورى بعد عمر رضي الله عنه، وبما يروى من اكتفائه بمحاجّته أهل الشورى بفضائله من دون الإشارة منه إلى أي نص على تعيين إمامته، وتأكيده شرعية الشورى بقوله: "إنما بايعني المهاجرين والأنصار"، وإعراضه عن الناس لما طلبوا منه أن يلي الناس بعد موت عثمان قائلًا لهم: "دعوني والتمسوا غيري" وهو ما لا يقبل من الإمام لو كان يعلم بالنص، وبما جاء من محاجّته لطلحة والزبير قبيل معركة الجمل ببيعتهما له، واحتجاجه على معاوية ببيعة المهاجرين والأنصار له، ثم بخلوٍ وصيته المشهورة من النص على الإمامة بعده، بل ورفضه استخلاف ابنه الحسن إمامًا بعده، وغيرها مما يجده الكاتب صريحًا في إيمان علي بالشورى وليس بالنص الإلهي على الأئمة[١].

موقف الحسن بن علي رضي الله عنه من الشورى.

يذكر أحمد الكاتب أن مواقف الحسن رضي الله عنه تدل على أنه لم يكن يؤمن بالنص والتعيين، وأن التاريخ والمرويات لا تثبت أنه أشار أو احتج بأي نص على استحقاقه الإمامة، وأن المأثور عن الحسن أنه سكت بعد وفاة على رضي الله عنه، وأن الذي دعا الناس إلى بيعة الحسن هو ابن عباس رضي الله عنهم جميعًا، وأنه دعاهم بصيغة التخيير (إن شئتم..)، وأن المراسلات بينه وبين معاوية خالية من الاستشهاد بالنص، كما يستشهد الكاتب بتنازل الحسن لمعاوية بالخلافة، وأكبر من هذا

---

(١) انظر:تطور الفكر السياسي الشيعي ٢٣ ـ ٢٦.

اشتراطه على معاوية أنه إن مات الحسن قبله أن يعود الأمر شورى بين المسلمين، وهو ما يخالف عقيدة النص تمامًا[(١)].

موقف الحسين رضي الله عنه من الشورى.

يبين الكاتب أن الحسين بن علي رضي الله عنه كان يؤمن بأن (الخلافة) بالشورى وليس بالنص الإلهي، ويستدل الكاتب على ذلك بأن الحسين ظل ملتزمًا ببيعته لمعاوية حتى وفاة معاوية، وأنه رفض عرضًا من شيعة الكوفة بالثورة بعد وفاة الحسن في حياة معاوية معتذرًا عن ذلك بأن بينه وبين معاوية عهدًا وعقدًا لا يجوز له نقضه[(٢)].

كما يستشهد الكاتب على إيمان الحسين بالشورى بقول الحسين في جوابه لأهل الكوفة: فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط، الداين بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله[(٣)].

ويستدل الكاتب أيضًا بعدم وصية الحسين بالإمامة لابنه علي الملقب بزين العابدين، مع أنه كتب وصيته الخاصة من دون أن يشير للنص.

محمد بن علي (ابن الحنفية) رضي الله عنه.

يرى الكاتب أن قيام شيعة أهل الكوفة بتقديم البيعة لمحمد ابن الحنفية بعد موت الحسين يدل دلالة واضحة على أن الشيعة في ذلك الوقت لم يكونوا يؤمنون بنظرية النص والتعيين، وبأن أهل البيت ومن أشرفهم وأكبرهم في ذلك الوقت محمد ابن الحنفية لم يكونوا ينطلقون في معارضتهم من مبدأ العقيدة الإمامية[(٤)].

موقف الحسن بن الحسن رحمه الله من الشورى.

يذكر الكاتب بالحسن بن الحسن وهو الذي يصفه بأنه كبير الطالبيين في عهده، وأنه كان وصي أبيه (الحسن بن علي) وولي (أوقاف)جدّه علي بن أبي طالب، وأنه (الحسن بن الحسن) قد سئل: ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من

---

(١) انظر: تطور الفكر السياسي ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) انظر: تطور الفكر السياسي٢٧ نقلاً عن الإرشاد للمفيد ١٩٩ ـ ٢٠٠.

(٣) انظر:(تاريخ الأمم والملوك للطبري٣/١٠١٣) و(الإرشاد للمفيد ٢٠٤).

(٤) انظر: تطور الفكر السياسي ٣٠.

كنت مولاه فعلي مولاه؟ فقال: بلى والله ولكن والله لم يعن بذلك رسول الله الإمامة والسلطان، ولو أراد ذلك لأفصح لهم به[(١)].

هذه بعض الأدلة التي استدل بها الأستاذ أحمد الكاتب على إيمان أهل البيت بنظرية الشورى التي توافق عقيدة الأمة، وهي استدلالات في محلها، ولا يمكن الخروج عن وضوح دلالتها إلا بما يسميه الكاتب "التفسير المقلوب" بحمل هذا على التقية.

ثانيًا : كيف نشأت الفكرة الإمامية في نظر الكاتب؟

إذا كان أحمد الكاتب قد توصل إلى أن عقيدة آل البيت لا تخالف مبدأ الشورى في الإمامة، وأنهم لم يؤمنوا بالعصمة والنص؛ فإن أمامه سؤالًا يجب أن يجد له جوابًا: وهو كيف نشأ الفكر الإمامي إذًا؟ وعلى يد من تبلور القول بالنص والتعيين؟ وما هو موقف الأئمة منه؟

والحقيقة أن هذا سؤال يدور في أذهان كثير من القراء والباحثين، ولعل إجابة أحمد الكاتب من أحسن الإجابات نظرًا لدقة تتبعه التاريخي، وتوثيقه لما ينقله من كتب المذهب الإمامي، ويمكن تلخيص إجابة الكاتب بالآتي:

أولًا: ظهور القول بالوصية.

يذكر أحمد الكاتب أن البادرة الأولى للفكر الإمامي تمثلت في فكرة الوصية، وهي تعني أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالإمامة إلى علي رضي الله عنه فقط دون أن يسمي من بعده، وأن عليًّا أوصى بها للحسن وأن الحسن أوصى بها للحسين وهكذا، دون أن يقال بأن ثمة نصًّا على الأئمة، ويذكر الكاتب أن أول من صاغ نظرية الوصية هو ابن سبأ ثم رتبها بعده طائفة الكيسانية[(٢)].

ثانيًا: ظهور فكرة حصر الإمامة في البيت الحسيني.

فبعد تتابع الانقسامات في المنتسبين إلى آل البيت(بمعناه العام)، وبروز عدّة أجنحة لكل قسم، وكل قسم منها يحاول بعض المنتسبين إليه تأكيد أولوية إمامه بأي طريقة، فالكيسانية ـ وهم المنتسبون لابن الحنفية ـ تدعي حصر الإمامة في ذرية ابن الحنفية لأنه صاحب راية علي في القتال، والحسينيون يؤكدون أولوية الذرية

---

(١) انظر: تطور الفكر السياسي ٣١ نقلاً عن التهذيب لابن عساكر ٤/١٦٢.
(٢) انظر: تطور الفكر السياسي ٣٣ ـ ٣٤، ٤٧.

الحسينية بالعلم وحيازة سلاح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ثم هم انقسموا بعد ذلك فيما بينهم فأظهر بعضهم القول بالوراثة العامودية من أجل إسقاط بعض المنافسين ـ ولم يكن القول بتعيين الأئمة قد ظهر بعد ـ ، وأما الزيدية فتؤيد فكرة زيد بتحديد الأئمة في البطنين عمومًا وتشترط لكونه إمامًا أن يكون صالحًا عالمًا زاهدًا وحاملًا للسيف في وجه الظلمة، ثم ظهرت العباسية تدعي أولوية العباس ـ عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومن بعده ذريته.

والكاتب يشير إلى أن هذا الانقسام أدى إلى ظهور فكرة حصر الإمامة في السلالة الحسينية وإلى القول بالوراثة العامودية من بعد الحسين رضي الله عنه[١].

ثالثًا: ظهور فكرة العصمة والتعيين.

ويذكر الكاتب أن الذين قالوا بالحصر في السلالة الحسينية، واجهتهم عدة أمور اضطرتهم إلى اللجوء إلى ادعاء العصمة والتعيين لضمان تفوق الشخصيات التي اختاروها على غيرهم ـ سواء الزيدية أو الكيسانية أو الأموية أو العباسية أو غيرهم ـ ومن هذه الأمور التي واجهتهم:

١. استدلال الأمويين باختيار الله لهم ولاةً على الأمة.

وقد اجتهد الكاتب في نقل عبارات الخلفاء الأمويين في بيان تركيز خطابهم على بيان شرعيتهم بأن الله تعالى اختارهم على غيرهم لأمر الخلافة والملك، وهو ما يرى فيه الكاتب ميلًا إلى "الاستدلال الجبري"[٢]، وفي وجهة نظر الكاتب أنه هو سبب ردة الفعل لدى بعض الشيعة فقالوا بأن الله تعالى قد عين أئمة من آل بيت نبيه[٣].

---

(١) انظر: تطور الفكر السياسي ٤٧

(٢) يذكر أحمد الكاتب أن الخلفاء الأمويين كانوا يبنون نظريتهم السياسية على عقيدة الجبر والمشيئة الإلهية، وقد نقل في ذلك أقوالًا لبعض خلفائهم وبعض ولاتهم جاء فيها قولهم" إن الله اختصنا" و"إن الله استخلفنا"و "قلدنا الله .."وارتضاه الله إمامًا على عباده.."وغيرها من العبارات.

ولعل الأقرب أن يقال: إن صح مثل هذا النقل فأنها قيلت على سبيل فرض الأمر من قبل السياسيين في ذلك الوقت، لأن المذهب الجبري لم يخرج إلا في العهد العباسي علي يد الجعد بن درهم. انظر: كتاب القضاء والقدر للمحمود ص١٤١.

(٣) انظر:تطور الفكر السياسي ٤٧ ـ ٥٠.

٢. وجود أشخاص متعددين من آل البيت يخرجون طلبًا للخلافة، وقد أدى هذا إلى ابتكار فكرة العصمة و النص لبعض أهل البيت، من أجل إسقاط شرعية أو أولوية من عداهم[١].

رابعًا: ظهور فكرة حصر تفسير القرآن بالمعصوم.

فبعد أن ظهرت فكرة الحصر في البيت الحسيني ثم أُحدث القول بالعصمة والنص؛ أُدرج في نظرية الإمامة حصر حق (تفسير القرآن) بالمعصومين، "تحت دعوى عدم استطاعة المسلمين التعامل مع القرآن والاستفادة منه مباشرة"[٢] من أجل ضمان تفوق الإمام.

خامسًا: ظهور فكرة الاستدلال بالعقل قبل النص.

يذكر الكاتب أن المتقدمين من متكلمي الإمامية لما رأوا ضعف الأدلة النقلية التي يروونها في إثبات الإمامة، لجئوا إلى اعتماد العقل كدليل بالدرجة الأولى[٣].

سادسًا: ظهور فكرة الاستدلال بالمعجزات.

فعندما عجز الدليل النقلي عن إثبات (إمامة) بعض الذين اختارهم أصحاب النظرية الوليدة لجأوا إلى الاستدلال بالمعجزات، فعلى سبيل المثال : فإن الإمام الرابع علي بن الحسين الملقب بزين العابدين الذي مات عنه أبوه الحسين وقد أوصى بالأموال إلى غيره لا توجد دلائل واضحة على إمامته،وقد وجد القائلون بإمامته حرجًا كبيرًا لاسيما في ظل انزوائه عن السياسة وتقدّم أخيه زيد لقيادة معارضة شيعية كبيرة، وهو ما جعل الاستدلال على إمامته أمرًا محرجًا لدى منظري العقيدة الإمامية، فكان المخرج منها أن يقال بدلالة المعجزات والخوارق، فزعموا أن زين العابدين حاجّ أخاه بإظهار معجزة وهي تكلم الحجر الأسود بأن الإمام هو علي بن الحسين[٤].

وتحت ستار القول بدلالة المعجزات نُسج كثير من الأكاذيب حول علم الأئمة

---

(١) انظر:تطور الفكر السياسي ٥١

(٢) تطور الفكر السياسي ٦٢.

(٣) انظر: تطور الفكر السياسي ٦٧ ـ ٦٨.

(٤) انظر: تطور الفكر السياسي ٦٧ ـ ٧٠.

بالغيب، وقدرتهم على التصرف بالكون، وغيرها من ألوان الغلو.

سابعًا: ظهور فكرة تحديد الأئمة باثني عشر إمامًا.

وهي فكرة يرى الكاتب أنها جاءت كحل لأزمة كبيرة وقع بها منظّرو العقيدة الإمامية، ألا وهي موت الإمام الحادي عشر بلا ولد، فلم يكن أمام المتكلمين إلا ادعاء الولد المختفي لأسباب أمنية، ثم بعد زمن جاءت فكرة "الغيبة الكبرى" والقول بأن المختفي هو آخر الأئمة ومهدي آخر الزمان[(١)].

وباختصار فإن الكاتب يريد أن يبين أن الشيعة لم تكن تؤمن منذ أول يوم بالنص والتعيين وتحديد عدد الأئمة، بدلالة مشاركة كثير منهم مع أي معارض يخرج من آل البيت، وبدلالة كثرة انقساماتهم بعد كل إمام إلى فرق شتى كما يقرر ذلك كتّاب الشيعة المتقدمون في الفرق والمقالات كالنوبختي ومحمد بن سعد الأشعري[(٢)].

ثالثًا: الأزمات في مواجهة نظرية الإمامة

كما يذكر الأستاذ أحمد الكاتب أن الأزمات التي واجهت فكرة النص والتعيين والعصمة كان لها دور كبير في تشكل العقيدة الإمامية، ومن هذه الأزمات:

- رد أهل البيت لهذه النظرية، وهو في ـ نظر الكاتب ـ ما أدى بمنظري العقيدة الإمامية إلى اللجوء إلى سلاح التقية، وتفسير كل ما يصدر عن الإمام مما يخالف بالتقية، ومن ذلك تفسير لعْن بعض الأئمة لبعض الرواة الغلاة بأن الإمام يريد صرف أعين السلطان عنه.. وهكذا[(٣)].

- موت إسماعيل بن جعفر الصادق في حياة الصادق، وقد كان منظرو عقيدة الإمامة يشيعون سرًّا في العراق أن الإمام بعد الصادق هو إسماعيل، وهو ما أدى إلى ظهور القول بالبداء.

---

(١) انظر: تطور الفكر ٧٧.

(٢) يقول ابن خلدون معلقًا على كثرة انقسامات الشيعة: "وهذا الاختلاف العظيم يدل على عدم النص". انظر لباب المحصل لابن خلدون ١٣٠.

(٣) انظر تطور الفكر السياسي ٨٢ ـ ٨٥.

- انقسام الشيعة على الكاظم، واستجابتهم لبعض من خرج وأخذ البيعة لنفسه، كعيسى بن زيد وشهيد الفخ وغيرهم، وهو ما أدى إلى الغلو في دليل المعجزات.

- تحالف المأمون العباسي مع الإمام الرضا، وذلك أن المأمون قام برأب صدع بين آل علي وآل العباس حين أخذ البيعة للرضا رحمه الله من بعده على ولاية العهد برضا الإمام في سنة ٢٠١هـ وهو ما يعني إقرار الرضا لإمارة المأمون[١].

- أزمة الطفولة: التي تجلت في موت الرضا عن أبناء صغار، وهو ما أثار سؤالًا مهمًّا وهو: كيف يمكن أن يكون إمامًا من لا يحق له التصرف في ماله قبل البلوغ، وهو ما أكده وصية الإمام الرضا بالمال إلى عبد الله بن المساور إلى أن يبلغ الجواد. وهكذا تكررت مشكلة الطفولة مع الجواد حينما مات وعمر ابنه الهادي سبع سنين[٢].

هذه هي بعض الأزمات التي ذكرها الكاتب في معرض بيانه للإجابة عن السؤال المهم: كيف تشكلت العقيدة الإمامية؟ وعلى يد من تم ذلك؟ والله أعلم.

تطورات الفكر السياسي الشيعي بعد الغيبة

عقد الكاتب أكثر من ثُلُث كتابه(تطور الفكر السياسي الشيعي) لرصد التطور الذي مر به الفكر السياسي الشيعي من بعد الغيبة، انطلاقًا من المرحلة التي سيطرت فيها "فكرة الانتظار" ووصولًا إلى المرحلة المعاصرة التي تغلبت فيها مجموعة أطروحات سياسية شيعية "إيجابية"[٣] أبرزها ولاية الفقيه.

وقد قدم الكاتب وصفًا علميًّا دقيقًا، حيث عرض في كل مرحلة فتاوى وآراء لعلماء تلك المرحلة بحيث يتضح للقارئ لمحات الفكرة السائدة "الغالبة" والفكرة "محدودة الانتشار" في كل فترة.

كما بيّن الكاتب أن المرحلة الأولى بعد الغيبة شهدت سلبية على الصعيدين الاجتماعي والسياسي، بحيث تبنى أبرز علماء الإمامية في مرحلة مبكرة إغلاق باب الجهاد و منع الاجتهاد والجمود على الأخبار، وكما تبنوا تعطيل الحدود ومنع إقامة القصاص ، والإحجام عن مظاهر كثيرة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

---

(١) تطور الفكر السياسي ٩٧.

(٢) انظر تطور الفكر السياسي ١٠٢ ـ ١٠٦.

(٣) وأعني بكونها "إيجابية" نقيض السلبية(القعود والاستسلام) ، ولا أعني بذلك التزكية العلمية المطلقة.

وتعطيل صلاة الجمعة..إلى آخر تلك المظاهر[١].

لكن الكاتب يرصد حَدَثين مهمين في الفكر الشيعي هما:

<u>الأول: فتح باب الاجتهاد.</u>

فبعد أن كان المذهب الإخباري هو السائد، جاء الحسن بن عقيل النعماني في أواسط القرن الرابع بفكرة جواز الاجتهاد في غياب الإمام، ثم تبعه السيد المرتضى بالتأييد، لكنهما واجها حملةً كبيرةً من قبل التيار التقليدي، وهو تيار مطّرد مع مبدأ الإمامة الذي أوجبوا من أجله وجود إمام معصوم، ولم يزل التيار الأصولي الذي يقول بفتح باب الاجتهاد يتوسع حتى صار هو المتغلب في صفوف الشيعة اليوم[٢].

<u>الثاني: تولي القيادة السياسية باسم ولاية الفقيه.</u>

فبعد أن كان الشيعة يرون حرمة الدخول في العمل السياسي اطرادًا مع نظرية النص والعصمة، بدأ الفكر ينفتح على المشاركة السياسية بفتوى تفويض إقامة بعض الحدود للفقهاء(وهي بعض صلاحيات الإمام في الأصل)، ثم تطور ذلك بأن أدخل أبو الصلاح الحلبي(٣٧٣ - ٤٧٤هـ)أبواب الزكاة والخمس في صلاحيات الفقهاء[٣].

ثم جاء أبو الحسن الكركي[٤]، فطوّر نيابة الفقهاء المحدودة إلى نيابة عامة للفقيه يستطيع من خلالها ممارسة السياسة وألف لأول مرة في تاريخ المذهب الشيعي كتابًا في أحكام الخراج[٥]، ثم تتابع الأمر إلى أن جاء الخميني بفكرة <u>ضرورة ولاية الفقيه</u>، وقريب منه الكلبايكاني الذي قال <u>بوجوبها</u>.

وهنا يقف الكاتب فيبين أن الشيعة قد تخلو "عمليًّا عن نظرية الإمامة، لأنهم قد فوضوا للفقهاء القيام بركني الإمامة وهما: الجانب التشريعي، والجانب التنفيذي.

يقول أحمد الكاتب: "**وكان من الأجدر بعد إعادة النظر في أساس الفكر الأمامي**

---

(١) انظر فتاوى وأقوال علماء الشيعة في تلك المرحلة: تطور الفكر السياسي ٢٧٢ ـ ٣١٣.

(٢) انظر: تطور الفكر السياسي ٣٢٥ ـ ٣٣٢.

(٣) انظر: تطور الفكر السياسي٣٦٧ ـ ٣٦٨.

(٤) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن عبد العالي الكركي العاملي، يلقب بالمحقق الثاني، ويعرف بالعلائي، رحل إلى مصر والعراق، ثم استقر في إيران وأكرمه ملكها طهماسب الصفوي. توفي في العراق سنة ٩٤٠هـ. انظر الأعلام للزركلي ٤/٢٨١.

(٥) انظر:تطور الفكر السياسي ٣٧٩ ـ ٣٨١.

والتخلي عن شروط العصمة والنص والسلالة العلوية الحسينية في (الإمام) ، أن يعاد النظر في الفرضية (المهدوية) التي تفرعت عن نظرية (الإمامة الإلهية) وحتمية وجود (الإمام المعصوم المعين من قبل الله) . فلو أجزنا إمكانية إقامة الدولة بالفقيه العادل أو بالعادل من المؤمنين فإنه لا تبقى أية حاجة إلى افتراض وجود (الإمام المعصوم) دون أن يتفاعل مع الأمة خلال أكثر من ألف عام"[١] .

ولذلك لا يتردد الكاتب في وصف القول بالإمامة بأنه قول "بائد"، لأن الشيعة تخلو عنه فعليًّا، وصار واقعهم لا يختلف عن واقع غيرهم ممن لا يقول بالنص والعصمة.

والخلاصة أن أفكار الكاتب الأساسية في موضوع الإمامة هي:

أ. أن القرآن والسنة المتواترة مع الأحداث التاريخية تدل على نقيض القول بالإمامة.

ب. أن القول بالنص والعصمة وجعْلها شرطًا من شروط الحاكم المسلم هو من استحداث بعض متكلمي الشيعة كهشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي ومؤمن الطاق في منتصف القرن الثاني الهجري، وذلك خلافا لمدرسة أهل البيت التي لا تشترط العصمة ولم يرد فيها أي نص صحيح عنهم بذلك.

ت. أن ضعف النص في مواطن كثيرة على إثبات الإمامة، وبروز أشخاص متعددين من الهاشميين في زمن الأئمة جعل أصحاب نظرية الإمامة يولّدون "دليل العقل" و"دليل الإعجاز" على الإمامة، ويخترعون في سبيل ذلك قصصًا خيالية.

ث. أن الأزمات التي مرّت بها نظرية الإمامة كان لها دور في بلورة أفكار جديدة في النظرية، وأهم هذه الأزمات: معارضة أهل البيت وأولهم الصادق لنظرية النص والعصمة وإظهار براءته من بعض الأشخاص، كما أن أزمة موت إسماعيل بن جعفر في حياة والده، ثم أزمة الطفولة، وموت الحسن العسكري بدون ولد هي مما اضطر منظري القول بالإمامة إلى صياغة النظرية شيئًا فشيئًا.

ج. أن الإمامية تخلّوا عمليًا عن مفهوم الإمامة لما فتح أعلامه باب الاجتهاد في المذهب، ثم أخيرًا فتحوا باب العمل السياسي على مصراعيه باسم ولاية الفقيه.

❁❁❁

---

(١) تطور الفكر السياسي الشيعي٤٤٢ ـ ٤٤٣

* المطلب الخامس *
رأيه في مهدوية محمد بن الحسن

تعد فكرة مهدوية محمد بن الحسن العسكري من أبرز القضايا التي تناولها الكاتب في مناقشاته الرامية إلى الوصول إلى التصحيح داخل مذهب الشيعة.

وقد بين الكاتب أنه لا يريد نفي فكرة خروج المهدي آخر الزمان، ولكنه يبحث عن صحة كون محمد بن الحسن بعينه هو المهدي[1]، وهو ما جعل الكاتب يجعل عنوان مناقشته لمسألة المهدي "فرضية المهدي محمد بن الحسن العسكري".

ويمكن تلخيص أفكار أحمد الكاتب التي طرحها بما يلي:

أولًا: إثبات موت الإمام الحادي عشر (الحسن العسكري) بلا عقب، وذلك في سامراء سنة ٢٦٠[2].

ثانيًا: تقسيم ميراث الحسن العسكري بين أمه(حديث) وأخيه (جعفر)فقط بشهادة قاضي سامراء[3].

ثالثًا: ادعت جارية الحسن التي تسمى "صقيل" بأنها قد تكون حاملًا منه، فأُوقفت قسمة الميراث، حتى تأكدوا من براءة رحمها[4].

رابعًا: وقوع الشيعة بعد موت الحسن بلا عقب في حيرة شديدة، وانقسامهم إلى أربع عشرة فرقة، واحدة منها قالت بوجود الولد المخفي، وهي الحيرة التي يقول عنها النعماني: "أي حيرة أعظم من هذه التي أخرجت من هذا الأمر الخلق الكثير والجم

---

(١) انظر:تطور الفكر السياسي ١٩٧.

(٢) انظر:تطور الفكر السياسي الشيعي ١٢١.

(٣) انظر:المرجع السابق ١٢١، نقلا عن إكمال الدين للصدوق ٤٤.

(٤) انظر: المرجع السابق١٢١، نقلا عن إكمال الدين للصدوق ٤٤، ودلائل الإمامة للطبري ٢٤٤.

الغفير؟ ولم يبق إلا النزر اليسير، وذلك لشك الناس"[١].

خامسًا: بيّن الكاتب أن أدلة فرضية مهدوية محمد بن الحسن التي يُستدل بها هي: الدليل العقلي القائم على وجوب إمام معصوم، أو الدليل النقلي الذي فيه وعد بخروج المهدي، أو الدليل التاريخي القائم على ذكر من رأوا المهدي، أو دليل المعجزة التي يقال بأنها وقعت على يد النواب، أو الأخبار الغيبية التي يزعمون أنها من أخبار المهدي، وأخيرًا دليل الإجماع الذي يدعيه بعض أعلام الشيعة معرضين عن الحيرة والانقسامات التي وقعت بعد موت الحسن بلا ولد ظاهر[٢].

سادسًا: مناقشة أحمد الكاتب لأدلة فرضية مهدوية محمد بن الحسن.

رد الأستاذ أحمد الكاتب الأدلة التي يقدمها مثبتو ولادة محمد بن الحسن (المهدي)، مبينًا أن أهل البيت الذين كانوا يتحدثون عن المهدي لم يذكروا شخصًا معينًا، ويدل على ذلك كثرة الذين ادعوا المهدوية لأشخاص من أهل البيت غير محمد بن الحسن[٣].

كما بين الكاتب أن أصل الخطأ المنهجي الذي وقع فيه مثبتو ولادة المهدي هو ذهابهم إلى إثبات ولادة شخص معين بالعقل، وهو ما يخالفه الكاتب تمامًا ويعتبره خطأً واضحًا؛ لأن إثبات ولادة أو وجود أي إنسان يكون بدلالة التاريخ على أنه كان موجودًا، ونقل تواتر الناس على ذلك[٤].

ولهذا يقول الكاتب:" اعتقد أن القارئ العادي لا يحتاج إلى أن يتجشم عناء درس علم الرواية والدراية حتى يقيّم تلك الروايات "التاريخية الواردة حول مولد (الإمام محمد ابن الحسن العسكري) أو أن يكون من العلماء المختصين في التاريخ.. فإن المؤلفين الذين أوردوا تلك الروايات في كتبهم أراحوا أنفسهم من تهمة الاعتماد على

---

(١) المرجع السابق ١٢٨، وانظر الغيبة للنعماني١٨٦.

(٢) انظر:تطور الفكر السياسي الشيعي١٣١ ـ ١٦٨.

(٣) ذكر الكاتب أن من الشيعة من زعم أن الكاظم هو المهدي ولم يصدقوا بأنه قد مات وهم الموسوية، وآخرون ادعو بأن الرضا هو المهدي، وقال بعضهم: إنه ابن الحنفية، وقال آخرون هو النفس الزكية(محمد بن عبد الله) ، وقيل الباقر وقيل الصادق، وقيل ابنه اسماعيل، وقيل غيره. انظر:تطور الفكر السياسي الشيعي ١٨١ ـ ١٩٠.

(٤) انظر: تطور الفكر السياسي.

هذه الروايات الضعيفة وقالوا في البداية: إننا نثبت وجود (الإمام الثاني عشر) بالطرق الفلسفية العقلية الاعتبارية النظرية ، ولسنا بحاجة إلى الروايات التاريخية ، وإنما نأتي بها من باب الإسناد والتعضيد والتأييد"[١] .

كما يعترف الكاتب بأن "المراقب المحايد يصاب بالدهشة لإهمال العلماء طوال التاريخ لدراسة الروايات التاريخية الواردة حول إثبات ولادة ووجود الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري"[٢] .

نقده للروايات التاريخية:

أولاً:

يرى الكاتب بأن أول من تكلم في الروايات التاريخية هو الصدوق (الابن)، وذلك بعد وفاة العسكري بمائة عام، ثم جاء بعده الطوسي بمائة ثانية، ثم إن رواياتهم التاريخية هي جمع لما كان يتداوله الناس من حكايات وإشاعات وأساطير بأسانيد مرسلة أو من نقل الغلاة والمجاهيل، ويتساءل الكاتب: لماذا لم يتكلم المؤلفون في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري كالنوبختي وسعد الأشعري القمي وابن بابويه الصدوق (الأب) والنعماني بل وحتى الكليني الذي لم يجد أكثر من قصة الرجل الهندي الذي سافر من كشمير ليعرف المهدي فقط؟ بينما نجد الصدوق(الابن) يسجل مجموعة كبيرة في ذلك بزمن يسير[٣] .

ثانيًا:

يذكر الكاتب أن الأدلة التاريخية مضطربة جدًّا في أمور مهمة، منها:

١. **تحديد هوية أم المهدي**:هل هي (الجارية) نرجس أو سوسن أو صقيل أو خمط أو ريحانة أو مليكة، أو هي (الحرة) مريم بنت زيد العلوية..[٤] .
٢. **تحديد تاريخ ولادته** : هل كان عمره وقت وفاة أبيه ست أو ثماني سنين؟
٣. **طريقة الحمل**:هل هي طبيعية في الرحم،أو أسطورية كما قيل بأنه في الجنب.

---

(١) تطور الفكر السياسي الشيعي٢٠٨.
(٢) المرجع السابق٢٠٩.
(٣) انظر: تطور الفكر السياسي٢١٠.
(٤) انظر: تطور الفكر السياسي٢١٠.

٤. **طريقة الولادة:** هل هي من الفرج أو من الفخذ؟

٥. **لونه:** هل هو أسمر أو أبيض؟

٦. **طريقة النمو:** هل كانت طبيعية، أو كانت أسطورية كما في بعض الروايات أنه ينمو في اليوم مثل نمو غيره في سنه، وفي أخرى أنه ينمو في اليوم كأسبوع وفي الأسبوع كشهر، وهكذا، وبناء على ذلك قيل في الروايات الأسطورية أنه كان يبدو في وقت وفاة أبيه كالرجل الكبير، حتى أن عمته حكيمة لم تعرفه.

٧. **واختلف في التّكتّم عليه:** ففي بعض الروايات أن عمته لم تره إلا مرة، وفي أخرى أنها كانت تراه كل أربعين..[1].

وهكذا فإن الأستاذ أحمد الكاتب يرى ضمن الاختلاف الشديد في الروايات التاريخية هذه ما يكفي في ردها جملة، وهو أيضًا ما جعل كثيرًا من متكلمي المذهب ومنظري العقيدة الوليدة يهربون من مناقشة هذه الروايات، ويركّزون على الاستدلال العقلي في الإثبات خوفًا من الوقوع في مأزق اختلاف الروايات التاريخية.

نقده لشهادة النواب الأربعة

تعد شهادة النواب الأربعة ورسائلهم التي كانوا يخرجونها للناس زاعمين أنها من المهدي؛ من أهم الأدلة التي تطرح في موضوع إثبات وجود المهدي، وفي إطار تحقيق الكاتب لمسألة ولادة المهدي طرح عدّة أسئلة هي: هل كان النواب صادقين حقًّا؟ وهل أجمع الشيعة آنذاك على توثيقهم؟ وكيف صدّق بعض الشيعة رسائلهم وانقادوا لهم؟

وفي طيات إجابة الكاتب عن هذه الأسئلة المهمة: نجد أنه يبين ما يلي:

١. أن ظاهرة النيابة على المهدي لم تكن جديدة، فقد ادعى بعض الشيعة أن الكاظم لم يمت ثم قدم طرح أحدهم نيابته عنه وأمر الناس أن يقدموا له الأموال[2].

٢. أن المدعين للنيابة عن المهدي(محمد بن الحسن) بضعة وعشرون شخصًا، ويرجع الكاتب سبب كثرتهم إلى أن دعوى النيابة كانت تجر مصالح مادية ومكانة

(١) تطور الفكر السياسي ٢١١.

(٢) وهو محمد بن بشير. انظر: تطور الفكر السياسي ٢٢٥.

اجتماعية سياسية للمدعي[١].

٣. يطعن الكاتب في مصداقية النواب الأربعة، ويرى بأن ما ينقله الطوسي من الآثار المنقولة عن المهدي في تزكيتهم هي طرق مليئة بالضعفاء والمجاهيل، علاوة أنها من نقل النواب أنفسهم (بمعنى أنهم كانوا يزكون أنفسهم)[٢].

٤. وقوع الشك من قبل الشيعة في صدق النواب بسبب كثرة المدعين للنيابة، وتشاجرهم فيما بينهم، واختفاء الأموال التي يأخذونها، مما دعا النواب إلى إخراج كتاب على لسان المهدي يندد فيه بالشاكين .

٥. يذكر الكاتب أن النواب الأربعة كانوا يتهمون المنافسين لهم بأنهم طلاب أموال وأنهم مرتمون في أحضان السلطان، وهو مالا يجد الكاتب فيه فرقًا بين النواب الأربعة وغيرهم ممن ادعاها[٤].

٦. مما يستدل به الكاتب في تشكيكه في نيابة الأربعة هو عدم قيامهم بأي دور ثقافي لخدمة الشيعة والمسلمين، ما عدا جباية الأموال وادعاء تسليمها للمهدي، بل يجد الكاتب في موقف النائب الثالث(النوبختي) حين لجأ إلي علماء (قم) من أجل حل مشكلة الشلمغاني الذي انشق عليه ما يدل على عدم وجود أي صلة له بالإمام المعصوم أصلًا.

كما يرى الكاتب أن تأليف الكليني لكتاب الكافي ـ وهو معاصر للنوبختي ـ وملأهُ بالأحاديث الضعيفة والغالية، مع عدم تعليق النوبختي أو النائب الذي بعده عليه، يدل على السلبية الثقافية للنواب[٥].

---

(١) انظر: تطور الفكر السياسي ٢٢٦.

(٢) انظر: تطور الفكر ٢٢٦ ـ ٢٢٨. وقد نقل الكاتب قول محمد بن علي الشلمغاني الذي كان وكيلًا للنوبختي ـ النائب الثالث ـ في بني بسطام، ثم انشق وادعى النيابة لنفسه:"ما دخلنا مع أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي إلا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه، لقد كنا نتهارش على هذا الأمر كما تتهارش الكلاب على الجيف". انظر تطور الفكر ٣٢١ نقلًا عن كتاب الغيبة للطوسي ٢٤١.

(٣) انظر: تطور الفكر السياسي ٢٢٩.

(٤) انظر: تطور الفكر السياسي٢٣١.

(٥) انظر: تطور الفكر السياسي٢٣١ ـ ٢٣٢. وينقل الكاتب عن الشيخ حسن الفريد ـ وهو زميل للخميني ـ أنه تعجب من الكليني، وتساءل عن السر وراء عدم سؤال الكليني صاحبَ الزمان(المهدي) عن طريق وكيله =

٧.يطعن الكاتب في مصداقية الرسائل التي يدعي النواب أنها من المهدي، لأن الذين رووها نقلوها بأسانيد مليئة بالمجاهيل والغلاة باعتراف علماء رجال الشيعة[١].

٨.يذكر الكاتب أنه حاول أن يجد أي مخطوط لدى الشيعة فيه خط الإمام المهدي أو توقيعه، فلم يجد لذلك أثرًا، وهو ما يدعو إلى الريبة في أمر هذه الرسائل، إذ كيف لا يهتم النواب و علماء الشيعة بالمحافظة عليها كما يحتفظ كل قوم بأهم مخطوطاتهم[٢].

هذه هي أهم الأفكار التي طرحها أحمد الكاتب في موضوع المهدي، وهي باختصار:

١.نفي ولادة المهدي محمد بن الحسن أساسًا.

٢. أن مهدوية محمد بن الحسن نظرية صنعها بعض المنتفعين والغلاة.

٣. وأن عقيدة ولادة محمد بن الحسن وغيبته كانت عقيدةً لواحدة من أربع عشرة فرقة من الشيعة، ثم صارت عقيدة لعامة الشيعة.



= النوبختي عن المسألة التي نقل فيها الكليني الخلاف وهي حكم الخمس في عصر الغيبة. انظر : تطور الفكر ٣٢٣ نقلا عن رسالة في الخمس للفريد ٨٧.

(١) تطور الفكر السياسي ٢٣٢ ـ ٢٣٤.

(٢) انظر:تطور الفكر السياسي ٢٣٤ ـ ٢٣٥.



الباب الثاني

أعلام التصحيح

داخل المذهب الإمامي



في هذا الباب سيأتي الحديث عن بعض الشخصيات الإمامية المعاصرة التي كان لها إسهام في تقديم مشاريع إصلاحية ودعوة إلى الاعتدال وترك بعض مظاهر الغلو والخرافة، لكن هذه الشخصيات لم تتخل عن صلب المذهب وهو القول بالنص على الأئمة والعصمة، وهو ما يجعل تحولاتها ومشاريعها الإصلاحية داخلية (في المذهب).

وقبل الشروع في عرض هذا النوع من التحولات المحمودة، ينبغي على القارىء الكريم أن يستحضر ما يلي:

١. أن الحديث عن الأفراد يختلف عن الحديث عن الفرقة، لأن الفرقة قد تتبنى قولًا لا يقول به بعضها، كما أن الأفراد يقاسون بما جمعوا من الحسنات والسيئات، ولهذا يختلف الحكم على المخالف الذي له حظ من الجهاد بمفهومه الأعم، عن المخالف الذي لا هم له إلا نشر الغلو ومحاربة أهل السنة.

كما ينبغي أن يعلم أن الرجل قد يكون"إماميًّا" ولا يكون "خرافيًّا"، أو قد يكون إماميًّا ولا يكون ممن يتبنى الشركيات في الربوبية والألوهية"، بل قد يكون إماميًّا يحارب أقوالًا شركية غالية، بل قد تكون هي السمة العامة في زمن ما أو مكان ما، وقد يكون غير ذلك.

٢. أن الموقف والحكم الشرعي ينبغي أن يختلف بين إمامي يحارب الغلو والخرافة، وبين إمامي يدعو إلى الخرافة والغلو، بحيث لا يُعطى الاثنان حكمًا وموقفًا واحدًا.

وكشاهد على أهمية هذه النقطة، أذكر هنا هذا الموقف وهو أنني راسلت أحد أهل السنة المهتمين بالرد على الشيعة الإمامية لأسأله عن أحد الشخصيات التي سيرد ذكرها في هذا الباب، وهو آية الله محمد الخالصي، فأجابني بإجابة جاء فيها: "من يعتقد بالإمامة - مثله - فهو من الغلاة أيضا في منطق السنة". وللتعليق على هذا الموقف ينبغي أن يقال بأن الغلو عند محققي أهل السنة درجات، بحيث لا يقارن الذي يقول بأن الأئمة يتصرفون بالكون مع من يقول بأن الأئمة منصوص عليهم وهم معصومون من الخطأ فقط، وسيأتي في الباب الأخير دقة كثير من علماء أهل السنة في تصنيف المخالفات.

الغريب أن البعض يتعاملون بنظرية "الأبيض والأسود" مع الموافقين لهم

والمخالفين، وهذا خطأ شرعًا وعقلًا، لأن الله تعالى أمر بالعدل مع الناس، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم أرشد إلى إعطاء كل ذي حق حقه.

٣. أن من سيأتي ذكرهم من أصحاب التحولات الداخلية ينبغي أن يُعرف أنّ لي عليهم ملاحظات مهمة أبرزها قولهم بالنص على الأئمة وعصمتهم، وهو في ميزان أهل السنة من الأقوال المحدثة التي لا دليل عليها، والتي انبنى عليها مواقف متطرفة تجاه الصحابة الكرام، كما أنه فتح الباب للتصديق ببدع أخرى باسم العصمة وعلو المنزلة للأئمة رحمهم الله، وقد سبق في الأبواب السابقة عرض كثير من المناقشات حول القول بالإمامة فلا حاجة إلى التكرار، **وعلى القارئ الكريم أن يعلم بأنني لن أذكر هذه الملاحظة في الفصول القادمة، اكتفاء بهذا التنبيه والردود السابقة.**

٤. لا بد أن يلاحظ أن هؤلاء الأشخاص لم يجعلوا القول بالإمامة محلًّا للبراءة من المخالف، بمعنى أنهم لم يعطوا الإمامة تلك المنزلة التي يسلكها الغلاة.

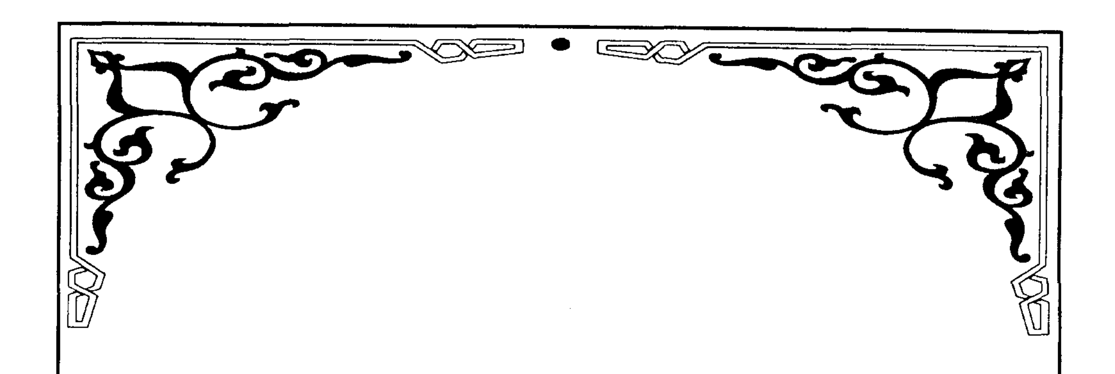
وقد يقول قائل: وما الفرق؟

والإجابة على هذا أن محققي أهل السنة يفرقون بين من أحدث قولًا وأخذ يوالي عليه ويعادي وبين من أحدث قولًا ولم يجعله محلًّا للبراءة من مخالفه، بمعنى أن من أحدث في الدين وأراد أن يفارق به جماعة المسلمين لا يقارن بمن أحدث ولم يجعله محلًّا للمفارقة.

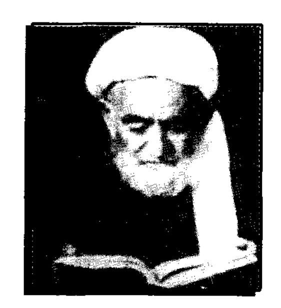
ولهذا كان أشد الاختلاف المذموم هو الافتراق الذي يرافقه وصف ﴿ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ﴾ [الأنعام ١٥٩] أي متحزبين يبرأ بعضهم من بعض ، يقول الشاطبي رحمه الله تعالى: (صاروا شيعًا) أي جماعات بعضهم قد فارق البعض، ليسوا على تآلف ولا تعاضد ولا تناصر، بل على الضد من ذلك، فإن الإسلام واحد، وأمره واحد، فاقتضى أن يكون حكمه على الائتلاف التام لا على الاختلاف.

وهذه الفرقة مشعرة بتفرق القلوب المشعرة بالعداوة والبغضاء، ولذلك قال ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] **فبيّن أنّ التآلف إنما يحصل عند الائتلاف على التّعلق بمعنى واحد، وأما إذا تعلق كل شيعة بحبل غير ما تعلقت به الأخرى، فلا بد من التفرق،** وهو معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام ١٥٣][1].

(١) الاعتصام ٢/٧٠١.



الفصل الأول



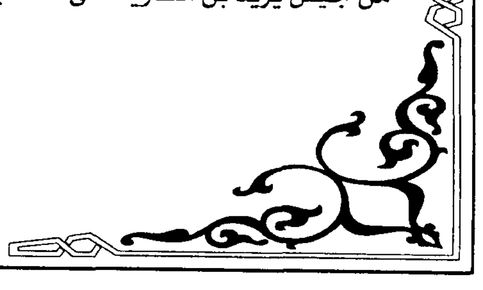
آية الله العظمى

محمد بن محمد مهدي الخالصي

"ورأيت دعاة يدعون إلى هذه الأهواء والمفاسد ويرقون المنابر باسم الوعظ والرثاء للحسين ابن علي (عليهما السلام)، وهذه الطائفة لو صلحت لكان لها الأثر العظيم في الدعوة إلى الإسلام ولكن أكثر أفرادها لا يعرف من الإسلام إلا أحاديث غلاة الخطابية والكرامية والمغيرية، ومن القرآن إلا آيات حملوها على أهوائهم وفسروها بآرائهم وأخرجوها عن مدلولها اتّباعا لأولئك الغلاة، فهم اليوم أضر على الدين من جيش يزيد بن معاوية على الحسين كما قال الصادق عليه السلام"

محمد الخالصي

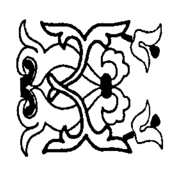






المبحث الأول

ترجمته



اسمه ونسبه:

هو محمد بن محمد مهدي بن حسين بن عبد العزيز الخالصي الكاظمي الأسدي، وينتهي نسبه إلى حبيب بن مظاهر الأسدي – وهو أحد الذين قتلوا مع الحسين في كربلاء –[1].

ولادته ونشأته:

وُلِد محمد الخالصي رحمه الله في حدود عام ١٨٨٨م[2] في مدينة الكاظمية.

ونشأ في بيتٍ اشتهر بالعلم، فوالده آية الله العظمى محمد مهدي الخالصي كان قائدا علميًّا وجهاديًّا[3] ، بدأ بطلب العلم في فترة مبكرة فأنهى دراساته العلمية والفلسفية في مدّة قصيرة على يد علماء زمانه.

وقد تتلمذ محمد الخالصي على علماء من أبرزهم والده محمد مهدي الخالصي، والميرزا محمد تقي الشيرازي

وقد تحدث الخالصي عن دور هذين العالمين في حياته قائلًا: "عرفني أبي الإسلام في كتاب الله والسنة الصحيحة من طريق آل البيت عليهم السلام، ولم أجد الإسلام مجموعًا عند غيره إلا في رجل واحد وهو: (محمد تقي الشيرازي) وقد درست عليه شيئًا قليلًا،

---

(١) انظر مقدمة المترجم في كتاب علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٢٣، الأعلام للزركلي ٨٦/٧.

(٢) خلافًا لما قال الزركلي في الأعلام ص٨٦ أنه ولد علم١٨٩٠م، انظر ترجمة ابنه هادي الخالصي في مقدمة علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٢٣، وترجمة ابنه محمد مهدي الخالصي في مقدمة كتاب الاسلام سبيل السعادة والسلام ٣.

(٣) كان آية الله العظمى محمد مهدي الخالصي من أكبر القيادات التي ساهمت في قيادة حركة الجهاد عام ١٩١٤هـ كما قاد ثورة عام ١٩٢٠هـ ضد الانجليز. انظر عراق بلا قيادة ٢٠ ـ ٣١

ولم يكن لهما ثالث فيما علمت والله أعلم"[١].

أبرز صفاته:

شجاعته:

تمتع محمد الخالصي بشجاعة عالية جدًا تجلت في إقدامه وبكل شجاعة على مواجهة الانحراف الطاغي على الساحة الشيعية من ناحية، ومواجهة الانحراف الطاغي على الساحة الإسلامية عمومًا.

أما الانحراف الأول فيتمثل في كثير من صور الابتداع والانحراف والخرافة والتخلف التي يروج لها الغلاة، وبدعم وتأييد من الغرب.

وأما الانحراف الثاني فيتمثل في الأفكار الضالة الحديثة التي بدأت تغزو العالم الإسلامي كالشيوعية الإلحادية والفكر الغربي وغيرها من الأفكار التي جرى خلفها كثير من المسلمين آنذاك.

وقد واجه الخالصي كلا الانحرافين بشجاعة جعلته يدفع ثمن ذلك بالنفي تارة وبتشويه سمعته من خلال فتاوى التضليل التي كثرت في حقه آنذاك،كما سيتضح لاحقا.

ولعل من شواهد شجاعة الخالصي خطابه الذي وجهه إلى رئيس وزراء إيران (أحمد قوام السلطنة) حين خاطبه بقوله: "أخاطبك بهذه الكلمات لا لأنك تملك نفعًا يرجى أو ضرًا يخشى، فما أعجزك عن الأمرين، بل لأنك أقرب إلي مكانًا من كل مسلم يحمل مثل هذه الصفة، وأقصد بخطابي هذا عظة أمثالك من رؤساء المسلمين كل على حسب إمارته ونزعته، وعلو نفسه.."[٢].

وقال أيضا: "أتسبق يا رئيس وزراء إيران إلى إفهام البشر هذا الخطر[٣] ودعوتهم إلى النجاة؟ فيكون لك القدح المعلى وتفوز بمرضاة الله، ولكن هيهات!! وأنى لك بذلك، وقد ذكرت أنك لا تملك ضرًا ولا نفعًا، وأنك عجزت عن إطلاق سراحي وكنت تريد ذلك، كما حبستني وأنت لا تريد ذلك، وأمرت بأداء عُشر ما يلزمني من وسائل المعيشة وأنا في حبسك فلم يدفع لي، ووافق قلمك على منعي عن الصلاة في المسجد

---

(١) رسالة المجاهد الأكبر الإمام محمد الخالصي٨٢.

(٢) رسالة المجاهد الاكبر الإمام محمد الخالصي ٨٠.

(٣) يعني الخالصي: ما تحدث عنه قبل ذلك في رسالته وهو خطر بعد المسلمين والعالم عن الإسلام، والذي جرَّ عليهم الحروب العالمية التي أبادت الناس، وأكلت الأخضر واليابس. المرجع السابق ١٢٣.

وإلقاء دروس القرآن ولم يوافق عليه قلبك[١]، فثبت بذلك أنك تفعل ما لا تشاء وما لا تريد، ومن كانت هذه قدرته، كيف يستطيع الوصول إلى هذا الأمر الخطير "..ثم ذكر الخالصيُ رئيسَ الوزراء بحزمه الذي عهد عنه قبل أن يسجن(يعني الرئيس) مدّة عشرين سنة وكيف أنه خرج بعد ذلك ضعيفا، فقال: "والبقاء في الحبس أفضل من هذه الرياسة المغلوبة، أفيرجى مع هذا أن تقوم بدعوى إصلاحية عامة"[٢].

كما تتجلى شجاعة الخالصي في فتواه التي أصدرها وهو في مدينة (تويسر كان) للعمال الذين كانوا يعملون لصالح الإنجليز في شق طريق لمرور قواتهم الغازية ـ إبان الحرب العالمية الثانية ـ حيث ذهب الخالصي إلى العمال الذين كانوا يعملون وبيّن لهم أن عملهم حرام، فامتنع العمال عن العمل، فقام الضابط الإنجليزي (الكولونيل وِبْ) بطلب اتخاذ إجراء تجاه الخالصي، فكانت النتيجة هي نفيه إلى مدينة (كاشان)[٣].

صبره وجلده:

يتحلى الخالصي إلى جانب شجاعته بصبر يتضح من خلال إصراره على ما عزم عليه من الدعوة إلى ما يعتقد أنه التشيع الخالص، مع مقاساته في طريق الدعوة إلى ذلك أنواعًا مؤلمة من البوائق والبلاءات . وهذا ما سيتضح في الفقرة التالية.

بعض ما تعرض له من الابتلاء.

واجه الخالصي أنواعًا من الابتلاءات في حياته، من أبرزها:

١. وصفه بأنواع التهم.

لقد عاش الخالصي في فترة زمنية عصيبة ومنطقة جغرافية معقدة، لذا كانت شخصية الخالصي وأفكاره غير مرضية لشرائح متعددة، بعضها دينية وأخرى غير دينية.

ولهذا السبب نجد التناقض في التهم الموجهة إليه بقصد إسقاطه، فطائفة كانت تتهمه بأنه لا ديني ومتعاون مع البلاشفة، وأخرى تتهمه بأنه متفق مع الانجليز ـ مع أن

---

(١) عندما منع الخالصي من إقامة الصلاة وإلقاء الدروس أرسل لرئيس الوزراء برقية قال فيها: "حتى يزيد [يعني ابن معاوية] لم يمنع من إقامة صلاة الجمعة ودروس القرآن، شرطتكم تمنع ذلك". انظر الوثيقة رقم ٢٣ في المرجع السابق ٥٨ ـ ٥٩.

(٢) هذا الخطاب أرسله الخالصي إلى رئيس الوزراء في محرم ١٣٦٢هـ باللغة العربية مبينًا أنه لم يفعل ذلك فخرًا بالعروبة التي يعتبرها الخالصي عصبية ذميمة ، ولكن فخرًا بلغة القرآن الذي يعتبره الخالصي المخلص الوحيد للبشر من الشقاء. انظر المرجع السابق ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٣) المرجع السابق٩.

سجل الخالصي طافح بمعاداتهم ـ ، كما اتهمته طائفة أخرى من المعممين بالعمالة لأمريكا بسبب علاقته بحكومة عبدالسلام عارف، وطائفة من الشيوعيين الإلحاديين يصفونه بأنه رجعي متخلف ويدعو للأوهام والخرافات ـ ويقصدون تمسكه بالدين ـ [١] .

كما تلقى للخالصي تهمة أخرى خطيرة ألا وهي قتل مفوض أمريكا في طهران، في حادثة اغتيال دبرها عملاء البهلوي من أجل فرض الأحكام العسكرية والتضييق على الدعوة الإسلامية[٢] .

٢. النفي المتكرر.

بسبب تمسك الخالصي بآرائه وتوجهه السياسي ؛ فقد عوقب من قبل النظام البهلوي بالنفي المتكرر في إيران، ففي سنة١٣٤٠ هـ/١٩٢٢م تم نفيه إلى إيران بسبب رفضه التوقيع على تعهد للإنجليز والملك فيصل بعدم التدخل في السياسة .

ثم في عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م حتى ١٣٤٤هـ نفي من طهران إلى (خراسان) ومنها نفي إلى (خوف) والتي حبس فيها لاتهامه بقتل المفوض الأمريكي.

ثم في سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م سمح له بالرجوع إلى طهران.

ثم في سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣١م (تقريبا) حبس في طهران ٣شهور، ثم أخذ إلى سجن قصر (قاجار)، ثم نفي بعد ذلك إلى "تويسر كان" سنة ، ثم إلى "نهاوند" سنتين.

وبعد ذلك سمح له بالعودة للكاظمية ولم يمكث إلا يومًا وليلة ثم قبض عليه وأعيد إلى إيران وحبس في قصر شيرين ٢٠ يومًا، ثم إلى (كرمانشاه) ومنها إلى (نهاوند) حيث بقي فيهما مدّة سنة كاملة، ثم أطلق ونفي إلى (تويسر كان) وبقي فيها تحت مراقبة الشرطة حتى سنة١٣٦١هـ ١٩٤٢ م حيث نفي بعدها إلى كاشان وبقي تحت رقابة الشرطة الشديدة إلى سنة ١٩٤٧ م حيث نفي إلى مدينة (يزد) وبقي فيها إلى سنة ١٩٤٧حيث سمح له بالعودة إلى العراق[٣] .

ويكون الخالصي بهذا قد قضى ما يقارب من سبعة وعشرين سنة من حياته، وهي أكثر من ثلث عمره البالغ٧٥ سنة(وما يقارب من نصف عمره الانتاجي) في النفي المتكرر، وهو مؤلم بذاته فكيف إذا صاحبه البوائق التالية:

---

(١) المرجع السابق٢٣. العمل الإسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية ٤٢. عراق بلا قيادة ٣٤.

(٢) رسالة المجاهد الأكبر ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٣) انظر رسالة المجاهد الأكبر ٩٩ ـ ١١٠

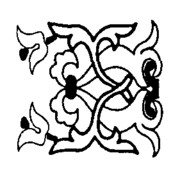
٣. ضيق المعيشة.

عانى الخالصي من ضيق المعيشة مدّة طويلة جراء تعرضه للنفي المستمر، لا سيما بعد أن طُرد والده من العراق وما تزامن معه من انقطاع ما كان يأتيه من المال من الكاظمية، وقد اضطر الخالصي إلى احتراف الزراعة في هذه الفترة ليكفي نفسه وذريته التي قاست معه ضيق المنفى، لكنه كما يقول في خطابه إلى (أحمد قوام السلطنة): "حتى إنني كلما هيأت شيئًا من لوازم العيش في بلد نفيت إلى بلد آخر، فتركت ما هيأت في البلد الأول قهرًا وجيء بي إلى البلد الثاني، وأنا لا أعرف فيه أحدًا، ولا أملك من وسائل المعيشة شيئًا".

يُذكر أن أشد ما لقيه الخالصي هو ما حصل له في منفاه قبل الأخير (كاشان) حينما نفي إليها مع أبنائه في وقت شديد البرودة، فذهب إليها فإذا أهلها فقراء يتضورون جوعًا وعراءً، وزاد فاقته منعه من الخروج للتكسب والتدريس وطباعة كتبه ورسائله[1].

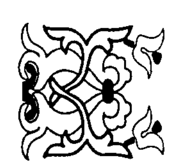


(١) رسالة المجاهد الأكبر ١٠٠ و١٠٩ ـ ١١٠.



المبحث الثاني

مراحل حياته الإصلاحية



من أجل الاطلاع على مشروع الخالصي الإصلاحي بشكل أدق، يجب علينا أن نقف مع مراحل حياته الأربعة، والتي تميزت كل مرحلة منها بسماتها الخاصة.

المرحلة الأولى
الجهاد المسلح في العراق
١٣٠٦هـ حتى ١٣٤٠هـ/١٨٨٨م حتى ١٩٢٢م

هذه الفترة هي المرحلة الأولى التي نشأ فيها الخالصي في كنف والده في الكاظمية متعلمًا، إلى أن صار معلمًا لبعض العلوم في المدرسة الخالصية ، ومّدة هذه الفترة يقارب ٣٤ سنة.

وللوقوف بشكل أدق على طبيعة هذه المرحلة، نذكر بعض سمات هذه المرحلة العامة، ثم أبرز السمات المتعلقة بالخالصي.

أبرز السمات العامة لهذه المرحلة

١. ضعف الدولة العثمانية.

٢. نشاط الدعوة إلى القوميات.

٣. احتلال الإنجليز للعراق.

بدأت الحملة الإنجليزية على العراق أيام الحرب العالمية الأولى، بالحملة البحرية التي أرسلت عام ١٣٣٢هـ فنزلت جنوب العراق ، لتواجه مقاومة عنيفة عرقلت احتلالهم لمدّة ثلاث سنوات، وهو ما جعل الإنجليز يستعينون بالهاشميين الذين هيئوا لهم فكرة الانفصال عن

تركيا، وهو ما سهل لهم دخول بغداد في جمادى الأولى عام ١٣٣٥هـ/١٩١٧م[١].

٤. دخول الشيعة في القتال ضد الإنجليز.

في هذه الفترة دخل الشيعة في حركة المقاومة العراقية ضد الإنجليز،فقد شارك بعض العشائر الشيعية مع بعض المنتسبين للعلم من الشيعة في مقاومة الإنجليز عام١٣٣٢هـ ، كما كان لهم مشاركة فعالة بعد ذلك في ثورة العشرين التي انتهت بالقضاء على الاحتلال الإنجليزي المباشر[٢].

٥. بداية العهد الملكي[٣].

وأبرز سمات الخالصي الخاصة في هذه المرحلة

١. مشاركة الخالصي في الإصلاح السياسي العثماني.

في الوقت الذي كان الابتعاد عن المشاركة السياسة هو السمة العامة للمراجع الشيعية - إلا ما ندر - نجد الخالصي يشارك في الجهود المبذولة من قبل السلطان عبدالحميد ، حيث ساهم في مشروع إصدار الدستور الذي أراد السلطان إجراء تعديلات عليه[٤].

٢. دخوله في العمل الجهادي المسلح.

دخل الخالصي في العمل الجهادي المسلح في مرتين : الأولى عندما ذهب إلى طرابلس الغرب(ليبيا) ليلبي نداء المجاهدين الليبيين (السُّنّة) [٥]في صدّ الغزو الإيطالي على ليبيا الذي بدأ في عام ١٣٢٩هـ/١٩١١. [٦]

---

(١) المرجع السابق ١٨٣ ـ ١٨٦.

(٢) تاريخ العالم الاسلامي المعاصر والحديث لمحمود شاكر و إسماعيل ياغي(الجزء الاول) ١٨٧، وانظر دور الشيعة في تاريخ العراق الحديث للنفيسي ص ٨٠ ـ ١١٠.

(٣) المرجع السابق ١٨٦ ـ ١٨٧.

(٤) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٢٤ ـ ٢٥.

(٥) رسالة المجاهد الأكبر ١٤. وانظر تدافع كثير من المتطوعين من العالم الاسلامي لتلبية نداءات المجاهدين في ليبيا في كتاب الثمار الزكية للحركة السنوسية١/٣٣٥ ـ ٣٣٨، ومقال: صدى حركة الجهاد الليبي في العالم الاسلامي/مجلة الشهيد ـ العدد الخامس ١٩٨٤هـ ـ ص١٠٣.

(٦) التاريخ الاسلامي ١٤/١٧.

كما شارك ـ وبشكل بارز ـ في صد هجوم الإنجليز على العراق إبان غزوهم على العراق سنة١٣٣٢هـ/١٩١٤م في الجبهة الجنوبية، وكان موقعه في جبهة الحويزة.

ثم بعد سقوط بغداد بيد الإنجليز عام١٣٣٥هـ/١٩١٧م اضطر الخالصي مع المقاومين للانسحاب إلى الموصل، حيث بقي فيها معهم عامين، حتى حدثت ثورة العشرين[١].

والخلاصة: أن الخالصي كانت له مشاركة في جبهتين منها أحدها: في بلد سني لا يوجد فيه شيعة وهو ليبيا، والآخر هو بلده العراق، الذي دهمه الإنجليز.



(١) المرجع السابق ١٤.

المرحلة الثانية

النفي إلى طهران

١٣٤٠هـ حتى ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٢م حتى ١٩٢٦م

أبرز السمات العامة لهذه المرحلة

١. سقوط الدولة القاجارية، في عهد أحمد شاه سنة عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م على يد رئيس الوزراء ـ آنذاك ـ رضا خان(البهلوي)، [١].

٢ . بداية الدولة البهلوية الاستبدادية.

بعد إقصاء أحمد شاه القاجاري ـ الذي يصفه الخالصي بالضعف ـ على يد الجيش وتولية رضا خان الذي تلقب بـ"بهلوي"[٢]، بدأت إيران مرحلة شهدت كثيرا من الاستبداد والظلم، فقد استبد البهلوي بالحكم واحتفظ بالمجلس النيابي كواجهة فقط بينما يملك هو وحده تسيير البلاد والتصرف في الأموال ومقدرات البلاد مما جعله يصبح من أثرياء العالم.

١. غلبة الخوف على العلماء.

٢. نفي أبرز مراجع الشيعة من العراق إلى إيران.

في عام ١٩٢٣م اتخذت حكومة الملك فيصل الهاشمي قرارًا بإبعاد العلماء الذين وقفوا أمام سياسة الحكومة الرامية إلى ترسيم بقاء الانجليز، وقد كان من أبرز المراجع الذين أبعدوا : آية الله محمد مهدي الخالصي، وآية الله أبو الحسن الأصفهاني، وآية الله حسين النائيني، وجواد الجواهري، وعلي الشهرستاني وآخرون .

وقد كان أشد هؤلاء المراجع محمد مهدي الخالصي الذي أفتى بسقوط بيعة الملك فيصل، وحرمة المشاركة في الانتخابات، مما دفع كثيرًا من الفقهاء الشيعة إلى إصدار الفتاوى أيضًا، وهو ما دفع وزير الداخلية إلى اتخاذ قرار الإبعاد لتسعة من

---

(١) التاريخ الاسلامي ج ١٨/ص١٧و ٤٠.

(٢) بهلوي: يعني بالفارسي صاحب الجلالة (المرجع السابق ٤٨/١٨)

المجتهدين الشيعة، ومعهم خمسة وعشرون من المقربين منهم.

وقد كان لقرار الإبعاد أثر كبير على نفوس هؤلاء، مما جعلهم يقبلون بقرار العودة المشروطة بعدم التدخل في السياسة، غير أن الخالصي(الأب) هو الوحيد الذي أبى العودة إلى العراق بهذا الشرط فبقي في خراسان حتى قتل مسمومًا، وهذا يعطينا تصورًا عن طبيعة مرجعية والد محمد الخالصي الصلبة، إذ لم يؤثر عليه إبعاده عن زعامة الكاظمية، ولا فقده لكثير من الامتيازات المالية وغيرها، بخلاف المراجع الآخرين الذين طردوا معه لكنهم سرعان ما رضوا بالعودة المشروطة لأسباب تعود إلى فقدهم الامتيازات وحنقهم من انفراد محمد الفيروزآبادي بالرئاسة في النجف، كما ساعد على ذلك الضجر الذي لم يستطع أن يخفيه عبد الكريم الحائري اليزدي ـ كبير مجتهدي قم ـ من بقائهم ، خوفًا من مزاحمتهم له الرئاسة ـ وإن كان مضطرًا للترحيب بهم ـ [١].

أبرز السمات الخاصة بالخالصي

١. التخلي عن العمل الجهادي المسلح:

مر معنا في ذكر المرحلة الاولى من حياة الخالصي تجربته في ميدان العمل الجهادي المسلح في ليبيا والعراق، وقد ذكرنا أن الموصل كانت آخر محطة مارس فيها هذا الدور، وقد تحدث الخالصي بنفسه عن الخواطر التي بدأت تدور في نفسه تجاه تجربته الجهادية التي رأى أنها وصلت إلى طريق مسدود بسبب اصطدامها بخيانات بعض العرب والمسلمين قبل اصطدامها بالإنجليز، مما جعل هذه الخواطر تتحول إلى عملية نقد شجاعة جعلته يعزم على البحث عن طريق آخر يوصل به رسالته بعيدًا عن أي اصطدام خاسر مع أي فرد أو دولة .

وقد أكّد الخالصي بأنه لم يتخل عن طريق الجهاد المسلح؛ لأنه سأم الحرب لا لأن شدّة البلاء والجهد أقعداه عنه، بل كما يقول "لأني علمت أن الإسلام ـ وهو صلاح البشر في هذا العصر ـ يستحيل أن يعمّ العالم عن طريق الحرب، وأن البلاد كلها محكومة للشرك والتثليث والإلحاد، فبمن تحارب ومن تحارب؟ والناس كلهم سواء. ثم يقول بعد ذلك: أخذنا وسائل الدعوة الودية السلمية الإصلاحية حرصًا على منفعة البشر"[٢].

---

(١) انظر عراق بلا قيادة ٤٠ ـ ٤١، نقلا عن كتاب (محمد الخالصي بطل الإسلام) ص٢٤٦ ـ ٢٤٧، ودائرة الوثائق العامة في لندن (رسالة السر برسي لورين) وثيقة رقم إف، أو/٣٧١ ـ ٩٠٤٨.

(٢) رسالة المجاهد الاكبر٨٦ ـ ٨٧.

ولكن الخالصي وإن كان قد تخلى عن خوض السياسة عن طريق العمل الجهادي المسلح، إلا أنه لم يتخل عن خوضها سلميًا وبقوة كما سيتضح في الفقرة التالية.

٢. العمل السياسي السلمي

قرر محمد الخالصي في هذه الفترة الدخول في العمل السياسي بدافع ديني إصلاحي واضح، فكانت له مشاركات فعالة منذ وصوله إلى طهران، ومن أبرز مشاركاته:

أ ـ تأسيس جمعية للدفاع عن الدعوة الإسلامية.

وهذه الجمعية أسسها الخالصي بعد قدومه إلى طهران مباشرة، وهدفها كما يقول الخالصي: "دفع من يعارض بث الدعوة الإسلامية سواء كانت المعارضة بباعث استعماري أو غيره"[١].

وقد استطاعت الجمعية أن تؤثر على كثير من الإيرانيين في ذلك الحين[٢].

ب ـ تأسيس جمعية الدفاع عن بلاد ما بين النهرين.

وهي جمعية مارست دورًا منظمًا لكسب تأييد الشعب الإيراني حيال معارضة احتلال الإنجليز للعراق، وقد كان الدور الذي تقوم به هذه الجمعية واضحًا في الخطب التي يقوم بها الخالصي[٣] والمسيرات الاحتجاجية، واللقاءات مع السفارات المعارضة للإنجليز مثل تركيا وألمانيا وروسيا.

كما حرص الخالصي على استغلال المحافل الدولية لتأييد استقلال العراق،

---

(١) رسالة المجاهد الأكبر٩٦.

(٢) المرجع السابق٩٧.

(٣) ذكر نور الدين كيانوري ـ سكرتير حزب تودة في إيران ـ في مذكراته قائلًا: "إن الذكريات الأولى لوعيي السياسي بدأت وأنا صغير تحت منبر عالم دين اسمه الخالصي(الابن) ، كان الانجليز قد نفوه من العراق ، فكان يتكلم بلغة فارسية متلكئة(غير متقنة) ويهاجم الإنكليز بكل قوة، ولم يكن هنالك صوت آخر سوى صوت الشيخ الذي تمكن من استقطاب الجماهير إليه، وكان أخي الكبير وكانت أختي تأخذني لحضور محاضراته في الجامع الكبير في سوق طهران، حيث كانت أختي وزميلاتها يكتبن محاضرات الشيخ ويستنسخنها لتوزع بين أكبر عدد من الناس، وفي إحدى المرات خرجت مع أخي الكبير في مظاهرة صاخبة قادها الخالصي باتجاه السفارة البريطانية ضد التدخل البريطاني في العراق". انظر: العمل الاسلامي في العراق ٣٩٩ (نقلًا عن مذكرات السيد نور الدين كيانوري ص١٧).

ومن ذلك أنه أوصل رسالة إلى المجتمعين في مؤتمر (لوزان) عام: ١٩٤٩م بواسطة وزير خارجية روسيا البلشفية ـ آنذاك ـ [١].

وقد نجح الخالصي إلى حد كبير في هذا المجال حتى عدّه الإنجليز المحرض الأول ضدّهم في طهران، كما في برقية سفير بريطانيا في طهران(السير برسي لورين) إلى وزارة الخاجية، التي جاء فيها: "يعد الشيخ محمد الخالصي المحرض الرئيسي ضد الإنكليز في طهران"[٢].

٣.**كما ساهم الخالصي مع أبرز الرموز السياسية** ـ وعلى رأسهم مصدق والكاشاني ـ من أجل توعية الناس ودعوتهم للمشاركة السياسية الفاعلة من أجل ترشيح النواب المنتمين للتيار الإسلامي [٣].

٤.**وساهم الخالصي بمحاولات جادة لإصلاح الولاة وتقديم النصح لهم** ، ففي عهد القاجاري تردد على أحمد شاه لمناصحته من أجل بذل جهود جادة في إصلاح البلاد، كما نصحه بعدم تولية رضا خان (البهلوي) منصب رئاسة الوزراء ـ لما كان يرى من عدائه للدين وشدّة حبه للرياسة ـ ولكن القاجاري قلده ذلك المنصب خوفًا منه، فانتهى الأمر بخلع القاجاري[٤].

ولما تولى البهلوي مقاليد حكم إيران حاول الخالصي أن يغيِّر أفكار البهلوي الرامية إلى مسخ الهوية الإسلامية وعزْل إيران عن البلدان الإسلامية، كما هو بيّن في قول الخالصي: "كلمته ـ أي رضا خان ـ مرارًا في الكف عن معارضة المسلمين فلم أر فيه من الاختيار ما يستطيع به أن يعمل أي عمل بدون استشارة، وجرت في إيران أمور على يده بأمر مشاوريه فمنعته عنها، ثم عارضته فيها لأن تلك الأمور لا تتفق مع أصول الإسلام وإصلاحاته المقصودة، وأردت التفاهم مع باقي البلاد الإسلامية فامتنع وتصدى لتهييج الرأي العام ضد ما طلبته فلم ينجح تمامًا، وأخيرًا اضطررته إلى التفاهم ودعوة بعض ملوك المسلمين إلى إيران، وعزمت على دعوة ممثلين من جميع البلاد الإسلامية إلى (طهران) لوضع أساس للإصلاح البشري العام على ما ضمنته التعاليم الإسلامية، فاضطرب أشد الاضطراب وأخذ منهاج الدعوة، جدول أعمال

---

(١) عراق بلا قيادة ١٤٩.

(٢) انظر الوثيقة رقم ١ في رسالة المجاهد الأكبر ص٢٣.

(٣) العمل الإسلامي في العراق ٣٩٩. وعراق بلا قيادة ١٤٥. وراجع دور مصدق والكاشاني في ص (البرقعي).

(٤) رسالة المجاهد الأكبر ٩٧.

المؤتمر، وبعد يومين من عرض المنهاج على أوليائه رأيت منه حالة أشبه بالجنون لمعارضة هذه الفكرة، حتى أنه اشترى الدار التي كنت أعددتها لهذا الجمع فجعلها محلًّا لوزارة المعارف كي لا أجد مكانًا مناسبًا لهذا الاجتماع"[١].

٥. الإصلاحي الديني.

بدأ الخالصي في هذه المرحلة بخطوة جريئة تمثلت في نقد بعض مظاهر الغلو والخرافات التي يُروج لها من على المنابر وفي الرثاء الحسيني على يد من يعتبرهم الخالصي لا يعرفون من الإسلام إلا أحاديث الغلاة، ولا يعرفون من القرآن إلا آيات حملوها على أهوائهم وأخرجوها عن مدلولها اتباعًا لأولئك الغلاة، حتى غدوا كما يصرح الخالصي "أضر على الدين من جيش يزيد بن معاوية على الحسين كما قال الصادق عليه السلام"[٢].

ولقد كانت جهود الخالصي في نقد بعض الاتجاهات الشيعية الغالية والخرافية واضحة إلى درجة جعلتها معلمًا من معالم أفكاره التي يحدث بها عنه حتى بعض المؤرخين من غير المسلمين.

تقول الكاتبة الروسية(دروشنكو) في كتابها (دور علماء الشيعة في إيران المعاصرة): "لقد انتقد الخالصي علانية وخلال بياناته الآراء القديمة لبعض رجال الدين، وكان يدعو إلى إعادة بناء الإسلام والرقي الثقافي والمعنوي للمسلمين ووجوب السعي للرفاه الاقتصادي والتقدم العسكري والتحرر من الارتباط بالأجانب وضرورة الاهتمام بالعناية الوطنية"[٣].

والخلاصة: أن الفترة الثانية من حياة الخالصي شهدت نقلة في حياة الخالصي. من حيث المكان الجديد إيران ـ وبالتحديد طهران ـ وأيضا من حيث أسلوب العمل الذي تبناه الخالصي، وهو أسلوب لا يقل جرأة عن الأسلوب الأول لاسيما إذا عرفنا الظروف السيئة التي كانت في إيران، وتعدد التيارات التي أعلن مقاومتها والتي تتمثل في الجهة الاستعمارية والحكومة الاستبدادية والاتجاهات الفكرية الواردة كالشيوعية والتيارات الدينية المنحرفة.

❀❀❀

---

(١) المرجع السابق ٩٨.
(٢) المرجع السابق ٩٤.
(٣) انظر(دور علماء الشيعة في إيران المعاصرة) الصادر عن أكاديمية العلوم السوفيتية عام ١٩٨٥م ص٨٢. (نقلًا عن العمل الإسلامي في العراق ٣٩٨) .

المرحلة الثالثة

النفي والسجن المتكرر داخل إيران

١٣٤٤هـ حتى ١٣٦٩هـ/ ١٩٢٦م حتى ١٩٤٩م

وهذه المرحلة هي المرحلة الأقسى في حياة الخالصي . رحمه الله . حيث واجه فيها أنواعًا من البوائق،كما سيتضح من خلال إلقاء الضوء على طبيعة هذه المرحلة.

وأبرز السمات العامة قد سبق ذكرها في حياة البرقعي، و أبرزها:

١.تولي محمد بن رضا بهلوي وزيادة التسلط والاستبداد.

٢.قيام الحرب العالمية الثانية[١].

أبرز السمات الخاصة بالخالصي

١.السجن والنفي المتكرر داخل إيران. ـ وقد سبق الحديث عنه ـ [٢].

٢.التركيز على مقاومة الانحراف الديني.

في هذه الفترة ازداد نشاط الخالصي أمام بعض الانحرافات الدينية المنتشرة في إيران وغيرها، على يد الغلاة والخرافيين.

وقد ذكر الخالصي أن هذه الفئة التي يحاربها هي من أشد الفئات التي تصرف الناس عن الدين الصحيح بسبب آرائها التي تخالف العقل فضلًا عن القرآن الذي يصرح بما يناقضها[٣].

وفي هذه المرحلة ألّف الخالصي وكتب المقالات في بيان انحراف بعض الغلاة كالشيخية، ومن يروج للغلو والخرافة من جهال المعممين وأصحاب المنابر، وعلى سبيل المثال فإن أبرز كتابين هاجم فيهما الغلو وغيره من مظاهر الانحراف وهما كتاب (علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين) ورسالته لرئيس الوزراء هما مما كتب في هذه الفترة.



---

(١) انظر ص ٤٥.

(٢) انظر ص ٢٤٤.

(٣) انظر رسالة المجاهد الأكبر ٩٤.

الفترة الرابعة

العودة إلى العراق

١٣٦٩هـ حتى ١٣٨٢هـ/ ١٩٤٩م حتى ١٩٦٢م.

بعد أن قضى الخالصي فترة تقارب سبعًا وعشرين سنة في منفاه "إيران"، سُمح له بالعودة إلى العراق في عام ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م. وللوقوف على معالم هذه المرحلة نقف مع أبرز سماتها.

أبرز السمات العامة لهذه المرحلة

١. نشاط الحركة القومية في البلاد العربية وخاصة العراق.

في هذه الفترة عاشت المنطقة العربية ثورة الدعوة للقومية العربية، وقد كان العراق يعج بالزعماء القوميين السوريين والفلسطينيين والمصريين الهاربين من اضطهاد الانجليز والفرنسيين، وهو ما أوجد شعورًا عامًّا في البلاد العراقية بالوطنية العربية، لاسيما مع ضعف التدين عمومًا وظل تنامي الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين[١].

٢. نشاط الأحزاب العراقية.

بعد تنامي الحركات المعارضة للحكومة الموالية للإنجليز في العراق وما نتج عنها من انقلابات وثورات وطنية ـ وأبرزها ثورة الكيلاني التي تصالحت مع ألمانيا ـ رأى الإنجليز ومعهم "وصي الملك فيصل الثاني"[٢] أن يمنح العراقيين بعض الحرية، ففتح الباب لتكوين أحزاب رسمية، كان أهمها: حزب الاستقلال، وحزب الأحرار

---

(١) تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ١٩٦.

(٢) نودي بالملك فيصل الثاني ابن الملك غازي ملكًا على البلاد عام ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م ، بعد مقتل والده في حادث سيارة غامض، ثم توج الملك فيصل الثاني ملكًا عام ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م . المرجع السابق ١٩٥، ٢٠٠.

(وهما ضد الشيوعية)، وحزب التحرير الوطني (وهو حزب شيوعي)، و الحزب الوطني الديمقراطي، وغيرها.

ولكن هذه الأحزاب ذابت جميعا أمام طريقة الحكم العراقي الذي يسيطر عليه الوصي (عبد الإله) مع حكومة نوري السعيد بطريقة تميزت بالبطش والقمع لكل مخالف[١].

٣. الثورات الشعبية.

مع ما تعرض له الشعب العراقي في تلك الفترة من القمع على يد الإنجليز أولًا ثم على يد عملائهم بعد ذلك، إلا أن نفوس العراقيين كانت مليئة بالحس الثوري، الذي يذكيه ممارسات عملاء الإنجليز القمعية، كما يذكيه الأحداث الدولية لاسيما أحداث فلسطين.

وأبرز هذه الثورات التي قامت في هذه الفترة - التي هي المرحلة الرابعة من حياة الخالصي - انتفاضة عام ١٣٧١هـ/١٩٥١م، والتي طالب فيها الشعب بتعديل قانون الانتخاب، وإصلاح الأحوال، وقد انتهت الانتفاضة بقضاء الجيش عليها.

ثم بعد ذلك حدثت ثورة (١٤ تموز ١٩٥٨م) الموافقة لـ٢٧ /١٢/١٣٧٧هـ والتي انتهت بالقضاء على الحكم الملكي وقتل الملك والوصي السابق ونوري السعيد، والإعلان عن قيام النظام الجمهوري، وأصبح عبد الكريم قاسم رئيسًا للحكومة، وعين عبد السلام عارف وزيرًا للداخلية.

ثم حدث انقلاب آخر في ١٤/٩/١٣٨٣هـ /١٩٦٣م أطاح بعبد الكريم قاسم وتسلم الحكم بعده عبد السلام عارف[٢].

٤. وضع المرجعية الشيعية العليا في العراق.

عاشت المرجعية العليا - المتمثلة في آية الله العظمى محسن الحكيم - في هذه الفترة في وضع يمكن تلخيصه في النقاط التالية:

- الإيمان بمبدأ أن الواجب على الشيعة هو نشر التدين وليس إقامة الدولة[٣].

---

(١) تاريخ العالم الإسلامي ١٩٩.

(٢) المرجع السابق ٢٠١.

(٣) يقول محسن الحكيم:" إن تكليفنا هو أن ننشر التدين وننشر الإسلام فقط، وننتظر ظهور الحجة(عجل الله فرجه) وليس تكليفنا أن نقيم دولة" العمل الاسلامي في العراق١١٠ نقلا عن صفحات من حياة الداعية المؤسس الاستاذ الحاج محمد صالح الاديب ص٥٦.

- العمل الثقافي الفكري المتمثل في زيادة عدد المبلغين (دعاة المذهب) بعد إعدادهم، و تأسيس جماعة علماء بغداد والكاظمية، وتأسيس مكتبات ثقافية شيعية في أنحاء العراق ونحوها[١].
- الإيمان بعدم مشروعية إقامة صلاة الجمعة قبل ظهور المهدي[٢].
- العلاقة الحميمة بين شاه إيران والحكيم[٣].
- معارضة المراجع المستقلين الذين يدعون إلى التجديد أو الدخول في السياسة وأبرزهم: محمد الخالصي، و عبد الكريم الجزائري، وإن كانت درجة المعارضة لكل واحد بحسب قربه وولائه للمرجع الأعلى.

أبرز السمات الخاصة بالخالصي في هذه المرحلة:

١. الوقوف أمام الشيوعية.

كان للخالصي دور بارز في العراق في مقاومة الفكر الشيوعي الذي بدأ يتغلل في صفوف العراقيين، إذ لم يكتف الخالصي بإطلاق حكم الكفر على الشيوعية، بل ساهم ببيان أوجه الخلل في الفكر الشيوعي وهو ما يتطلب الاطلاع والوعي الفكري القادر على توصيف الخلل والعلاج الإسلامي المقنع ،وهو ما كان ينقص أكثر المراجع بسبب تمسكهم بالمنهج المعرفي التقليدي[٤].

٣. محاربة بعض مظاهر الغلو والابتداع.

واصل الخالصي في العراق جهوده في نقد مظاهر الغلو والابتداع التي تفشت بين أبناء الطائفة بقصد تنقية التشيع مما لحقه من الانحراف الذي يعده الخالصي من أكبر أسباب تخلف المسلمين، وانصرافهم إلى الأفكار الإلحادية والعلمانية المنابذة للدين، وهذا ما جعل كثيراً من المراجع يقفون من الخالصي موقفاً عدائياً.

---

(١) المرجع السابق ١١٠.
(٢) المرجع السابق ٣٣.
(٣) المرجع السابق ١٠٥.
(٤) كما أن محمد حسين كاشف الغطاء ـ وهو من أقران الخالصي ـ من رموز الشيعة الذين كانت له مساهمات واضحة في مقاومة الشيوعية فكريًا وبيان الخلل الذي فيها، ثم إنه جاء بعدهم محمد باقر الصدر فكان له دور بارز في توعية أبناء الطائفة بفساد الفكر الشيوعي وتوصيف الفكر الاسلامي ـ كما يعتقده ـ بكتبه الفكرية(فلسفتنا) و (اقتصادنا) وغيرها. انظر كتاب: العمل الإسلامي في العراق لعادل رؤوف٢٦ ـ ٣١.

٤. إحياء فريضة صلاة الجمعة بين شيعة العراق.

ما إن وصل الخالصي إلى الكاظمية حتى بدأ بإقامة صلاة الجمعة التي كانت معطلة بين الشيعة في العراق، فبدأ بإقامتها في الكاظمية ببغداد، ثم في جامع براثا، ثم في منطقة المدائن، ثم ذهب إلى كربلاء وأقام الجمعة في جامع الكوفة الكبير لأول مرّة، وكان يردد في خطبه هذه شعار العودة إلى الإسلام الصحيح ورفض الاستعمار.

وقد لقي الخالصي معارضة شديدة من المراجع الشيعة جراء إحيائه لهذه الشعيرة المعطلة، وعلى رأسهم المرجع الأعلى محسن الحكيم الذي لا يرى إقامة الجمعة إلا بوجود الإمام المعصوم أو من يوكله الإمام.

٥. السعي عمليًّا إلى الوحدة بين الشيعة وأهل السنة .

كثيرون هم أولئك الذين يرددون شعار الوحدة بين أهل السنة والشيعة، ولكن القليل هم الذين يسعون إلى ذلك عمليًّا.

وقد كان الخالصي من القلة الذين سعوا في العراق إلى وحدة بين المسلمين من خلال برنامج واضح يقوم على أسس فكرية وعملية كان أبرزها:

أ ـ تبني شعار تنقية الإسلام من البدع والانحرافات والخرافات التي لحقت به، وذلك بالعودة إلى الكتاب والسنة الصحيحة ، وهو ما تبناه الخالصي عمليًّا في بعض الجوانب المتعلقة بالتوحيد كما سيتبين لاحقًا بإذن الله[(١)] .

ب ـ فتح باب الحوار بينه وبين علماء السنة، فقد قام بمراسلات مع علامة الشام محمد بهجت البيطار والشيخ محمود الملاح.

ت ـ تنسيق العمل والمواقف السياسية مع قيادات أهل السنة في العراق، وعلى رأسهم أحمد الزهاوي ـ مفتي العراق ـ ونجم الدين الواعظ، وفؤاد الآلوسي، وعبد العزيز البدري الذي كانت تربطه به علاقة قوية جدًّا، كما أن بينهما تنسيق جيد في المواقف السياسية.

ث ـ إقامة صلاة الجمعة الموحدة بين أهل السنة والشيعة.

---

(١) المرجع السابق (رسالة) ٨٤ ـ ٨٦.

وقد اعترف بعض الناقدين الشيعة بانفراد الخطوات الخالصية في صفوف الشيعة في تبني حوار جاد نحو وحدة جادة، إلا أنها بقيت محاولة جوبهت بالحرب من قبل كثير من الشيعة، وصلت إلى حدّ وُصف معها الخالصي بالتسنن من قبل بعضهم[1].

ومن أجل أن نكون منصفين في تقييم نوع (الوحدة) التي يتبناه الخالصي يفترض أن نعلم أولًا أننا غير مسئولين عن النوايا، كما يجب أن نكون منصفين في تقييم أي خطوة من هذا القبيل، وبوضع هذه الخطوات الخالصية في الميزان نجد أنها تميزت بما يلي:

- تبني نقد التراث المذهبي في باب (التوحيد).
- محاربة بعض الاعتقادات المنتشرة بين الشيعة بجهود بعض مراجع الخرافة، إلى درجة جعلت بعض الشيعة يتهمه بالتخلي عن بعض الضروريات.
- فتح باب الحوار مع بعض علماء أهل السنة ، في مراسلات اتسمت بالصراحة، والبعد عن التقية، من أجل الوصول إلى الوحدة التي يتبناها.

ففي مراسلات الخالصي مع البيطار، نجده يقر بموقفه الواضح حيال بعض المسائل الأساسية كموقفه من الصحابة مثلًا، مما يدلل على جديته في طلب الوصول إلى موقف موحد، خلافًا لكثير من الذين يتبنون موقفًا يقوم على التقية وإخفاء الحقائق، ومع ذلك يدّعون أنهم يريدون الحوار وينشدون الوحدة الإسلامية.

- كما أن قبول الخالصي بنتائج مواقفه النقدية للمذهب، المتمثلة بحرب الاتهامات والتضليل، والافتراءات الرامية إلى إسقاطه، كل هذا يدل على قدر من الجدّية والمصداقية فيما يدعو له.

وأخيرًا: فإنني لم أرد بما ذكرت عن الخالصي أن أبين بأنه يمثل النموذج الكامل في الدعوة إلى الوحدة، ولكنني أردت أن نكون أكثر إنصافًا،وأن يتضح أن الخالصي ـ بدلالات ما ذكرت ـ كان أكثر جدية من غيره في هذا الجانب، وهو ما يجب أن يُعترف به للخالصي، مع أهمية التنبه إلى الثغرات الواضحة والملاحظات العلميةالتي ستأتي إن شاء الله.

---

(١) عراق بلا قيادة ١٥٧، ٣٧٣.

وبالعموم فإن الدعوة إلى الوحدة الإسلامية لاشك بأنها مطلب رباني دل عليه قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وأن الداعي إليها والمطالب بها محمود، ولكن لا بد من أمرين مهمين:

الأول: أن تكون الدعوة صادقة وجادة، وهو ما نجده بدرجة كبيرة عند الخالصي.

الثاني: أن تكون الوحدة مبنية على الاعتصام بحبل الله، وهو كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: "**حبل الله القرآن**"[(١)] وعلى هذا دل حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه وفيه"**كتاب الله حبل ممدود بين السماء والارض..**"[(٢)]. وفسر أبو العالية حبل الله بأنه "الإخلاص لله وحده"[(٣)].

وجماع ذلك الاعتصام بالقرآن وما قرّره من إخلاص العبادة لله وحده، لأن الاختلاف إنما ينشأ عن مخالفة الدين الصحيح[(٤)].

فكل من كان في دعوته إلى الوحدة أقرب للتمسك بالقرآن وإخلاص العبادة لله بنبذ الشرك والغلو"قولاً وعملاً" فإنه أقرب للإصابة وأحسن في السداد.

والخالصي بلا شك ـ وإن كان عنده خلل في أبواب كما سيأتي ـ إلا أنه رفع لواء محاربة الغلو وبعض مظاهر الشرك،فهو أسدّ وأصوب ممن يتغنى بالوحدة وهو لا يزال يدعو للغلو والخرافة وتصرف الأئمة بالكون، والذي يظهر والله أعلم أن الخالصي كان جاداً في طلب الوحدة بين السنة والشيعة، ولكن يبقى السؤال المهم: كيف تعامل أهل السنة مع دعوة الخالصي؟، وهو ما سيأتي نقاشه في الباب الأخير بإذن الله تعالى.

❁❁❁

---

(١) الطبري٣/٣٧٩ رقم٧٥٦٧.قال حكمت بشير: رجاله ثقات وإسناده صحيح(التفسير الصحيح١/٤٤٤) .

(٢) الترمذي٥/٦٦٣ح٣٧٨٨.مسند الإمام أحمد٣/١٤، ١٧.و قال الهيثمي: إسناده جيد. وقال الالباني: صحيح(صحيح سنن الترمذي ح٢٩٨٠) .

(٣) ابن أبي حاتم(٣/٧٢٤ رقم ٣٩١٩،قال حكمت بشير: سنده جيد(التفسير الصحيح١/٤٤٤) .

(٤) انظر فتح القدير ١/٤٦٤.



المبحث الثالث

أسباب تحولاته المحمودة

لعل من أهم أسباب تبني الخالصي لتوجهاته المحمودة في تنقية المذهب: ما يلي:

السبب الأول: أثر والده.

لقد كان المرجع محمد مهدي على نمط خاص في أفكاره، فهو مع الميرزا الشيرازي من أبرز المؤسسين لثورة العشرين ضد الإنجليز، ولعل الحادثة التي تكشف عن نمط المرجعية (الخالصي الأب) هي أن الثورة لما خرجت عن سيطرة الإنجليز، بدا للإنجليز أن يلعبوا لعبة الطائفية فقام الحكومة الإنجليز بإرسال "محمد حسين الكابولي" سكرتير المندوب إلى الخالصي (الأب) فعرض عليه استعداد الدولة الإنجليزية أن تعطي الشيعة حقهم في الحكم كي ينتقموا من أهل السنة الذين ظلموهم في العهد العثماني وغيره - فرفض الخالصي هذا العرض لأنه يعلم أن قصد الانجليز خلخلة الصف العراقي الثائر عليهم، وفي المقابل أرسل السكرتير إلى الشيخ يوسف السويدي والشيخ أحمد داود والشيخ إبراهيم الراوي يحذرهم من عاقبة الثورة، وأنها ستنتهي بتسلط الشيعة على أهل السنة، مما حدا بالخالصي(الأب) إلى أن يصدر بيانًا جاء فيه: "إن الإنكليز بصدد تفريق الكلمة، وأنهم يطمعوننا بتعيين ملك من الشيعة ليفرقوا بذلك بيننا وبين أهل السنة، فلذلك نعلن على الملأ، أننا لا نطلب ملكًا، وإنما نريد إجلاء الإنكليز وحكومة مسلمة، ونستقبل الملك المسلم السني"[1].

كما أن الخالصي (الأب) قد واجه حملة شديدة عندما أبدى مخالفته لما يحدث في مواكب العزاء الحسينية في عاشوراء[2].

---

(١) مجلة رسالة الإسلام ـ جمادى الأول١٣٧٣هـ/١٩٥٤م (مقال الطوائف الإسلامية في العراق) لمحمد الخالصي ص ٥٨.

(٢) يقول فؤاد ابراهيم: "كتب ضد الشيخ الخالصي نحو خمسة عشر كتابًا، لأنه أبدى ملاحظات على الطقوس=

والذي يهمنا هنا أن يتضح أن محمد مهدي(الأب) كان مرجعًا لم يخرج عن كونه شيعيًّا إماميًّا، ولكنه تميز بسمات خاصة تختلف كثيرًا عن أغلب علماء الشيعة في زمنه، اتضحت في موقفه العملي تجاه الوحدة في مواجهة الإنجليز، وقد كان لمثل هذه المرجعية الشيعية أبلغ الأثر في دفع محمد الخالصي(الابن) إلى تبني أفكاره الإصلاحية(١).

السبب الثاني: تبنيه للدعوة العالمية.

تبنى الخالصي الدعوة بشكل عالمي بعيدًا عن الأطر الضيقة، وهذا واضح في أفكار الخالصي التي تمثلت في ممارسته الدعوة مع طبقات و أجناس متعددة، شملت العامة، ورجال السياسة المسلمين، وغير المسلمين، وعرض مشروعه الدعوي السلمي على عدّة دول ـ عن طريق سفرائها في طهران ـ ، ويتجلى عالمية دعوته في تصريحه بأنه بعد تخليه عن طريق المقاومة السلمية أصبح يفكر بالدرجة الأولى في دعوة البشر دعوة عامة إلى التفكر فيما يصلحهم وينفي الفساد عنهم، وإلى تدبر آيات القرآن ونصوص السنة الصحيحة(٢)، وأنه من أجل الوصول إلى هذه النتيجة يجب أن ينظر إلى جميع البشر نظرة العطف والحنان. وإلى جميع بلاد الدنيا بنظرة الوطن الواحد بعيدًا عن كل حدود دولية أو لون بشري أو جنس أو عرق(٣).

وقد قاد هذا التفكير محمدَ الخالصي إلى البعد عن النظرة المحدودة في إطار الطائفة، بل جعله يتبنى جميع المكاسب "الإسلامية" عالميًّا، كما أن هذا الهدف الكبير جعله وبلا ريب يتبنى "تشيعًا"بعيدًا عن الغلو والخرافة الظاهرة. حتى يقدم مذهبًا مقنعًا للبشرية التي دخلت في مرحلة جديدة تتسم بالتقدم الذي لا يقبل

=الشيعية، من بينها: المجالس الحسينية، ومواكب العزاء، فانفجرت العامة في وجه الخالصي، وأصدر بعض العلماء الشيعة فتاوى بتكفيره، وتعرض لحملة تعبوية ضارية..". انظر مجلة الواحة/العدد الأول/ مقال:النقد الذاتي وسلطة العوام.www.alwaha.com/issuel/is01sb13.htm

(١) يحاول بعض خصوم الخالصي الفصل بين محمد الابن ووالده، من خلال اختلاق مواقف مكذوبة، وتحليلات لا يقبلها العقل ولا التاريخ، انظر فيما يلي ص ٤٢٥ ـ ٤٢٨.

(٢) رسالة المجاهد الأكبر٨٥.

(٣) رسالة المجاهد الأكبر٨٦.

التخلف والخرافة والغلو.

ولعل هذا الهدف العالمي الكبير هو ما جعل الخالصي لا يبالي بالخسارة التي أدرك حتمًا أنها ستلحقه داخل صفوف الطائفة الإمامية ـ وأقصد بذلك الخسارةَ المتمثلةَ في حرمانه من الوصول لكثير من امتيازات المراجع العليا الرياسية والمالية وغيرها ـ ، والتي تصاغرت في تفكيره في ظل هدفه العالمي حتى أنه لم يعبأ بها في جميع قراراته ومواقفه ، التي بدأت بنقد شجاع للأفكار الغالية وانتهت في آخر مواقفه التي افتأت بها على مراجع الشيعة في العراق حينما تحالف مع الرئيس عبد السلام عارف[1].

هذا ما ظهر لي في أهم الأسباب التي دفعت الخالصي إلى فكرة الإصلاح ومحاربة الغلو داخل المذهب الإمامي الاثني عشري، والله أعلم.



(١) انظر: لاحقًا ص ٤٢٥ ـ ٤٢٨.



المبحث الرابع

آراء الخالصي



* المطلب الأول *

مسائل تتعلق بتوحيد الربوبية

يؤكد الخالصي على أن أهم قضية ركز عليها القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والأئمة الأطهار هي التوحيد، حيث "لم يُؤكد على قضية في الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة مثلما أكد على موضوع التوحيد ونفي الشرك بأي اسم أو شكل"[1].

كما يرى الخالصي أن "الإسلام دعا إلى التوحيد الخالص المنزه و المبرأ من أي شكل من أشكال الشرك والغلو"[2].

ولهذا وقف محمد الخالصي موقفًا واضحًا حيال بعض المسائل العقدية التي رأى أنها تخالف التوحيد الخالص الذي كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم والأئمة رضوان لله عليهم أجمعين، ومنها:

١. نسبة علم الغيب للأئمة.

يرى الخالصي بأن الله وحده هو المستأثر بعلم الغيب، وأنه جل وعلا لم يعط هذا العلم لأحد سواه[3].

ويذكر رحمه الله "أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينفي عنه علم

---

(١) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ٤١٥.

(٢) المرجع السابق ٤١٥.

(٣) المرجع السابق ٣٨٨ و٤١٨.

الغيب"[١]، كما يستدل الخالصي بقوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل٦٥] على "أن علم الغيب مختص بالله تعالى وليس من أحد في السماوات والأرض عنده هذا"[٢].

وعندما عدد هادي بن محمد الخالصي البدع والخرافات التي حاربها والده جعل أولها "نسبة علم الغيب لغير الله تعالى وأن (محمداً صلى الله عليه وآله وسلم) وعلياً(عليه السلام) يعلمان الغيب"[٣].

ويرى الخالصي أن هذا القول إنما نشأ على يد بعض الغلاة الذين لعنهم الأئمة بسبب كذبهم عليهم ونسبتهم إلى الأئمة شيئاً من قبيل العلم بالغيب ونحوه، من أمثال أبي الخطاب[٤] والمغيرة بن سعيد[٥] والمفضل بن عمر النخعي[٦].

ويقف الخالصي على دليل المخالفين في هذه المسألة ـ ممن يثبت العلم بالغيب للأئمة ـ، وهو قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾الآية [الجن٢٦ ـ ٢٧] فيوضح رحمه الله أن الآية تدل على أن المذكورين في الآية بقوله(من رسول) قد"أطلعهم على مقدار من الغيب" ثم يستطرد الخالصي ليوضح أمثلة لذلك فيذكر قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ

---

(١) المرجع السابق ٣٨٨.

(٢) المرجع السابق ٤٢٤.

(٣) المرجع السابق٣١.

(٤) أبو الخطاب: هو محمد بن أبي زينب مقلاص الأجدع الأسدي الكوفي أو محمد بن أبي ثور، يكنى بأبي الخطاب ـ وهو أشهر ألقابه ـ وبأبي الظبيان وبأبي إسماعيل، أظهر التشيع وعاصر الباقر والصادق وكان يتردد عليهما، جاهر بمعتقدات الغلاة مما جعل جعفر الصادق يتبرأ منه ويطرده من مجلسه، وقد صلبه والي الكوفة عيسى بن موسى سنة ١٣٨هـ.انظر فرق الشيعة للنوبختي ٥٧، الملل والنحل للشهرستاني ١٧٩/١،الفصل في الملل والنحل لابن حزم ١٨٧/٤، معرفة رجال الكشي١٨٧ ـ ١٨٩.

(٥) هو المغيرة بن سعيد البجلي يكنى بأبي عبد الله، من الغلاة الكذابين الذين يدسون الأحاديث في كتب أصحاب الباقر رحمه الله، قال فيه جعفر الصادق رحمه الله: "برئ الله ورسوله من المغيرة بن سعيد وبنان بن سمعان فإنهما كانا يكذبان علينا أهل البيت"، قتله خالد بن عبدالله القسري سنة ١٢٠هـ.انظر ميزان الاعتدال للذهبي٤/١٦٠ ـ ١٦٢،جامع الرواة للأردبيلي٢/٢٥٥ ـ دار الأضواء لبنان ـ ، معجم رجال الحديث للخوئي١٨/٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٦) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٤٣٤.

نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ﴾ [هود٤٩].

ثم يذكر قول يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف٣٧].

ثم يستدل الخالصي بقول يعقوب عليه السلام لأبنائه: ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [1] [يوسف ٨٦] [2].

فالخالصي ـ من خلال ما سبق ـ يريد أن يبين أمرين:

الأول: أن الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب، وأنه لا يقال بأن أحدًا يعلم الغيب غير الله.

الثاني: أن الله تعالى قد أطلع بعض عباده على بعض الغيب، ومن ذلك:

أ ـ إعلامهم ببعض أخبار الأمم السابقة ـ التي يجهلها قومهم ـ وهو المشار إليه في الآية الأولى ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾ وكما قال جمع من أهل العلم: فإن الله أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم بما كان غائبًا عنه وعن قومه ومنها خبر نوح وقصة الطوفان [3].

ب ـ إخبارهم ببعض الموجودات الغائبة عن بعض الناس، وهو ما يسمى بالغيب النسبي، كما في قول يوسف عليه السلام }﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا

---

(١) هذا الاستدلال لا يصلح إلا إذا فسرنا الآية بما روي عن ابن عباس من أن المشار إليه في قوله: {وأعلم من الله ما لا تعلمون} أي: علمه بصدق رؤيا يوسف، أو تفسر ذلك بعلم يعقوب بعدم موت يوسف فقد روي أن يعقوب سأل ملك الموت هل قبضت روح يوسف ؟ قال :لا.
ولعل الأقرب ـ والله أعلم ـ أن هذه الآية لا تصلح دليلًا في مثل هذا الموضع؛ لأن سياق الآية يدل على أن يعقوب يقصد علمه بسعة رحمة الله وفرجه ، ولهذا ذكر عليه السلام أولاً شدّة بثّه ـ الذي هو غمه ـ وحزنه، ثم أخبر عن إيمانه بحسن ظنه بالله بقوله(وأعلم من الله مالاتعلمون) قال قتادة: إني أعلم من إحسان الله تعالى إلي ما يوجب حسن ظني به، وقد اختار هذا ابن كثير والقاسمي والشوكاني. راجع: (تفسيرالطبري ٢٨١/٧رقم ١٩٧٢١) و(تفسير ابن ابي حاتم٢١٨٩/٧رقم١١٩٠٨) (القرطبي ١٦٥/٩) (تفسير ابن كثير ٤٤/٤) ،(تفسير القاسمي٢١١/٦) ، (تفسير الشوكاني٦١/٣) .

(٢) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٤٢٩.

(٣) انظر تفسير الطبري ٥٦/٧، وتفسيرابن كثير٤٤٩/٢، وبمثلهم قال المجلسي في البحار١٠٤/٩و١٨٨/١٧.

بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾حيث تدل الآية ـ على أحد القولين المشهورين فيها ـ على أن يوسف عليه السلام أخبرهما بأنه يستطيع أن يخبرهما بما سيأتيهما من الأكل ـ سواء من بيوتهم أو غيرها ـ وأن هذا من الغيب النسبي الذي يعلمه يوسف بالوحي وليس بعلم ذاتي يجعله قادرًا على الإخبار بكل مغيب، ومن جنسه قول المسيح عليه السلام ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ [آل عمران٤٩]. والذي يجعل هذا الغيب من الغيب النسبي هو أنه مما يعلمه غير يوسف عليه السلام كأهلهم أو من سيأتيهم بالطعام. وهذا من الفوارق المهمة بين علم الله تعالى التام الذي يشمل "الغيب المطلق" الذي لا يعلمه أحد سواه ـ كوقت الساعة مثلًا ـ وبين "مطلق الغيب" كمكان الضالة ونوع الأكل المدخر مثلا ـ وهذا مما يطلع الله من يشاء من عباده على بعضه لحكمة ربانية. فسبحان العليم الخبير[1].

ضابط مهم:

أظن بأن من الضوابط التي ينبغي أن نضيفها على ما ذكره الخالصي هو أن من أبرز ضوابط المنهج الإسلامي في التعامل مع عموم المعجزات النبوية وكرامات الأولياء ومنها ما يتعلق من إطلاع الله بعضهم على بعض الغيب سواء بالوحي أو غيره ـ هو:

"أن إثبات المعجزات ـ ومنها العلم ببعض الغيب ـ ينبغي أن لا يكون سببًا للغلو في ذلك الولي الصالح بل ينبغي أن يكون سببًا لتعظيم الرب المؤيد لهذا العبد، وقائدًا

---

(١) ورد في تفسير الآية قولان مشهوران:

الأول: ﴿لا يأتيكما طعام ترزقانه﴾ يعني في المنام ﴿إلا نبأتكما بتأويله﴾ يعني في اليقظة، وهذا مروي عن السدي وابن اسحاق واختاره ابن جرير ،وابن عطية ورجحه ابن تيمية(الطبري٧/٢١٥) (المحرر الوجيز٩/٣٠٠ ـ ٣٠١) (مجموع الفتاوى١٧/٣٦٥ ـ ٣٦٦) .

والثاني: هو أنه لا يأتيكما طعام في اليقظة إلا أخبرتكما عنه ـ نوعه ولونه ونحوه ـ قبل أن يأتيكما، وهذا مروي عن ابن عباس ـ في أثر قال عنه ابن كثير غريب ـ وروي عن الحسن واختاره الشوكاني والقاسمي (زاد المسير٤/١٧٢) (تفسير ابن كثير٢/٤٧٨) (تفسير البغوي٤/٢٤٢) (تفسير القرطبي٩/١٢٥) (تفسير ابن جزي١/٤١٦) (فتح القدير٣/٣٣) (محاسن التأويل٦/١٧٥) .

واختار السعدي قولًا آخر، هو: أنه سيخبرهما بتعبير رؤياهما قبل وصول إي طعام إليهما.(تفسير السعدي٣٩٨) .

لتصديق ذلك الصالح في دعوته التي اقترن بها ما لا يقدر عليه ببشريته الناقصة إطلاقًا".

وعلى سبيل المثال: لما تعاهد عمير بن وهب مع صفوان بن أمية على أن يقتل الأولُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم - وكان حديثهما حول الكعبة - ذهب عمير إلى المدينة متظاهرًا بأنه جاء ليفتدي ابنه المأسور في أعقاب غزوة بدر، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما دار بينه وبين صفوان في مكة، فما كان من صفوان إلا أن أسلم، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يفقهوه في دينه[1]، ومن هذه القصة وأمثالها مما هو معروف في السيرة نعرف أن إطلاع الله بعض عباده على الغيب ثابت، كما نأخذ منها أن ذلك كان سببًا لإسلام بعض الكفار، وهو ما يعني كون ذلك الإخبار كان مؤيِّدًا لهم في نشر الدين، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيره كان يصرّح بأنه لم يكن يعلم الغيب، وأنه لو كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير، ولمَا ذهب إلى مواقع تدمى فيها جبهته الشريفة وتكسر فيها رباعيتيه، ونحوها مما يفيدنا أمورًا هي:

الأمر الأول: أنه لا يعلم كثيرًا من الغيب، الذي يخصّ شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وإلا لما وقع له كثير من الأذى الذي كان يسعه التخلص منه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ الأعراف ١٨٨]، ومثله في هذا كثير من أولياء الله كعلي رضوان الله عليه، الذي لحقه كثير من الأذى والهزائم، والخيانات من أقوام وثق بهم ثم تبين له خيانتهم، وكالصادق الذي وثق بأبي الخطاب وقربه منه ثم تبين له غلوه فكتب إلى الأقطار في لعنه والبراءة منه.

الأمر الثاني: أن الغيب الذي يعلمه محمد صلى الله عليه وآله وسلم و غيره، كان من جنس المعجزات المؤيدة للدعوة، سواء للكفار لكي يسلموا أو للمؤمنين ليزدادوا إيمانًا.

الأمر الثالث: أن الخوارق والمعجزات، لم تكن هي الأصل في طبيعة الرسالات السماوية، والدليل قول الرسل لأقوامهم ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الكهف: ١١٠]، وهو ما يعني كونهم لا يملكون شيئا من الآيات إلا أن يشاء الله، وهو ما ذكره الله عن كثير منهم، في قولهم ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام١٠٩] وقد فسّر ابن كثير هذه الآية بقوله: "إنما مرجع هذه الآيات إلى الله إن شاء جاءكم بها وإن شاء ترككم"[2]. وقال الشوكاني: "ليس عندي من ذلك شيء ، فهو سبحانه إن أراد إنزالها أنزلها، وإن أراد

---

(١) سيرة ابن هشام٣/٦٤، دلائل النبوة٣/١٤٧ - ١٤٩.

(٢) تفسير ابن كثير٢/١٦٤.

أن لا ينزلها لم ينزلها"[١].

فلعل الإشكال بخصوص هذه المسالة ينحصر في الأمور التالية:

الإشكال الأول: أن نثبت قدرًا من العلم بالغيب لم يثبت علمهم به أصلًا، كقول الكليني في أحد أبوابه: إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء[٢].

الإشكال الثاني: أن تُجعل هذه الأخبار سبيلًا إلى إثبات أن ذلك العبد يعلم كل الغيب، وإنما هي تدل على علم بجزء بسيط منه، كأن يقال بأن عيسى عليه السلام يعلم الغيب كله، بدلالة قوله تعالى﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ [آل عمران٤٩]، وهذا تحميل للدليل بما لا يحتمل.

الإشكال الثالث: أن يجعل ذلك سببًا للغلو في ذلك العبد، مع أن الصحيح أن يجعل ذلك سببًا لتعظيم الله، والإيمان بالرسالة التي جاء بها، مع محبته لما يُرى من تأييد الله تعالى له.

٢. نسبة التصرف في الكون للأئمة (الولاية التكوينية)

أنكر الخالصي على من نسب لأحد من الرسل أو الأئمة رحمهم الله التصرف في الكون بالتدبير أو الخلق أو الرزق[٣]، وعدّ هذا القول من الغلو الذي نهى عنه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بل والأئمة كذلك[٤].

وقد بيّن الخالصي أن هذا القول روّج له الغلاة الذين ورد عن الباقر والصادق عليهما السلام لعنهم بسبب إسنادهم للأئمة الرزق ونحوه من الأمور المختصة بالله، واختلاقهم الأحاديث المكذوبة لتأييد هذا الغلو.

كما رد الخالصي على بعض غلاة الطائفة الإمامية في هذه المسألة وهم فرقة الشيخية الذين يقررون بأن الله تعالى لا يخلق و لا يرزق بنفسه بل إن ذلك موكول إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإلى الأئمة بحجة تنزيه الله عن الحركة،

---

(١) فتح القدير ٢/١٩٠

(٢) الكافي ١/٢٦٠

(٣) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ٣١،

(٤) المرجع السابق ٣٨٨ و٤١٦ ـ ٤١٧

واعتبر الخالصي أن قولهم هذا أشد انحرافًا من انحراف المشركين الذين أخبر الله عنهم في آيات كثيرة أنهم إذا سئلوا: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف:٩] بينما يدعي الشيخية أن الله تعالى لا يقدر على أن يخلق بنفسه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا[١].

ويوضح الخالصي أنه قد ورد بكثرة إسناد الله بعض الأعمال لبعض المخلوقات، كقبض الأرواح الموكل لملك الموت ونحوه من الأعمال، غير أن الخالصي يوضح أن هذا لا يصلح أن يكون دليلًا للقول بأن أحدًا غير الله يتصرف بالكون، لأن الأعمال التي ثبت إسنادها من الله لبعض خلقه "تشبه تمامًا نسبة بعض الأفعال إلينا، أي كما أن الله أعطانا قدرة كي نتحرك ونمشي وننجز بعض الأعمال كذلك أعطى الملائكة والنبي والأئمة[٢] قدرة للقيام بأفعال أكثر وفوق ما اعتاد البشر، ومتى أراد أن يسلب منهم هذه القدرة فإنه ليس باستطاعتهم القيام بأي عمل.."[٣].

والخلاصة أن الخالصي ينكر أن يوصف أحدٌ غير الله بالتصرف بالكون أو الخلق أو الرزق، كما يرى بأن ما ثبت من تصرف بعض الخلق في بعض الأشياء فهو مقيد بقيود:

الأول: أن الله هو الذي أسند له هذا العمل المحدود.

الثاني: أن الله هو المعين للعبد في القيام بذلك العمل، وأنه سبحانه يسلب منه قدرته عليه متى شاء، فالعبد لا يستقل به لا ابتداء ولا انتهاء.

الثالث: أن إسناد الله لبعض خلقه أو أمرهم بالقيام ببعض الأعمال هو مماثل للأعمال التي يقوم بها غيرهم من البشر، كتحريك الحجر، وقلع الشجر الذي هو مرده إلى التصرف ببعض الخلق.

وعلى سبيل المثال :قيام ملك الموت بنزع الأرواح أو تسيير ملك السحاب للسحاب

---

(١) انظر علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ٢٦٩ ـ ٢٧١.

(٢) مما ينبغي أن يقال: إن إثبات أن الله أعطى أحدًا من خلقه شيئًا من القدرة الزائدة على غيره لا يثبت إلا بدليل، فإثبات ذلك للملائكة والنبيين جاء في آيات وأحاديث صحيحة ولكن لم يثبت أن الله أعطى أحد الأئمة الاثني عشر قدرة خاصة. والله أعلم.

(٣) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٤٢٩.

إنما قاما بعد أمر الله لهما بذلك، والملك لا يستقل بذلك، بل يفعل ما يشاء الله في كل وقت وأي تصرف، ثم هو يتصرف بالقدرة التي أعانه الله بها على القيام بذلك الفعل، والتي يسلبها الله منه متى شاء، فعاد تصرفه فيها ـ كما يقول الخالصي ـ إلى مماثلة تصرف أي مخلوق آخر كرفع الرجل للحجر أو قلعه للشجر الذي لا يستطيع أن يقوم به إلا بقدر الله ومشيئته السابقة، ثم بإعانة الله له وقت الفعل، لكن الفرق بين فعل العبد والملك هو مستوى القدرة على الفعل المعين،وهذه من القدرات التي يوزعها الله على عباده سبحانه.

وأما تفاوت القدرة بين العباد وبين الأنبياء في بعض الخوارق التي قامت على أيديهم فإن ذلك يختلف عن الفرق بين العبد والملك لأن الرسول بشر وهو في الخارق الذي قام على يده لم يخرج عن كونه بشرًا، ولكن الله يقيم على يديه المعجزات التي قد يبهر بها هو أيضا كما بهر موسى لما رأى عصاه انقلبت إلى ثعبان مبين، وهذا ما يدل على أن قيام الخارق على يد النبي لا يكون بقدرته الخاصة، خلافًا للملائكة أو حتى الجن الذين أعطاهم الله قدرات لم يعطها البشر فهي مثل العقل الذي أعطاه الله البشر ولم يعطه الحيوان. والله أعلم.



* المطلب الثاني *
مسائل تتعلق بتوحيد العبادة

انتقد الخالصي في كتبه وخطبه كثيرًا مما يقع على يد من يعتبرهم من (الغلاة) كترويجهم لصرف بعض العبادات لغير الله تعالى، ومن ذلك:-

أولًا: الدعاء والالتجاء إلى غير الله تعالى:

لقد وفق الله الخالصي لبيان أن التوحيد الذي جاء به الإسلام ينهى عن التوجه لغير الله تعالى بالدعاء كائنًا من كان[1]، وأن ما يقع فيه بعض الجهلة على سبيل المثال من قولهم فيما يسمونه دعاء الفرج : (يا محمد يا علي، يا علي يا محمد اكفياني فإنكما كافياي)[2] يخالف التوحيد الخالص الذي كان عليه الأئمة رضوان الله عليهم، ويعد الخالصي كل هذا من الغلو وليس من التشيع الصحيح[3].

وقد ذكر رحمه الله وغفر له أنّ "ظاهر مثل هذه الكلمات كفر ومناف لنصوص القرآن، كقوله في سورة الجن: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ﴾ [الجن: ١٨] وكقوله في سورة الإسراء: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٦ ـ ٥٧] أو كقوله تعالى في سورة سبأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣] وكقوله تعالى في سورة

---

(١) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٣٢.

(٢) هذا الدعاء رواه فضل بن الحسن الطبرسي صاحب التفسير في كتاب كنوز النجاح ونقله عنه ميرزا حسين النوري في كتاب جنة في ذكر من فاز بلقاء الحجة أو معجزته في الغيبة الكبرى ص٢٧٥(الحكاية الأربعون)، والكتاب على الموقع التالي:
http://www.ejlasmahdi.com/html/arabic/library_a/jannat05.htm

(٣) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٤٠٩.

الزمر: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦]، وهكذا آيات كثيرة من القرآن مما تأمر بالتوحيد الخالص وتنهى عن دعاء غير الله..(١).

ويرى الخالصي أنّ قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝ ﴾ [الإسراء ٥٧] يدل بوضوح على أن الملائكة والنبيين –[فضلًا عن غيرهم] - ليس لهم القدرة أن يصيبوا أحدًا بضر أو يحولوا الضرر عنه، وأن هؤلاء الصالحين الذين لجأ لهم بعض المخطئين "هم يطلبون الوسيلة إلى الله ليتقربوا إليه بالقربة والطاعة، وأنهم يأملون رحمة الله، ويخافون عذابه، لأن عذاب الله شديد وهو حقيق بأن يحذر".

كما يرى الخالصي أن الآيات تدل بوضوح على أن من الخطأ أن يتوجه العبد إلى شخص هو في الحقيقة يتقرب إلى الله بالعمل الصالح خوفًا منه ورهبة.

وهنا يقول الخالصي :"إنه أمر خارج عن العقل والمنطق أن تطلب منه[أي العبد الصالح] الحوائج، وأن ما يطابق العقل والمنطق هو أن تطلب الحوائج ممن يطلب هو الحاجة منه، وإذا كان هؤلاء أتباعًا للأنبياء والأئمة فإنهم يجب أن ينظروا من هو الذي يطلب الأنبياء والأئمة الحاجات منه، ومن هو الذي يخافونه ومن ثم يدعونه في طلب الحاجات وأن يخافوا منه، وإذا طلب هؤلاء الناس حاجاتهم من الأنبياء والأئمة وخافوا منهم فإن ذلك مخالفة لهم لأنهم هم لم يطلبوا الحاجات من أنفسهم ولم يخافوا منها"(٢).

وقد ذكر الخالصي شدّة عَجَبه من توغل العقائد الفاسدة التي رآها في إيران وعدّ منها "طلب الحوائج من الأحجار، والعيون والأنهار، والقبور البالية والأشجار.. والالتجاء إلى الجمادات حتى المدافع القديمة في الحوائج"(٣).

وأخبر رحمه الله أنه لما كلم بعض العلماء في ذلك وبين لهم "أن هذه نزعة مجوسية يمقتها الإسلام الذي جاء بالتوحيد الخالص، والدعوة إلى أسمى الأخلاق، وأعلى نظم الاجتماع، لم يجرؤ [يعني العلماء الذين كلمهم] على مخالفتها بل

---

(١) إحياء الشريعة للخالصي ١/٤٠٨.

(٢) كتاب "رسالة المجاهد الأكبر الإمام الخالصي إلى أحمد قوام السلطنة" ٤٢٢.

(٣) كتاب "رسالة المجاهد الأكبر الإمام الخالصي إلى أحمد قوام السلطنة" ٩٠.

يؤولونها تأويلًا بعيدًا، ويصرفونها إلى مصرف إسلامي بزعمهم شأن الوثنيين إذ قالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ متناسين قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الزمر٣٦ ـ ٣٨].

حتى إن أهل النسك والصلاح منهم يبتهلون إلى الله في أهم حوائجهم بدعاء زعم صاحب كتاب (البلد الأمين) أن رجلًا رآه في المنام فكفي حاجته وفي ذلك الدعاء هذه العبارة: (يا محمد يا علي، يا علي يا محمد، اكفياني فإنكما كافياي، وانصراني فإنكما ناصراي)[(١)].

وفوق ذلك أنهم يلجأون في الحوائج إلى العباس بن علي[(٢)] عليه السلام وأمه (أم البنين)[(٣)] وإلى ابن إمام مجهول أقيم له قبر في (شميران)[(٤)] أو (طهران) أو أحد الصحاري، ورؤوس الجبال، أو بعض المدن، ولا تخلو مدينة أو جبل أو قرية في إيران من قبر أو شجرة أو عين ماء أو صخرة أو مغارة يقدسونها ويلجأون إليها في الحوائج، كل ذلك كان على عهد المجوس بشهادة التاريخ وهي باقية إلى الآن ولم يبدل الإسلام منها إلا الاسم"[(٥)].

كما أخبر عن مشاهد أخرى من الالتجاء إلى غير الله تعالى رآها في غير إيران فقال: "تذكرني هذه العقائد بما شاهدته في طرابلس عند احتلال

---

(١) سئل المرجع المعاصر جواد التبريزي عن هذا الدعاء (دعاء الفرج) فقال :بسمه تعالى؛ لا بأس بذلك لأنّه من باب التوسل بأهل البيت (عليهم السلام) وهم الوسيلة إلى اللّه تعالى، واللّه العالم. انظر: كتابه "الأنوار الإلهية في المسائل العقدية" ـ دعاء رجب /http://www.tabrizi.org/html/bo/anwar٦htm.

(٢) هو العباس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، يكنى أبا الفضل، أكبر أولاد أم البنين، وقد كان وسيمًا جميلًا حتى قيل له: قمر بني هاشم، وقد حمل لواء الحسين يوم كربلاء. انظر: مقاتل الطالبيين٨٩ ـ ٩٠.

(٣) هي أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيل ـ ومن بني عامربن صعصعة ـ ، تزوجها علي رضي الله عنه بعد فاطمة رضوان الله عليها، فولدت له أربعة هم العباس وجعفر وعبد الله وعثمان.(تاريخ الطبري٣/ ٩٤٠) (مقاتل الطالبيين٨٧).

(٤) منطقة شمال طهران

(٥) كتاب "رسالة المجاهد الأكبر الإمام الخالصي إلى أحمد قوام السلطنة" ٩٠ ـ ٩١.

الطليان لها، فإن السنوسيين[١] كانوا يزعمون أن مصرف الكون (أحمد البدوي) وأن روحانية السنوسي ستقهر قوّة الطليان، حتى شاهدوا تلك الأرواح المزعومة تلتهمها أفواه مدافع الطليان، وعلى هذا جاء البرزنجيون[٢] والقادريون[٣] في الحرب العالمية الأولى إذ كنا على مقربة من البصرة، وكانوا يحملون الدفوف والطبول والبوقات زاعمين أن مرشديهم بروحانية البرزنج والشيخ عبد القادر سيلتهمون بأفواههم جميع ما يصوب عليهم من نيران مدافع الإنجليز وسائر معداتهم،ويجعلونهم بردًا وسلامًا بدليل أنهم يلقون جمرات النار في أفواههم فتخمد لشعبذة شائعة بينهم، فلما صوبت مدافع الإنجليز نيرانها في (الشعيبه)حول البصرة لم يثبت أولئك المرشدون أمام أزيز الرصاص فضلًا عن دوي القنابل، إذ أن الشعبذة لا تقف أمام الواقع، وكان أول من فر عند إطلاق أول قنبلة إنجليزية هم أولئك المرشدون يتبعهم مردتهم[٤]، حتى خلا الجناح الأيمن العثماني حيث إنهم كانوا يشغلونه، وطوق الجيش، وانحر لذلك قائد الجيش العام الأحمق (سليمان العسكري)وسلم العراق وما فيه للإنجليز بمعجزة المراشدة ومردتهم من القادريين الذين لم تقف خيولهم المنهزمة من البصرة إلا في بيوتهم حول السليمانية وأربيل"[٥].

وقد بين الخالصي رحمه الله تعالى أن هذا المنهج في انتظار النصر عن طريق

---

(١) السنوسية: أتباع محمد بن علي السنوسي المتوفى سنة(١٢٦٧هـ) وهو صاحب دعوة إصلاحية صوفية تصدت للاحتلال الإيطالي في ليبيا وهو الموطن الأصلي للدعوة السنوسية، وقد تبنى السنوسي نبذ الخرافات والبدع والتوسل بالأموات والصالحين، ووضع منهجًا سلوكيًا صوفيًا أقرب إلى الكتاب والسنة، إلا أن رفع السنوسي لواء الجهاد ضد الطليان جعل كثيرًا من المسلمين ينضوون تحت لوائه، وبطبيعة الحال فإن كثيرًا منهم ممن لم يسلك في برنامجه السلوكي ولا تلقوا عنه أفكاره التصحيحية، وهو ما يفسر ظهور بعض الانحرافات مثل غلو بعضهم في السنوسي وادعاء أنه المهدي، واستغاثة بعضهم بالبدوي، ونحوها من الأعمال. انظر: الثمار الزكية للحركة السنوسية للدكتور علي الصلابي ٤٢٣، والموسوعة الميسرة ٢٨٧/١ ـ ٢٩٠.

(٢) البرزنجيون: طائفة من الصوفية ترفع مقام"الكاكا أحمد" وأباه محمود البرزنجي، وهو من السادة العلويين نسبًا، كانت طريقته تنتشر في جنوب العراق. انظر مقال د.عزيز الحاج "عراق التعايش" :
http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid3110
،http://www.iraqgate.net/tribe/N_albarzanchi.htm

(٣) القادرية: هم المنتسبون للشيخ عبد القادر بن عبد الله الجيلاني الحنبلي المتوفى سنة(٥٦١ هـ) ، وهو أحد العلماء الصالحين الذين غلا فيه الناس بعد وفاته، ولهم انتشار في أنحاء كثيرة من العالم الاسلامي .سير أعلام النبلاء٤٣٩/٢٠. الموسوعة الميسرة٢٦٥/١.

(٤) هكذا في الأصل المترجم ولعلها:ومريدوهم.والله أعلم.

(٥) "رسالة المجاهد الأكبر الإمام الخالصي إلى أحمد قوام السلطنة"٩١ ـ ٩٢.

الالتجاء إلى غير الله تعالى مع عدم اتخاذ الأسباب يخالف نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي بث دعوته بالسعي والعمل والمحراب والمنبر، ورد مهاجميه بالسيف والسنان. ولو كان الأمر كما يظن من يعتمد على روحانيات الصالحين لكانت روحانية النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحق بدفع المشركين، ولم تُدم جبهته الشريفة وتكسر رباعيته، ويقتل عمه وأصحابه في أحد وغيرها من الغزوات والسرايا.

كما تعجب الخالصي ممن يلجؤون إلى العباس بن علي ويطلبون منه المدد، وقضاء حوائجهم، معتبرًا أن مثل هذه العقائد تورث القعود والاتكال، في حين أن العباس إنما قتل في سبيل دفاعه عن الحق، مع أمه وإخوته وأصحابه و أهل بيته الذين أسر كثير منهم، "ولو كان النجاح بغير العمل لكان العباس وسيده الحسين (عليه السلام) أولى بهذا النصر ولما استشهدوا جميعًا"[١].

وهذا كله مما يجلي لنا تبني الخالصي لمنهج توحيدي بعيدًا عن كثير من ألوان الغلو في باب العبادة، والمهم أنه يدعو إلى ذلك ويقرره بشكل واضح، كما أن الملاحظة التي يجب أن لا تغيب عن ذهن الناقد المنصف؛ أنه يتحدث باسم التشيع، وينكر باسم مذهب الإمامية، وليس بأي اسم آخر، وهذا مما يبين نوع التشيع الذي يتبناه الخالصي.

ثانيًا: الشفاعة والأئمة

يرى الخالصي أن الشفاعة من الأمور الثابتة شرعًا في نصوص كثيرة، وأن إنكارها كليًّا مخالفة للقرآن والأحاديث المستفيضة.

كما يرى بأنه قد ثبت أن الشفاعة ستكون على يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والملائكة، وكذلك المؤمنين[٢].

ولكن الخالصي يقرر أن القرآن دل على أن الشفاعة لا تكون إلا بأمر الله تعالى وإذنه سبحانه وتعالى كما في قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة٢٥٥]، مما يعني - في نظر الخالصي - أنها ملك لله لا يستقل بها أحد من الشفعاء[٣].

---

(١) انظر: "رسالة المجاهد الأكبر الإمام الخالصي إلى أحمد قوام السلطنة"٩٢.

(٢) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ٤٢٧.

(٣) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ٤٢٧،٤٠٩.

كما يرى بأنه وإن كان بعيدًا عن الله تعالى أن يرد عباده المؤمنين لسعة رحمته إلا أن ذلك ليس أمرا إلزاميًّا أو حتمًا على الله تعالى، مما يوجب على المؤمن أن يكون دائمًا بين الخوف والرجاء[1].

وقد بقي على الخالصي رحمه الله أن يبين أن الشفاعة لن تكون إلا لمن يأذن الله له، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] مما يوجب على المؤمن أن يتجنب ما يسخط الله تعالى قولًا أو عملًا أو اعتقادًا، حتى يشفّع الله تعالى أوليائه فيه.



(١) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٢٧٩.

* المطلب الثالث *
الغلو في الصالحين

ومن الأمور التي وجه لها الخالصي جانبًا كبيرًا من النقد ما يقع فيه بعض المسلمين عمومًا من الغلو في الأنبياء أو الأئمة أو غيرهم من الصالحين.

فقد بيّن أن الغلو من الظواهر التي كانت منتشرة قبل الإسلام، كما وقع لعباد الأصنام الذين وضعوا الأصنام واسطة بين البشر وبين الله تعالى كما حكى الله تعالى عنهم في قوله: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر ٣][1].

ويمثل الخالصي كذلك بالنصارى الذين خالفوا أمر المسيح لهم حين أمرهم بالتوحيد ونهاهم عن الغلو كما في قوله تعالى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة١١٧][2].

ويرى الخالصي أن الإسلام حينما جاء حارب الغلو الذي كان راسخًا في الأديان الأرضية والسماوية المحرفة، فقد"أكد القرآن على التوحيد ونفى الغلو أكثر من أي شيء آخر، وأمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يعلن إلى أمته وأن يقول: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الكهف١١٠]، وأمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن ينفي عنه علمه بالغيب، والقدرة، والرازقية، وأمره الله مرارًا أن يقول: (لا تتخذوا قبري مسجدًا)[3]

---

(١) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٣٨٧.

(٢) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ٣٨٨.

(٣) الحديث الذي يشير إليه الخالصي روى أبو يعلى عن عن علي بن الحسين عن أبيه عن جدّه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تتخذوا قبري عيدًا ولا بيوتكم مقابر، فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم) (في المسند رقم ٤٦٩) ، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف ٣٥٤/٤، الضياء في المختارة رقم ٤٢٨ وقد حسنه الحافظ ابن عبد الهادي في كتابه الصارم المنكي في الرد على السبكي ص ٤١٤.
كما رواه الشيعة بألفاظ متقاربة عن علي رضي الله عنه، منها لفظ (لا تتخذوا قبري مسجدًا) (انظر: كنز الفوائد للكراجكي٢٦٥). ولفظ: (لا تتخذوا قبري عيدًا ولا قبوركم مساجد ولا بيوتكم قبورًا) انظر: مسند الشيعة للنراقي٢٨٣/٣ وبحار الأنوار٣٥٩/٧٣، ومستدرك الوسائل للنوري ٣٤٤/٣ و ١٨٨/١٠).
وبلفظ: (لا تتخذوا قبري مسجدًا كما اتخذت بنو إسرائيل قبور أنبيائهم مساجد) (انظر: تحفة الفقهاء للسمرقندي٢٥٧/١) .

وأن يعلن ـ قَسَمًا بالله ـ أنه لم يهلك من هلك من الأمم السابقة إلا لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[١].

أسباب انتشار الغلو:

ويرى الخالصي أن من أسباب انتشار الغلو:

١. دخول بعض من ألفت قلوبهم الغلو في الإسلام، من نصارى أو مجوس وغيرهم، حيث يرى الخالصي أن أمثال هؤلاء لمّا رأوا المعجزات والكرامات والأعمال الخارقة للعادة على يد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكرامات الأئمة رضوان الله عليهم؛ أورثهم ذلك الغلو نتيجة لتذوقهم للعقائد التي كانوا يعتقدون بها قبل الإسلام، وأمثال هؤلاء هم الذين حرّقهم علي رضي الله عنه وأرضاه، ولعنهم الأئمة الأطهار وتبرؤوا منهم[٢].

٢. الوعّاظ الجهلة.

تحدث الخالصي رحمه الله عن فئة كان لها دور في الترويج لألوان الغلو والخرافات؛ وهم من نعتهم الخالصي بـ"المعممين الجهّال" الذين اتخذوا المنبر وسيلة للارتزاق، حيث يرددون الأحاديث الضعيفة التي تدعو للغلو، ويشيعون العقائد الضالة كعقائد الشيخية وغيرهم[٣].

وبعد تعداده لبعض مظاهر التعلق بغير الله يقول: "ورأيت دعاة يدعون إلى هذه الأهواء والمفاسد ويرقون المنابر باسم الوعظ والرثاء للحسين بن علي (عليهما السلام).

وهذه الطائفة لو صلحت لكان لها الأثر العظيم في الدعوة إلى الإسلام ولكن أكثر أفرادها لا يعرف من الإسلام إلا أحاديث غلاة الخطابية[٤]

(١) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ٣٨٨.

(٢) انظر: علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ٣٨٨.

(٣) انظر: علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٤٠٧.

(٤) الخطابية: أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي، صحب الصادق رحمه الله ثم تبرأ منه الصادق لما ظهر من غلوه،وقد كان من المؤسسين لفرقة الإسماعيلية.ومن أقواله:أن الإله ظهر في صورة الأنبياء ثم في صورة الأئمة، وأن الكون لن يخلو من هؤلاء الأئمةومن ثم فهم آلهة في الحقيقة. وقد افترق أصحابه من بعده إلى فرق.انظر الملل والنحل١/٢١٠ ـ ٢١١.الفرق بين الفرق٢٤٧.مقالات الاسلاميين١/٧٥.

والكرامية[١] والمغيرية[٢]، ومن القرآن إلا آيات حملوها على أهوائهم وفسروها بآرائهم وأخرجوها عن مدلولها اتّباعًا لأولئك الغلاة، فهم اليوم أضر على الدين من جيش يزيد بن معاوية على الحسين كما قال الصادق عليه السلام"[٣].

٣. نشاط الفرق الغالية.

ففي الوقت الذي كثر جهل الناس بدينهم نجد الخالصي يتحدث عن سعة نشاط الفرق الغالية كالشيخية والبهائية ونحوهم، فيقول:"في زماننا المعاصر وجهت أكبر ضربة للمسلمين في إيران بواسطة إخفاء حقائق الدين واستبدال الخرافات بهما، وذلك في الحملة التي تولاها السيد كاظم الرشتي[٤] تلميذ الشيخ أحمد الأحسائي"[٥].

ومن صور الغلو التي أنكرها الخالصي:

١. القول بأنه لا فرق بين الله وبين محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة إلا أنهم

---

(١) الكرامية: أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام، يثبتون الصفات، إلا أنه ينتهي إلى التشبيه، كما يقول بحلول الحوادث في ذات الرب، كما وفق المعتزلة في القول بالتحسين والتقبيح العقليين، والإيمان عنده الاقرار باللسان فقط. الملل والنحل ١/١٢٤. الفرق بين الفرق٢١٥.

(٢) المغيرية:أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي، من الغلاة جمع بين تأليه علي رضي الله عنه والأئمة والتنجيم والتشبيه ـ فقال بتشبه أعضاء الله بالحروف ـ تعالى الله عن ذلك،كما قال بكفر الصحابة إلا من ثبت مع علي، وأن الأئمة يعلمون الغيب، وادعى أن الإمامة بعد الباقر لمحمد بن عبد الله(النفس الزكية) ، وأنه لم يمت وسوف يبعث، كما زعم أنه ـ يعني المغيرة ـ المهدي المنتظر، وقد قتله خالد القسري سنة١٢٠هـ.(الملل والنحل١/٢٠٧ ـ ٢٠٩.الفرق بين الفرق٢٣٨.ميزان الاعتدال٤/١٦٠ ـ ١٦٢.الكامل في التاريخ٤/٢٣٠ ـ ٢٣١(ط:دار الكتاب العربي ـ بيروت) .

(٣) كتاب "رسالة المجاهد الأكبر الإمام الخالصي إلى أحمد قوام السلطنة"٩٤.

(٤) هو :كاظم بن قاسم بن أحمد بن حبيب الحسيني الرشتي، ولد سنة ١٢٠٥هـ، ويقال بأنه نزح من المدينة المنورة إلى مدينة رشت في إيران، وقال الخالصي بأنه الرشتي أصله قسيس روسي، أوفده الروس لإيقاع الفتن في الدولة العثمانية، وإبعاد الناس عن دينهم، وقد كشف ذلك السوفييت في تقرير نشر بعد الثورة البلشفية عام ١٩١٧م وقد ترجم الخالصي هذا التقرير إلى الفارسية وعلق عليه باسم أسرار ظهور الشيخية والبابية والبهائية .توفي الرشتي سنة ١٢٥٩هـ في كربلاء. انظر ترجمته بتوسع في كتاب الشيخية للطالقاني ١١٧ ـ ١٦٣، و كتاب علماء الشيعة والصراع مع البدع (مع تعليق ابنه هادي الخالصي) ص١٧٩.

(٥) وهما مؤسسا الشيخية وتلاميذهم أسسوا البهائية والبابية .علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ١٧٧.

عباده، كما هو وارد في أدعية شهر رجب ضمن كتاب الأذواد[١].

٢. القول بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة هم وجه الله تعالى[٢].

٣. القول بأن الكون لم يخلق لولا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي رضي الله عنه، أو القول بأنهم علة الخلق[٣].

٤. القول بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة إذا شاؤوا أن يموتوا ماتوا[٤].

٥. القول بأن الأئمة كليّون وأنهم يملؤون العالم بوجودهم ـ كما تزعم الشيخية ـ[٥].

٦. القول بأن علم الأئمة ذاتي، أو أنه يشمل كل العلوم ، أو أنه وراثي غير مكتسب[٦].

وغيرها من الصور التي هي من ألوان الغلو الذي روج له الرواة الغلاة وأتباعهم الذين هم في نظر الخالصي بعيدون كل البعد عن توحيد الأئمة الذي نزل به القرآن الكريم وقرره محمد صلى الله عليه وآله وسلم[٧].

❋❋❋

---

(١) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٤٠٧ ـ ٤٠٨.

(٢) المرجع السابق ٣٢، ٢٧٦.

(٣) المرجع السابق ٣٢.

(٤) المرجع السابق٣٣،٣٢.

(٥) المرجع السابق٣٥.

(٦) المرجع السابق ٤١٨.

(٧) المرجع السابق ٤٠٩.

* المطلب الرابع *
مكانــة الـقــرآن

اهتم الخالصي ببيان مكانة القرآن الكريم ومنزلته، ودوره في بناء الأمة، فقد كرر كثيرًا – في كتبه ورسائله ـ أن"القرآن هو حافظ التوحيد ومزيل الشرك"[١]، وأن الصلاح لعامة البشر ودفع الفساد لا يوجد إلا في القرآن والسنة الصحيحة[٢]، كما أكّد على أن القرآن هو الذي أخرج الناس من الظلمات والخرافات التي كانت تملأ الأرض إلى النور، وهو الذي قلب عصور الجاهلية إلى عصر علم زاهر، وهو الذي أوجد بين رعاة الإبل الحيارى الأميين أكبر نظام عرفه العالم، وأن القرآن هو الذي وضع أساس حضارة ومدنية ومجتمع لم يعهد قبله، بل يرى الخالصي أن نور الإسلام قد بلغ أثره إلى الأديان الأخرى، فالنصارى بعد الإسلام ونزول القرآن مندداً بخرافاتهم ليست هي بعده، إذ خرج فيها من يؤول خرافاتهم تدريجيًّا وتعالت فيها أصوات المصححين كـ(لوثر) الذي اضطره القرآن والإسلام إلى الإصلاح، بل إن الخالصي يرى بأن القرآن كما أوجد إصلاحًا في النصرانية؛ أوجد في جميع الأديان القديمة كثيرًا من الإصلاحات، ويقول: "فكل صلاح تراه في دين أو نظام فإنما مُستمدٌ من القرآن"[٣].

كما يرى الخالصي أن الرواة الغلاة ـ الذين كان لهم دور في التأسيس لكثير من الأقوال الضالة ـ كانوا "يعرفون بأن القرآن هو حافظ التوحيد ومزيل الشرك"[٤]، ولهذا لجؤوا إلى أمرين لإبطال أثر القرآن، وهما:

١. **القول بأن القرآن محرّف.**

ويذكر الخالصي أن هذا من الأقوال الضالة التي أنشأها الرواة الغلاة كرجب

---

(١) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ٤٢٥
(٢) رسالة المجاهد الأكبر الإمام الخالصي إلى أحمد قوام السلطنة٨٥ ـ ٨٦.
(٣) المرجع السابق ١٢٠.
(٤) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ٤٢٥.

البرسي والمغيرة بن سعيد ونحوهما[(١)]، واعتبر الخالصي هذا القول من "الجرأة على الله والكفر إلى أقصى درجاتها"[(٢)].

٢. القول بأن القرآن لا يفهم.

يصف الخالصي هذا القول بأنه "لا قيمة له" لأن الله تعالى وصف كتابه بأوصاف تبطل هذه الدعوى، ومن هذه الأوصاف:

١. أن القرآن بيان لكافة الناس، كما قال تعالى: ﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

٢. وأن فهمه ميسر للجميع، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧]، وقوله: ﴿ كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت: ٣].

٣. وأنه تبيان لكل شيء، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩]، وقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

٤. وأنه هدى وموعظة، كما في قوله: ﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ ﴾ [آل عمران ١٣٨].

٥. أن جميع الناس مأمورون أن يتفكروا فيه ويتدبروه، وأن المتهاون في ذلك غير معذور، كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].

كما يرى الخالصي أن جميع الأحاديث التي يستدل بها القائلون بصعوبة فهم القرآن؛ هي أحاديث ضعيفة أولاً، ثم لو كانت صحيحة فهي ساقطة: لأنها مخالفة للأصل الذي أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة رضوان الله عليهم أن نضرب كل حديث يخالف القرآن بعرض الحائط[(٣)].

❊❊❊

(١) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٣٣، ٤٢٤، ٤٢٥ ـ ٤٢٦.

(٢) المرجع السابق ٤٢٦.

(٣) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين٤٢٥.

* المطلب الخامس *
موقفه من الخرافات

يرى الخالصي أن الإسلام جاء ليحارب الخرافات التي تأصلت في الأديان التي حرّفها أهلها كاليهودية والنصرانية وغيرها.

ونظرًا لتفشي الخرافة في صفوف الأمة الإسلامية على يد الخرافيين من غلاة الشيعة والصوفية وغيرهم فقد نبه الخالصي على أهمية محاربة هذه الظاهرة، التي يرى الخالصي أن المروّج لها صنفان، هما:

١. الجهّال الذين يتكلمون باسم الدين، وينشرون البدع والخرافات من على المنابر وفي مجالس العزاء.

٢. المغرضون الذين يريدون تشويه الإسلام، من أرباب التيارات الضالة.

ويرى الخالصي أن إصلاح حال الأمة لا يتحقق إلا بأمور من أهمها إزالة الخرافة التي سيطرت على عقول كثير من الناس[١].



(١) علماء الشيعة والصراع مع البدع ١٦٧.

* المطلب السادس *
موقفه من الاحتفال بعيد النيروز

من الأعياد التي يحتفل بها قسم كبير من الشيعة هو يوم النيروز، وهنا ينبه الخالصي إلى أن مثل هذا الاحتفال إنما هو من بقايا المجوسية التي كانت موجودة قبل الإسلام، ويذكر أن الذي روج لمثل هذه المظاهر بعض الرواة الغلاة كالمعلى بن خُنَيس الذي روى عن الصادق أنه قال: "إذا كان يوم النيروز فاغتسل والبس أنظف ثيابك وتطيب بأطيب طيبك وتكون ذلك اليوم صائمًا فإذا صليت النوافل والظهر والعصر فصل بعد ذلك أربع ركعات [ثم ذَكَرَ ما يقرأ فيها وما يعمل فيها ثم قال: يغفر لك ذنوب خمسين] سنة".[1]، وليس للمعلى بن خنيس وأمثاله ـ في نظر الخالصي ـ إلا هدف واحد من مثل هذا الحديث وهو"إشاعة المجوسية وتعظيم عيد النوروز[2] الذي هو العيد الديني للمجوس"[3].

وقد صدق الخالصي في اتهامه في مسألة النيروز لمعلى بالذات ، لأن المتأمل لما حشده هذا الراوي من الفضائل المكذوبة ليوم النيروز يؤكد صدق ما قاله الخالصي، ففي رواياته أن من فضائل يوم النيروز: أنه اليوم الذي أخذ الله فيه العهد والميثاق على بني آدم[4]، وأنه اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح على الجودي[5]، وأنه اليوم الذي كسر إبراهيم عليه السلام فيه الأصنام[6]، كما أنه اليوم الذي أحيا الله فيه ﴿ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [البقرة: ٢٤٣][7]، وأن رسول الله صلى الله

---

(١) بحار الأنوار ـ باب عمل يوم النيروز وما يتعلق بذلك (٩٨/٤١٩) ، وانظر:باب استحباب صوم يوم النيروز والغسل فيه، ولبس أنظف الثياب والطيب: (وسائل الشيعة ٣٤٦/٧) .

وفي كتاب تحرير الوسيلة روح الله الخميني: « ومنها ـ أي أيام الصيام المندوب ـ يوم الغدير وهو الثامن عشر من ذي الحجة ومنها يوم النيروز » ، كما ذكر أن من الأغسال المندوبة غسل يوم النيروز .تحرير الوسيلة (ج ٩٨/١، ٣٥٢).

(٢) هكذا في الاصل.

(٣) علماء الشيعة والصراع مع البدع ٣٨٩، وانظر خطبته في نفس الكتاب (وثيقة ٥٢) ص١٤٧.

(٤) بحار الأنوار ٢٣٧/٥.

(٥) بحار الانوار٣٤٢/١١.

(٦) بحار الأنوار٤٣/١٢.

(٧) بحار الأنوار٣٨٦/١٣.

عليه وسلم وجّه فيه عليًا عليه رضوان الله إلى الجن فأخذ عليهم العهد[١]،وأن جبريل هبط على الرسول صلى الله عليه وسلم فيه[٢]، وأن عليًّا رضي الله عنه أخذ البيعة الثانية لنفسه في يوم النيروز[٣]، وأن عليًّا رضي الله عنه انتصر على الخوارج يوم النهروان يوم النيروز[٤]، وأنه اليوم الذي يخرج فيه القائم (المهدي)[٥]، إلى غيرها من الفضائل التي جمعها معلّى المغالي في رواياته.

وما ذهب إليه الخالصي من إنكار الاحتفال بيوم النيروز هو الموافق لمنهج الأئمة القائم على الكتاب والسنة، وهو الوارد عن موسى الكاظم رضي الله عنه، فقد حكى صاحب (المناقب) أن المنصور لما قدم موسى بن جعفر بالكاظم دعاه للجلوس معه للتهنئة في يوم النيروز، وقبض ما يحمل إليه، فقال الكاظم: إني قد فتشت الأخبار عن جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجد لهذا العيد خبرًا، وأنه سنة الفرس ومحاها الإسلام ومعاذ الله أن نحيي ما محاه الإسلام، فقال المنصور: إنما نفعل هذا سياسة للجند ..[٦] إلى آخر الخبر.

ولما أورد المجلسي هذا الخبر لم يجد له مخرجًا إلا القول **بأن رواية معلى أقوى سندًا، وأن ما جاء عن الكاظم رواية ضعيفة و محمولة على التقية**[٧]، ولا أعلم أي داع يدعو إلى التقية في مثل موقف الكاظم وهو يدعوه الخليفة للجلوس في عيد النيروز فيأبى إلا أن يخالف المنصور المشهور ببطشه ويبين له الحق الذي كان عليه رسول الله ﷺ.

وأما تقوية المجلسي لرواية معلى بن خنيس فغريب جدًّا؛ لأنه ضعيف عند أغلب علماء الرجال الشيعة المتقدمين[٨].

❊❊❊

---

(١) بحار الأنوار١٨/٩١.
(٢) بحار الأنوار ١٨/٢١٤.
(٣) بحار الأنوار٣٢/٣٥.
(٤) بحار الأنوار٣٢/٤٠٤.
(٥) بحار الانوار٥٢/٢٧٦.
(٦) المناقب للمازندراني ٤/٣١٩.
(٧) بحار الانوار ٥٦/١٠١ .
(٨) قال النجاشي عنه: ضعيف جدًّا. (رجال النجاشي ص ٤١٧) وقال الغضائري:كان أول أمره مغيريًّا (من الغلاة) .. والغلاة يضيفون إليه كثيرًا. وقال:لا أرى الاعتماد على شيء من حديثه،انتهى. وقد تبنى بعض الشيعة توثيق معلى، بل أخذ بعضهم يثبت بأنه من أجلاء الشيعة كالمازندراني في (منتهى المقال ص ٢٩٢) . وأكثر من تطرف في توثيقه الطاووسي حيث قال: الذي يظهر لي أنه من أهل الجنة(التحرير للطاووسي ٥٧١) ، وانظر الوسيط ٢٤٩.



المبحث الخامس

موقف الإمامية منه



بسبب ما جمعته شخصية الخالصي من نضال سياسي في مرحلة مبكرة في التاريخ الحديث للشيعة، مع ما رافق ذلك من خطوات جادة نحو إصلاح بعض الخلل الموجود في المذهب فقد اختلفت مواقف المنتسبين للطائفة الإمامية من محمد الخالصي وهم في موقفهم لا يخرجون عن ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المعارضون للخالصي.

وهؤلاء الذين وقفوا موقف المعارض لشخصية الخالصي في الجملة، ومن ثم سعوا جاهدين في إسقاط الثقة عنه علميًّا وسياسيًّا، بل وصل بهم الأمر إلى الطعن في نية الخالصي كما سيأتي.

ويمثل هذه الطائفة: كبير مراجع الشيعة في العراق في زمنه آية الله محسن الحكيم، ومعه أغلب المنتسبين للتيار التقليدي والتشيع المنزوي عن السياسة ـ آنذاك ـ .

كما انضم إلى هذه الطائفة المعارضة للخالصي بعض رموز التيار التحديثي كمحمد الحسين آل كاشف الغطاء وأمثاله ممن يتبنى أسلوبًا آخر لا يختلف فيه مع التيار التقليدي في المضمون وإنما يختلف في أسلوب تقديم المذهب بأسلوب جديد من حيث الاهتمام بالسياسة والنواحي الاجتماعية مع نقد لبعض الطقوس التي تخالف الحضارة وتفريغ أحداث مقتل الحسين من مضمونها الثوري السياسي إلى الاستغراق في الأحزان،ونحوها مما ينادي به هذا التيار التجديدي.

وتحت هؤلاء جميعًا كثير من طلابهم ومقلديهم، الذين كانوا محط الفتنة التي يثيرها مراجعهم حول الخالصي.

وقد واجه هؤلاء معضلة كبيرة؛ ألا وهي قرب محمد الخالصي من والده (محمد مهدي) وهو مرجع كبير يفخر به الشيعة، ولا يستطيعون الطعن فيه، ولهذا لجأ هذا

الفريق إلى الكذب والمغالطات التي تفيد بأن الخالصي (الابن) رافق والده في رحلته إلى إيران"ليكون عليه عينًا " ـ أي جاسوسًا على والده ـ "،وأنه كان "نصلًا يمزق الحشاشة الطاهرة"، وأن محمد(الابن) كوّن بعد موت صاحبه ـ أي أباه ـ شبكة جاسوسية تخدم مصالح الاستعمار في إيران وأن البهلوي هو الذي استطاع أن يحطّم مقاصده[(١)]، وهذه مغالطات واضحة جدًا لا حاجة إلى ردّها[(٢)].

كما حاول بعضهم أن يبين أن الخالصي إنما حارب الشيخية لأنه كان يريد مزاحمة رئيس الطائفة الشيخية في كرمان وهو أبو القاسم زين العابدين بن كريم خان الكرماني[(٣)]، كما أن بعض خصومه وصل في طعنه إلى ادعاء أن بعض الأطباء الإيرانيين الذين باشروا الخالصي بفحوص دقيقة وصفوه بأحد أنواع الجنون.

وأشد تهمة من هذا الفريق هي اتهام بعضهم للخالصي بمخالفة ضروريات الدين، وهي تعني بما تعارف عليه المسلمون الخروج من الدين[(٤)].

ويرجع هذا الموقف العنيف إلى أن تمسك الخالصي بشعار الوحدة كان على حساب بعض ما يعتبره خصومه من (الثوابت) الشيعية التي لم يقترب منها إلا النادر من علماء الشيعة عبر العصور[(٥)].

كما أن خصوم الخالصي ينتقدون موقفه من حكومة عبد السلام عارف،ويمكن تلخيص وجه طعنهم بما يلي:

أن عبد السلام عارف كان متعصبًا و"طائفيًّا"ضد الشيعة والأكراد، وقد روّج كثير من خصومه بعض الشائعات ليؤكدوا "طائفية" عارف، كقولهم: بأنه قال لأهل البصرة في أحد خطبه: أنتم رجال ولستم أشباه رجال ـ تعريضًا لهم بما روي عن أمير المؤمنين من أنه قال لأهل الكوفة يا أشباه الرجال[(٦)]، أو كقولهم: أن عبدالسلام

---

(١) الشهادة الثالثةفي الأذان والاقامة لجاسم آل كلكاوي ص٦.

(٢) فعلى سبيل المثال: قولهم بأنه رافقه ليكون عينًا عليه غير صحيح لأن الخالصي كان قد نفي إلى إيران قبل أبيه بنحو عام، ووالده هو الذي ورد عليه بعد أن طُرد فذهب إلى الحجاز ثم إلى إيران.

(٣) المرجع السابق ٦ ـ ٧.

(٤) المرجع السابق١١ ـ ١٢.

(٥) عراق بلا قيادة ٤٠٣.

(٦) الإشارة إلى قول علي أمير المؤمنين لأهل الكوفة انظر: المهذب للقاضي البرجي ٣٢١/١

كانت له رغبة في البناء على قبر معاوية.

وباختصار فإن خصوم الخالصي أرادوا أن يتهموه بالارتماء في أحضان هذه الحكومة التي يصفونها بالطائفية والمعاداة للشيعة، لتكون النتيجة هي سوء توجهات الخالصي المذهبية والسياسية.

والحقيقة هي أن هذا كله من الشائعات التي لا تستند إلى دليل، فقد سأل مهدي بن محمد الخالصي عبد السلام نفسه عن ما نقل عنه في قبر معاوية فأجاب بأنه لا يعرف أين قبر معاوية حتى يفكر في بنائه(١).

كما أن الكاتب عادل رؤوف سأل أحد الذين حضروا خطبة عبد السلام في البصرة وهو (عز الدين سليم)، فذكر بأنه لم يكن في الخطبة شيء من هذا، سوى أنها تضمنت الدعوة لوحدة الشعب العراقي(٢).

أما عن الخالصي وتياره المؤيد لخطواته في التحالف مع "عارف"فإنهم لا ينكرون العلاقة الجيدة التي كانت بين عارف ومحمد الخالصي ، ولكنهم يبررون ذلك بأن عبد السلام عارف كان قائدًا وطنيًّا له ميول دينية واضحة، وأن توليه يشكّل فرصة لابد من استغلالها عبر الدخول معه في حلف من أجل تحقيق أكبر مكاسب، فقد حرر عبد السلام عارف ثروة العراق النفطية من الغرب، وهو من أهم إنجازاته التي دفعت الغرب للتخلص منه عبر حادثة اغتيال غامضة،كما أنه فتح الباب لعلماء السنة بل وحتى الشيعة للعمل الإسلامي بشكل لم يكن موجودًا قبل ذلك(٣).

وعلى كل حال فأظن القارئ المنصف سيتفق معي بأن موقف الخالصي المتمثل في

---

(١) العمل الاسلامي في العراق ٤٩.

(٢) العمل الاسلامي في العراق٤٩. ذكر عادل رؤوف أنه بعد أن أصدر كتابه السابق أنه واجه عشرات المعترضين على نفيه لـ"طائفية عارف البديهية"، وأنه قد طلب منهم دليلًا علميًّا يثبت ذلك لكي يتراجع ويثبت ذلك في إصداراته، فوعده البعض ولكنه لم يستلم أي شيء، بل ذكر أن الوثائق البريطانية التي نقلها البياتي في كتابه"شيعة العراق" تثبت أن هذه الإشاعات كانت تحاك في السفارتين البريطانية والإيرانية، وأن أموال كانت ترسل من إيران وأحد دول الخليج لبعض رجال الحوزة من أجل إفساد جهود "عارف"ومؤيديه في توحيد صفوف العراقيين لأنه غير مرغوب فيه عند الغربيين. انظر عراق بلا قيادة ٢٠٠ ـ ٢٠١.و العمل الاسلامي في العراق٥١ ـ ٥٢نقلًا عن شيعة العراق لحامد البياتي ص١٧٥.

(٣) انظر العمل الاسلامي في العراق٤٩ ـ ٥١.

التعاون مع الحاكم المسلم الذي يحب الإسلام ولو بشكل فطري ومبسط، ويمتلك الشجاعة الكافية للدفاع عن بلاده هو الأصح شرعًا، وهو الأشرف في منطق كل عُرْفٍ من المواقف السلبية التي اتخذها خصوم الخالصي والتي بدأت تحالفاتها مع الأنظمة الغربية تظهر للعيان بعد ذلك.

القسم الثاني: المؤيدون لجهوده السياسية فقط.

ثمة طائفة من الشيعة الذين يعترفون بمكانة آية الله محمد الخالصي، ولكنهم لا يتجاوزون الاعتراف له بأنه يمثل رمزًا من رموز الكفاح السياسي، وعلمًا من أعلام المناضلين من أجل استقلال المسلمين في إيران والعراق، وأنه من أوائل الذين سعوا في دفع عامة الشيعة إلى ترك الانزواء السياسي، فمنطلق تأييد الخالصي أو اعتبار مكانته عند هذا الفريق ليست في آرائه ونقده لبعض المسائل في المذهب، ولكن لمواقفه السياسية فقط.

ومن هذه الطائفة محمد رضا شمس الذي صرّح بأن الخالصي مع كونه دائرة معارف ورجل فذ ومصلح جليل إلا أنه لا يدعو لتقليده[(١)]، ومثله مهدي بازركان ـ أول رئيس وزراء ـ بعد الثورة[(٢)].

القسم الثالث: المؤيدون للخالصي فكريًا(التيار الخالصي)

وهؤلاء هم الذين يصح عليهم إطلاق "التيار الخالصي"، وهم تيار شيعي إمامي على منوال الخالصي في نبذ كثير من ألوان الغلو والطقوس المبتدعة، كما أنهم يتمسكون بمبادئ الخالصي في الوحدة الإسلامية ومحاربة الطائفية كمبدأ أساسي في التمسك بمذهب آل البيت.

ويدخل في هذا الفريق كثير من المصلحين الشيعة من أمثاله في إيران، مثل آية الله حسن مدرس الذي نُسب إليه ذم طريقة الخالصي في صحيفة "حياة إيران"[(٣)] فرّد على ذلك في صحيفة "قانون" مكذّبًا ما نُسب إليه، ثم دعا الله للخالصي بأن"يديمه

---

(١) انظر عراق بلا قيادة ٤٣ نقلا عن(الشيعة والخالصي١٦ ـ ١٧) .

(٢) انظر رسالة المجاهد الاكبر ص ٢٥ ـ وثيقة(٣) ـ .

(٣) صحيفة حياة إيران ـ العدد١٢٠.

لخدمة العلم الإسلامي.."[١].

وكذلك الفاضل حيدر علي قلمداران[٢] الذي أعلن وبشكل واضح عن تأييده لأفكار الخالصي، بل يصح أن يقال بأن قلمداران أكمل خطوات الخالصي الإصلاحية[٣].

كما أن في صفوف المثقفين الشيعة أيام وجود الخالصي في إيران كثيرًا من المؤيدين له ممن كانوا يسجلون تأييدهم له في انتشال الناس من الأوهام والخرافات في الصحف والمجلات[٤].

ويعدّ الكاتب المتميز عادل رؤوف ممن أولى الخالصي اهتمامًا ملحوظًا في كُتبه، خلافًا لمن أرّخ للتجربة الشيعية المعاصرة وطمس اسم الخالصي، وقد سجّل عادل رؤوف رأيه في الخالصي حين قال: "إنه من سوء حظ العراق [أنه]لم يكن الخالصي (الابن) مرجعًا أعلى" يعني للشيعة[٥].

ولعل أبرز المؤيدين للخالصي هم أبناؤه الذين يدعون إلى نفس أفكار والدهم، وهم محمد محمد مهدي، وجواد، وهادي، ويشكلون تيارًا موجودًا في الكاظمية ببغداد، وإن كان هذا التيار محدودًا، ويُواجه بالحرب والإقصاء من قبل الاتجاهات التقليدية

---

(١) صحيفة قانون ـ السنة الثالثة١٣٤٢هـ/١٩٢٤م ـ العدد٥٢. نقلًا عن: وثيقة رقم(٥) في كتاب رسالة المجاهد الأكبر ص ٢٧.

(٢) هو حيدر علي بن اسماعيل قلمداران ولد سنة ١٣٣٣هـ في قرية ديزيجان ـ قريبًا من قم، كان باحثًا بارعًا يتميز بالتجرد، وقد انتهى به الإمر إلى مناقشة النص والإمامة فخرج بإنكار وجود النص على ذلك كما يظهر في كتابه(طريق الاتحاد الواسع دراسة نصوص الإمامة) ، كما وصل إلى نتيجة مفادها أن التوجه إلى الأموات بالدعاء وطلب الحاجات من الأمور التي أبطلها الإسلام كما يظهر في كتابه (الزيارات وكُتب الزيارات) ، شارك في الكتابة في عدّة جرائد يومية ومجلات متنوعة، وله عدّة مؤلفات، من أبرزها ترجمة المعارف المحمدي للخالصي، وترجمة إحياء الشريعة للخالصي، وترجمة (كتاب الإسلام سبيل السعادة والسلام للخالصي) و (كتاب أرمغان آسمانبشرى الإله) ـ وهو ترجمة كتاب الجمعة للخالصي، وكتاب نهضة الحسين المقدس، وله كتاب (الحكومة في الإسلام) ، ورغم أنه أصيب بجلطتين إلا أنه سجن عام ١٤٠٢هـ بتهمة مخالفة الثورة الإسلامية، وقد توفي في ٢٩رمضان سنة ١٤٠٩هـ ودفن في قم.

(٣) انظر وثيقة رقم(١٢) في رسالة المجاهد الاكبر ص ٣٥.

(٤) انظر المرجع السابق ص٣٦ ـ ٣٧.

(٥) عراق بلا قيادة١٦٠

الأخرى التي تشكل الثقل الأكبر في شيعة العراق.

وقد ذكر لي الشيخ توفيق البدري بأنه لما كان في إيران سنة١٩٨٣هـ قرأ بعض الكتابات التي تقول: "تسقط أسرة الخالصي الوهابية"، يقول البدري: فرأيت مهدي بن محمد الخالصي فأخبرته، ونصحته بأن يأخذ حذره لأن انتشار هذه الفكرة عنهم كفيلة بتعرضه للخطر، يقول: ولم تمض مدّة يسيرة إلا وتعرض مهدي للاغتيال، حيث ضرب برصاص في أسفل رأسه، وبعد العلاج بقي فيه نوع إعاقة في يده وطريقة كلامه، وقد خرج بعدها من إيران"(١).

والحامل للواء مدرسة الخالصي اليوم هو جواد الخالصي، وهو بشهادة مجموعة ممن لقيتهم من أهل السنة(٢) على نفس أفكار أبيه، ولعل مواقفه العلنية بعد سقوط نظام البعث تظهر بشدّة مدى التباين بين تيار الخالصي والتيار التقليدي في الوفاء لجماعة المسلمين بالنصرة والمؤازرة والبعد عن البحث عن المكاسب الطائفية البحتة، ونسأل الله أن يوفقه لخطوات مباركة في سبيل توحيد صف الأمة على النهج السديد، وأن يثبتنا جميعا على الصراط المستقيم.



(١) المرجع: لقاء خاص.

(٢) يتبنى هذه الفكرة الشيخ محمد الألوسي، والدكتور توفيق البدري، والدكتور يحيى الدباش، هذا لا يعني التزكية فيما نستقبل من الزمان لأن الحي لا يؤمن عليه الفتنة ـ أيًا كان ـ وكما قال ابن مسعود رضي الله عنه:" من كان منكم مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة"أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢/١٢٦ ـ ١٢٨.



المبحث السادس

أبرز الملاحظات على الخالصي

لا شك بأنّ تجربة الخالصي تميزت بمزايا عديدة، من أهمها: الشجاعة و الجرأة التي جعلته يخوض غمار مواقع قتالية وسياسية خطيرة، وكذلك شجاعته الواضحة في تبني مشروعه العلمي الذي جعله يعود بالتمحيص والنقد لكثير من المسائل والطقوس المتعلقة بالمذهب الإمامي، كما أن محاربته للفكر الشيوعي الملحد والتيارات العلمانية التي تنادي بفصل الدين عن الحياة هو من الجهاد الشرعي الواجب المأمور به في مثل حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال:(**جاهدوا المشركين بأموالكم وانفسكم والسنتكم**) رواه أبو داود والنسائي[1]، وكل هذه الخطوات محمودة في ميزان الكتاب والسنة المطهرة. وهو ما يوجب علينا أن لا نغفل عنها في نظرتنا للخالصي وإن اختلفنا معه في مسائل أخرى أساسية.

كما أن محاربته للغلو وهجومه العنيف على بعض البدع مع ما لقيه في سبيل ذلك هو كذلك مما ينبغي أن ينظر إليه بجدية في تقييم الخالصي وتجربته.

إلا أن ثمة ملاحظات جوهرية على الخالصي لابد أن نقف معها، ولعل من أبرزها:

١. موقفه من الصحابة.

من الأمور التي يجب التنبيه عليها هو أن الخالصي لم يوفق للصواب في مسألة موقفه تجاه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

ففي ضمن خطوات الخالصي الرامية إلى الوحدة الإسلامية، قام بمراسلة علامة الشام في زمنه محمد بهجت البيطار رحمه الله حيث طرح معه عدّة مسائل من أجل أن يصل السنة والشيعة إلى وحدة عقدية، وقد كان صريحاً جداً في طرح ما يعتقد، وكان من ضمن ما بينه أنه يعتقد بأن الصحابة غصبوا الإمامة من علي رضي الله

---

(١) أبو داود(عون المعبود٤/١٣١ ح٢٥٠١)،النسائي٦/٣١٤ ح٣٠٩٦)

عنه مع علمهم بالنص الإلهي في هذه المسألة، وأن عائشة رضي الله عنها خرجت على علي رضي الله عنه لتُسقط ولايته الواجبة، ولذا لم يتردد الخالصي في القول بأنهم يستحقون اللعن لأنهم ـ بناء على اعتقاده ـ ﴿يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾ وأن حكم الله فيهم ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة١٦٠]، وعلى رأس من يدخل في هؤلاء(المطعون فيهم) أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وليتسق طعن الخالصي أخذ يشكك في دخولهم في قوله : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨].

ولكن الخالصي ذكر وبكل صراحة للبيطار بأنه مع أنه يقول: بأنهم أتوا هذا العمل الذي يوجب اللعنة، إلا أنه يجبن عن تكفيرهم لما يرى من النصوص الأخرى التي تنهى عن تكفير المسلم ولأنه يرى بأن أمير المؤمنين خالطهم ولم يبد تكفيرهم بل على العكس أظهر تجاههم كل خير.

هكذا كان الخالصي صريحاً مع البيطار وهو يذكر بكل صراحة بأنه يعتقد هذا وأن أهل السنة إذا لم يقتنعوا بهذا فسيسكت ـ تقيةً ـ من أجل الوحدة الإسلامية.

ومع أن البيطار رحمه الله اجتهد في إيراد الدلائل القرآنية في تزكية الصحابة الكرام، وإثبات مكانةٍ لهم تخالف ما يقول الخالصي، إلا أنه لم يفلح في إقناعه؛ لأن الخالصي كان يجد تأويلات يخرج بها من إثبات الفضائل للصحابة في القرآن.

ولكنّ الخالصي بعد مناقشات عالم العراق المجاهد عبد العزيز البدري رحمه الله له أخذ يتجه إلى موقف أسلم، فأصبح لا يقول عنهم إلا: أنا لا أقول عنهم إلا ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾ [البقرة:١٤١]، وأصبح يقرّ بأن عائشة هي أم المؤمنين ولا يرضى بأن ينسب إليه الطعن فيها(١).

وبلا شك فإن موقف الخالصي خطأ شنيع لأن فضائل الصحابة يشهد لها القرآن ـ كما سبق ـ ويشهد لها التاريخ، فمن نشر الإسلام في أرجاء المعمورة إلا هم، كما يشهد لها العقل الذي يأبى التصديق بأن يكون الملعونون هم الذين مدحهم الله في كتابه وقاموا بنصرة نبيه صلى الله عليه وآله سلم.

---

(١) هذا ما أخبرني به محمد الألوسي، وهو وعبد العزيز البدري كانا صاحبي الخالصي، وكان لهم اجتماع أسبوعي يتناقشون فيه وينسقون لبعض الأعمال ـ كما سيأتي في الباب الأخير ـ.

وبالعموم فإن موقف الخالصي الأخير (وهو الإمساك عن الصحابة) لا شك بأنه أسلم من الموقف الأول، ولكن يجب أن يُعلم بأن هذا الموقف هو أحد إفرازات عقيدة النص على الأئمة، وهو ما يدعونا إلى بيان أن البيطار لم يحالفه الحظ عندما اختار مناقشة الخالصي في رأيه في الصحابة، وتَرَك الحديث عن أساس المشكلة وسببها الرئيسي وهو الاعتقاد بوجود نص على الأئمة.

كما ينبغي أن يقال بأن الإعراض عن الطعن في الصحابة يجب أن لا يشكل رفضًا مبطّنًا لبعض الفضائل الثابتة، بل يجب أن يكون طريقًا للإمساك عما جرى بينهم عمومًا، وهو المسلك الذي أرشد له النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث ابن مسعود رضي الله عنه ـ : (**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا**)[١]، والله أعلم.

٢. حكايته اتفاق المحدثين والمؤرخين على أن آية الولاية نزلت في علي رضي الله عنه[٢].

ولعل هذه مجازفة علمية تكررت في كثير من كتب الشيعة، وهي لا تليق من مثل الخالصي الذي يدعو للنقد والتمحيص، **ومع أن مكانة أمير المؤمنين لا حاجة في إثباتها إلى المجازفات العلمية**، إلا أننا نقول هنا: إن أدنى إطلاع على كتب التفسير والحديث تعطي القارئ نتيجة واضحة هي أن جُلّ علماء أهل السنة يضعّفون الحديث، نعم ثمة من حكى الحديث من المحدثين الذين كانت عادتهم يروون بالسند ما بلغهم، ويسكتون بناء على قاعدتهم (من أسند فقد برئ)، وهناك من رواه وضعفه وهم الأغلب، وقسم ذكر أن الآية نزلت في علي رضي الله عنه ولكنهم لم يفسروا الآية بالإمامة، ولكن بمعنى المحبة والنصرة وهو المعنى المتفق عليه عند جميع هؤلاء العلماء الذين ضعفوا الرواية أو الذين لم يضعفوها من أهل السنة.

فكان الأولى بالخالصي أن يستدلَ بتصحيح من صحّحَ الحديث فقط، ثم يرد عليهم المعنى الذي فسروا به الآية ببراهينه، ثم يسند قوله بدلالة الآية على الإمامة بالنص لمن قال به من الشيعة فقط.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير٢/٩٣ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٣٤.

(٢) انظر: الاسلام سبيل السعادة والسلام للخالصي ٤٥.

٣. تحاشي الرد أو نسبة بعض الانحرافات لبعض أعلام المذهب الإمامي.

في طيات نقد الخالصي للغلو وبعض البدع التي لحقت المذهب الإمامي: نجد أنه ينسب الغلو في المنتسب للتشيع إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى: بعض الرواة الكذابين المتقدمين.

الفئة الثانية: طوائف كالشيخية بالذات والبهائية والصوفية أيضًا.

الفئة الثالثة: كثير من الخطباء الذين ينشرون أحاديث الغلاة، وهم في نظر الخالصي ممن اتخذ المنبر وسيلة للارتزاق.

والملاحظة المهمة هي أن الخالصي يتجنب بشكل واضح نسبة ترويج الغلو لكثير من أعلام المذهب الذين يتبنون كثيرًا مما ينكره، كالمجلسي وكثير من المراجع المعاصرين للخالصي، والسؤال: لماذا يتعمد الخالصي ترك نسبة الغلو والخرافات لهؤلاء الأعلام؟

قبل الإجابة عن هذا يجب أن نذكر بأن محمود الملاح ـ وهو أديب قومي من أهل السنة المعاصرين للخالصي ـ قد انتقد الخالصي بشدّة على حصره للغلو في الشيخية فقط[1].

ومهما قلنا فإننا يجب أن نذكر جميع الاحتمالات للإجابة عن هذا السؤال ـ لأن الجزم بأحدها تحكم ـ ولعلها لا تخرج عن أحد الاحتمالات التالية:

- إما أن يكون الخالصي أراد أن لا يدخل في صراع مع المتقدمين من الأعلام أيضًا فاكتفى بذكر أول من بدأ بترويج الغلو وهم الرواة ثم ذكر أبرز الغلاة المروجين من المعاصرين له.

- أو لعله رأى أنّ من مصلحة دعوته القائمة على أساس الإمامة مع محاربة بعض ما يعدّه تغييرًا لمنهج الأئمة أن لا يعّرض بمن يعتقد عامة الناس جلالتهم ومكانتهم فتكون النتيجة جفول الناس عنه وعن أفكاره.

- وإما أن يكون الخالصي قصد أن لا يعطي خصوم الطائفة الإمامية ما يستندون به على إسقاط التشيع جملة وتفصيلًا وهو أمر لا يريده الخالصي لأنه يرى صحة النص والعصمة في الإمامة، وأنه يرى أن هؤلاء المراجع المعاصرين له لا يمثلون التشيع الصحيح.

- وعلى الاحتمال الأسوأ فإننا سنقول: إن الخالصي كان يمارس المراوغة، ويدّعي أنه يحارب الغلو في الظاهر، وهو في الحقيقة يريد الترويج للمذهب فقط، وهذا هو رأي الملاح

---

(١) لو انتقد الملاح الخالصي على حصره الغلو في الفئات الثلاثة التي ذكرنا، والإعراض عن اتهام كثير من المراجع المتقدمين والمعاصرين لكان أدق، انظر كلام الملاح في مجموع السنة ١/١٢٧ ـ ١٥١.

في حقيقة دعوة الخالصي.

ولعل الأرجح أن تكون الاحتمالات الثلاثة الأولى، وأما الاحتمال الأخير فإنه مرجوح لأن الخالصي كان قد بدأ الدعوة إلى محاربة الغلو والخرافات في إيران وتحمّل في سبيل ذلك كثيراً، ولم يكن وضعه في إيران يحمله على التقية، بل على العكس كان المتغلبون هو التيار الذي يحمل الأفكار التي يحاربها، ولهذا لم يجد منهم عونًا على شدّة ما لقي.

كما أنّ تعبير كثير من مثقفي إيران عنه يدل على أنه كان جادًّا في فكرة تنقية المذهب، وأبرز من شهد على ذلك علي قلمداران[١]، والدكتور علي شريعتي[٢]، و يكفي شهادة الشيخ عبد العزيز البدري من أهل السنة على ذلك كما سبق.

كما أن استمرار أبنائه على نفس منهج أبيهم في إيران بعد الثورة الإيرانية، وتعرض أكبرهم(مهدي) للاغتيال يدل على أن توجهات الخالصي تختلف عن التيار التقليدي.

فالنتيجة هي أن الخالصي عندما سكت عن الطعن في بعض المراجع المعاصرين له لم يرد تلميعهم، بل كان يمارس نوعًا من التدليس العلمي، من أجل تحقيق أكبر مكاسب عامة في تحقيق إبراز التشيع الصحيح الذي يعتقده، مع عدم إسقاط التشيع الذي يدعو إليه، أو بمعنى أكبر مكاسب عامة مع أقل أضرار على التشيع الذي يعتقد صحته[٣].

٤. دعوته للوحدة مع تبنيه ما يخالفها.

سبق وأن بينا أن الخالصي كان من القلة الذين يطرحون مشروع وحدةٍ عمليّة، وأنه قام بأعمال لا شك أنها خطوات في طريق الوحدة الإسلامية، فنقده لبعض مظاهر الشرك والغلو، وردّه لبعض البدع لاشك بأنه من أهم ما يؤدي إلى اجتماع كلمة المسلمين، وهذه خطوات محمودة يجب أن نعترف بها للخالصي - وإن خالفناه في مسائل أخرى - لا سيما إذا عرفنا سبقه في هذا المجال من جهة الشيعة.

---

(١) يقول علي حيدر قلمداران رحمه الله: "مع جهل المسلمين وغفلتهم فهل من الممكن أن حكام واشنطن والجالسين على سواحل التايمز والمتربعين على أريكة قصر الكرملين أن يسمحوا لمثل هذه الأفكار[يقصد بعض أفكار الخالصي] أن تأخذ موقعها في عقول المسلمين، أو أن يسمحوا لمجتهد من هذا النمط أن يتبوأ مقام المرجعية العامة لكي يسبب لهم المصاعب ويجلب لهم المتاعب".انظر كتاب علماء الشيعة والصراع مع البدع وثيقة رقم (١٢) - (نقلًا عن مقدمة ترجمة قلمداران لكتاب الإسلام سبيل السعادة والسلام" صفحة (ل) ط: مدينة قم ١٩٥٦م.

(٢) انظر المرجع السابق وثيقة رقم: (٩) .

(٣) هذا ما ظهر لي والله أعلم بالسرائر، وهي كما يعلم القارئ الكريم نتيجة ظنية قابلة للنقاش.

غير أن تجربة الخالصي في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية حملت بعض الثغرات التي يجب عدم تجاهلها، وهي وإن كانت أخف من الشركيات إلا أنها مما تخالف دعوته، وأبرزها موقفه من الصحابة الذين يعرف مكانتهم عن أهل السنة والجماعة ـ الذي سبق بيانه ـ وهذا كفيل في فشل الوحدة التي يدعو لها، وهو ما صرح له به بعض علماء أهل السنة في وقته[1].

ولعل تغير موقف الخالصي في آخر الأمر تجاه الصحابة يبين السبب في نجاحه في خطوات الوحدة بين تياره وبين أهل السنة لا سيما في الأعظمية.

٥. **كما أن من أكبر الملاحظات على الخالصي** صدور بعض العبارات التي قد تشعر بتكفيره لمن لا يتولى الأئمة الاثني عشر، فقد قال في كتابه"الاعتصام بحبل الله": الأئمة الاثنا عشر أركان الإيمان ولا يقبل الله تعالى الأعمال من العباد إلا بولايتهم.اهـ . فقد استدل الدكتور ناصر القفاري بهذه العبارة على تكفير الخالصي لعموم المسلمين[2].

والحق أن يقال: إن كان الخالصي يقصد بالولاية اللازمة للإيمان هي عقيدة الإمامة ـ وهو المتبادر من خطاب أي منتسب للإمامية ـ كما هي عند الاثني عشرية، فإن لازم هذا القول تكفير غير الإمامية.

وإن كان يقصد الولاية هي محبتهم فقط فإنه لن يكفر بعبارته هذه إلا النواصب فقط.

وعمومًا فإن عبارة الخالصي خطيرة، ولا يدعو المتأمل فيها إلى التريث في حملها على تكفير عموم المسلمين إلا قاعدة أهل السنة وهي أن لازم قول البشر ليس بلازم لا سيما إذا علم نفيه لذلك اللازم[3]، وهو وقد صرح في كتابه الذي ألفه بالفارسية للشيعة في إيران[4] أنه لا يكفر أحدًا من المسلمين حتى النواصب ما لم يعلن الكفر أو الشرك، أو ينكر النبوة، أو المعاد الجسماني، أو ينكر ضروريًّا من ضروريات الدين[5].

---

(١) انظر مسألة التقريب للقفاري٢/١١١ ـ ١١٢.

(٢) مسألة التقريب٢/٢٠٩.

(٣) انظر مجموع الفتاوي٢٠/٢١٧.القواعد النورانية١٢٨ ـ ١٢٩.منهج الجدل والمناظرة٨٩٧ ـ ٧١١.

(٤) ثم ترجمه إلى العربية ابنه هادي الخالصي.

(٥) علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين١٦٣.

وهذه العبارة تقتضي أنه لا يعتبر الإمامة من ضروريات الدين لأنه ذكر أشد أعدائها وهم النواصب وأعلن أنه يخالف الذين أفرطوا في الحكم عليهم.

غير أن الخالصي في موضع آخر يعد الإمامة من البدهيات فيقول:"وبعد إثبات التوحيد يصير أمر الإمامة بديهيًا لا يحتاج إلى إقامة دليل"[(١)]،كما يقول:"والعقائد الخمس هي التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد، كلها ثابتة بالبداهة..."[(٢)].

وهنا نتساءل: هل يعد الخالصي كل ما هو بديهي من الضروريات التي يكفر من خالفها أم لا؟. وبلا شك فإن هذا موضع محتمل لأن لبدهيات تختلف من شخص لآخر.

كما أن مما يدعونا للتوقف في تحميل الخالصي مذهب تكفير بقية المسلمين مواقفه العملية مع أهل السنة التي تدل على عدم اعتبارهم كفّارًا، حيث جاهد في صفوفهم في ليبيا وكلهم أهل سنة، وقام بالدعوة إلى الجمعة المشتركة بدون أمر بالإعادة ، وهذا يدل على عدم تكفيره[(٣)] . والله أعلم

والخلاصة: أن الخالصي اضطرب قوله في الحكم على غير الشيعة، وعلى أسوأ الاحتمالات ـ سنُسنِد إليه تكفير غير الإمامية ـ ، ومع ذلك فإن هذا لن يجعل المحققين من أهل السنة حُكْمَهُ عليهم بالكفر مناطًا للحكم عليه هو بالإسلام من عدمه، لأن المحققين لا يكفرّون من كفّرهم ولو كان مخطأ ما دام هو على الإسلام، وأعظم شاهد على هذا صنيع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مع الخوارج حين كفّروه وكفّروا من رضي بحكم الحكمين، ثم انحازوا إلى حروراء وأمروا بالهجرة إليهم، ومع هذا قال لهم :"لكم عندي ثلاث ما صحبتمونا، لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم في أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدؤونا"[(٤)] وهو ما يعني أنه لم يكفرهم بناء على موقفهم منه، وكذا المحققون من أهل السنة لا يكفرون من يكفرهم لمجرد تكفيره لهم، ولذا ردّ جماعة من أهل السنة

---

(١) الإسلام سبيل السعادة والسلام٤٤.

(٢) المرجع السابق٤٩.

(٣) انظر كلام الملاح رحمه الله في الخالصي ومناقشة ذلك ص ٦٠٧ ـ ٦١٢.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٩٠٨ .الكامل في التاريخ٣/٣٣٦ط:دار صادر ١٣٩٨.

على أبي إسحاق الإسفرائيني عندما قال: أكفر من يكفرني ، وكل مخالف يكفّرنا فنحن نكفره، وإلا فلا[١].

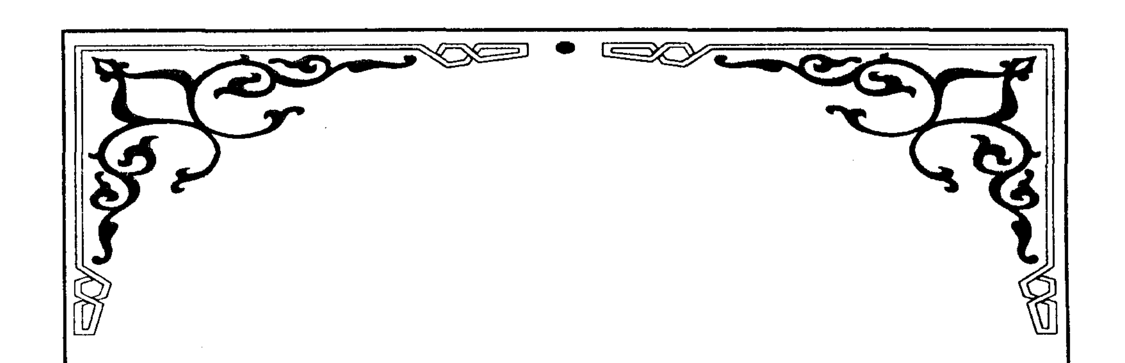
وختامًا: فإن محمدًا الخالصي وإن كان لم يسلم ـ مما يُعدّ بدعة كبيرة في ميزان أهل والسنة ـ إلا أنه قد سَلِم من الشركيات والغلو الظاهر، كما أنه خطا خطوات محمودة نحو تنقيته الإسلام والتشيع من الشرك والغلو، وهذا من الجهاد العظيم الذي لم يجسُر عليه كثير من الناس، كما أنه جزء من التمسك الصحيح بالعترة؛ الوارد في حديث زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)[٢]، فإن التمسك الحق بأئمة العترة يعني بالدرجة الأولى متابعتهم على منهجهم في أصل الدين وهو التوحيد، ونفي الغلو والخرافة عن طريقهم الذي كثر حوله المفسدون والكذابون، وهو ما يُلقي حملًا ثقيلًا على الأمة بالدرجة الأولى وعلى من أراد الانتساب الحقيقي إلى أئمة آل البيت، وذلك بأن يسعى لتنقية تراثهم العقدي من الشوائب التي لا تزال حجر عثرة في طريق الاستفادة من رواياتهم رحمهم الله، وقد قام الخالصي بخطوة مشكورة في هذا المجال، فيجب أن يُعترف له به، لكن تجربته فيها ثغرات ينبغي أن يتممها المخلصون لأفكاره من أبناء الطائفة وعلى رأسهم أبناؤه ـ وفقهم الله لكل خير وصواب.



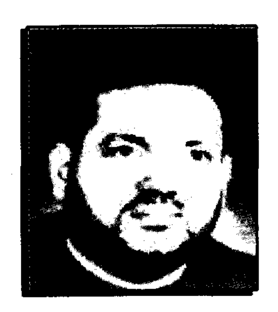
---

(١) انظر: درء التعارض١/٩٥. شرح العقيدة الطحاوية٤٣٥.

(٢) الترمذي٥/٦٢٢ح٣٧٨٨.مسند الإمام أحمد٣/١٤، ١٧.و قال الهيثمي: إسناده جيد. وقال الألباني: صحيح(صحيح سنن الترمذي ح٢٩٨٠) . والحديث أصله في مسلم (٢٤٠٨).



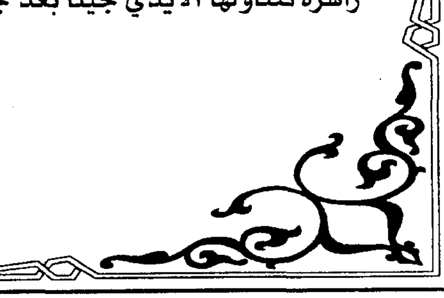
الفصل الثاني

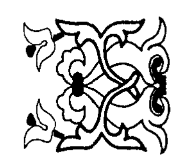


الدكتور
موسى الموسوي

"إن دعاة التحرر السياسي يلاقون تأييدًا وتصفيقًا من الطبقة التي يريدون تحريرها، وأما دعاة التحرر الفكري فلا يجدون في كثير من الأحيان غير الأشواك.. إلا أنني أعلم أيضًا أنه كثيرًا ما تنقلب هذه الأشواك إلى ورود زاهرة تتناولها الأيدي جيلًا بعد جيل "

موسى الموسوي



المبحث الأول

ترجمته



اسمه ونسبه:

هو موسى بن الحسن بن السيد أبي الحسن بن محمد بن عبد الحميد الأصفهاني الموسوي. ينتهي نسب عائلته بواسطة أربعة وثلاثين عقِبًا إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظم رحمه الله تعالى[١].

ولادته ونشأته:

ولد الدكتور موسى الموسوي رحمه الله في النجف عام ١٩٣٠م، ونشأ موسى الموسوي في بيت شيعي مشتهر بالعلم، فجدّه "أبو الحسن الأصفهاني"[٢] أحد أبرز مراجع الشيعة في القرن الماضي.

وطلب العلم من صغره في النجف، وواصل تعلمه في جامعتها، وحصل على الشهادة العليا في الفقه الإسلامي التي تمثل درجة الاجتهاد، وذلك عام ١٣٧١هـ، وقد منحه أحد زعماء الحوزة العلمية في النجف وهو آية الله محمد الحسين آل كاشف الغطاء إجازة علمية[٣]. ومن أبرز من تلقى عنهم الموسوي: جده أبو الحسن الأصفهاني، وأبو القاسم الخوئي[٤]. وحصل الموسوي على شهادة الدكتوراة في التشريع الإسلامي من جامعة طهران عام ١٩٥٥م. كما حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة باريس

---

(١) انظر
www.al_shia.com/html/ara/books/farzanegan/mosavi.htm .

(٢) هو أبو الحسن بن محمد بن عبد الحميد الأصفهاني الموسوي، ولد سنة ١٢٧٧هـ، كان يمثل أكبر مرجع للشيعة بعد وفاة محمد تقي الشيرازي(١٣٣٨هـ) وأحمد كاشف الغطاء(١٣٤٤هـ) ثم وفاة محمد حسين النائيني(١٣٥٥هـ). توفي في الكاظمية سنة ١٣٦٥هـ. انظر المرجع السابق(الموقع) وكتاب الشيعة والتصحيح٥.

(٣) انظر صورة الإجازة في كتاب الشيعة والتصحيح١٥٨.

(٤) انظر الشيعة والتصحيح ١٣٣.

(السوربون) عام ١٩٥٩م.

أعماله:

عمل الدكتور الموسوي أستاذًا للاقتصاد في جامعة طهران ما بين عامي ١٩٦٠ - ١٩٦٢م.

كما عمل أستاذًا للفلسفة الإسلامية في جامعة بغداد ما بين ١٩٦٨م - ١٩٧٨م.

انتخب رئيسًا للمجلس الأعلى الإسلامي في غرب أمريكا عام ١٩٧٩م.

عمل كأستاذ زائر في جامعة هالة الألمانية (الديمقراطية آنذاك)، وأستاذًا معارًا في جامعة طرابلس بليبيا ما بين١٩٧٣م - ١٩٧٤م، ثم أستاذًا باحثًا في جامعة هارفارد بالولايات المتحدة عام ١٩٧٥م حتى ١٩٧٦م، ثم أستاذًا موفدًا في جامعة لوس أنجلوس عام ١٩٨٧م(١).

مؤلفاته:

١. من الكندي إلى ابن رشد.
٢. إيران في ربع قرن.
٣. قواعد فلسفية.
٤. الجديد في فلسفة صدر الدين.
٥. من السروردي إلى صدر الدين.
٦. فلاسفة أوروبيون.
٧. الثورة البائسة.
٨. الجمهورية الثانية.
٩. الشيعة والتصحيح.
١٠. الصرخة الكبرى أو عقيدة الشيعة الإمامية في أصول الدين وفروعه في عصر الأئمة وبعدهم.
١١. يا شيعة العالم استيقظوا.
١٢. الديمقراطية في عصر الخلفاء الراشدين.
١٣. فقه الصادق.
١٤. المتآمرون على المسلمين الشيعة.

وفاته:

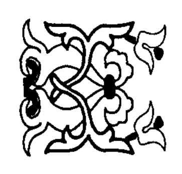
توفي الدكتور موسى الموسوي رحمه الله تعالى عام ١٤١٧هـ.

---

(١) من ترجمة الموسوي لنفسه في خاتمة كتاب الصرخة الكبرى.



المبحث الثاني
دعوته إلى التصحيح



قام موسى الموسوي بتقديم أفكار إصلاحية في مذهب الإمامية، وتبنى ذلك في فترة عصيبة، فالثورة الإسلامية بقيادة الخميني كانت في أوج قوتها، ومن سماتها البارزة العنف الذي يسميه الموسوي "الإرهاب وتصفية المخالفين"، وهو ما يجعل مهمة التصحيح صعبة جداً.

ويمكن تلخيص ملامح دعوة الموسوي الإصلاحية الأساسية بما يلي:

أولاً: أهدافه:

١ - العودة إلى التشيع الأول.

بيّن الموسوي بأن الهدف النبيل الذي يسعى إليه هو الرجوع بالأمة إلى ما يسميه بـ" التشيع الخالص"، وهو ما كان عليه أئمة آل البيت من الاعتقاد الذي لا يختلف مع عقيدة جماعة المسلمين إلا في مسألة تفضيل علي فقط، كما سيأتي.

٢ - إصلاح الخلل العقدي الذي لحق بالشيعة،وذلك بالعودة إلى عهد السلف في أصول العقيدة والاحتكام للقرآن[١].

٣ - أن يصبح الخلاف بين الشيعة والسنة خلافاً فقهياً، شأنه شأن الخلاف بين المذاهب الأربعة[٢].

٤ - الأخذ بفقه جعفر الصادق مباشرة وترك التبعية للمجتهدين الفقهاء، وهو ما دفعه لتأليف كتاب "فقه جعفر الصادق"[٣].

---

(١) الصرخة الكبرى ١٢، ٢٣. يا شيعة العالم استيقظوا ٤٥، ٦١.

(٢) الصرخة الكبرى٦، ١٢.

(٣) يا شيعة العالم استيقظوا ٤٥، ٦٢.

ويقول الموسوي: "غرضي هو هدم النظام الفكري الذي عصف بالشيعة في إيران وغير إيران، وحتى عندما يسقط النظام السياسي الحالي في إيران؛ فما دام هذا النخر الفكري موجود في طي العقيدة فإن مأساتنا قابلة للتكرار كلما وجدت فئة تريد تأجيج النار وإحياء البدع.."[1].

ويصرح الموسوي رحمه الله ـ وبكل تجرد وموضوعية ـ بأن مذهب الإمامية لا يُقارن بغيره من المذاهب في درجة مدى الانحراف، وهو ما دعاه للتركيز على الإصلاح في مذهبه، فيقول:

"وهنا أسلك طرق الصراحة لأقول: إن العقائد والبدع الغريبة الموجودة في مذهبنا بلغت من الهول ما لا يقاس بما عند أرباب المذاهب الأخرى..".

وهذه المصداقية مما ينبغي أن تسجل للموسوي رحمه الله، فإنها بلا شك من البر الذي يُهدى به الإنسان إلى أبواب كثيرة من الخير،خلافاً للكذب وإخفاء الحقائق الذي يقود إلى الفجور كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا» متفق عليه[2].

طريق التصحيح في نظر الموسوي:

تميز الموسوي بأنه لم يكتف بالنقد العلمي فقط، بل تبنى وضع برنامجاً عمليًا يصل من خلاله دعاةُ الإصلاح في المذهب إلى ما يسميه الموسوي بـ"الخلاص الأبدي" من النفق المظلم الذي دخل فيه الإمامية بعد الأئمة.

وهذا البرنامج يمكن تلخيصه بما يلي:

١. اختيار فريق من العلماء لغربلة الروايات والأحاديث، ثم طباعة هذه الكتب المنقحة ونشرها بشكل واسع.
٢. نشر وترجمة كتابه"فقه الصادق" إلى عدّة لغات ، ليكون الشيعة مقلدين للصادق مباشرة، ويسألون في المستجدات وما يخفى عليهم فقط.

---

(١) الصرخة الكبرى ١٢ ـ ١٣،وانظر أيضًا: ٢٢ ـ ٢٥.

(٢) البخاري رقم ٦٠٩٤. مسلم رقم ٢٦٠٧. وقال ابن حجر: (البر) اسم جامع للخيرات كلها، ويطلق على العمل الخالص الدائم. فتح الباري ١٠/٥٢٤.

٣. إنشاء مركز دائم لتهيئة دعاة التصحيح، حتى لا تموت الفكرة بموت شخص أو أشخاص معدودين، ويشترط الموسوي لنجاح هذا المركز أن يكون في بلد يعطي الحرية لنشر الأفكار، بعيدًا عن أي كبت أو منع لنشر المطبوعات.

٤. التركيز على التصحيح والإصلاح في إيران، لأنها ـ في نظر الموسوي ـ المركز الرئيسي للتشيع الإمامي، ولأن التشيع في العالم يتأثر كثيرًا بأي تغير فكري لدى شيعة إيران.

٥. إصدار مجلة تعتني بالتصحيح والدعوة للإصلاح.

٦. تكوين "لجنة التصحيح" تضم أعلامًا من الشيعة المؤمنين بدعوة الإصلاح سواء من المختصين بالعلوم الشرعية أو المثقفين أو غيرهم ليشرفوا على عقد المؤتمرات من أجل التصحيح.

هذه هي الخطوات العملية التي طالما تمنى الموسوي لو وجدت إلى أرض الواقع سبيلًا لتنفيذها، غير أن الظرف الزمني والقناعات المترسخة في أعماق الملايين ووجود دولة تتبنى الاتجاه التقليدي يجعل من مهمة الإصلاح عملية بطيئة.

والعجيب أن الموسوي يتمتع بنفسية قوية وروح متفائلة فهو يبدي قناعته بأن هذه العوائق مؤقتة، وأن انتصار الحق حقيقة لا بد من وقوعها ولو بعد حين، وفي هذا يقول الموسوي: "إن دعاة التحرر السياسي يلاقون تأييدًا وتصفيقًا من الطبقة التي يريدون تحريرها، أما دعاة التحرر الفكري فلا يجدون في كثير من الأحيان غير الأشواك...إلا أنني أعلم أيضًا أنه كثير ما تنقلب هذه الأشواك إلى ورود زاهرة تتناولها الأيدي جيلًا بعد جيل، وذلك عندما يعطي الإصلاح الفكري أكله ويقتنع الناس به...وعندما نمعن النظر في تاريخ الإصلاحات الفكرية والاجتماعية والسياسية نجد أن كل واحد منها مهما كان محفوفًا بأخطار جسام، إلا أن الحقيقة والحق انتصر في نهاية المطاف، لأن الحق يستمد قوته من صاحب الحق الذي أمرنا باتباعه .."[1].

وبهذا يبين لنا أن الموسوي يتبنى دعوة إصلاحية، وليس نقدًا مجردًا، فضلًا عن كونه ـ كما تخيل بعض أهل السنة ـ يستخدم التقِيَّةَ في نشر المذهب الشيعي. والله أعلم.



(١) يا شيعة العالم استيقظوا ٤٦.



المبحث الثالث

آراء موسى الموسوي



ثمة مبدأ مهم وضعه الدكتور موسى الموسوي نصب عينيه قاده لكثير من الأفكار والتحولات، ألا وهو المبدأ القائل: (النقد طريق اليقين)، وقد وضح الموسوي سبب تمسّكه بهذا المبدأ بقوله:(الناقد يتأثر بمحتوى الفكرة التي يقوم بنقدها نفيًا أو إثباتًا، يعني أن الفكرة بدأت تتغلغل في أعماقه بالإيجاب أو السلب، ولم تظهر حتى الآن مدرسة فكرية في التاريخ الإنساني إلا أنها تأسست على دعائم النقد)[1].

كما أن الأفكار التي تبنى الدكتور الموسوي نقدها تميزت بالشمولية، حيث تطرق لنقد أمور أساسية في العقيدة وأخرى سياسية وثالثة فقهية، كما تطرق لنقد وضع "المرجعيات الشيعية"، و اشتملت أفكاره أيضًا على توصيف لعلاج ما يعده خللًا في المذهب، بوضعه برنامجًا عمليًّا كما سبق.

وبالعموم فإن الموسوي يصرح بأنه يريد الوصول إلى إعادة نشر المنهج الصحيح لمذهب آل البيت، وهو المنهج الذي يعتقد الموسوي بأنه متفق مع القرآن والسنة النبوية الصحيحة والعقل، خلافًا لكثير من الأفكار التي لحقت بالمذهب الشيعي بعد عصر الأئمة مما يعده الموسوي مخالفًا للنصوص والعقل.



---

(١) الصرخة الكبرى أو عقيدة الشيعة الإمامية في أصول الدين وفروعه في عصر الأئمة وما بعده١٢٩.

* المطلب الأول *
مسائل تتعلق بالتوحيد

من أهم المسائل التي سعى الموسوي لبيانها وتأكيدها :

١. وجوب إفراد الله تعالى بخصائص الربوبية.

فقد صرح الموسوي بأن الله تعالى هو المنفرد بالخلق والرزق وغيرها من صفات الله تعالى[١]، خلافًا لما يروج له الغلاة من قدرة الأئمة على الخلق والرزق والتصرف في الكون باسم الولاية التكوينية، كما سبق.

كما صرح الموسوي بأن علم الغيب هو من خصائص الله تعالى، وأن الروايات التي حاولت نسبة علم الغيب للأئمة هي روايات باطلة[٢].

٢. وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة.

بين الموسوي بأن الله تعالى وحده هو المستحق للعبادة، وأن صرف شيء من العبادات لغير الله تعالى شرك، فهو يقول: "فلا تجوز عبادة غيره [أي الله] بوجه من الوجوه، ومن أشرك في العبادة غيره فهو مشرك"[٣].

كما بين الموسوي أن الغلو قد بلغ ببعض المسلمين ـ من السنة والشيعة ـ إلى نهاية خطيرة؛ ألا وهي طلب الحاجات من الأئمة والأولياء، أو طلب الشفاعة منهم، أو الطواف حول قبورهم تأسيًا بالطواف حول الكعبة، ثم يقول الموسوي: "وهذه الأمور منهي عنها في الشريعة نهيًا قاطعًا، فطلب الحاجة يجب أن يكون إلى الله وحده"[٤].

ويبين الموسوي سبب معارضته لطلب الحاجات من غير الله تعالى بقوله: "أي

---

(١) الصرخة الكبرى ص٣٦.

(٢) المتآمرون في المسلمين الشيعة للموسوي ص ١٩٢.

(٣) الصرخة الكبرى٣٦.

(٤) المتآمرون في المسلمين الشيعة للموسوي ص١٩٢.

معاناة أكثر من أن يطلب الإنسان حاجاته من أناس لا يستطيعون إجابتها، وأي معاناة أكثر من أن يكون دعاؤنا وطلب حوائجنا في غير مظانه، إن مظان استجابة الدعوات هو التوسل إلى الله تعالى حسب أمره وصريح قوله في القرآن المنزل على رسوله ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر٦٠] ولم يقل ادعو غيري نبيًّا كان أو وليًّا حتى استجب لكم.."[1].

وقد بين الموسوي أن ما يفعله بعض المسلمين من تقديم القرابين والسجود والركوع والتقبيل للأضرحة، هو مما يتفقون فيه مع الأمم الأخرى التي ضلت عن التوحيد كالنصارى وعبّاد بوذا والسيخ وغيرهم ممن يصفهم الموسوي بأنهم قد تركوا الله جانبًا وأخذوا يطلبون الحاجات من الصالحين كالمسيح ومريم العذراء، وغيرهم من الصالحين الذين يتوجه لهم الناس في سائر الأرض[2].

كما بيّن الموسوي بأن القرآن صريح في نقض هذه الأفعال، مستدلًا بقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [الأعراف١٨٨] وغيرها من الآيات التي يذكرها الموسوي في هذا المجال[3].

وهذا كله مما يظهر لنا أن الموسوي يتبنى الدعوة إلى التوحيد الصافي من مظاهر الشرك مع الله تعالى في الربوبية والألوهية، كما أنه يتبنى القول بأن ما يدعو إليه هو ذات التوحيد الذي كان عليه الأئمة من آل البيت[4].

❋❋❋

(١) يا شيعة العالم استيقظوا /للموسوي ص٥٦، وانظر كلامه أيضًا في الشيعة والتصحيح ص٨٤.

(٢) الشيعة والتصحيح ٨٥.

(٣) انظر بقية الآيات في المرجع السابق٨٥ ـ ٨٦. والصرخة الكبرى١٣٢.

(٤) انظر: الصرخة الكبرى ٣٦.

* المطلب الثاني *
موقفه من الغلو

يذكر الموسوي بأن الغلو قد وجد طريقه إلى نفوس كثير من أبناء الأمة الإسلامية ـ سواء الشيعة منهم أو السنة ـ ، **وينص الموسوي بأن الغلو ظهر في الأمة في صورتين:**

الصورة الأولى : الغلو النظري.

ويعني به الموسوي الغلو في جانب الاعتقاد والتصور، وفي سبيل توضيح ذلك يشير الموسوي إلى شيء من صور الغلو النظري بقوله: "اعتقاد الإنسان في حق إنسان آخر أنه قادر على الإتيان بكرامات أو معجزات أو أمور خارقة وغير عادية، لا يستطيع الإتيان بها عامة الناس، كما أن الإيمان بتأثير إنسان ما حيًّا كان أم ميتًا في حياة الآخرين؛ خيرًا أو شرًّا، في الدنيا والآخرة هو مظهر من مظاهر الغلو"[(١)].

كما يبين الموسوي ـ وبكل تجرد ـ أن الغلو النظري يوجد في كتب المذهب الإمامي بكثرة لا مثيل لها عند الفرق الأخرى، ثم يرجع السبب في ذلك إلى رفض علماء الإمامية تفنيدَ الروايات و عدم تهذيب تلك الكتب[(٢)].

ويشير الموسوي إلى "الأفكار الغلوائية" المتمثلة بتلك القصص والمعجزات والكرامات التي تنسب للأئمة في كتاب بحار الأنوار، والتي يصف الموسوي كثيرًا منها بأنها "حكايات تصلح لتسلية الأطفال"[(٣)].

الصورة الثانية: الغلو العملي.

ويعني به الموسوي طلب الحاجات الدنيوية والأخروية من الأئمة والاستغاثة بهم ، ونحوها من الأعمال التي استحدثها الناس مما يخالف قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾

---

(١) الشيعة والتصحيح ٨٠.

(٢) المرجع السابق ٨٠.

(٣) المرجع السابق٨٦.

[الاعراف١٩٤][1].

ويرى الموسوي بأن الغلو قد وجد طريقه إلى كثير من أبناء كل فرقة ومذهب من المذاهب الإسلامية، باستثناء الطائفة السلفية التي يصف الموسوي أتباعها بأنهم "استطاعوا أن يحطموا القيود التي قيدت عقول الناس وقلوبهم على السواء"[2] وإن كان الموسوي يذكر في مواضع أخرى مخالفته للسلفية في طريقة التعامل مع انحرافات الناس والنظرة العصرية للأمور.



(١) المرجع السابق٨٤ ـ ٨٥.الصرخة الكبرى١٣٢.

(٢) الشيعة والتصحيح ٨٠.

* المطلب الثالث *
موقفه من القرآن

من المسائل العقائدية المهمة التي ناقشها الموسوي مسألة القرآن الكريم، فقد بين رحمه الله تعالى اعتقاده في القرآن بقوله: "نرى بأن قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] نصٌ صريح يدحض كل الأقوال حول تحريف القرآن.." اهـ، كما أن الموسوي يؤكد أن القول بالتحريف والإيمان بالقرآن أمران متناقضان لا يمكن أن يجتمعا[١].

كما ذكر رحمه الله بأن القول بالتحريف وقع في هذه الأمة، وأن القائلين به من علماء الشيعة الإمامية هم القائلون بالتحريف بين الفرق الإسلامية، وقد مثل الموسوي لهؤلاء بالنوري الطبرسي الذي ألف كتاب (فصل الخطاب) الذي يقول عنه الموسوي: "ذكر في الكتاب المذكور عبارات زعم أنها آيات قرآنية محرفة"[٢].

كما تحدث الموسوي عن السبب الذي دفع القائلين بالتحريف إلى التشبث بهذا القول الخطير، مبينًا ـ وباختصار ـ أن عدم وجود نص على إمامة علي في الآيات والسور الموجودة في هذا المصحف المنتشر هو الدافع لمثل هذا القول الباطل، مما جعلهم يذهبون إلى دركة أبعد وهي القول بالتحريف[٣].

عقبات أمام القول بتحريف القرآن.

بين الدكتور موسى الموسوي بأن القول بتحريف القرآن يصطدم بعقبات كبيرة، تبين بطلان هذا القول، ومن هذه العقبات:

أولًا: الوعد الإلهي الصريح بحفظ القرآن.

ثانيًا: إقرار علي رضي الله عنه في أيام خلافته بهذا القرآن الموجود بين يدي المسلمين، وعدم إخراجه أي شيء مما يزعمه القائلون بالتحريف من الآيات والسور التي تنص على إمامته[٤].

---

(١) الشيعة والتصحيح ١٣١.

(٢) المرجع السابق ١٣١.

(٣) انظر المرجع السابق ١٣١.

(٤) انظر الشيعة والتصحيح ١٣١.

ثالثًا: أمر أئمة آل البيت بالرد إلى القرآن[(١)]، وهو ما يبعد معه أن يكون القرآن الموجود محرفًا، لأنه لو كان محرفًا لكان الأمر برد الروايات والتحاكم إليه أمرًا بالتحاكم إلى المحرف، وهذا بعيد على الأئمة رضي الله عنهم[(٢)].

موقفه من عدم الاهتمام بالقرآن

يذكر الموسوي بأن من أهم الفروق بين مدارس أهل السنة العلمية وحوزات الشيعة العلمية هو أن مدارس أهل السنة تهتم بالقرآن حفظًا ودراسةً، خلافًا للحوزات العلمية التي يقول عنها الموسوي : "وهذا أمر لا تهتم به الحوزات الدينية عند الشيعة، فلا توجد هناك دروس في التفسير وعلوم القرآن، ولا توجد مادة بين المواد التي تدرس بهذا الاسم، فقلما نجد طالبًا في العلوم الدينية يحفظ القرآن الكريم، في حين أن طلاب السنة ومشايخهم يهتمون كثيرًا بحفظه.

وأذكر أن الإمام الخوئي رحمه الله بدأ بتدريس التفسير في ليالي الجمعة واستمر سنتين، وكان يرغب في إدخال التفسير ضمن الدروس المنهجية، إلا أنه لم يستمر في هذا الأمر لأن بعض أفراد الحاشية وقفوا موقف المعارضة..ولعل السبب في هذا يعود إلى أن الخوض في تفسير القرآن الكريم والدخول في أبحاثه ينسف نسفًا قاطعًا كثيرًا من البدع التي ألصقت بعقائدنا نحن الشيعة الإمامية..."[(٣)].

ومن خلال ما سبق يظهر لنا بجلاء مدى تجرد الموسوي في نقده، حيث أقر بمزية عملية لأهل السنة وهي الاهتمام بالقرآن، في حين يبدي أسفه على إعراض الحوزات العلمية عن تعليم القرآن كمادة أساسية في تخريج طالب العلم والمجتهد، وهو ما يدل على توجه محمود لدى الموسوي في التمسك بالقرآن اعتقادًا وتعلمًا وتعليمًا.

يجدر بنا أن نقول: بأن الموسوي يتحدث عن المرحلة التي عاشها وهي الممتدة من الثلاثينيات إلى التسعينيات في القرن الميلادي الماضي، ومن الإنصاف أن يقال: بأن ما يتحدث عنه الموسوي يصدق على الاتجاه التقليدي وهو العام على الساحة، ولا يصدق هذا الحكم على كثير من أصحاب التوجهات الإصلاحية التي نلقي عليها الضوء في هذا البحث.

كما أن المراقب يرى إقبالًا من قِبَل التيار التقليدي الشيعي على جعْل القرآن ضمن البرامج المعلنة في القنوات والإذاعات، ولعل هذه الخطوة المحمودة مما ينبغي تشجيعها.

❁❁❁

---

(١) وقد سبق ذكر كثير من أقوالهم.

(٢) انظر: الشيعه والتصحيح ١٣٥.

(٣) المتآمرون على المسلمين الشيعة ص ٢٠٤.

* المطلب الرابع *
رأيه في الإمامة

الإمامة عند الموسوي.

يرى الدكتور الموسوي بأن الإمامة ثابتة لآل البيت ابتداء من علي رضي الله عنه ثم الحسنين رضي الله عنهما وهكذا إلى بقية الأئمة الاثني عشر.

ويرى الموسوي بأن هذه الإمامة لا تعني القيادة السياسية التي هي "الخلافة"، وإنما تعني القيادة الروحية أو القيادة العلمية للأمة[١].

ويرى الموسوي بأن حديث زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما" وفي رواية: "تركت فيكم الثقلين.."[٢]،

وبينما يستدل الشيعة بهذا الحديث على وجوب قيادة أهل البيت للأمة، يرى الموسوي بأن هذا الحديث صريح في بيان القيادتين المنفصلتين، الأولى: هي قيادة دستورية وهي القرآن، والثانية : قيادة علمية أو روحية وهي للأئمة أهل البيت، ويبين أن القرآن الذي هو القيادة الدستورية يدل على أن الخلافة بالشورى[٣] وليس بالنص.

إذن فالموسوي يرى أن الإمامة في الاثنى عشر هي قيادة علمية روحية فقط، لا تتعلق بالسياسة أبداً.

الخلافة بالشورى

يؤكد الموسوي أن الخلافة - أو القيادة السياسية - في الأمة تثبت بالشورى

---

(١) المتآمرون على المسلمين الشيعة ٢١.

(٢) الترمذي٥/٦٢٢ح٣٧٨٨ واللفظ لهما .ورواه الإمام أحمد٣/١٤، ١٧.و قال الهيثمي: إسناده جيد. وقال الألباني: صحيح (صحيح سنن الترمذي ح٢٩٨٠) وانظر السلسلة الصحيحة٤/٣٥٥.وله روايه عند مسلم بلفظ آخر (رقم ٢٤٠٨).

(٣) المتآمرون على المسلمين الشيعة ٢١.

بدلالة القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى٣٨] وقوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران١٥٩].

وعليه فإن الموسوي ـ مع قوله بأن عليًّا أولى بالخلافة من غيره[١] ـ نجده يؤكد أن تجربة الأمة الأولى في تعيين الخلفاء بالشورى هو الموافق للقرآن، وفي هذا يقول الموسوي:"إن المسلمين انتخبوا الخلفاء انتخابًا شرعيًّا لا غبار عليه، وإن الإمام عليًّا بايع الخلفاء برضا ورغبة منه، وإنه قال خير الكلام فيهم، وكان يخلص لهم المشورة والرأي، ويمدهم بما يسألونه من نصيحة وفكر"[٢].

ويبين الموسوي أن قول الإمامية في الإمامة يصطدم بخمس عقبات كبيرة، هي[٣]:

١. موافقة الصحابة ـ وهم الذين حموا الإسلام ونشروه ـ للقول بالشورى.
٢. أقوال علي رضي الله عنه التي لا تجتمع مع القول بالنص، مثل قوله للناس "دعوني والتمسوا غيري" وغيره مما سبق نقل كثير منه[٤].
٣. مبايعة علي رضي الله عنه للخلفاء.
٤. ثناء علي رضي الله عنه على الخلفاء الراشدين، مثل قوله: "لله در عمر فقد قوم الأمد، وداوى العمد، وأقام السنة، ذهب نقي الثوب، قليل العيب.."[٥] ونحوه من الأقوال.
٥. أقوال الأئمة ومواقفهم التي تبين أن الخلافة بالشورى، مثل قول علي ـ لما طلبوا منه أن يستخلف ـ فقال:"أترككم كما ترككم رسول الله"، ومثل تنازل الحسن عن القيادة السياسية، وغيرها من الأقوال التي سبق ذكرها[٦].

رأي الموسوي في تأخر بيعة علي لأبي بكر رضي الله عنهما.

يعتقد الموسوي بأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يرى أولويته في الخلافة ولذا تأخر في مبايعة أبي بكر رضي الله عنه، ولكن الدكتور الموسوي يقرر أمورًا مهمة وهي :

١. أن عليًّا مع رأيه بأنه الأحق، ومع تأخره إلا أنه بايع أبا بكر رضي الله عنهما وأرضاهما،

(١) الصرخة الكبرى ٤٣، الشيعة والتصحيح ١٤.
(٢) الصرخة الكبرى ٤٣.
(٣) انظر الشيعة والتصحيح ٣٠ـ٤٦، المتآمرون على المسلمين الشيعة١٣١، ١٤٣. وانظر: البرقعي.
(٤) انظر ١٣٩ـ١٤١.
(٥) نهج البلاغة ص ٥٠٩.
(٦) انظر البرقعي ص ١٤١.

وهو ما يدل على أن الخلافة بالشورى حتى عند علي رضي الله عنه[١].

٢. أن تأخر علي ومن معه، ومثله سعد بن عبادة الذي يقول عنه الموسوي بأنه لم يبايع[٢] لم يمثل خرقاً في البيعة التي ثبتت بمبايعة الأكثرية، كما هو سائد في نظام الشورى[٣].

٣. أن تأخر علي و عدم مبايعة سعد بن عبادة رضي الله عنهما يمثل حالة راقية في الانتخاب الإسلامي ، من خلال صيانة الحق الدستوري للفرد بأن يختار من يشاء، من دون أي قمع أو إكراه[٤] ، لاسيما في مجتمع قبلي لم يكن يعرف هذه المعاني[٥].

ولذا يصف الموسوي هذه الحالة السياسية الغريبة على العرب بـ"النبوغ المفاجئ الذي ظهر في البيئة الإسلامية في عصر الهجرة وفي أثناء حكم الخلفاء الراشدين" ويقول الموسوي عن هذا التطور الفكري عند المسلمين: "إن ما أحدثه القرآن الكريم وتعاليم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وسيرته وأخلاقه وشخصيته في المجتمع الإسلامي حينذاك أحدث

---

(١) المتآمرون على المسلمين الشيعة ٧٤، ١٣٠. وانظر مبايعة علي رضي الله عنه في حديث أبي سعيد عند البيهقي في الاعتقاد (١٧٨) بسند قال عنه ابن كثير: إسناده صحيح (انظر: البداية والنهاية٥/٢٨٠).

(٢) ومما يدل على إقرار سعد رضي الله عنه ما جاء عند الإمام أحمد من رواية حميد بن عبد الرحمن بن عوف في قصة السقيفة أن أبا بكر رضي الله عنه أنه قال: "ولقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "لو سلك الناس واديًا، وسلك الأنصار واديًا سلكت وادي الأنصار"، ولقد علمت يا سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد: "قريش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم، فقال سعد عند ذلك: صدقت ونحن الوزراء وأنتم الأمراء"..(المسند ١/١٨) . قال ابن تيمية رحمه الله:"فهذا مرسل حسن ولعل حميدًا أخذه عن بعض الصحابة الذين شهدوا ذلك، وفيه فائدة جليلة جدًا وهي أن سعد بن عبادة نزل عن مقامه الأول في دعوى الإمارة وأذعن للصديق بالإمارة فرضي الله عنهم أجمعين" (منهاج السنة ١/٥٣٦ ـ ٥٣٧).

(٣) الصرخة الكبرى ٨١. ويقول ابن تيمية عن بيعة أبي بكر: "لو قدر أن عمر وطائفة معه بايعوه، وامتنع سائر الصحابة عن البيعة، لم يصر إمامًا بذلك، وإنما صار إمامًا بمبايعة جمهور الصحابة، الذين هم أهل القدرة والشوكة، ولهذا لم يضر تخلف سعد بن عبادة، لأن ذلك لا يقدح في مقصود الولاية، فإن المقصود حصول القدرة والسلطان اللذين بهما تحصل مصالح الإمامة، وذلك قد حصل بموافقة الجمهور على ذلك..(منهاج السنة١/٥٣٠) .كما بين النووي رحمه الله أن البيعة لا يلزم أن تتم بمبايعة كل الناس، ولا كل أهل الحل والعقد، وإنما تتم بمن تيسر من العلماء والوجهاء والرؤساء ووجوه الناس، وأن من لم يبايع لا يعتبر عاصيًا ما لم يظهر خلافًا أو يشق عصا الطاعة وهو ما كان من علي رضي الله عنه في المدة التي تأخر فيها.(انظر شرح صحيح مسلم ١٢/٧٧ ـ ٧٨) .

(٤) يقول ابن تيمية:" ثم الأنصار جميعهم بايعوا أبا بكر إلا سعد بن عبادة لكونه هو الذي كان يطلب الولاية".(منهاج السنة ١/٥١٨)

(٥) الصرخة الكبرى ٨١، المتآمرون على المسلمين الشيعة٧٤

نبوغاً مفاجئًا لعامة المسلمين في تفكيرهم وشؤون حياتهم فكانت الديمقراطية والحرية المتمثلة بتطبيق الشورى والحكم العادل المتمثل في الخلافة الراشدة"[١].

والخلاصة أن الموسوي يرى بأن موقف الإمام علي رضي الله عنه ومن معه لم يحمل عند الأمة الإسلامية إلا على حق دستوري عوّد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صحابتَه وأمتَه عليها، ولا شك بأن تحليل الموسوي للحالة السياسية التي مرت بها الأمة هو تحليل منصف، هذا ليس بمستغرب منهم إذا علمنا أنه لا يتنكر لمكتسبات الأمة، ولا لمجدها الذي حققته، وهو ما يدل على توجه محمود عند الموسوي رحمه الله، خلافاً لمن حمله موقف الأمة الرفيع في انتخاب أبي بكر على الحقد والبغضاء للجيل الذي هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تاركاً أمواله وأولاده، وحمى رسول الله من المنافقين والمشركين، ، ثم نشروا دين الإسلام من بعده في أرجاء المعمورة، رضي الله عنهم وأرضاهم.



(١) الصرخة الكبرى ٨٤ ، وانظر المتآمرون على المسلمين الشيعة ١٣٠.

مراحل تطور عقيدة الإمامة عند الإمامية في نظر الموسوي

يرى الدكتور الموسوي بأن فكرة الإمامة عند الإمامية مرت بمرحلتين:

المرحلة الأولى: عهد الأئمة.

ويشير الموسوي إلى المرحلة التي عاش فيها الأئمة من حياة علي رضي الله عنه، إلى وقت غياب الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن الذي يعتقد الموسوي وعموم الإمامية بأنه قد ولد وأنه المهدي المنتظر.

ويبيّن الموسوي بأن الإمامة في هذه المرحلة كانت تعني "التشيع الخالص" وهو كما يعرفه الموسوي بأنه الاعتقاد بـ"أن الإمام عليًّا أولى بالخلافة من الخلفاء الذين سبقوه ولكن الإمامة [أي القيادة السياسية] هي بالشورى.. وأن المسلمين انتخبوا الخلفاء الراشدين انتخابًا شرعيًّا لا غبار عليه.."[(١)].

ويرى الموسوي بأن أصحاب التشيع الخالص كانوا يمثلون المعارضة العنيدة التي تطالب بإصلاحات دينية وسياسية وتدافع عن الظلم الواقع على آل البيت - في الفترة الأموية والعباسية - .

كما يرى الموسوي أن هذه المعارضة الشيعية النقية من الخرافات كانت تمثل رأي الأكثرية من الأمة التي تريد الإبقاء على مكتسبات الإسلام التي تحققت في الصدر الأول من العهد الإسلامي[(٢)].

والسؤال المهم هنا : هل كان غالب الأمة كما يقول الموسوي؟

يمكننا أن نجيب بأن ما ذكره الموسوي من تأييد الأمة في هذه المرحلة للمعارضة التي لم تتلطخ بعدُ بالغلو والابتداع، والتي تطالب بالعودة للمجد الذي حققه المسلمون يشهد له **تأييد كثير من الفقهاء لبعض حركات (الطالبيين)** المسلحة **الإصلاحية**، مثل النفس الزكية ونحوها.

كما أن كثرة **المشاركين في حركات الطالبيين** التي كانت تنطلق من المدينة - وهي مقر الطالبيين الأساسي - أو خراسان - الذي يعد منفى الطالبيين - كل هذا يشهد لنوع من التأييد في فئة واسعة في الأمة.

---

(١) الصرخة الكبرى ٤٣.

(٢) المتآمرون على المسلمين الشيعة ٩٨.

ولفهم أدق لموقف الأمة في تلك الآونة من تلك الحركات يجب أن نذكر أن الذين أبدو معارضتهم للخروج، كابن عباس حين نصح الحسين رضي الله عنهما بعدم الخروج، أو كالحسن البصري حين نصح كثيرًا من الفقهاء بعدم الخروج مع ابن الأشعث، أو كالصادق الذي روي عنه أنه نصح النفس الزكية بالتروي والصبر لوقت أنسب، ينبغي أن نعلم أن هؤلاء لم يكونوا راضين بالأخطاء التي ظهرت بل كانوا يشتركون جميعًا في الألم على واقع الأمة والسعي من أجل إصلاح الواقع المرير، ولكنهم اختلفوا في الأسلوب الأنسب في التغيير والإصلاح وهي مسألة اجتهادية في ذلك الوقت.

فابن عباس والحسن البصري والصادق عليهم رضوان الله ورحماته كانوا يراعون في نظرتهم مدى تحقق المصلحة المرجوة من الخروج المسلح، وحجم المفاسد المتوقعة من جراء ذلك، وبناء عليه نصحوا إخوانهم بترك الخروج المسلح[(١)]، ولعل النتائج لكل تلك الحركات قد أكدت صدق حدسهم، فقد وقع على إثر ذلك أحد أعظم مصائب المسلمين بقتل الحسين رضي الله عنه وثلة من خير آل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، كما أن خروج أكثر من سبعين من الفقهاء والمحدثين مع ابن الأشعث، لم يخلّص الأمة من جور الحجاج، بل أدى إلى مقتلهم جميعًا رحمهم الله، وبقي الحجاج ببطشه وظلمه، والأمر نفسه مع حركة النفس الزكية التي خلّفت آثارًا سيئة على كثير من آل البيت رحمهم الله وغيرهم[(٢)].

---

(١) كان الخلاف جار بين أهل السنة في القرنين الأولين في جواز الخروج على الولاة الظلمة، فعلى جواز الخروج جرى عمل الحسين رضي الله عنه وأمثاله كالنفس الزكية، والرواية مختلفة في رأي أبي حنيفة رحمه الله هل كان يرى وجوبه أو استحبابه، وخالفهم غالب أهل السنة مستدلين بأحاديث الصبر على الولاة ما لم يظهروا كفرًا بواحًا وغيره من النصوص، ولما رأى أهل السنة آثار الخروج على السلاطين استقر رأيهم على ترك الخروج على السلاطين. انظر منهاج السنة٢/٢٤١. وانظر تفصيل أدلة الطرفين ومناقشتها في كتاب الإمامة للدميجي٥٠٢ ـ ٥٤٨.

(٢) يقول المعلمي رحمه الله :" وقد جرب المسلمون الخروج فلم يروا منه إلا الشر: خرج الناس على عثمان يرون أنهم إنما يريدون الحق ، ثم خرج أهل الجمل يرؤساهم[هكذا في الأصل، ولعلها برؤسائهم] ومعظمهم أنهم إنما يطالبون الحق فكانت ثمرة ذلك اللقيا والتي انقطعت خلافة النبوة وتأسست دولة بني أمية ثم اضطر الحسين بن علي إلى ما اضطر إليه فكانت المأساة ، ثم خرج أهل المدينة فكانت وقعة الحرة، ثم خرج القراء مع ابن الأشعث فكان ما كان، ثم كانت قضية زيد بن علي وعرض عليه الروافض أن ينصروه على أن يتبرأ من أبي بكر وعمر فأبى فخذلوه، فكان ما كان، ....والنصوص التي يحتج بها المانعون من الخروج والمجيزون معروفة، والمحققون يجمعون بين ذلك بأنه إذا غلب على الظن أن ما ينشأ عن الخروج من المفاسد أخف جدا مما يغلب على الظن أنه يندفع به جاز الخروج وإلا فلا، وهذا النظر قد يختلف فيه المجتهدان ، وأولاهما بالصواب من اعتبر بالتاريخ وكان كثير المخالطة للناس والمباشرة للحروب والمعرفة بأحوال الثغور.." منهاج السنة النبوية٢/٢٤١.التنكيل للمعلمي ١/٩٤.

والخلاصة: أن الأمة قد وُجد فيها فئة كبيرة في أيام الحسين والنفس الزكية وأخيه إبراهيم وشهيد الفخ عليهم رضوان الله أجمعين ممن شارك بعض الطالبيين في حركاتهم المطالبة بإصلاح حال الأمة، وهم كما يقرر الموسوي بأنهم كانوا منسجمين مع عقيدة التشيع الخالص، الذي يطالب بالعودة إلى نموذج الخلفاء الراشدين من دون غلو أو شركيات. ولعل ما سبق بيانه من الخلاف المتقدم في جواز الخروج عند بعض أهل السنة ومشاركة بعضهم عمليًّا أو علميًّا (بالفتوى) يعطي كلام الموسوي شيئًا من المصداقية في قوله بأن المعارضة "الشيعية الخالصة" كانت تمثل رأيًا ولكنهم يختلفون عمليًّا. والله أعلم.

المرحلة الثانية: ما بعد عصر الأئمة.

وهو العصر الذي يسميه الموسوي بـ"عصر التدمير"، حيث يرى الموسوي بأن مفهوم الإمامة قد تحور إلى عقيدة تضم عقائد جديدة، هي:

١. أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد به.
٢. الإمامة كالنبوة فلابد أن يكون في كل عصر إمام يخلف النبي في وظائفه.
٣. أن الإمامة بالنص من الله تعالى على لسان النبي أو بيان الإمام الذي قبله، وعددهم اثنا عشر إمامًا.
٤. الإمامة [التي بمعنى الخلافة] ليست بالاختيار أو الانتخاب من الناس.
٥. يمكن أن يكون الإمام حاضرًا أو غائبًا.
٦. يتلقى الإمام المعارف والأحكام الإلهية عن طريق النبي أو الإمام أو عن طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله فيه.
٧. الإمام لا يخطئ ولا يشتبه ولا يحتاج إلى البراهين العقلية ولا إلى تلقين المعلمين.
٨. الأئمة هم أولو الأمر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم، فأمرهم أمر الله ومعصيتهم معصية الله، والراد عليهم كالراد على الرسول والراد على الرسول كالراد على الله.
٩. من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية.

وهذه الصفات التسع للإمامة هي في تصريح الموسوي مما أُحدث من تحوير في مفهوم التشيع[1].

(١) انظر: الصرخة الكبرى ٥٤.

يؤرخ الموسوي لبداية الجمع بين القيادة السياسية والروحية للأمة بأوائل القرن الرابع، أو بما يصطلح عليه الشيعة بمرحلة"الغيبة الكبرى"[١].

آثار القول بالنص على الأئمة السياسيين

يذكر الدكتور الموسوي أن مفهوم الإمامة الجديد أوجد آثارًا خطيرة في الأمة، أهمها:

أولًا: تفريق الأمة.

إذ يرى الموسوي أن عقيدة الإمامية في النص والعصمة والقداسة للأئمة؛ كانت هي البادرة الأولى للتفريق بين الشيعة والسنة، لا سيما وأن أصحاب الفكرة أخذوا يصورون العهد الذي كانت المعارضة الشيعية الأولى تطالب بالعودة إليه وهو عهد السلف الصالح بأنه عهد كئيب مظلم، وأن رموزه مطعون فيهم بالنفاق والردة، مما جعل الأكثرية تقف موقف العداء من هذه الأفكار الضالة.

ثانيًا: تسلسل الانحراف في المذهب الإمامي

فيذكر الموسوي بأن عقيدة النص والجمع بين القيادتين أدخلت الشيعة في نفق مظلم مليء بالانحرافات، أولها الطعن في الصحابة بحجة أنهم خالفوا النص، ثم القول بالعصمة، والتقديس المفرط المفضي إلى الغلو[٢].

كما أن الموسوي يَعدُّ الإفراط في استخدام التقية في تحليل مواقف وأقوال الأئمة، هو من آثار القول بالنص ، فقد قادهم قولهم إلى تفسير أي فعل أو قول لأحد الأئمة يخالف فكرة النص الإلهي على الإمامة بالتقية، حتى صار للتقية والمراوغة بُعدًا كبيرًا في المذهب[٣].

(١) المتآمرون على المسلمين الشيعة/المقدمة.

(٢) المرجع السابق ١٤١ ـ ١٤٢.

(٣) المتآمرون على المسلمين الشيعة ١٣٧ ـ ١٤٠.

وأخيرًا: يمكننا أن نلخص أفكار الموسوي حول فكرة الإمامة بما يلي:

١. يرى بأن الإمامة الشرعية هي منزلة روحية، وليست منزلة سياسية.
٢. أن الخلافة تتم بالشورى وليس بالنص.
٣. أن الخلافة تنعقد للمفضول مع وجود الأفضل.
٤. أن عليًّا تأخر عن بيعة أبي بكر ثم بايع طواعية وبدون إكراه.
٥. أن تأخر علي في بيعة أبي بكر رضي الله عنهما داخل ضمن حق الفرد في الاختيار الذي يكفله مبدأ الحريات في الإسلام.
٦. أن التشيع في عهد الأئمة كان يعني أن عليًّا أولى بالخلافة فقط، وأن الخلافة تتم بالشورى.
٧. أن ثورات الطالبيين التي بدأت بخروج الحسين رضي الله عنه ومن جاء بعده كانت للمطالبة بما كان عليه المسلمون أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأيام الخلفاء الأربعة.
٨. أن مفهوم الجمع بين القيادة السياسية والعلمية بدأ عند الإمامية في بداية القرن الرابع، وأن المشاركين في وضعه هم العباسيون والبويهيون وبعض علماء المذهب.
٩. أدى انحراف الشيعة في مفهوم الإمامة إلى انسحاب فئة كبيرة من المؤيدين لهم، وإلى دخول كثير من البدع في المذهب الإمامي.

هذه خلاصة تصور الموسوي للإمامة في عهد الأئمة وما آلت إليه بعد ذلك، والله أعلم.



* المطلب الخامس *
رأيه في المهدي

يعتقد الدكتور الموسوي - كما يعتقد الشيعة الإمامية - بأن محمد بن الحسن العسكري قد ولد في حياة أبيه، وأنه هو المهدي المنتظر الغائب.

كما يعتقد الموسوي كما يعتقد الإمامية بأن محمد بن الحسن بقي مختفيًا عن الأنظار طيلة خمس وستين سنة وهي الفترة التي تسمى عند الشيعة بـ"الغيبة الصغرى"، وأنه كان يتصل بالشيعة عن طريق بعض الأشخاص، وهم من يطلق عليهم الشيعة اسم"النواب"[١].

غير أن الموسوي يتبنى رأيًا غريبًا في مسألة الغيبة الكبرى،وهي الفترة التي تعتقد الطائفة الإمامية بأن المهدي أعلن عن دخوله فيها عام ٣٢٩هـ من خلال النائب الرابع "علي بن محمد السيمري" الذي أظهر للناس ورقة موقعة باسم المهدي، جاء فيها:

"لقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله وسيأتي من شيعتي من يدعي المشاهدة، فمن ادعاها فهو كذاب مفتر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"[٢].

و الموسوي يطعن في دعوى الغيبة الكبرى، ويرى بأن إعلانها تمّ بمؤامرة على المهدي من أجل عزله عن الناس وإلغاء أي دور لمن يلقاه[٣].

وعن إمكانية نجاح المؤامرة؛ يبيّن الموسوي بأنه يعتقد بأن المهدي بشر من البشر لا يملك قدرات خارقة، ولا يتدخل في شيء من تدبير الكون، وأنه من الممكن أن تنجح المؤامرة عليه، فيبقى أسيرًا لها، شأنه شأن علي الذي حيكت له مؤامرة الاغتيال فنجحت، وكذلك الحسين الذي استشهد رضي الله عنه أيضا[٤].

ويذكر الموسوي بأن النتيجة لهذه المؤامرة هي أن الشيعة الإمامية أصبحت تكذّب كل من ادعى التلقي عن الإمام، ولكنها تؤمن بأن ثمة أشخاص يرونه بلا ميعاد، وأن من يلقاه لا يدرك بأنه المهدي إلا بعد مفارقته.

---

(١) المتآمرون على المسلمين الشيعة ١٠٥.
(٢) الشيعة والتصحيح ٦١.
(٣) انظر: المتآمرون على المسلمين الشيعة ٩٣، ١٠٦.
(٤) انظر: المتآمرون على المسلمين الشيعة١١١.

مناقشته لدعوى الغيبة الكبرى

لقد بين الموسوي بأن المقتنعين بفكرة الغيبة الكبرى من الإمامية وقعوا في أخطاء فادحة وهي:

أولاً: الاعتماد على رواية ليست متواترة، ثم التعامل معها تعامل الخبر المتواتر الضروري[1].

ثانياً: التناقض حيث اتفق الشيعة الإمامية على تكذيب من ادعى رؤية الإمام والتلقي عنه، ولكنهم في نفس الوقت يثبتون أن كثيراً من خيارهم قد رأوا المهدي بعد الغيبة الكبرى، ولكنهم يتفقون على أمرين:

أ ـ أن هذه اللقاءات لا قيمة لها فقهياً.

ب ـ أن من ادعى أنه عرف المهدي حال كونه معه فهو كاذب. وهو ما يراه الموسوي تناقض في الموقف.

والمهم أن نعرف أن الموسوي يعتقد بأن المهدي حي ومختف، وأنه يمكن أن يلقى بعض الناس بدون تحديد، وأن فكرة الغيبة الكبرى مؤامرة حيكت لعزله، ومن ثم فتح الباب للتلاعب بمحبي آل البيت[2].

وقد دافع الموسوي عن إمكانية بقاء المهدي طوال هذه الفترة على قيد الحياة ، مبيناً أن هذا مما يجوز عقلاً وشرعاً، وبأنه داخل في إطار الغيب، مستدلاً ببقاء نوح على قيد الحياة سنين طويلة.

والحقيقة أن الأفكار التي حاول الموسوي تقريرها حول المهدي؛ يصدق عليها وصف "الركاكة" و"عدم الاطراد"، لأننا نجده ينعى على الإمامية اعتمادهم على دليل غير متواتر في إثبات الغيبة الكبرى، وهو يعتقد بولادة المهدي وبقائه بدون أن يبين دليله المتواتر.

كما أنه يصف الشيعة الإمامية بالتناقض في قولهم في إمكانية لقاء المهدي مع عدم معرفته إلا بعد لقائه، وهو نفسه يقول بإمكانية لقائه والاستفادة منه دون أن يبين من الذي لقيه واستفاد منه.

كما أنه يحكي وقوع المؤامرة على عزل المهدي من قبل بعض المتحالفين عليه،مع أن لقائل أن يقول له: لماذا لا تحكي المؤامرة على ادعاء ولادته أصلاً من قبل المنتفعين؟

❀❀❀

(١) انظر: المتآمرون على المسلمين الشيعة١٠٦.

(٢) انظر: الشيعة والتصحيح ٦٢ ـ ٦٣.

* المطلب السادس *
موقفه من القول بالعصمة

القول بعصمة الأئمة أحد الأمور المسلمة عند الإمامية، وهي في نظر الموسوي من العقائد التي دخلت في مفهوم الإمامة بعد عصر الأئمة[١].

ففي الوقت الذي تقول فيه الإمامية بأن القول بالعصمة أحد فضائل الأئمة، نجد الموسوي في المقابل يصف العصمة بأنها: "تنقيص من حق الإمام لا مدح فيه" ثم يبين الموسوي وجه النقص بقوله: "تفسير العصمة بالمفهوم الشيعي تعني أن الأئمة منذ ولادتهم وحتى وفاتهم لم يرتكبوا معصية بإرادة الله، وهذا يعني فقدانهم الإرادة في تفضيل الخير على الشر، ولست أدري أي فضيلة تكتب للمرء عند الله إذا لم يستطع القيام بعمل الشر بسبب إرادة خارجة عن ذاته"[٢].

كما يبين الموسوي بأن الإمامية لو كانت تقول بأن الأئمة لم يأتوا بالمعاصي لكمال نفوسهم ولوجود ملكة قوية أخلاقية، أو لعظم تقواهم لكان هذا كلامًا معقولًا، وإن كانت هذه النفسية لا تخص أشخاصًا معدودين، بل هي "صفة يستطيع كل إنسان أن يتصف بها إذا التزم حدود الله وأطاع أوامره وانتهى عن نواهيه"[٣].

ويبين الموسوي أن القرآن بما ذُكر فيه عن يوسف عليه السلام يدل دلالة واضحة على الطبيعة البشرية للأنبياء[٤].

❀❀❀

(١) انظر: الصرخة الكبرى ٥٤.

(٢) الشيعة والتصحيح٨٢.

(٣) الشيعة والتصحيح٨٢.

(٤) انظر: الشيعة والتصحيح٨٢، ويقصد الموسوي ان حكاية الله تعالى عن يوسف أنه هم بالمرأة يدل على أنه بشر يعتريه ما يعتري البشر، ولكن الله تعالى صرفه.

* المطلب السابع *
موقفه من القول بالرجعة

تحدث الموسوي عن عقيدة الرجعة عند الإمامية مبينًا ما يلي:

أولًا: أن القول برجعة جميع الأئمة من الأقوال التي ظهرت بعد عصر الأئمة ، حيث كان الطابع العام هو السذاجة والميل إلى الأفكار الغالية والبعيدة عن المنطق، وهو ما سهل رواج مثل هذه الفكرة[١].

ثانيًا: أن القول بالرجعة وإن قال به أكثر علماء المذهب ، إلا أن من أعلام المذهب من لم يؤيد هذا القول، مثل محمد الحسين آل كاشف الغطا، الذي نقل عنه الموسوي قوله عن الرجعة:"إنها لا تساوي قُلامة ظفر"[٢].

ثالثًا: يرى الموسوي بأن هذه العقيدة لا يوجد لها أثر عملي أو سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي في حياة الإنسان الشيعي، اللهم إلا شيئًا واحدًا وهو زيادة **تمزيق الصف الإسلامي** بمثل الخزعبلات القائلة بأن الأئمة سترجع وسيرجع الله أعداءهم من الصحابة وسينتقمون منهم ونحو هذا من الأخبار التي يقول عنها الموسوي: "فكل حديث من هذا النوع كان ولا يزال يزيد في تأجيج نار الفتنة ويضر بالوحدة الإسلامية، ويقضي على كل بادرة من بوادر الألفة والتقريب"[٣].

وباختصار فإن الموسوي لا يؤمن بعقيدة رجعة الأئمة ـ التي يعتقد بها أكثر الإمامية ـ ويعتبر ذلك من الأمور التي أدخلت في التشيع بعد عصر الأئمة.



---

(١) انظر: الشيعة والتصحيح ١٤٣.

(٢) الصرخة الكبرى ١١٢، وانظر أصل الشيعة وأصولها ٥٤.

(٣) الشيعة والتصحيح١٤٣.

* المطلب الثامن *
رأيه في الصحابة

اتجه الموسوي في نظرته إلى الصحابة اتجاهًا يخالف ما عليه جماهير الشيعة الإمامية، فقد سبق وأن ذكرنا أن جماهير الإمامية ذهبت إلى الطعن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يصل إلى القول بردتهم إلا عددًا يسيرًا.

لكن الدكتور موسى الموسوي يبين أن الأمر ليس كما يقول أصحاب هذا الرأي ، بل على النقيض من ذلك، فقد تناول الموسوي موضوع الصحابة من عدة جهات، وهي:

١. أن نجاح الرسول صلى الله عليه وسلم تجلى في المجتمع الذي رباه.

ففي نظر الموسوي أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قد استطاع أن يحقق نجاحًا عظيمًا في التاريخ، **عندما بنى مجتمعًا عظيمًا، وليس أفرادًا معدودين** كما يصور الفكر الإمامي من خلال الروايات المكذوبة.

وفي هذا يقول الموسوي: "ذهب رسول الله إلى الرفيق الأعلى وترك بعده في الساحة أمة تأمر وتنهى.. فاستطاعت في أقل من ثلاثين عامًا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم القائد أن تصل إلى أسوار الصين، وترفرف رايتها على نصف المعمورة في ذلك التاريخ، وتُدْخِل تحت لوائها بلادًا وأقاليم كان الوصول إليها ضربًا من الخيال.."[١].

٢. الخلفاء الأربعة.

يعتبر الموسوي فترة الخلفاء الأربعة هي الفترة التي جسدت العدالة والصلاح، حيث ارتسم هذا المنهج في الأمة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في حياة هؤلاء الخلفاء على أحسن وجه، وقد استشهد لذلك بمواقف من سيرتهم العطرة رضي الله عنهم[٢].

---

(١) المتآمرون على المسلمين الشيعة ١٨.

(٢) المتآمرون على المسلمين الشيعة ٢٥، ٢٨. ياشيعة العالم استيقظوا ٥٧.

٣. وصف الصحابة في القرآن.

يتحدث الموسوي عن الصورة المشرقة التي رسمها القرآن لأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فيقول: هناك صورة مشرقة نيرة لهذه الصفوة المختارة من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن الكريم تعني كل كلمة منها صفاء ذلك العصر وعظمته وجلالته وروعته وإخلاص الصحابة وتفانيهم في الإسلام وفي الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولنقرأ معا هذه الآية الكريمة:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح٢٩].

٤. وصف الصحابة في كلام علي رضي الله عنه.

يذكر الموسوي بأن عليًا رضي الله عنه كان يثني على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثناء لا يجتمع معه ما يذكر كثير من الإمامية عنهم من الطعن.

فقد نقل الموسوي قول علي رضي الله عنه: " لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما أرى أحدًا يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثًا غبرًا، وقد باتوا سجّدا وقيامًا يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، مادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفًا من العقاب ورجاء الثواب.."[١].

وهنا يستبعد الموسوي أن يثني علي رضي الله عنهم على الصحابة لو كانوا خالفوا النص الإلهي - الذي يدعيه الإمامية - ، لا سيما إذا كان هذا الأمر يرتبط بالتشريع وبمصالح الدين الذي ضحوا من أجله وبذلوا أموالهم وأرواحهم في سبيل نشره والدفاع عنه[٢].

---

(١) الشيعة والتصحيح ٣٢.

(٢) انظر: الشيعة والتصحيح ٣٢.

يرى الموسوي بأن من أكبر أسباب وقوع الإمامية في جرح وطعن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الروايات المكذوبة المنتشرة في كتب المذهب، والتي ساهم في وضعها - أي الروايات - كثير من الكذابين، ثم نقلها كثير من أعلام المذهب في كتبهم دون تمحيص.

ولهذا تبنى الموسوي في دعوته التصحيحية الدعوة إلى غربلة هذه الكتب التي تعد من أكبر أسباب تفريق المسلمين.

وقد مثّل الموسوي لهذه الكتب بكتاب "بحار الأنوار" للمجلسي، وهو الكتاب الذي يقول عنه الموسوي: "هذه الموسوعة بحق من أكثر الموسوعات نفعًا وضرًا، فهي في الوقت الذي تجمع في طياتها تراثًا علميًا غنيًا وتمد الباحثين والعلماء به، فهي تحتوي أيضا على أقوال ضارة ومواضع ركيكة أضرت بالوحدة الإسلامية أعظم الضرر وأكبره".

ثم يذكر الموسوي أن من أكبر جوانب الهدم في موسوعة بحار الأنوار "التركيز على طعن وتجريح الخلفاء الراشدين وبصورة مقذعة في بعض الأحيان، الأمر الذي اتخذه تجار الطائفية البغيضة فرصة مواتية لإثارة العداء بين الشيعة والسنة.."[1].

من خلال ما سبق نجد أن الموسوي يقرر نظرةً منصفةً ومنطقيةً فيما يتعلق بالصحابة، فهو ينصف النبي صلى الله عليه وسلم في نجاحه ويقر بما حققه من جهود أثمرت جيلًا نشر الدين في أرجاء المعمورة، وينصف الصحابة من خلال إقراره الفرق بينهم وبين المنافقين، وبالإقرار بفضلهم الوارد في القرآن، والاعتراف لهم بجهادهم ونشرهم الدين.

من جهة أخرى فإن الموسوي يقرر نظرته المنطقية تجاه الصحابة، عندما يبيّن أن هذا الدين لم يكن لينتشر خلال سنوات قليلة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لو كان الخلفاء مرتدين والصحابة منافقين والمؤمنون منهم بالعدد القليل الذي تذكره الإمامية.

دعوته لتصحيح النظرة عن الصدر الأول في الإسلام.

من أعجب الأمور أن يجد المسلم الفرق شاسعًا بين نظر الفرقة الإمامية وبقية الفرق الإسلامية تجاه صدر الإسلام الأول، فبينما تجد عامة الفرق الإسلامية تتفق على النظرة إلى ذلك العصر على أنه النموذج الرائع بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم،

---

(١) الشيعة والتصحيح ٨٦ - ٨٧.

نجد الفرقة الإمامية تجنح إلى تصوير ذلك العهد بأنه عهد الخيانة والردة والنفاق.

وقد بين الموسوي أن رفع الغبار عن الماضي، وإظهاره على حقيقته يساعد في القضاء على كثير من المصائب التي ألمّت بالمسلمين من التفرق والاختلاف، فيقول: "إن هذا الغبار في حياتنا الفكرية والاجتماعية نحن الشيعة الإمامية ظهر بصورة أكثر شدة وأثرا من أرباب المذاهب الأخرى، لأن رواة حديثنا وكتاب سيرنا أحدثوا في سرد الماضي بدعًا وفتنًا وأعاجيب لا زلنا ندفع ضريبتها الباهظة"(١).

ثم يوضح الموسوي أن العصر الذي يقصده هو "عصر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وعصر السلف الصالح حتى بيعة الإمام الحسن مع معاوية بن أبي سفيان" ثم يقول رحمه الله عن هذا العصر: "إن هذا العصر بالذات كانت القيم الاجتماعية والأخلاقية وصلت إلى أرقى صورة الحضارة الإنسانية في ظل تعاليم القرآن وسيرة الرسول، غير أن عصر الخلافة شوهه غبار الرواة وأرباب السير مضافًا إليه عدم استيعاب الأجيال التي تلت ذلك الجيل العظيم حتى يومنا هذا"(٢).

كما بين الموسوي بأن رأيه في معاوية رضي الله عنه ويزيد ومن بعدهم ـ ممن يصفهم بالاستبداد ـ لا يعني إلغاء وجود الأمة المادي والعلمي والثقافي ولا أن الأمة في جملتها قد أصبحت غير مرتدة أو مؤثرة، بل كما يقول: "معاذ الله أن نقول كلامًا كهذا، فالإسلام وصل إلى حدود فرنسا بعد فتح الأندلس، وفي عهد الخلافة العباسية وصلت الأمة أوج ازدهارها، وكانت بغداد موطن الحضارة المادية والعلمية والثقافية الكبرى في ذلك العصر، والسلاجقة كانوا يحكمون بلادًا شاسعة واسعة ...فالمسلمون خدموا العلم والثقافة الإنسانية، من خلال تعاليم الإسلام، خدمة عظيمة ودفعوا عجلة المعرفة والحضارة الانسانية إلى الإمام.."(٣).

وباختصار فإن الموسوي يرى بأن صدر الإسلام شهد حضارة اجتماعية وثقافية وأخلاقية علي يد من يسميهم "الجيل العظيم"، ولكنه يرى بأن الروايات المشبوهة سعت في طمس ذلك الإنجاز الكبير، وهو ما اقتنعت به طائفة الإمامية من الشيعة(٤).

---

(١) الصرخة الكبرى ١٤١.

(٢) الصرخة الكبرى ١٤١.

(٣) المتآمرون على المسلمين الشيعة٤٩ ـ ٥٠.

(٤) انظر: يا شيعة العالم استيقظوا ٥٩.

كما أن الموسوي يقدم حقيقة مهمة وهي أن التفسيرات الخاطئة لبعض المواقف التاريخية أنتجت تصورًا خاطئًا لدى طائفة كبيرة من المسلمين، ويضرب الموسوي مثلًا لذلك بحادثة الجمل التي يذكر الموسوي بأنّ الناظرين لها من المسلمين لا يخرجون عن خطين متناقضين؛ فئة تجرم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ومن معها ولم تغفر لها صنيعًا حتى اليوم، وهي فئة الشيعة الإمامية. وفئة أخرى وهي الفئة التي تنظر إلى عائشة على أنها اجتهدت فأخطأت، وهم الأكثرية من أهل المذاهب. ولكن الموسوي تعجب من الأمة التي لا تزال تتفرق بسبب هذه الحادثة بينما الإمام علي رضي الله عنه ـ وهو صاحب الحق في هذه الواقعة ـ قد أنهى ذيول الحرب في ظرف يوم واحد، حين عامل أم المؤمنين بالاحترام اللائق بها، وأمر بإعادتها إلى المدينة مكرمة معززة.

كما أعلن موقفه الراقي من طلحة والزبير رضي الله عنهم جميعًا حين رأى طلحة مقتولًا، فقال:

" لقد أصبحت أبا محمد بهذا المكان غريبًا أما والله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب"[(١)].

وعندما أتى قاتل الزبير إلى علي بسيف الزبير، قال له علي رضي الله عنهما:

"سيف طالما كشف الكرب عن وجه رسول الله" ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قاتل ابن صفية في النار"[(٢)].

والموسوي يجد في حادثة الجمل مواقف رفيعة للأمة في التعامل مع المعارضة لا يجده عند غيرها إطلاقًا، حيث تعامل معهم علي تعامل الأخ مع إخوانه بالإصلاح والنصيحة ، ولكن الموسوي فاته أن يذكر أن عائشة ومن معها لم يريدوا قتال علي ومن معه من صالحي الأمة، ولكنهم أرادوا منه أن يسلمهم قتلة عثمان ليقتصوا منهم، وأن عليًّا وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم جميعًا اتفقوا على تهدئة الفتنة لتجتمع الأمة ، لكن قتلة عثمان أدركوا أنهم هم الفريسة لهذا الاتفاق فبدؤوا بالقتال وأثاروا الفتنة فحدثت وقعة الجمل[(٣)].

وقد كان علي أفقه هؤلاء جميعًا حيث تصور المسألة تصورًا دقيقًا وحكم بأخف

---

(١) الصرخة الكبرى ١٤٢ ـ ١٤٣.

(٢) المرجع السابق ١٤٣. وانظر القصة في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٣١ ــ ٢٣٦ وج ٢ ص ١٦٧.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٨٥٢/٣.

المفسدتين ، كما يظهر من إجابته حين قام أبو سلامة الدالاني في الكوفة فقال له : أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم إن كانوا أرادوا الله في ذلك؟ فقال علي رضي الله عنه: "نعم"، قال فترى لك حجة بتأخيرك ذلك[أي الاقتصاص من قتلة عثمان]. قال علي رضي الله عنه: "**نعم إن الشيء إذا لم يُدْرَك فالحكم فيه أحوطه وأعمه نفعًا**". قال: فما حالنا وحالكم إن ابتلينا إذا؟ قال علي: "إني لأرجو ألا يقتل أحد نقي قلبه منا ومنهم إلا أدخله الله الجنة"[١].

كما أن عليًّا قد ألمح إلى حكمه الدقيق عندما قال لطلحة والزبير: "هذا الذي ندعوكم إليه من إقرار هؤلاء القوم - أي قتلة عثمان - شر، وهو خير من شر منه - أي الفرقة والقتال - وقد جاءت الأحكام بين المسلمين بإيثار أعمها منفعة وأحوطها"[٢].



(١) تاريخ الطبري ٣/٨٥٣.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٨٥٣.

* المطلب التاسع *

موقفه من اللطم وضرب القامات في المآتم

يرى الموسوي بأن ضرب القامات والصدور بالسلاسل والسيوف من أبشع البدع التي لا تزال تشكل جزءًا من مراسيم الاحتفال باستشهاد الحسين وغيره من المآتم التي يقيمها الشيعة الإمامية[(١)].

كما بَيَّن الموسوي بأن هذه المظاهر من الأعمال التي ساهمت في تشويه صورة الإسلام لدى الغرب، فقد أعطت الإعلام الغربي مادة غنية لتشويه الإسلام، وإعطاء المبررات الواضحة من أجل استعمار هذه الشعوب من أجل حملها على التقدم والمدنية[(٢)].

وأخيرًا فإن الموسوي يرى بأن هذه المظاهر المبتدعة من الأمور المناقضة لكرامة الإنسان التي رعاها الإسلام[(٣)]، ولهذا نقل عن بعض أعلام الشيعة تحريم هذه البدع[(٤)].



(١) انظر: الشيعة والتصحيح ٩٨

(٢) انظر: المرجع السابق ١٠٠

(٣) انظر: ياشيعة العالم استيقظوا ٥٣

(٤) انظر ما سبق ٢٠٧



المبحث الرابع

موقف الإمامية منه



أولًا: المعارضون للموسوي.

المعارضون لأفكار الموسوي - في وقته - يمثلون الأكثرية في صفوف الطائفة، وتضم هذه الفئة كثيرًا من علماء المذهب والعوام الذين يغلب عليهم العاطفة.

وقد مثل هذا الاتجاه الدكتور "علاء الدين السيد أمير القزويني " في كتابه: "مع الدكتور موسى الموسوي في كتاب الشيعة والتصحيح".

فقد ناقش القزويني أفكار الموسوي، مجتهدًا في ردها جميعًا، سالكًا مسلك الإسقاط للموسوي وأفكاره، كما اجتهد القزويني في التشكيك في مصداقية بلوغ الموسوي مرتبة الاجتهاد من خلال الحديث عن ضعف لغة الموسوي، ومحاولة إظهار أدلة الموسوي في مظهر الضعف.

إلا أن الدكتور القزويني - كما يظهر للقارىء - تحاشى الخوضَ في أخطر قضية طرحها الموسوي؛ ألا وهي ظاهرة الغلو في المذهب الإمامي ، ومشروعية طلب الحاجات من غير الله، وقد اكتفى القزويني بالإشارة المقتضبة لهذه القضية الأساسية ضمن الخاتمة في سطرين فقط[(١)]، مع أن الأجدر بالقزويني أن يهتم ببيان هذه المسألة؛ لأن الخلاف فيها أهم من الخلاف في مسألة الإمامة، والعصمة، ونحوها.

وقد كانت ردة الفعل عند الدكتور موسى الموسوي هو التعريض بالقزويني في مواضع من كتبه، فقد طعن بأصل الدكتور القزويني، مدّعيًا أنه ينحدر من أسرة يهودية الأصل[(٢)]، كما أبدى الموسوي تعجبه من حماس القزويني على الإبقاء على البدع والتي لا يدفع ثمنها إلا الشيعة ولا ينتفع منها إلا فئة قليلة[(٣)].

ومن المهم أن نقول بأن القزويني والموسوي قد خرجا عن الموضوعية، بتراشق الطعون

---

(١) انظر: كتاب مع الدكتور موسى الموسوي في كتاب الشيعة والتصحيح/للقزويني (الخاتمة) ص٣٥١.

(٢) انظر: ياشيعة العالم استيقظوا ٤٦.

(٣) انظر: الصرخة الكبرى ١٣٠.

والاتهامات، إذ من الخطأ الطعن في أصول الناس، لأنه وإن ثبت أن أصل القزويني "يهودي"، فإن الطعن فيه من هذه الجهة يخالف الموضوعية والروح العلمية، فضلاً عن مخالفة ذلك للأصل الشرعي القاضي بحرمة الطعن في الأنساب وبيان أن ذلك من الجاهلية، وهي طريقة درج عليها البعض - للأسف الشديد - في الرد في المسائل العلمية.

وعليه فقد كان يسع الموسوي أن يكتفي ببيان رأيه في أدلة القزويني وطرق استدلاله والله أعلم.

ثانيا: المؤيدون للموسوي.

في مقابل المعارضين للموسوي - الذين يشكلون الأكثرية - وقف آخرون موقف التأييد لدعوة الموسوي.

فقد بين الموسوي عقب إصداره كتاب "الشيعة والتصحيح" أنه تلقى كثيراً من رسائل التأييد والإعجاب إلى درجة لم يخف الموسوي وصول بعضها إلى درجات لا يستحقها من الإطراء وحسن الظن[1].

من هم المؤيدون للموسوي؟

بيّن الموسوي بأن المؤيدين لأفكاره هم في الغالب من طبقة المثقفين[2]، كما أشار الموسوي إلى وجود طبقة كبيرة في شيعة إيران ممن تؤيد فكرة التصحيح والثورة الفكرية، وأنّ في شيعة الباكستان من يؤيد أفكاره[3].

وليس من المستغرب أبداً أن تكون الطبقة المثقفة هي المؤيدة للموسوي؛ لأن ما يدعو إليه يحتاج إلى تحرر عقلي واتزان عاطفي، وهو ما لا يطيقه كثير من عوام الشيعة - الذين يغلب عليهم العاطفة المفرطة - وقد نستثني بعض البلدان التي تتسم بالانفتاح كلبنان أو الدول الغربية، وهو ما يفسر وجود طبقة كبيرة من المثقفين والعوام ممن يؤيد دعاة التصحيح في تلك البلدان والله أعلم.



---

(١) انظر: الصرخة الكبرى ٥.

(٢) ياشيعة العالم استيقظوا ٤٦ - ٤٧.

(٣) الصرخه الكبرى ٢٠.



المبحث الخامس

أبرز الملاحظات على موسى الموسوي



من خلال ما سبق يتبيّن أن الدكتور الموسوي تبنى دعوةً تصحيحية جادة، وأنه سعى لتنقية ما يعده دخيلًا على مذهب آل البيت رحمهم الله.

لكن الموسوي لم يخل من أخطاء، ولعل من أبرز ما وقفت عليه منها:

أولا: موقفه من معاوية.

اتخذ الموسوي موقفًا عدائيًّا حادًا من معاوية رضي الله عنه، معتمدًا في ذلك على تهم يمكن إيجازها فيما يلي:

١. يتهم معاوية بأنه تحالف مع هرقل في محاربة علي رضي الله عنه، مقابل أن يسلم له هرقل بالملك الوراثي، وأن معاوية كان يتلقى تمويلًا من الروم(١).
٢. يتهم معاوية بأنه ضالع في قتل عثمان(٢).
٣. يتهم معاوية بأنه أسس سياسة الاستبداد، وهدم قيم الإنسانية في المجتمع الإسلامي(٣).
٤. أنه قمع "شيعة علي" الذين كانوا يمثلون جهة معارضة سياسية للاستبداد(٤).
٥. أنه أمر بسب علي على المنابر(٥).
٦. أنه أسس نظرية السمع والطاعة لولي أمر المسلمين، من خلال تأليف الأحاديث في ذلك(٦).

---

(١) انظر: المتآمرون على المسلمين الشيعة ٣١ ـ ٣٤.

(٢) انظر: المتآمرون على المسلمين الشيعة ٣٦.

(٣) انظر: المتآمرون على المسلمين الشيعة٣٨، ٤٢.

(٤) انظر: المتآمرون على المسلمين الشيعة٤٥.

(٥) المتآمرون على المسلمين الشيعة٤٨.

(٦) انظر: المتآمرون على المسلمين الشيعة٥٢ ـ ٥٣.

وباختصار فإن الموسوي ينظر إلى معاوية نظرة سيئة جداً، ويصوّر المواجهة التي حدثت بينه وبين علي رضي الله عنهما على أنها ـ كما يقول الموسوي ـ : "كانت مواجهة بين مدرستين متناقضتين في المباديء والأهداف: مدرسة الإسلام التي تمثل القيم الإنسانية وأهدافها السامية، وهي مدرسة الخلفاء الراشدين الأربعة، ومدرسة الاستبداد التي تمثل هدم القيم الإنسانية ومبادئها الرفيعة.."[١].

وللوقوف على ما ذكره الموسوي لا بد أن يعلم القاريء الكريم أمرين:

الأول: أن الدفاع عن معاوية لا يعني تزكيته المطلقة، ولا إضفاء الشرعية على جميع أعماله، فمعاوية بلا شك لم يكن في منزلة الخلفاء الراشدين، لا من جهة المنزلة والفضيلة، ولا من جهة تمثل الرشد في الخلافة، وأنه قد تولى وفي الصحابة الموجودين من هو خير منه بكثير كسعد بن أبي وقاص والحسن والحسين ابني علي رضي الله عنهما.

ثانياً: أن الموسوي يمثل نفس الموقف الذي وقفه بعض المتقدمين في الأمة، من المحدثين الذين وصفوا بالتشيع الشديد من غير أن يوصفوا بالرفض، من أمثال المحدث الحافظ محمد بن فضيل بن غزوان، الذي قال عنه أبو داود السجستاني بقوله: "كان شيعياً محترقاً"، وقد وضّح الحافظ الذهبي رحمه الله ذلك بقوله: "إن تحرّقه على من حارب أو نازع الأمر علياً رضي الله عنه، وهو معظّم للشيخين[يعني أبا بكر وعمر] رضي الله عنهما"[٢]. وقد أورد الذهبي عنه ما يدل على تعظيمه لعثمان رضي الله عنه أيضا، وهو أنه قال: لقد ضربت ابني البارحة إلى الصباح أترحم على عثمان فأبى علي[٣].

وهذا ما دفع الإمام أحمد لإنصافه فقال عنه: "حسن الحديث، شيعي" ، كما روى له الأئمة الستة في كتبهم[٤].

---

(١) المتآمرون على المسلمين الشيعة٦١.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧٤/٩.

(٣) المرجع السابق ١٧٤/٩.

(٤) المرجع السابق ١٧٤/٩. مقدمة فتح الباري٤٤١.

وبلا شك فإن هذا مما يوجب علينا أن نقف مع الموسوي كما وقف أسلافنا العدول الأبرار مع أمثاله من المتقدمين.

نقد مصادر الموسوي في اتهاماته لمعاوية.

اعتمد الموسوي في نقده لمعاوية وما نسبه إليه من التهم على أمرين:

١ .نصوص كتاب نهج البلاغة.

٢ .تحليلات شخصية للمواقف التاريخية.

فأما اعتماده على كتاب نهج البلاغة، فإنه خطأ؛ لأن كتاب نهج البلاغة لا يعد مصدرًا موثوقًا من جهة إسناده، إذ المؤلف له هو الشريف الرضي وهو من أهل القرن الرابع، ولم يذكر أسانيده المتصلة إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فلا يصح الاعتماد عليه في اتخاذ مواقف كموقف الموسوي من معاوية

يقول الحافظ الذهبي رحمه الله:"ومن طالع كتابه ـ أي الرضي ـ نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ففيه السب الصراح والحط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن الكتاب أكثره باطل"[(١)] .

وأما الاعتماد على التحليلات والتوقعات من أمثال قول الموسوي بأن معاوية متحالف مع الروم ونحوه، فإنه خطأ منهجي كبير؛ لأنها في أحسن أحوالها دعوى تفتقر إلى الدليل التاريخي الموثّق.

مناقشة تفصيلية.

١. أغفل الموسوي جانبًا مهمًّا؛ ألا وهو أن اثنين من الخلفاء الذين يُعلي من شأنهم قد اعتمدوا على معاوية في الولاية، ولم يذكر الموسوي أن معاوية أظهر سوءً في زمنهما، بل هو من عمّال بعض الخلفاء الراشدين في إقليم مهم جدًّا وهو الشام ، وهذا لا ينسجم أبدًا مع فكرة المؤامرة الرومانية الأموية التي يتحدث عنها الموسوي.

---

(١) ميزان الاعتدال٣/١٢٤.

٢. **من الصعب تصديق أن معاوية ضالع في قتل عثمان رضي الله عنه، لأن هذه دعوى بلا برهان؛ ولأن موقف معاوية كله مبني على المطالبة بدم عثمان، ولأن أهل الشام لم يشارك واحد منهم مع قتلة عثمان الخارجين، ولو كان الاغتيال مدبرًا في الشام لرأينا مشاركين ولو بعدد يسير منهم. والله أعلم.**

٣. **لم يعرف أن معاوية أمر بسب علي رضي الله عنه على المنابر، وإنما عرف ذلك فيمن جاء بعده من خلفاء بني أمية، حتى جاء الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله فأوقف هذا وجعل بدلًا منه (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي...)[١].**

٤. **قول الموسوي بأن أحاديث السمع والطاعة لولاة الأمور والصبر على ظلمهم من تأسيس معاوية، يتضمن خطأ منهجيًا في رد الأحاديث؛ لأن مبنى رد الأحاديث يكون إما بالطعن في السند بأحد أوجه الطعن المعتبرة، وإما بالطعن في المتن بالشذوذ أو النكارة، وأما الادعاء بأن هذا من وضع فلان أو فلان فهو مردود.**

٥. **كان يسع الموسوي أن يحمل أحاديث السمع والطاعة لولاة الأمور والصبر على ظلمهم على أنها مقيدة بما لايكون معصية، وأن يعتبر ذلك من محاسن الإسلام الذي جاء بحفظ أموال الناس ودماءهم، وأن هذا لا يعني أبدًا الاستسلام للمنكرات، بل الأمر بالتغيير بالطرق المشروعة، التي تحقق المصالح بأقل مفاسد.**

٦. **ما ذكره الموسوي من أخطاء معاوية الواقعة على بعض من كانوا يصنفون على أنهم من "شيعة علي" ، مثل"حجر بن عدي"[٢] رضي الله عنه الذي قتله معاوية،**

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء ٣٢٩، وانظر سير أعلام النبلاء ١٤٧/٥.

(٢) هو حجْر بن عدي بن جبلة الكندي رضي الله عنه، يعده ابن الأثير وابن عبد البر والذهبي من الصحابة، بينما عدّه في التابعين آخرون كالبخاري و ابن حبّان وابن أبي حاتم، وقد كان من شيعة علي زمن الفتنة فشهد معه الجمل وصفين، فلما انتهى الأمر إلى معاوية بايعه، ولكنه لم يكن راضيًا عن تعامل ولاة معاوية مع شيعة علي، كما أنه كان يجاهر بمخالفته لاختلاف السياسة المالية التي انتهجها الأمويون في توزيع المال، وكان يجاهر بإنكار المنكرات، ولما أن كان المغيرة بن شعبة هو والي الكوفة كان يترفق بحجر بن عدي، ولكن لما تولى زياد بن أبيه على الكوفة لم يطق تحمل ما يثيره حجرٌ فقام بإغارة صدر معاوية وزوّر له شهادات بعض الصالحين على أن حجرًا نزع يد الطاعة وأخذ يزين له قتله، فطلبه معاوية وعشرة ممن دحوله، ولما أراد قتله أشار عليه بعضهم بأن لا يقتلهم وأن يكتفي بتفريقهم في البلدان، ومع أن حجرًا لما دخل على معاوية قال له: السلام عليك يا أمير المؤمنين –في إشارة إلى أنه لم ينزع يد الطاعة وأن إنكاره للمنكرات غير مخرج له من بيعة معاوية ـ إلا أن معاوية أمر بقتله، ولمّا بلغ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها نية=

فإن الموقف من ذلك هو موقف خيار الأمة إذ ذاك، ممن لم يرضوا بهذا الصنيع، كعائشة رضي الله عنها التي أنكرت على معاوية، وظلت واجدة عليه بسبب ذلك[1]، وكعبد الله ابن عمر الذي حين أخبر بمقتل حجر وهو في السوق أطلق حبوته وولى يبكي[2]، وكعبد الرحمن بن الحارث المخزومي الذي قال لمعاوية: أين عزب عنك حلم أبي سفيان؟ فرد عليه معاوية: غَيْبة مثلك عني من قومي[3]. كما أنكر ذلك العالم الجليل مالك بن هبيرة السكوني، والربيع بن زياد ـ وهو عامل معاوية على خراسان ـ وشريح القاضي رحمهم الله، وهو ما يعني عدم تبرئة معاوية من هذا الخطأ.

ولكن عائشة و ابن عمر وعبد الرحمن المخزومي والسكوني و شريح رضي الله عنهم جميعًا،لم يتجاوزوا إلى ما ادعاه الموسوي من أن معاوية يمثل مدرسة تحارب قيم الإسلام ونحو ذلك مما لا يحتمله الموقف، بل أعطوا الخطأ حجمه وقاموا بواجب الإنكار بوضوح تام، وهو ما جعل معاوية يندم على ذلك، فقد روى سفيان الثوري أن معاوية ندم على قتله لحجر بن عدي[4]، وذكر الطبري أن معاوية قال لعبد الله بن يزيد بن أسد القسري ـ حين دخل عليه في مرض موته: رحم الله أباك إذ كان لنا ناصحًا، نهاني عن قتل ابن الأدبر ـ يعني حجر بن عدي ـ[5].وكان أباه ممن نصح معاوية بعدم قتل حجرٍ ومن معه والاكتفاء بتفريقهم في البلدان.

وأما ما ذكره الموسوي من استبداد معاوية وكبت حريات الناس، لاسيما الذين يخشى من معارضتهم، فإننا يجب أن نعلم أن عهد معاوية رضي الله عنه لم يكن ضمن الخلافة الراشدة التي جاء وصفه في حديث سفينة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله

=معاوية أرسلت إليه لتثني عزيمته عن هذا الفعل الشنيع إلا أن رسولها لم يصل إلا بعد أن قتل حجرًا، وقد ظلت عائشة واجدة على معاوية بسبب ذلك. انظر أسد الغابة١/٣٨٥ . سير أعلام النبلاء٣/٤٦٣ . الطبقات الكبرى لابن سعد٦/٢١٧ ـ ٢٢٠. الإصابة١/٣٢٩. مشاهير علماء الأمصار٨٩.

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٦/٢٤١ ـ ٢٤٢.سير أعلام النبلاء ٣/٤٦٦. البداية والنهاية ٨/٥٤ ـ ٥٥.

(٢) الإصابة ١/٣٢٩. والبداية والنهاية٨/٥٥.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٤) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٦/٢٤٢

(٥) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٦/٢٤٢، ٢٧/٣١٧.وانظر:تاريخ الأمم والملوك ٥/٢٧٢.

عليه وسلم أنه قال: "الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا"[١]، بل هي داخلة في النقص الذي بدأ يلحق الأمة بعد الخلافة الراشدة.

يقول ابن تيمية: خبره (أي النبي صلى الله عليه وآله وسلم) بانقضاء "خلافة النبوة" فيه ذم للملك والعيب له[٢].

<u>**وقد أدرك معاوية بنفسه مستوى النقص الذي لحق السياسة الإسلامية في عهده**</u>، كما تكشفه لنا الحادثة التي يرويها أبو يعلى الموصلي عن أبي قبيل قال:

"خطبنا معاوية في يوم جمعة فقال: إنما المال مالنا، والفيء فيئنا، من شئنا أعطينا، ومن شئنا منعنا. فلم يرد عليه أحد. فلما كانت الجمعة الثانية قال مثل مقالته، فلم يرد عليه أحد. فلما كانت الجمعة الثالثة قال مثل مقالته، فقام إليه رجل ممن شهد المسجد فقال: كلا، بل المال مالنا، والفيء فيئنا، من حال بيننا وبينه حاكمناه بأسيافنا، فلما صلى أمر بالرجل فأدخل عليه، فأجلسه معه على السرير، ثم إذن للناس فدخلوا عليه، ثم قال: أيها الناس إني تكلمت في أول جمعة فلم يرد علي أحد، وفي الثانية فلم يرد علي أحد. فلما كانت الثالثة أحياني هذا أحياه الله، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (سيأتي قوم يتكلمون فلا يُرد عليهم(وفي رواية: سيكون أمراء فلا يرد عليهم، يتقحمون في النار تقاحم القردة). فخشيت أن يجعلني الله منهم، فلما رد هذا علي أحياني أحياه الله، ورجوت أن لا يجعلني الله منهم"[٣].

وهذه الحادثة سندٌ يُثبت أمرين:

١. أن معاوية رضي الله عنه قد اكتشف بنفسه مدى تدني الرُشد في ملكه بالمقارنة بعهد الخلفاء الراشدين -وهو أمر ظاهر جدًا-، ومن ذلك تدني هامش الحريات وسهولة المطالبة بالحقوق؛ وهو ما كان واسعًا في عهد الخلافة الراشدة.

٢. أن معاوية كان يمتلك جانبًا من الخشية والحرص على متابعة هدي النبوة،

---

(١) رواه أحمد ٥/٢٢٠ ـ ٢٢١. أبوداود رقم ٤٦٤٦. والترمذي رقم ٢٢٢٦. وابن حبان ١٥٣٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٥/٢١ ـ ٢٢.

(٣) رواه أبو يعلى ١٣/٣٧٣ رقم (٧٣٨٢) . ورواه الطبراني في الكبير ١٩/٣٤١رقم(٧٩٠) ، و١٩/٣٩٤ رقم(٩٢٥) . وقال الهيثمي عن إسناد أبي يعلى رجاله ثقات(مجمع الزوائد ٥/٢٣٦) ،ولأبي يعلى رواية أخرى بدون ذكر القصة ١٣/٣٦٧رقم (٧٣٧٧) قال عنها المحقق حسين سليم أسد: "حسن إسناده".

وهو ما جعله يجري اختبارًا بنفسه مع الناس في أحد أشد الأمور حساسية وهو مساس حقوق الناس وأموالهم، ليرى وزنه عند الله من خلال الخبر الذي سمعه من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وتكرار ذلك حتى تأكد أنه غير داخل في الوعيد.

والذي يجب أن يسلكه المؤمن هو إعطاء كل ذي حق حقه، فمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أحد الصحابة، الذين سبقت له مرتبة الصحبة، وكان ما كان بينه وبين علي رضي الله عنه مما ندين الله فيه بتصحيح موقف علي وتخطئته، كما ندين الله بالإمساك عن الطعن فيه اتباعًا لأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ الوارد في حديث ابن مسعود رضي الله عنه ـ : (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا)[1] **وإن كان المحقق عند أهل السنة أن عليًا كان هو المجتهد المصيب، وأن الحق كان معه، وأن معاوية هو المجتهد الباغي، وأنه قد حصل منه ومن جيشه البغي المحرّم** كما هو ظاهر في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن عمّار : (تقتل عمّارًا الفئة الباغية)[2]، وقال صلى الله عليه وسلم : (يكون في أمتي فرقتان، تمرق بينهما مارقة ـ أي الخوارج ـ ، تقتلها أولى الطائفتين بالحق)[3]، والمعلوم أن الذي قاتل الخوارج هو علي رضي الله عنه، لكن الباغي لا يكون كافرًا بمجرد بغيه لأن الله تعالى قال: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ الآية [الحجرات ٩] فسمّاهم مؤمنين مع أن إحداهما باغية.

كما أن معاوية تولى الإمارة بعد الحسن رضي الله عنه، وسيّر جيوش المسلمين في نشر الدين بعد ذلك، وقد شاركه شيعة علي رضي الله عنهم جهاده ضد الخوارج[4]، ولو كان الأمر كما يصوّره الموسوي لما وسع كرام "شيعة علي" أن يقاتلوا في جيش

---

(١) رواه الطبراني في الكبير٢/٩٣ وصححه الالباني في السلسلة الصحيحة رقم ٣٤.

(٢) مسلم رقم ٢٩١٦، أحمد ٦/٢٨٩ و٣٠٠ و٣١٥، النسائي في فضائل الصحابة ١٧٠ وابن حبان رقم ٦٧٣٦.

(٣) مسلم رقم ١٠٦٤، أبو داود رقم ٤٦٦٧ وأحمد٣/ ٢٥، ٣/ ٧٩، وابن حبان رقم ٦٧٣٥.

(٤) الطبري ٣/٩٥٠ ـ ٩٦٠.

معاوية وعلى رأسهم معقل بن قيس الرياحي[١]، وصعصة بن صوحان[٢].والله أعلم.

ثانيًا: قوله: بأن بعض علماء الفرق قال بتحريف القرآن.

من الملاحظات أن الدكتور الموسوي نسب القول بتحريف القرن لغير الشيعة، فهو يقول:"القائلون بالتحريف يشكلون عددًا من علماء الفرق الإسلامية كلها، إلا أن علماء الشيعة ومحدثيهم يشكلون الأكثرية المطلقة بين هؤلاء"[٣].

وما ذكره الموسوي من نسبة القول إلى آخرين غير الشيعة لم يعرف، بل الثابت عن العلماء نقل الإجماع على الإنكار على من قال بذلك من علماء الإمامية.

نعم، قد نقل عن قوم من الخوارج إنكار كون سورة يوسف من القرآن، إلا أن نسبة هذا القول إليهم ضعيفة ، والناقلون لها من العلماء يذكرونها بصيغة التضعيف، ولهذا قال الأشعري " وحكي لنا عنهم ما لم نتحقق" ثم ذكر هذا القول عن بعضهم[٤]، وكذلك فعل الشهرستاني حين نقل القول بصيغة التضعيف فقال: "ويحكى عنهم"[٥].

يقول ابن حزم رحمه الله: "لا خلاف بين أحد من الفرق المنتسبة إلى فرق المسلمين من أهل السنة، والمعتزلة والخوارج والمرجئة والزيدية في وجوب الأخذ بما في القرآن، وأنه

---

(١) هو معقل بن قيس(أو عبد قيس) الرياحي ،من بني يربوع. قائد من الشجعان الأجواد. أدرك عصر النبوة. أرسله عمار بن ياسر بشيرًا لعمر بن الخطاب بفتح (تستر) . كان صاحب شرطة علي بن أبي طالب و كان معه يوم الجمل، اعتمد عليه المغيرة بن شعبة في قتال الخوارج، لمعرفته بشدّته على الخوارج، ولما خرج المستورد بن علفة الخارجي جهزه المغيرةُ معقلًا وسيَّره لحربه، فنشبت بينهما معركة على شاطئ دجلة فتبارزا فقتلا معا.. الإصابة ٣ / ٤٧٥ . الطبري ٣/٩٥٠ ـ ٩٦٠. الأعلام ٨ / ١٨٨.

(٢) هو أبو طلحة صعصعة بن صوحان بن الحارث العبدي، من بني عبد قيس، ولد في دارين ، أسلم على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولم يره، أحد خطباء العرب، كان من كبار أصحاب علي رضي الله عنه، شهد مع علي جميع مواقفه، نفاه المغيرة بأمر معاوية إلى جزيرة أوال ـ البحرين حاليًا ـ حتى توفي فيها سنة ٥٦ هجرية ، وقيل سنة ٦٠ هجرية وله من العمر سبعين سنة ، ودفن في قرية (عسكر) الواقعة جنوب جزيرة المنامة العاصمة في البحرين . سير أعلام النبلاء٣/٥٢٨ ـ ٥٢٩. تاريخ الطبري ٣/٩٥٠ ـ ٩٦٠ الإصابة ١٤٣/٥.الأعلام ٢٠٥/٣.

www.geocities.com/al_thaqalayn/mazarsasa.htm - 16k

(٣) الشيعة والتصحيح ١٣١.

(٤) مقالات الاسلاميين ١٧٨/١.

(٥) الملل والنحل ١٢٨/١.

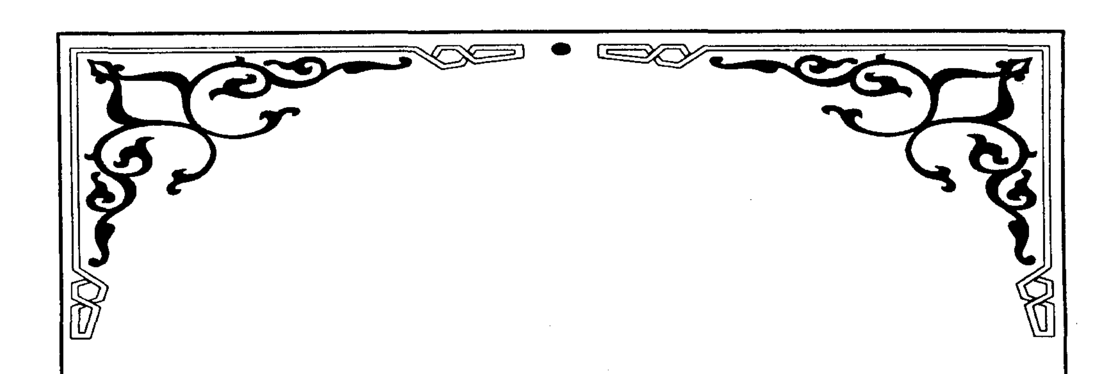
المتلو عندنا نفسه، وإنما خالف في ذلك قوم من غلاة الروافض، وهم كفار بذلك، مشركون عند جميع أهل الإسلام"[(١)].

وبهذا يتبين أن ما قاله الموسوي ليس بدقيق. كما يتبن أنه لو ثبت القول بالتحريف عن بعض الخوارج، فهذا لا يصلح أن يوصف معه القائلون بأنهم "يشكلون عددًا من علماء الفرق الإسلامية كلها" كما يدعي الموسوي.

وأخيرًا: نحن وإن خالفنا الدكتور موسى الموسوي في هذه الملاحظات التي سبق عرضها، إلا أنه يجب القول بأن الموسوي رحمه الله قد خطا خطوات كبيرة في سبيل المشروع الذي سماه "التصحيح"، وأنه قد مارس دور الناقد الشيعي من داخل المذهب، بتجرد واضح، وبموضوعية في أكثر مناقشاته، كما أننا يجب أن لا ننسى خطورة ما قام به من بيان كثير من الحق في وقت صعب للغاية، والواجب على المسلم أن يعطي كل ذي حق حقه، وهو في النتيجة **شديد التشيع** لعلي من غير رفض أو تكفير لأحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، **وإماميٌّ بالمعنى الخاص الذي يدعو إليه** - وهي الإمامة الروحية العلمية، كما أنه يدعو إلى توحيدٍ نقي من الشركيات، وإلى إجلال الأئمة والأولياء من غير غلو، وإلى تشيع من غير أساطير أو خرافة. فرحمه الله رحمة واسعة وغفر لنا وله كل خلل وزلل، وجمعنا في جنات النعيم.



(١) الإحكام ١/٩٦.





الفصل الثالث

آية الله العظمى

محمد حسين فضل الله

"لا بد من الخروج من أقبية الذات والخصوصيات والحسابات الضيقة ، وعلينا أن نواجه قضايانا وأفكارنا وحتى عقيدتنا بالنقد والشجاعة والجرأة قبل أن ينقدها الآخرون ، لأننا نملك كمًّا غير قليل من الموروث الذي تركه لنا الأقدمون، والذي ينبغي النظر إليه بعين النقد والتحليل حتى لا نكون مصداقًا للآية الكريمة : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]".

محمد حسين فضل الله







المبحث الأول



ترجمته

اسمه ونسبه:

هو آية الله العظمى أبو علي محمد حسين بن عبد الرؤوف بن نجيب فضل الله الحسيني نسبًا، وهو من عائلة لبنانية من بلدة "عيناثا"[1].

ولادته ونشأته:

ولد في التاسع عشر من شعبان سنة ١٣٥٤ هـ/ ١٩٣٥ ميلادية في مدينة النجف ـ حيث كان هناك والده لتلقي العلم ـ [2].

بدأ محمد حسين تعلمه في الكتاتيب ، فتعلم القراءة والكتابة والقرآن، ولما بلغ التاسعة انتقل إلى مدرسة أنشأتها جمعية منتدى النشر في النجف على الطريقة الحديثة، ودخل في صفها الثالث ثم انتقل إلى الصف الرابع ولكنه سرعان ما تركها أيضًا وبدأ في الدراسة العلمية في الحوزة على يد والده وعمره إذ ذاك تسع سنين[3].

وقد كان فضل الله . وفي فترة مبكرة . يتواصل مع الأفكار والهموم الثقافية التي انشغلت بها المجلات المصرية واللبنانية والصحف العراقية في تلك المرحلة، فقد كان يقرأ مجلة المصوّر المصرية ومجلة الرسالة التي كان يصدرها حسن الزيّات، ومجلة الكاتب التي كان يصدرها طه حسين، وفي ظل هذه الأجواء نظم الشعر مبكرًا، ولعل أوّل تجربة شعرية له خاضها عندما كان في سنّ العاشرة من عمره إذ ألّف قصيدة جاء فيها:

فمن كان في نظم القريض مفاخرا ففخري طرًا بالعلى والفضائل

---

(١) عيناثا: بلدة في قضاء "بنت جبيل" جنوب لبنان انظر: أمة في رجل لمحمد الجزائري٧. المؤسسة المرجعية٦.

(٢) موقع بينات (موقع فضل الله الرسمي)

http://www.bayynat.org/www/arabic/sira/index.htm

(٣) المرجع السابق. و المؤسسة المرجعية ٦.

ومن أبرز الذين درس على أيديهم:

١. والده عبد الرؤوف فضل الله ، وهو أول من تتلمذ عليه ، فدرس عنده حتى أكمل مرحلة المرحلة الثانية في سلم التعلم لدى الحوزة (السطوح) .

٢. مجتبى اللنكراني[1]، أخذ عنه الجزء الثاني من (كفاية الأصول).

٣. أبو القاسم الخوئي، أخذ عنه في مرحلة الخارج.

٤. محسن الحكيم، أخذ عنه في مرحلة الخارج.

٥. محمود الشاهرودي[2]، أخذ عنه في مرحلة الخارج.

٦. حسين الحلي[3]، أخذ عنه في مرحلة الخارج.

هجرته إلى لبنان:

كانت أول زيارة لمحمد حسين إلى لبنان في سنة ١٩٥٣م ، ولكنه في عام ١٣٨٥ هـ الموافق ١٩٦٦م تلقى دعوة من جمعية أسرة التآخي الخيرية الثقافية في منطقة النبعة بضاحية بيروت الشرقية للانتقال والإقامة عندهم، فقبل ذلك لا سيما وأن ظروف النجف يومها فرضت عليه ذلك.

وقد بدأ أعماله في منطقة برج حمود فأسس هنالك حوزة علمية عرفت باسم

---

(١) هو آية الله مجتبى اللنكراني النجفي ولد سنة ١٣١٣هـ، أصله إيراني،وهو من أساتذة الحوزة في النجف، له كتاب أوفى البيان، توفي سنة(١٤٠٦ هـ) .انظر مقدمة كتاب "ترجمة الحسين١٠ ـ ١١" ـ ضمن ترجمة المحقق عبد العزيز الطباطبائي. وانظر الرد على الوهابية ٢٤ محمد جواد البلاغي (تحقيق السيد محمد علي الحكيم ـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث
http://www.rafed.net/books/turathona/alrad/waha.html

(٢) هو آية الله العظمى حسين الشاهرودي الحسيني ولد عام ١٣٠١هـ في مدينة شاهرود الفارسية، هاجر إلى النجف ١٣٢٨هـ، له حاشية على العروة الوثقى، وكتاب ذخيرة المؤمنين. توفي ١٣٩٤هـ. انظر ترجمته في موقع (المعصومين) :
http://www.14masom.com/aalem_balad/29/1.htm.

(٣) آية الله الشيخ حسين الحلي، ولد سنة ١٣٠٩ هـ ، وتوفي سنة ١٣٩٤ هـ. انظر كتاب "العلامة البيات" تأليف أسرة الفقيد ص١(الناشر مؤسسة الهداية ببيروت ط١ ١٤٢٣هـ) وموقع
:http://www.qateefiat.com/02/kot/view/27%20albiat.htm.

المعهد الشرعي الإسلامي، وقد تخرج منها مجموعة من الطلاب.

نشاطه الخيري:

يولي المرجع محمد حسين فضل الله الناحية الاجتماعية اهتمامًا كبيرًا بسائر نواحيها— وهو ما جعل له قبولًا كبيرًا في لبنان والشام وغيرها ـ ، ومن إنجازاته الأساسية:

١. جمعية المبرات الخيرية ، وهي جمعية مقرها بيروت تشرف على إنشاء ومتابعة عدّة جمعيات خيرية متنوعة صحية ودور أيتام ومساجد ومؤسسات للمعاقين وغيرها [(١)] .

٢.مكتب للخدمات الاجتماعية، مقره بيروت ويقدم من خلاله المساعدات لعشرات الآلاف من المحتاجين، والتي إمّا أن تكون على شكل مساعدات شهرية أو على شكل مقطوعات مالية، أو مساعدات تربوية وصحية [(٢)] .

تعرضه للاغتيال:

تعرض محمد حسين فضل الله لمحاولة اغتيال في يوم الجمعة ٨ آذار ١٩٨٥م في مجزرة عرفت بمجزرة بئر العبد، ولكنه تأخر في المسجد للإجابة على سؤال امرأة فوقع الانفجار قبل خروجه [(٣)] .

مؤلفاته:

لمحمد حسين فضل الله كثير من الكتب، أبرزها:

١.آفاق الروح في أدعية الصحيفة السجادية

٢.الحوار في القرآن.

---

(١) انظر تفاصيل أعمال الجمعية على موقعها
http://www.mabarrat.org.lb/arabic/index.shtml

(٢) انظر تفاصيل أعمال المكتب في موقع مكتب الخدمات الاجتماعية
http://www.fadlullah.org

(٣) وقد كان نتيجة محاولة الاغتيال حوالي ٨٠ قتيل بينهم أكثر من ٤٠ إمراة، والجرحى حوالي ٢٦٠. انظر مقال جلال حسين شريم: (١٧عامًا على مجزرة بئر العبد) موقع بينات
http://www.bayynat.org.lb/www/arabic/hadathwamawkif/birabed2.htm

٣.مفاهيم إسلامية عامة؛ وهي سلسلة ثقافية تربوية صدر منها عدة حلقات.

٤.تأملات في آفاق الإمام موسى الكاظم(ع).

٥.في رحاب دعاء الافتتاح.

٦.في رحاب دعاء كميل .

٧.تأملات في الفكر السياسي الإسلامي.

٨.في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي.

٩.فقه الحياة.

١٠. تأملات إسلامية حول المرأة.

١١. صلاة الجمعة الكلمة والموقف.

١٢. المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية.

١٣. صراع الإرادات.

١٤. تحدّي الممنوع.

١٥. حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع.

١٦. قضايا إسلامية معاصرة.

١٧. الزهراء(ع) نموذج المرأة العالمي.

١٨. خطاب الإسلاميين والمستقبل؛ من إعداد غسان بن جدو.

١٩. الحركة الإسلامية هموم وقضايا.

٢٠. على شاطئ الوجدان (ديوان شعر)

٢١. قصائد للإسلام والحياة (شعر)

٢٢. المشروع الحضاري الإسلامي.

٢٣. مع الحكمة في خط الإسلام.

٢٤. الإسلاميون والتحديات المعاصرة.

٢٥. حركة النبوة في مواجهة الانحراف، إعداد السيد شفيق الموسوي.

٢٦. في رحاب أهل البيت٣؛ الجزء الأول، إعداد السيد سليم الحسني.

٢٧. فقه الشريعة ج١ وج٢ وج٣.

٢٨. مناسك الحج.

٢٩. الزهراء(ع) القدوة.

٣٠. أحاديث في قضايا الاختلاف والوحدة.

٣١. الفقيه والأمة.

٣٢. تحديات المهجر.

٣٣. كتاب الجهاد، كتبه سماحة السيد علي فضل الله .

٣٤. كتاب النكاح، الجزء الأول، بقلم الشيخ جعفر الشاخوري.

٣٥. كتاب القرعة والاستخارة، إعداد المركز الإسلامي الثقافي.

٣٦. من وحي القرآن





المبحث الثاني

آراء محمد حسين فضل الله



* المطلب الأول *

مسائل تتعلق بتوحيد الربوبية

يتميز محمد حسين فضل الله بصفاء واضح في توحيد الربوبية، فهو يتبنى رؤية بعيدة عن الأساطير وألوان الغلو في هذا الباب، ويعتمد في نظرته إلى الرب سبحانه على مبدأ انفراده تعالى بصفات الربوبية ومنها القدرة على الضر والنفع، وأنه المنفرد بالملك لكل شيء "فلا يملك أحد معه شيء "، كما يتضح صفاء توحيد الربوبية عند فضل الله عندما يبين ما يقابل ذلك، وهو يركز كثيراً على بيان فقر العباد كلهم لله، سواء في ذلك الأنبياء والأئمة والأولياء، فالعباد في نظره كلهم محتاجون إليه ، لا يملكون موتهم ولا حياتهم[1].

ومن أهم المسائل التي يظهر فيها نقاء توحيد الربوبية عند محمد حسين فضل الله، وبعده عن شوائب الغلو والخرافة: موقفه من الولاية التكوينية، ونسبة علم الغيب إلى غير الله تعالى.

أولاً: تصرف الأئمة في الكون (الولاية التكوينية)

سبق أن مر معنا اعتقاد طائفة من أشهر علماء الشيعة المعاصرين بأن الله سبحانه قد أعطى الأنبياء والأئمة قدرة على التصرف في الكون بحيث يخلقون ويرزقون وما إلى

---

(١) انظر: حركة النبوة في مواجهة الانحراف١٢٤، و آفاق الروح ١/٣١٩، ٢/٨٠.

ذلك[(١)]، وهو ما يسمونه بـ"الولاية التكوينية" أو " الخلافة التكوينية"، فما هو موقف محمد حسين فضل الله منها؟

موقف فضل الله من الولاية التكوينية.

لقد تناول محمد حسين فضل الله الحديث عن الولاية التكوينية في عدّة مواضع من كتبه، ويمكن تلخيص موقف فضل الله في نقاط:

١.أن دور الرسل والأنبياء هو دور دعوي تشريعي ، وليس دور إداري للكون، ولذا لا حاجة لإعطائهم ولاية تكوينية .

فهو يؤكد بـ"أنَّ دور الأنبياء هو دور تبشير وإنذار وتبليغ، وإذا كان لهم دور تنفيذي فإنَّهم يتحرّكون فيه من خلال الوسائل العادية المطروحة بين أيديهم في الحالات العادية "[(٢)]

٢.الرسل والأنبياء والأئمة بشر في خلقتهم وطريقة حياتهم وأساليب دعوتهم، وأما المعجزات والخوارق فإنها حالات استثنائية في حياتهم ودعوتهم، ويكون المقصود منها إحداث صدمة للكافرين وبيان لضعف آلهتهم.

فقد قرر محمد حسين بأن قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنعام : ٥٠] يدل على أمور منها: الصورة البشرية الواقعية للشخصية النبويّة، وأن الله لم يرد للنبي أن يبدو في نظر الناس شخصيةً أسطوريةً تملك في حوزتها الخزائن بحيث يغرف ما يشاء من المال لمن يشاء من الناس، ولا شخصيّة ملائكيّة ليأخذ بألباب الناس فيدهش العقول بأجنحته المتنوّعة المتعدّدة، وقدرته الأسطوريّة الخارجة عن كلّ حدّ".

والحكمة التي يستنبطها فضل الله من ذلك أنَّ الله يريد للناس أن يؤمنوا بالرسول من خلال رسالته "بعيداً عن كل أشكال الضغط النفسي أو المادي، وعن كل ألوان الإغراء أو الاستعراض"[(٣)] ..

---

(١) انظر: ما سبق ص ٨٦.

(٢) تفسير من وحي القرآن – سورة المائدة ـ آية ٤٨/٤٩ . موقع بينات .

(٣) تفسير من وحي القرآن – الأنعام آية ٥٠. موقع بينات (بتصرف يسير) .

ثم يخلص محمد حسين فضل الله إلى أن الدرس الفكري الذي تعلمنا إياه هذه الآية هو: "أن لا نغرق أنفسنا بالأسرار العميقة التي يحاول البعض أن يحيط بها شخصية النبيّ، للإيحاء بأنه يرتفع فوق مستوى البشر في إمكاناته الذاتية وقدراته الكبيرة، بل بصفته الرسالية من حيث أخلاقه وخطواته ومشاريعه المتصلة برسالته".

كما يبين محمد فضل الله أن هذه النظرة هي التي يجب أن يتعامل بها مع شخصيات الأنبياء والأولياء جميعًا.

ثم ينبه على أن هذا المنهج هو الأسلوب الأمثل في الرسالة التي يراد منها أن يشعر كل إنسان بأن النبي قريبٌ منه بصفاته البشريّة التي يمكن أن تكون أساسًا للامتثال والإتباع.

ثم يختم ذلك بالتنبه على انحراف بعض التيارات التي تتبنى القول بالولاية التكوينية بعبارة مهذّبة، فيقول:"وفي ضوء ذلك، نجد في الأبحاث السائرة في هذا الاتجاه انحرافًا عن الخط القرآني الذي يُرسم للناس في دراستهم لشخصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم"[(١)].

النبي بين البشرية والخوارق.

يرى محمد حسين فضل الله بأن الخوارق والمعجزات لا يستدل بها على انتقال النبي من ضعفه البشري إلى امتلاك القدرات الخارقة التي تمكنه من التصرف بالكون بحيث لا يكون في مستوى البشر، لأن المعجزات حالة طارئة يراد منها - في نظر فضل الله - "أن تحدث صدمة تبين للكافرين شدة ضعفهم وضعف آلهتهم أمام الله، كما في طوفان نوح ونار إبراهيم، وعصا موسى، وقرآن محمَّد صلى الله عليه وسلم، يقول السيد محمد حسين فضل الله: "وتنتهي المسألة عند هذا الحدّ، فتكون بمثابة قضية في واقعة، وتعود الرسالة إلى مجراها الطبيعي، ويعود الرسول إلى الوسائل العادية، ويتحرّك الصراع من جديد ليعيش النبيّ هنا وهناك أكثر من مشكلة وهمّ وبلاء؛ فيتحمّل الألم القاسي، ويواجه التحدّيات الصعبة كأيّ إنسانٍ آخر من دون أن يُبادر إلى أيّة وسيلةٍ غير عادية للتخلّص من ذلك كلّه"[(٢)].

---

(١) تفسير من وحي القرآن – الأنعام آية ٥٠. موقع بينات .

(٢) تفسير من وحي القرآن – سورة المائدة ـ أية ٤٨/٤٩ . موقع بينات .

الشرف بكمال العبودية لا بالولاية التكوينية.

يذكر محمد حسين فضل الله بأن مكانة الرسل والأئمة ليس بجعلهم أولياء على الكون أو وسطاء في الفيض ـ كما يعتقد بعض المخالفين ـ بل بكونهم أسمى البشر في عبوديتهم لربهم، لذا يقول:" عظمة الرسول [صلى الله عليه وآله وسلم] أنه عبد الله ، ولذا نحن في التشهد نقول: (وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) وكذلك علي [رضي الله عنه] عظمته أنه عبد الله، حتى الملائكة (عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)[(١)] .

ويقول أيضًا: " أمّا التشريف، فإنّه لا يتمثّل في إعطاء القدرة من دون قضية[(٢)] ، أو توسيع السلطة من دون مسؤولية، واللّه يشرّف أنبياءه من خلال رفع درجتهم عنده، بتقريبهم إليه ومحبته لهم وعلوّ مقامهم في الآخرة، أمّا الدُّنيا فلا قيمة لها عنده، ولذلك لم يجعلها أجرًا لأوليائه، بل أتاح الفرصة الكبرى فيها لأعدائه"[(٣)] .

المعجزات بيد الله

المعجزات التي تحدث على أيدي الرسل تكون من الله ابتداء وانتهاء ، وأما الرسل فإنه لا دخل لهم في إيجاد شيء منها.

فقول الله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ [الأنعام ٥٨] يدل في نظر فضل الله على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم "وقف وقفة الرسول الذي يعرف قدراته جيّدًا، فإنّ الله لم يسلّطه على مقدّرات الكون، فيأمره بإنزال العذاب على هؤلاء أو أولئك، لأن دوره الأوّل والأخير هو إبلاغ الرسالة..."[(٤)] .

---

(١) في رحاب دعاء كميل ٩٤ . وفي الأصل (لا يسبقونه في القول) والصواب كما في أعلاه.

(٢) يقصد من دون حاجة لها ، حيث قال هذا بعد ذكره أن دور الأنبياء دعوى ولا حاجة معه للولاية التكوينية—كما نقلنا قبل ـ .

(٣) تفسير من وحي القرآن — سورة المائدة ـ آية ٤٨/٤٩ . موقع بينات .

(٤) تفسير من وحي القرآن —سورة الأنعام ٥٦ ـ ٦٧ .موقع بينات.

حياة الأنبياء والأولياء تخالف الولاية التكوينية.

من أحسن ما يستدل به السيد محمد حسين فضل الله على بطلان الولاية التكوينية حياة الرسل والأنبياء والأئمة وما واجههم فيها من مشاق و أذى ، بل وهزائم تدل على عدم امتلاكهم شيء من الولاية التكوينية المزعومة.

فهو يقول:" ثُمَّ ما معنى هذه الولاية التي لا أثر لها في حياتهم من قريب أو من بعيد، ولا دخل لها في حماية رسالتهم، فلم يستعملوها في إذهاب الخطر عنهم، ولم يتحرّكوا بها في الانتصار لرسالاتهم، وذلك من خلال قراءة تاريخهم الصحيح كلّه؟"[١]

شبهة وجواب:

لما رأى القائلون بالولاية التكوينية صراحة الآيات في ذكر بشرية النبي وتصريحه بأنه لا يملك المعجزات ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أجابوا على ذلك بأن الرسول يخبر عن حالته الأصلية، قبل أن يُعطى الولاية التكوينية.

ويجيب عليهم محمد حسين فضل الله على ذلك مبينًا أن نتيجة ذلك هي أن النبي يحكي لهم غير واقعه الفعلي فهو يقول لهم أنا لا أمتلك قدرة على شيء، ولكنه في الواقع يملك قدرة على التصرف في الكون، وهذا لا يتصور في حق الرسول صلى الله عليه وسلم[٢].

ولو ألزمهم السيد فضل الله بأمر أشد، وهو أنه على قولهم كان يجوز للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول للكفار أنا لست نبيًّا لأنه لا يملك النبوة في الأصل، وإنما هي من الله، وهذا مما لا يستطيع المخالفون أن يقولوا به، مع أنه لا فرق بينه وبين قولهم في الإجابة الماضية.

والخلاصة أن محمد حسين فضل الله يرى بأن القول بالولاية التكوينية مخالف للحق من جهات:

الأولى: مخالفة الحكمة الإلهية في جعل الرسول بشرًا، ليكون في نظر الناس مثلهم،

---

(١) تفسير من وحي القرآن — سورة المائدة ـ آية ٤٨/٤٩ . موقع بينات .

(٢) انظر: تفسير من وحي القرآن — سورة المائدة ـ آية ٤٨/٤٩ . موقع بينات .

وهو ما يسهل الاقتداء به.

الثانية: مخالفة الآيات التي تبين عجز الأنبياء، وعدم امتلاكهم الآيات التي يطلبها المشركون.

الثالثة: أن الآيات التي يستدل بها المخالفون لا تدل على قولهم، بل هي تدل على نقيضه.

ثانيًا: نسبة علم الغيب للأئمة.

مما يبين بُعد محمد حسين فضل الله عن الخرافات والغلو في باب الربوبية تقريره بأن الله هو المختص بعلم الغيب، مستدلًا بآيات كثيرة من القرآن، من أبرزها: قوله تعالى ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنعام : ٥٠] حيث بين فضل الله بأن هذه الآية تدل بشكل واضح بأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يمتلك علم الغيب، وأن الله لم يرد من الرسول أن يكون إنسانًا يقف بين الناس ليتحدث عن أسرارهم الكامنة في صدورهم وعمّا ينتظر كل واحد منهم من أحداث المستقبل، على أساس ما يحمله من علم الغيب الإلهيّ، **كما هو دور النبي في تصوّر الكثيرين**، حيث يجعلون من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشبه ما يكون بشخصية الكاهن[(١)].

وهكذا يتبين أن المرجع الإمامي المعاصر محمد حسين فضل الله قد اتجه اتجاهًا صافيًا من الغلو في باب الربوبية، وأنه سعى بشكل واضح إلى نبذ الأساطير والخرافات التي يتعلق بها بعض التيارات الإمامية، مبينًا أنها مما لا يمت إلى عقيدة القرآن ومنهج أئمة آل البيت، وهو بهذه الخطوات المحمودة يكون قد قدّم خطوات صادقة نحو إصلاح المذهب الإمامي، وجمع كلمة المسلمين على أساس التمسك بالهدي الصحيح، كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران:١٠٣].

❁❁❁

---

(١) تفسير من وحي القرآن – الأنعام آية ٥٠.

* المطلب الثاني *
مسائل تتعلق بتوحيد العبادة

دلالة كلمة التوحيد

يرى محمد حسين فضل الله بأن كلمة (لا إله إلا الله) تعني إفراد الله بالعبودية ، وأن لها ركنان هما النفي والإثبات وهما يدلان على وجوب صرف الخضوع والتذلل لله وحده دون سواه، ولذا يقول معنى (لا إله إلا أنت) :

"أي يا رب أنت الإله الذي لا شريك له في الألوهية ، وأنت المعبود الذي لا يعبد سواه ..[حتى قوله] وأشهد أنك المعبود الجدير حقيقة بمقام العبودية ولا أحد سواك "[(١)] .

كما يبين محمد حسين فضل الله أن ركني شهادة (لا إله إلا الله) " تتكامل فيهما مظاهر القوة مع مظاهر الخضوع و التذلل لله سبحانه وتعالى"[(٢)] .

تعريف العبادة

يرى محمد حسين فضل الله بأن اسم العبادة يشمل ثلاثة أمور : الخضوع، والطاعة، والتأله(التعبد) ولذا يقول: "ليست العبادة هي الخضوع ولا الطاعة ولا التألّه، ولكنَّها المعنى الذي يشمل ذلك كلّه في خصوصيةٍ مميّزةٍ"[(٣)] .

كما أنه يرى بأن العبادة التي ينبغي أن لا تصرف إلا لله وحده " تتمثل في كل أمر يحبه الله مما يتعلق بنفسك، ومما يتعلق بالحياة من حولك، ومما يتعلق بكل الرسالات التي أراد الله لك أن تعيشها "[(٤)] .

---

(١) في رحاب دعاء كميل ١٣٦.

(٢) المرجع السابق ٣٣.

(٣) تفسيرمن وحي القرآن – الفاتحة – موقع فضل الله (بينات).

.http://www.bayynat.org/books/quran/fateha.htm

(٤) المرجع السابق ٢٠١.

ولذا نرى محمد حسين فضل الله يركّز على أن خضوع المؤمن وتذلّله – الذي هو حقيقة العبادة – يجب ألا يكون إلا لله وحده سبحانه، بل ويصرح بأن" أي خضوع يقع من الإنسان لغير الله فهو خطأ "[1].

كما يؤكد فضل الله وضوح مفهوم العبودية لديه عندما يبين أن خضوعنا لأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو تبع لخضوعنا لله القائل: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]، والقائل: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣٢]، ليصل فضل الله بعد ذلك إلى نتيجة هي أنه "ليس لدى النبي صلى الله عليه وسلم خصوصية إلا أنه ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝﴾ [النجم:٣ـ ٤] "[2].

كل هذا يؤكد لنا أن مفهوم العبادة عند فضل الله في الجملة متوافق مع القرآن الكريم والسنة المطهرة .

متى يكون فعل العبادة لغير الله شرك؟

يرى فضل الله بأن توجيه العبادة لغير الله تعالى انحراف يجب تجنبه، ولكنه لا يعد كل عبادة تصرف لغير الله تعالى شركاً، لاحتمال كونها وقعت على غير وجه العبادة، كالسجود أو الركوع على وجه التحية مثلاً، وهو وإن كان يرى ذلك خطأ، إلا أنه يتوقف في اعتبار جميع ذلك شرك، ولتوضيح وجهة نظره نبين أوجه وقوع العبادة لغير الله ووجهة نظر فضل الله فيها:

الصورة الأولى: أن يجتمع صورة العبادة – كالسجود ونحوه – مع قصد التعبد والتقرب لذات معينة غير الله، وهو ما يعبر عنه فضل الله بـ(الاستغراق في الذات التي يوجّه إليها الفعل المعين)[3]، وهذا النوع يرى فضل الله بأنه شرك.

الصورة الثانية: أن يقوم العبد بأحد صور العبادة لغير الله بدون أدنى خضوع في

---

(١) المرجع السابق ٣٣.

(٢) المرجع السابق ١٩٦.

(٣) تفسير من وحي القرآن ـ تفسير الفاتحة ـ موقع فضل الله (بينات).

http://www.bayynat.org/books/quran/fateha.htm

داخله لغير الله، بل لقصد آخر كالتحية مثلاً، ثم يضرب لذلك مثالين:

الأول : سجود الملائكة لآدم – عليه السلام – ، وهو كما يقرر فضل الله استجابة لأمر الله بالسجود، إضافة إلى أنه لم يتضمن سوى التحية لهذا المخلوق دون أدنى قصد بخضوع العبادة.

يقول محمد حسين فضل الله : " فإن الله قد أمر الملائكة بالسجود لآدم تحية له وتعظيمًا للإبداع الإلهي في خلقه، فسجدوا امتثالاً لأمره وانقيادًا له، لأن المسألة لم تكن مسألة سجود لهذا المخلوق، بل هي امتداد لعبوديتهم لله وخضوعهم المطلق له، فلا مجال لديهم ـ من ناحية ذاتية ـ لسؤال أو اعتراض"[١].

الثاني: سجود أخوة يوسف ووالديه له – عليهم السلام ـ ، وهي من قبيل ممارسة بعض العادات الاجتماعية كالتحية بالركوع والسجود.

فالمسألة هي ـ في نظر فضل الله ـ "مسألة التقليد المتّبع في احترام صاحب العرش، الذي يملك السلطة، في السجود له، تعبيرًا عن الشعور بعظمته وعن التقدير لمقامه الرفيع".

والذي يريد محمد حسين الخلوص له أن لا يُطلق حكمُ الشرك بمجرد وقوع صورة العبادة لغير الله حتى تتم "دراسة خلفياتها الفكرية والروحية في شخصية من يمارسها، ومعرفة التقاليد الاجتماعية في مسألة الاحترام والتقدير"[٢].

ومع هذا فإن فضل الله ـ كما سبق ـ يرى بأن من الخطأ أن توجّه العبادة لغير الله ولو في الصورة دون القصد كسجود التحية لأنه مما يخالف شرعنا.

ولذا نجده يؤكد على أن سجود المسلم تحية للأولياء حين زيارة قبورهم من الممارسات "المنحرفة التي تتحول فيها المسألة إلى ما يشبه الطقوس العبادية للقبر ولصاحبه"، بل ويعتبر ذلك من الأخطاء الغريبة عن" وحي التوحيد الإلهي"[٣].

والخلاصة أن فضل الله يرى أن كل ما يسمى "عبادة" يجب أن لا يصرف إلا لله، ولكن إطلاق وصف الشرك على من خالف ذلك لا يصدق إلا مع وجود قصد العبادة في قلب الفاعل، ولذا فهو يقرر بأن كل سجود من المسلم لغير الله فهو منهي عنه، ولكنه لا يصفه

---

(١) آفاق الروح ١/٧٦.

(٢) تفسير من وحي القرآن ـ تفسير الفاتحة ـ موقع فضل الله (بينات).

http://www.bayynat.org/books/quran/fateha.htm

(٣) آفاق الروح ١/٦٠٨ ـ ٦٠٩.

بالشرك حتى يكون قصد الساجد التقرب إلى المسجود له.

مناقشة فكرة فضل الله:

لمناقشة ما ذكر محمد حسين فضل الله في مسألة السجود ينبغي أن يقال بأن فعل السجود والركوع والذبح ونحوها من العبادات لا يكون عبادة إلا إذا قُصد به التقرب إلى المعبود، كما قال محمد رشيد رضا رحمه الله: "والعبادات إنما تمتاز عن العادات بالتوجه فيها إلى المعبود تقربًا إليه، وتعظيمًا له، وطلبًا لمثوبته ومرضاته.." [1]، وقد حكى الإجماع على كفر من سجد لغير الله بنية العبادة النوويُ والشوكاني [2]، ولهذا لو سجد أحدهم لأب أو عالم ونحوهما وقصد التحية والإكرام فقد وقع في محرّم خطير وإن قلنا بأنه لم يشرك، وأما إن قصد الخضوع والذل والتقرب فهذا من الشرك، لكن لو سجد لشمس أو قمر، فمثل هذا السجود لا يأتي إلا عن عبادة وخضوع وتقرب فهو سجود شركي لعدم تصور وقوع التحية لمثل هذه الأجناس من المسلم [3].

وقد استشكل العز بن عبد السلام رحمه الله الفرقَ بين السجود للصنم وبين سجود الولد لوالده بناء على أنها جميعًا تقع على وجه التعظيم، ولكن ابن حجر الهيتمي رحمه الله [4]: أجاب على ذلك بأن الفرق هو أن الوالد قد ورد الشرع بتعظيمه، بخلاف الصنم ونحوه، وبأن السجود لتعظيم الوالد وما كان من جنسه ثبت أنه كان من شريعة من قبلنا؛ "فكان شبهة دارئة لكفر فاعله بخلاف السجود لنحو الصنم والشمس فإنه لم يرد هو ولا ما يشابهه في التعظيم في شريعة من الشرائع، فلم يكن لفاعل ذلك شبهة لا ضعيفة ولا قوية، فكان كافرًا، ولا نظر لقصد التقرب فيما لم ترد الشريعة بتعظيمه بخلاف من وردت بتعظيمه، فاندفع الإشكال.." [5].

وقد نقل الهيتمي عن صاحب المواقف وشارحه رحمهم الله جميعًا اعتبار ما يفعله

---

(١) تفسير المنار٨/٢٤٣.

(٢) انظر نيل الأوطار ٧/١٦٨. البحر الزخار٥/٢٠٥. ونقل سعدي حبيب قول النووي في المجموع٢/٧٣ (موسوعة الإجماع٢/٥٤٨) ، وانظر حاشية ابن قاسم ٧/٤٠٣.

(٣) انظر نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز آل عبد اللطيف٢٧٨ ـ ٢٧٩. وانظر مجموع الفتاوى ١/٣٧٢. الإنصاف للمرداوي (مع كتاب الشرح الكبير/بتحقيق التركي) ٢٧/١٠٨ ـ ١٠٩.

(٤) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي الهيتمي السعدي الأنصاري الشافعي، ولد سنة٩٠٩هـ، وتوفي ٩٧٣هـ. انظر شذرات الذهب ٨/٣٧٠. البدر الطالع ١/١٠٩. الأعلام ١/٢٣٤.

(٥) الإعلام بقواطع الإسلام ١٩٤(ضمن كتاب الجامع في ألفاظ الكفر/جمع د.محمد الخميس).

كثير من الجهلة من السجود بين يدي المشايخ محرم قطعًا سواءً كان إلى القبلة أو لغيرها، وسواء قصد السجود لله أو غفل، ثم قال: "وفي بعض صوره ما يقتضي الكفر عافانا الله"[(١)].

كما أن الشوكاني رحمه الله قال: "وما يفعله عوام الناس من سجودهم بين يدي العلماء، ولو كانوا محدّثين، فهو حرام بإجماع المسلمين، فإن كان السجود لغير الله بنية العبادة فهو كفر بإجماع المسلمين"[(٢)].

كما ينبغي أن ينبه إلى أمر مهم وهو أن السجود على وجه التحية كان سائغًا في شريعة من قبلنا ثم نهي عنه في شرعنا[(٣)]، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها**"[(٤)]، وقد روى غير واحد من علماء الشيعة عن أبي عبد الله الصادق رحمه الله أنه قال: إن قومًا أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا يا رسول الله إنا رأينا أناسًا يسجد بعضهم لبعض فقال رسول الله صلى الله عليه وآله سلم "**لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**"[(٥)].

كما رووا عن الصادق رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاعدًا في أصحابه إذ مر به بعير فجاء حتى ضرب بجرانه الأرض ورغا، فقال رجل: يا رسول الله أسجد لك هذا البعير فنحن أحق أن نفعل؟ فقال: "**لا بل اسجدوا لله**" ثم قال: "**لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**"[(٦)].

والخلاصة: هي أن السجود لغير الله ممنوع، فإن كان للصنم أو الشمس ونحوهما فهو كفر بإطلاق، وإن كان لنحو الوالد أو العالم فإن كان بنية العبادة فهو كفر وإن كان بنية التعظيم والاحترام فهو محرم قطعًا، ولا يمنع من كونه كفر إلا الشبهة فقط. كما سبق..

---

(١) المرجع السابق١٩٥ ـ ١٩٦.

(٢) نيل الأوطار٧/١٦٧.

(٣) وانظر : تفسير المحرر الوجيز ٩/٣٧٧.وتفسير ابن كثير٢/٤٩١.

(٤) رواه أحمد ٣/١٥٨. والبزار (مجمع الزوائد٩/٤) وصححه الالباني في الإرواء ٧/٥٥.

(٥) الكافي ٥/٥٠٧ ـ ٥٠٨. من لا يحضره الفقيه ٣/٤٣٩. وانظر بحار الأنوار ١٧/٣٧٧.

(٦) وسائل الشيعة ٦/٣٨٥. مستدرك الوسائل٤/٤٨٠.بصائر الدرجات ٣٢٥.تفسير فرات ٣٨٨. الخرائج والجرائح ١/٣٩.

وموقف السيد محمد حسين فضل الله الذي وقفه من النهي عن السجود لغير الله تعالى هو عين الموقف المنقول عن الصادق رحمه الله تعالى في النهي عن السجود لغير الله تعالى، والله أعلم.

العبادة بين الخوف والرجاء:

يرى محمد حسين فضل الله بأن كمال العبودية للمؤمن أن يعبد الله تعالى بين جناحي الخوف والرجاء، بحيث يتوجه المؤمن لله تعالى بالعبادة خائفاً من عقابه وعذابه، وطالباً رضاه وثوابه في الدنيا والآخرة.

وفي إشارة إلى الاتجاه الصوفي يشير فضل الله إلى الاتجاه الذي يتمسك أصحابه بفكرة خاطئة، ألا وهي أن كمال العبودية في التوجه لله بالعبادة بدون أي قصد آخر، لأن طلب الثواب أو غيره في نظرهم مما يجعل العبادة في معنى المعاوضة.

ولكنَّ محمد حسين فضل الله يرى بأن الخوف من الله والطمع فيما عنده هو من ضمن عبادته، كما أنه يرى أن الإسلام راعى الجانب الإنساني في الفرد؛ وهو تطلعه لما ينفعه وهربه مما يكرهه أو يضره ، ولهذا رغب الله في عبادته في القرآن وعزز ذلك بما يحفز الإنسان فقال: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦]. وقوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦]. وقوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ﴾ [الإسراء: ٥٧].

يقول فضل الله: "وعلى هذا الأساس، تنطلق التربية الإسلامية لتؤكد على الجانب الإنساني في التطلّعات الذاتية التي يعيشها النّاس في ما يتحرّكون فيه من قضايا وأوضاع، على أساس رغبتهم بما يصلحهم، وخوفهم مما يفسد أمورهم، فإنَّ من الصعب عليهم أن يتجرّدوا من ذلك في حركة وجودهم المنفتح على العنصر المادي، من خلال طبيعة الحسّ المادي في الذات. ولذلك، فقد انفتح الإسلام على هذا الجانب، فلم يُبعد الإنسان عنه، ولم يجعله ضدّ القيمة الروحية، بل وجّهه إلى الارتباط بالله في مواقع الرغبة والرهبة على مستوى الدنيا والآخرة، وفي ما هي قضايا النعمة والبلاء في الدنيا، وقضايا الجنّة والنّار في الآخرة، على صعيد سلامة الذات في ما تحتاجه وفي ما تخاف منه، ما جعل الحسّ الإنساني الواقعي يلتقي بالقيمة الروحية المنفتحة على الله من خلال حركة الحياة في الوجود الإنساني، وهذا هو المنهج الرباني في تهذيب دوافع الإنسان في العمل بدلاً من إلغائها،

ليتحرّك الإنسان من خلال الواقع لا من خلال المثال"[١] .

ومن خلال النص السابق يتضح لنا النظرة الواقعية التي ينطلق منها محمد حسين فضل الله في استيعابه للشريعة وكيفية تعاملها مع الإنسان، فهو بهذا يسجل موقفاً إيجابيًّا يدل على الواقعية في المنهج بعيدًا عن المثالية التي لم تأت الشريعة بمثلها، بل تخالف النصوص الشرعية السابقة.

دعاء غير الله :

من أهم المسائل التي تعبّر بشكل واضح عن وضوح التوحيد وصفائه بدرجة كبيرة لدى السيد محمد حسين فضل الله دعوته إلى التوجه إلى الله تعالى وحده بالدعاء والاستغاثة، ففي مواضع كثيرة نجده يصرح وبشكل واضح بأن الدعاء ينبغي أن لا يوجه إلا إلى الله وحده، معللا ذلك بأنه سبحانه هو الغني والغالب على الأمور كلها في مقابل الآخرين الذين يصفهم فضل الله جميعًا ـ وبدون استثناء ـ بقوله: "الفقراء في إمكانياتهم ، المغلوبون على أمرهم ، المقهورون على شأنهم ، المتغيرون في أحوالهم ، المختلفون في أوضاعهم "[٢] .

ولهذا يصف لنا محمد حسين فضل الله حال المؤمن العارف بربه فيقول: " فلا يسأل غيره [أي الله] فيما يريد سؤاله، ولا يطلب حاجته من غيره ، ولا يدعو أحدًا سواه ، ولا يشرك أحدًا معه في رجائه، ولا يتفق معه في دعائه، فهو المدعو في وحدانية الدعاء "[٣] .

ويقول أيضًا – بعد أن بيّن أن الله له الهيمنة المطلقة ـ : " فلا بد للإنسان من أن يتوكل عليه ويستعين به ويلجأ إليه في شؤونه، لأنه ـ وحده ـ القادر على رعايته وحمايته وقضاء حاجاته ، من خلال قدرته على كل شيء في الوجود، وهو مالك السماوات والأرض وما بينهما ، فلا يملك أحد معه شيء..[إلى أن يقول:] وهكذا يفرض هذا المنهج على الإنسان، أن لا يتجه بقلبه إلى المخلوقين في حاجاته التي تلح عليه، باعتبارهم القادرين على توفير حاجاته وإجابة مسائله، بل لا بد له من التوجه لله بكل أموره، والاعتماد عليه في حل مشاكله ، واليقين بأنه – وحده – المهيمن على الأمر كله، والغني عن كل شيء ، بينما يتساوى الناس جميعهم بأنهم الفقراء إليه في كل وجودهم..."[٤] .

---

(١) تفسير من وحي القرآن ـ تفسير الفاتحة ـ موقع فضل الله (بينات).

http://www.bayynat.org/books/quran/fateha.htm

(٢) آفاق الروح ٢/٨١.

(٣) المرجع السابق ٢/٨١.

(٤) المرجع السابق ١/ ٣١٩.

وقد أحسن محمد حسين فضل الله عند شرحه لما روي عن الإمام علي بن الحسين الملقب بزين العابدين رحمه الله ورضي عنه في قوله: (اللهم يا منتهى مطلب الحاجات، ويا من عنده نيل الطلبات... ويا من يُستغنى به ولا يُستغنى عنه، ويا من يرغب إليه ولا يرغب عنه... تمدحت بالغناء عن خلقك وأنت أهل الغنى عنهم ، ونسبتهم إلى الفقر وهم أهل الفقر إليك، فمن حاول سد خلته من عندك، ورام صرف الفقر عنه نفسك بك ، فقد طلب حاجته من مظانّها، وأتى طلبته من وجهها ، ومن توجه بحاجته إلى أحد من خلقك ، أو جعله سبب نُجحها دونك، فقد تعرض للحرمان، واستحق من عندك فوت الإحسان..[ويقول آخر دعائه متضرعًا لله :]ولا توجهني في حاجتي هذه وغيرها إلى سواك.."[1]

فيرى محمد حسين فضل الله أن" هذا الدعاء يؤسس قاعدةً فكريةً إيمانيةً" "لانطلاق الحاجات كلها ورجوعها إلى الله، ولرفض تحركها في اتجاه السؤال للمخلوقين.."[2]

ويقول أيضًا في تعليقه على هذا الدعاء ـ في موضع آخر ـ : "وإذا كان الإنسان؛ كلّ إنسان، في موقع الحاجة إلى الله، فكيف يتوجّه الإنسان الواعي إلى مثله ليرفع حاجته إليه، وهل ذلك إلاّ لونٌ من ألوان الغفلة عن حقيقة الفقر الإنساني أمام حقيقة الغنى الإلهي، بالإضافة إلى أنها زلّةٌ من زلل الخاطئين، وعثرةٌ من عثرات المذنبين، لأنها خطيئةٌ تتصل بالانحراف عن خطّ الاستقامة في التصوّر التوحيدي للإنسان، وبالخلل في الوعي الإيماني للحقيقة الإلهية في معنى وجود الإنسان وحركته، وفي سعة القدرة وشموليتها؟! وهكذا تتبلور لدى الإنسان مسألة الاستعانة بالله وحده، بعيدًا عن الاستعانة بغيرها.

إنَّ هذا الدعاء لأي دعاء زين العابدين السابق] يعالج المسألة في الدائرة الفكرية النظرية على أساس إثارة مسألة الحاجة الذاتية لدى الإنسان في جميع مواقعه وأشكاله، لتكون رادعًا عن توجه الإنسان إلى مثله، وغفلته عن توجّهه إلى ربّه" [3] .

والخلاصة: هي أن محمد حسين فضل الله يدعو إلى إفراد الله بالدعاء، وأن توجيهه إلى غيره يعد انحرافًا عن التوحيد الصحيح، وخروجًا عن الصراط المستقيم، وهذا من أبرز الخطوات المحمودة التي سلكها محمد حسين فضل الله في تنقية مذهب أئمة آل البيت

---

(١) المرجع السابق١/٣١٧ ـ ٣١٨.

(٢) المرجع السابق ١/٣١٩.

(٣) تفسير من وحي القرآن ـ الفاتحة ـ موقع بينات.
http://www.bayynat.org/books/quran/fateha.htm.

رضي الله عنهم، ومن ينظر في كتبه، أو يسمع بعض خطبه يتيقن بأن هذه المسألة من أبرز المعالم التي تميز فضل الله عن كثير من رموز الشيعة المعاصرين.

الشفاعة والتوسل بالصالحين

يمكننا أن نلخّص آراء محمد حسين فضل الله في موضوع الشفاعة والتوسل بالصالحين في النقاط التالية:

أولاً : الشفاعة بيد الله.

يرى محمد حسين فضل الله أن الشفاعة بيد الله سبحانه ولا يملكها أحد سواه، وأن أي أحد من الشفعاء لا يشفع إلا بإذن الله ، ومن ثم فإنه يؤكد بأن المؤمن إنما يطلب الشفاعة من الله وحده، فيسأله أن يُشفّع أنبياءه وأولياءه فيه لأن القاعدة أنهم: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨].

يقول : "فالشفاعة بيد الله وهو الذي يُشفّع أنبياءه وأولياءه فيه حسب الخط الذي رسمه لهم"[(١)]

ويقول: "والإمام علي (ع)[(٢)] يقول: (وأستشفع بك إلى نفسك)[(٣)] أي يسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون هو نفسه شفيعًا له عند نفسه، ذلك أن بعض الناس قد يسألون شفاعة أناس مثلهم ظنًّا منهم أن هؤلاء يملكون القوة عند الذين يشفعون، لكن عليًّا (ع) يقول لا أرى أحدًا يملك قوة أمام قوتك يا رب، بل إن قوة كل إنسان هي منك، أنا يا رب أقف بين يديك ، ولك وحدك أن تعاقبني ، ولذا فأنا أستشفع بك إلى نفسك ، لأني لا أرى غيرك شفيعًا"[(٤)].

ويقول :" ليس من أحد يمكن أن يشفع بغير إذن الله، حتى رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] يقف أمام الله ليشفع ، ولكن بعد أن يصدر إليه الأمر: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار١٩]"[(٥)] .

---

(١) الندوة ٩/ ٥٧٤.

(٢) هكذا في الأصل.

(٣) ضمن الدعاء المروي عن كميل عن علي رضي الله عنه.(دعاء كميل ص٢) .

(٤) في رحاب دعاء كميل ٩٢.

(٥) المرجع السابق ٩٤.

ثانيًا: لا واسطة بين العبد وربه.

يؤكد محمد حسين فضل الله بأن الصلة بالله لا حاجة فيها لواسطة بين العبد وربه، حيث يرى بأنه لا حاجة لمن يوصل الدعاء ولا لمن يبلغ طلب المغفرة، لأن الله تعالى كما يبين القرآن " أرادنا أن نتكلم معه مباشرة نحن العباد الخاطئين"، ويستدل فضل الله على ذلك بأن الله تعالى نادى أشد الناس بعدًا عن الله مبينًا سعة رحمته التي لا تحتاج معها إلى توسيط أحد من الصالحين، كما في قوله : ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الزمر:٥٣] كما بين فضل الله أن الله خاطب عموم عباده بقوله : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ ﴾ [غافر:٦٠] يعني بدون واسطة[١].

كما يوضح فضل الله أن الله لم يجعل دور الأنبياء أن يكونوا وسطاء في الدعاء وطلب الحاجات، وإنما جعلهم ـ كما يقول فضل الله ـ: " **وسائط للهداية**، هم وسائط بين الله وبين خلقه يحملون إليهم كلماته وشرائعه وما يريده منهم، هذا هو ما بينهم وبين الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يرحم عبدًا فيكرم نبيه بأن يشفعه فيه يكرم وليه بأن يشفعه فيه، هذه مسألة وإلا ما نحتاج إلى وسائط أبدًا. [في[٢]] **القرآن كله الله يريدنا أن نتكلم معه لا حجاب أبدًا، نعم الذنوب ربما تحجب الدعاء في بعض الحالات ولكن نقدر نحاول أن نستغفر الله من الذنوب**"[٣]

وقد أكد فضل الله موقفه بشكل واضح حينما بيّن أن قوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [الفاتحة ٥] يدلّ على " أنَّ الإنسان لا يحتاج، في حديثه مع الله، وفي طلبه منه، إلى أية واسطة من بشرٍ أو غيره، لأنَّ اللّه لا يبتعد عن عبده، ولا يضع أيّ فاصل بينه وبينه، إلاّ ما يضعه العبد من فواصل تبعده عن مواقع رحمته، وتحبس دعاءه عن الصعود إلى درجات القرب من اللّه، ولذا أراد من عباده أن يدعوه بشكلٍ مباشرٍ ليستجيب لهم، وحدّثهم عن قربه منهم بحيث يسمع كلامهم وإن كان بمثل الهمس أو في مثل وسوسة الصدور، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝ ﴾ [البقرة:١٨٦] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق:١٦]"[٤].

---

(١) الحوزة العلمية تدين الانحراف لمحمد علي الهاشمي المشهدي ٦٨ ـ ٦٩ — نقلًا عن شريط مسجل.

(٢) هذه العبارة ضمن محاضرة، وقد وضعت ما بين المعكوفتين ليتضح المقصود.

(٣) الحوزة العلمية تدين الانحراف لمحمد علي الهاشمي المشهدي ٦٨ ـ ٦٩ — نقلًا عن شريط مسجل .

(٤) تفسيرمن وحي القرآن ـ الفاتحة ـ موقع بينات.
http://www.bayynat.org/books/quran/fateha.htm

ثالثًا: ثمن الشفاعة.

يرى محمد حسين فضل الله بأن طريق الحصول على شفاعة أولياء الله تكون بالتزام أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، وليس بأن يعصي المسلم ربه ثم يريد شفاعة الشافعين بمجرد حب علي بن أبى طالب أو غيره من الأولياء أو بتقديم النذور والذبائح لأضرحتهم[(١)].

كما يبين محمد حسين فضل الله أن من الخطأ أن يتقرّب المسلم للأنبياء والأولياء ليحصل النّاس على شفاعتهم، لأنهم لا يملكون من أمرها شيئًا ، بل اللّه هو المالك لذلك كلّه على جميع المستويات، فهو الذي يأذن لهم بذلك ولمن شاء فقط، يقول فضل الله :"الأمر الذي يفرض التقرّب إلى اللّه في أن يجعلنا ممن يأذن لهم بالشفاعة له، أو الطلب إليهم أن يسألوا اللّه في الإذن لهم بالشفاعة لطالبها منهم[(٢)].

كيف يفسر النصوص التي يتمسك بها مخالفوه؟

ومما يؤكد لنا موقف محمد حسين فضل الله في مسألة الشفاعة تفسيره لواحد من أشهر النصوص التي يتعلق بها كثير ممن يرى التوسل بالصالحين وهو قوله جل وعلا : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ ﴾ [المائدة:٣٥] فقد ذكر أن معنى الوسيلة في الآية هي " التحقق بحقيقة العبودية وتوجيه المسكنة والفقر إلى جنابه تعالى فهذه هي الوسيلة الرابطة"، وهذا يخالف تفسير المجيزين للتوسل بالأنبياء والأولياء .

كما أن السيد محمد حسين فضل الله حاول الجمع بين القولين بقوله : ويمكن أن نجمع بين الاثنين [أي القولين] بأن يكون الأولياء هم الذين يقربون الناس إلى الله

---

(١) انظر: في رحاب دعاء كميل ٩٣.

(٢) من الممكن أن يكون طلب المسلم من الولي طريقًا للحصول على الشفاعة إذا كان الطلب في حال حياته، وأما بعد وفاته فلا،لأن طلب الدعاء من الحي جائز عند جمع من أهل العلم، ومستحب عند آخرين، ويدل عليه إرشاد الرسول الله صلى الله عليه وسلم عمرَ أن يطلب من أويس القرني رضي الله عنهماأن يدعو له، ويكون شأنه شأن الدعاء قد يستجاب أو لا يستجاب. أما طلب الدعاء من الأموات فإن هذا يخالف قوله تعالى:((إنك لا تسمع الموتى..)) الآية. انظر حليةالأولياء ٨٢/٢، وانظر: الرد على شبهات المستعينين بغير الله لأحمد بن عيسى ٣٧.

برسالتهم وتعاليمهم ويدلونهم على الطريق إليه ومواقع القرب منه"(١).

ويكون دور شخصية الولي في عملية التوسل – من خلال هذا المعنى الذي يختاره محمد فضل الله للآية – هو" أن يقرب العباد إلى الله بالدعوة و الموعظة والتسليم والتزكية والاتجاه بالإنسان إلى الصراط المستقيم، ليكون التقرب إلى الله به بالعمل على طاعته"(٢)

ونحن وإن اتفقنا مع فضل الله على أن المعنى الذي ذكره في الجمع بين القولين صحيح ، إلا أن أصل الجمع بين قولين أحدهما شركي خطأ لأن هذا أشد أنواع التضاد التي لا تقبل الجمع، والجمع بين المتضادين غير مقبول في التفسير، والله أعلم.

وبهذا يتضح لنا أن محمد حسين فضل الله يرى بأن:-

١. الشفاعة بيد الله وحده.
٢. أن الله – وحده – هو الذي يُشفّع من يشاء من خلقه.
٣. أن جميع الشفعاء لا يشفعون لأحد إلا لمن يرتضيه الله فيجب على المؤمن أن يرضي الله بالتزام أوامره واجتناب نواهيه ليشفعهم الله .
٤. يجب على المؤمن أن يطلب الشفاعة من الله بأن يسأله أن يشّفع أولياءه فيه.
٥. التقرب إلى الصالحين بتقديم النذور لأضرحتهم لا ينفع صاحبه في شفاعة الولي.

وأخيرًا فإن نظرة محمد حسين فضل الله إلى الشفاعة والتوسل . كما سبق عرض معالمها . نظرة معتدلة ومتوسطة بين الغلاة الذين ألبسوها لباسًا بدعيًا أو شركيًا،وبين الجفاة الذين أنكروا الشفاعة أصلًا . كما هو حال الخوارج والمعتزلة. والله أعلم.

---

(١) الندوة ٢/٣١١ .

(٢) تفسيرمن وحي القرآن ـ المائدة /٣٥ ـ موقع بينات.
.http://www.bayynat.org/books/quran/fateha.htm

زيارة قبور الأولياء وما يصحبها

أولًا: الغرض من الزيارة

يتفق محمد حسين فضل الله مع سائر المسلمين على أن زيارة القبور من الأعمال المشروعة، وأن الغرض الشرعي منها واضح وهو العبرة والعظة.

وقد اتجه محمد حسين فضل الله اتجاهًا سلوكيًّا تربويًّا واضحًا في نظرته لفائدة الزيارة فهو يؤكد على أننا عندما نزور قبور الصالحين فإننا "لا نحاول أن نزور أجسادهم وإنما نحاول أن نعيش في أجوائهم عند الوقوف أمام قبورهم حتى نستفيد ونعتبر بذلك"[١].

ويؤكد على أن فائدة زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي أن نتذكر سيرته العطرة حين نقف عند قبره ومواضع حركته في مسجده حيث يدعو الناس إلى الله ويبشرهم برحمة منه ورضوان وينذرهم بعذابه، ويوجههم إلى السلامة في الدنيا والآخرة ويقودهم إلى صراط العزيز الحميد[٢].

والقاعدة التي جعلت فضل الله يقف عند هذا الحد في زيارة قبور الأولياء، ولا يتجاوزه إلى بعض الممارسات المنحرفة، هو تحديده لطبيعة العلاقة بين المسلم والرسل والأئمة وغيرهم من الشخصيات القريبة من الله بأنها ليست علاقة بالذوات الميتة، ولكنها علاقة بالرسالات التي تمثلوها في حياتهم وأقوالهم ، ولذا نجده يقول:

" فلا يكون – في زيارتنا له – مجرد جسد ميت نتوجه إليه بل يكون حياة رسالية نتمثلها في الذاكرة لنحركها في الواقع "[٣]

وما ذكره محمد حسين فضل الله من فائدة الزيارة صحيح لا إشكال فيه، لأنه داخل في عموم العبرة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ـ في حديث أبي سعيد ـ : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور؛ فزوروها فإن فيها عبرة)[٤].

---

(١) حوار مع السيد محمد حسين فضل الله ثلاثة الآف سؤال وجواب ٢٩٧.

(٢) آفاق الروح ٦٠٨.

(٣) المرجع السابق ٦٠٨.

(٤) رواه أحمد ٣/٣٨و٦٣و٦٦. ورواه الحاكم.وقال صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي١/٣٧٤ ـ ٣٧٥. وقال الهيثمي عن رواية أحمد رجاله رجال الصحيح. (مجمع الزوائد٣/٥٨) وكذا المنذري في (الترغيب ٦/١٥٣).

ثانيًا : مخالفات الزيارة.

يرى محمد حسين فضل الله بأن الإشكال الذي يدور حوله الجدل لا يتعلق بأصل الزيارة، ولكن ببعض الممارسات التي يفعلها بعض الزائرين، ولهذا يقول: "المشكلة التي تثير الجدل الفكري في المسألة التوحيدية في هذا المجال، ليست مشكلة المبدأ في الزيارة للقبور، بل هي مشكلة الممارسات التي تتحول فيها المسألة إلى ما يشبه الطقوس العبادية للقبر ولصاحبه ، بحيث يغفل الإنسان عن الله ليستغرق في الشخص، ليكون السؤال له، والطلب منه، والخضوع له، والسجود له – ولو من ناحية الشكل ـ مما يبعث في الذهن بعض الإيحاءات الغريبة عن وحي التوحيد الإلهي"[١] .

فمن خلال النص السابق يتضح لنا أن محمد حسين فضل الله ينكر أمورًا يرى أنها من صور العبادات التي لا تُصرف إلا لله وهي – كما نص عليها ـ :ـ

١.سؤال غير الله ، والطلب منه.

٢.الخضوع له [وهو بلا شك يقصد خضوع العبادة]

٣.السجود لصاحب القبر.

كما يضع محمد حسين فضل الله ضابطًا مهمًّا في كل زيارة لقبور الصالحين حينما يبين أن المحبة و"الاستغراق العاطفي" ينبغي أن لا توصلنا إلى أي لون من ألوان عبادة الشخصية، ليبقى ما يسميه فضل الله (الصفاء العقيدي) بعيدًا عن كل انحراف عن الاستقامة[٢] .

والخلاصة أن محمد حسين فضل الله يرى أن زيارة القبور أمر مشروع وأن الزائر يجب عليه أن يستفيد فوائد من أبرزها تذكر سير الصالحين، كما ينبه إلى أهمية الاحتراز من أن تأخذ الزائر عاطفة الحب أو الإجلال فتجعله يوجه شيئًا من أشكال العبادة كالسجود ونحوه للمَزور.



---

(١) المرجع السابق ٦٠٩.

(٢) تفسير من وحي القرآن ـ الفاتحة ـ موقع بينات.
http://www.bayynat.org/books/quran/fateha.htm.

* المطلب الثالث *
موقفه من القول بتحريف القرآن

يرى محمد حسين فضل الله أن القرآن الكريم ثابت محفوظ من التحريف أو الزيادة أو النقص، وأن هذا هو ما دل عليه القرآن وكلام الأئمة والعقل.

ومن أدلة القرآن التي يستدل بها محمد حسين فضل الله: قوله تعالى﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر ٩][1].

وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت ٤٢]، يقول " وهذه الكلمة [يعني الآية الماضية] تشير إلى أن القرآن لا يمكن أن ينسب إليه التحريف سواء من حيث الزيادة أو النقصان"[2].

ويقول:" القرآن هو مصدر عقيدة المسلمين ، وهو المصدر المعصوم لأنه الكتاب الذي تكفل الله بحفظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر ٩ [فلا تحريف ولا زيادة ولا نقصان، هو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، حتى هدد الله النبي ـ وهو فوق ذلك[3] ـ ، وإنما أراد أن يعطي الناس درسًا من خلال النبي ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾ [الحاقة:٤٤] زاد حرفًا أو كلمة أو نقص كلمة ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ [الحاقة٤٥ ـ ٤٦] فكلام الله لا يمكن لأحد أن يزيد فيه شيئًا.."[4].

ويصف محمد حسين فضل الله الروايات التي اعتمد عليها القائلون بالتحريف بالضعف، فقد وقف عند قول الطوسي: " إسقاط بعض القرآن وتحريفه ثبت من

---

(١) انظر آفاق الروح ٢/٤٢.

(٢) الندوة ٤/٢٨٩.

(٣) يعني فضل الله أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزه عن أن يتقول على الله.

(٤) الندوة ٢/٣٥٩، وانظر تفسير من وحي القرآن/ موقع بينات:

http://www.bayynat.org/books/quran/alhijr02.htm

طرقنا بالتواتر معنى، كما يظهر لمن تأمل في كتب الأحاديث من أولها إلى آخرها، ودلت الأخبار على وجود مصحف غير هذا المشهور بين الناس، وهو موجود عند أهله.."[١].

وهنا يقول محمد حسين فضل الله : "ولكننا نلاحظ على هذا الكلام أن الروايات التي ذكرها الطوسي هي روايات ضعيفة في السند وضعيفة في الدلالة على القول المذكور"[٢].

كتم القرآن مما لا تحتمله التقية

يرى محمد حسين فضل الله أن القول بأن الأئمة قد كتموا القرآن تقية غير صحيح لأن مسألة القرآن مما لا تحتمل التقية لاسيما زمن خلافة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

يقول ـ وفقه الله ـ :" والحديث عن وجود مصحف آخر عند أهله[يعني الأئمة] لا يثبت أمام النقد لأن مسألة القرآن من المسائل التي لا تحتمل التقية لاسيما من أمير المؤمنين عليه السلام.

فليس من الطبيعي أن لا يعمل بكل ما عنده من طاقة لإخراج ما عنده من القرآن إلى الناس، والدفاع عن أية شبهة لاسيما أيام خلافته"[٣].

مخالفة القول بالتحريف للأمر بقراءته.

يقف فضل الله عند نقطة لها دلالة مهمة، ألا وهي: الأمر بقراءة القرآن ـ الوارد في القرآن والسنة وحتى في كلام الأئمة ـ والنهي عن الزيادة عليه في القراءة ، وهو ما لا ينسجم معه إطلاقاً القول بالتحريف.

يقول ـ وفقه الله ـ :" الأمر بقراءة ما في القرآن وعدم جواز الزيادة ليس ناشئًا عن عنوان ثانوي يوجب ذلك، بل هو ناشئ من أن القرآن هو الموجود بين الدفتين"[٤].

مخالفة القول بالتحريف لكلام الأئمة.

يستدل فضل الله على بطلان القول بالتحريف بما ورد عن الأئمة من الأقوال التي

---

(١) وانظر: التبيان ١/٣.

(٢) انظر آفاق الروح ٢/٣١٩.

(٣) آفاق الروح١/ ٣١٩.

(٤) آفاق الروح ٢/٣١٩.

تدل دلالةً واضحةً على عدم تحريف القرآن، وأشهر ذلك أنهم ورد عنهم بكثرة الأمر برد أي رواية تبلغ الناس عنهم إذا خالفت القرآن كقول الباقر رحمه الله (وانظروا أمرنا وما جاءكم عنا، فإن وجدتموه للقرآن موافقاً فخذوا به وإن لم تجدوه موافقا فردوه)[١]، أو كقول الصادق رحمه الله: (اعرضوها على كتاب الله فما وافق كتاب الله عز وجل فخذوه، وما خالف كتاب الله فردّوه)[٢]

و يرى فضل الله أن القرآن لو لم يكن هو الموجود بين الناس لما جعل مقياسًا لمعرفة صحة الأحاديث.

يقول : "ولذلك جعله الأئمة عليهم السلام مقياسًا للحكم بصحة الحديث وعدم صحته، مما يوحي بأنه لا نقصان فيه ولا زيادة؛ لأن ذلك [أي التحريف] لو كان ثابتًا لما جاز أن يكون مقياسًا بالنحو المذكور، لإمكان أن يكون الحديث المرفوض ـ مثلًا ـ موافقًا لما خفي من القرآن"[٣] .

القول بالتحريف مخالف لإجماع المسلمين

يرى محمد حسين بأن القول بتحريف القرآن لم يأخذ به إلا من شذ عن إجماع المسلمين، فيقول: " وهذا ما نلاحظه في إجماع المسلمين، إلا شاذًّا منهم، على أن النص القرآني في وعي المسلمين هو كل ما أنزله الله على رسوله دون زيادة أو نقصان، وأن الباطل لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه"[٤] .

والخلاصة: أن فضل الله يرى أن القرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم محفوظ من التحريف، وأن القول بكتمان الأئمة على وجه التقية بعيد لا سيما زمن خلافة الأمير علي رضي الله عنه وأرضاه، وأن ذلك يخالف أقوال الأئمة.

وأخيرًا: فإن مما يميز تقرير محمد حسين فضل الله لإثباته للقرآن بدون تحريف، أنه لم ينف عن عموم الطائفة نسبة التحريف، ولكنه ذكر قول أحد رموزها وهو الطوسي، ثم رد عليه، وهو ما ينم عن صدق ونزاهة في النقاش، ويعد عن روح العصبية التي لا تصلح فيمن يتبنى الوحدة والتقريب[٥] .

---

(١) الأمالي للطوسي ١/٢٣٧.

(٢) الكافي ١/٨.

(٣) آفاق الروح ٢/٣١٩.

(٤) تفسير من وحي القرآن – سورة الحجر ـ آية ٩ /موقع بينات:
http://www.bayynat.org/books/quran/alhijr02.htm

(٥) خلافًا لكثير ممن يدافع عن مذهب الإمامية بنفي نسبة التحريف إطلاقًا ولا حتى إلى من ألف كتابًا سماه «فتح-

* المطلب الرابع *
موقفه من الخرافة

مما يميز طريقة فضل الله وأسلوبه؛ بُعدُه عن الخرافة، بل ومحاربته لها، فعند تصفح كتبه ومقالاته لا تجد الآراء والروايات الخرافية التي يعتمدها خصومه من الإمامية في تقرير اعتقادهم سواء في التفسير أو الكتب الأخرى.

بل يرى فضل الله أن تخلف كثير من المجتمعات الإسلامية هو الذي يساهم في توسيع المجال للمتخلفين والخرافيين(١).

وفي بيان لشدّة معارضة محمد حسين فضل الله لشدّة أثر هذه القضية في خلافه مع تيارات أخرى في المذهب، نجد أنه يصرح بأن المعركة بينه وبينهم هي معركة: "بين الوعي والتخلف، أو بين الخرافة والحقيقة"(٢).

كما بيّن بأنه لن يجامل الخرافيين والمتخلفين الذين يشيعون البغضاء ويؤسسون الأحقاد، لأنه كما يقول:" أريد - أيها الأحبة أن أقدم خط أهل البيت للعالم بطريقة حضارية، لا بطريقة خرافية، ولا بطريقة المتخلفين، أريد أن أقدم تراث أهل البيت عليهم السلام وهو التراث الأصيل للغرب والشرق، ليعرفوا أن النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة من أهل بيته عليهم السلام هم الذين يصنعون الحضارة بعيدا

=رب الأرباب في إثبات تحريف آي الكتاب» . وهو ما ينم إما عن جهل بأقول المذهب - إن أحسنا الظن - ، أو تعصب أو تقية.

(١) الندوة٩/٤١٧.

(٢) انظر لقاء معه في قناة الجزيرة (الأحد ٢٩/٤/١٤٢٤هـ الموافق ٢٩/٦/٢٠٠٣م) . وهو مكتوب في موقع القناة:
http://www.aljazeera.net/programs/no_limits/articles/2003/6/6-29-1.htm#L4 .
كما وصف فضل الله خصومه الذين يحاولون إسقاطه بأنهم " من قوى التخلف والخرافة والتعصب انظر حواره مع قناة"mbc"الفضائية في موقع
http://www.bayynat.org/www/arabic/nachatat/mbc24012003.htm
وجريدة الحياة العدد١٤٥٥٢.

عن كل الذين يركزون على الخرافة والتخلف والعصبية والحقد والبغضاء.."[1].

وقد عرّض فضل الله بهؤلاء الخرافيين في أحد خطبه بقوله: "وقد تحدّث الله عن الناس الذين يتخذون من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله، هؤلاء الذين استغرقوا في حبهم للناس، بحيث أنهم أخذوا بأسباب الغلو، فساووا بين الله وبين خلقه، والله يقول لهم، إنه مهما كانت عظمة المخلوق، ليكن نبيًّا ليكن إمامًا، ليكن وليًّا، فهو عبد لله، لا تساووا الله بأحدٍ من خلقه، لا تتقربوا بأحد من خلقه إلى مقامه ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن ١٨]. هذا التوحيد في الحب هو التوحيد في العقيدة، هو التوحيد الذي يعيّش في الإنسان التوازن ليعطي كل ذي حقٌّ حقه، فلا ينزل أحدًا عن حق، ولا يرفع أحدًا عن حقه"[2].

وهكذا فإن الخرافيين من المعاصرين الإماميين هم الذين يقف محمد فضل الله أمامهم كخصم ـ من داخل المذهب ـ ليهدد خرافتهم التي يبتزّون بها أموال الناس، فهم في نظر فضل الله الصنفُ الذي ذكره أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فيما أثر عنه: "إن شيعتنا على أصناف: صنف يأكلون بنا...." وقد فسر ذلك فضل الله بأنهم الذين"يستغلون محبة الناس لأهل البيت عليهم السلام، وربما يكذبون عليهم لغرض استغلال الموقع الذي للأئمة عليهم السلام في قلوب الناس لاجتذابهم والحصول على الأموال والجاه فهم يتاجرون بالأئمة عليهم السلام، وهو ما نشهده في الذين يأتون بالخرافات حتى يوحوا للناس بأنهم مخلصون لأهل البيت عليهم السلام لأن المهم عندهم هو أن يحصلوا على المال"[3].

❁❁❁

---

(١) من خطبة له كان(يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر ذي القَعْدة عام ١٤٢٣هـ) .

(٢) انظر خطبته في موقع (بينات) :

http://www.bayynat.org/www/arabic/khotbat/kh3 1012003.htm

(٣) الندوة ٥٨٧/٩.

* المطلب الخامس *
رأيه في الصحابة

يرى محمد حسين فضل الله بأنّ الصحابة ليسوا كفارًا ولا مرتدين، ويقول: نحن لا نؤمن بعصمتهم ولا بعدالتهم جميعًا، ولكن نحترمهم لأن الله تعالى تحدّث عنهم بقوله : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾الآية، وقال عنهم ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ الآية.

وقد سألت محمد حسين فضل الله عن الروايات التي تذكر في كتب الإمامية والتي تصرّح بأن الناس ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلا نفرًا يسيرًا، فذكر لي أنها إن صحت بأنه تكون بمعنى ارتدوا عن إمامة علي وليس عن الإسلام.

كما سألته عمن رجع عن القول بالإمامة ـ كحال الصحابة في نظره ـ بعد علمه بالنص فقال: " ليس كافرًا، أنا أقول أصول الدين التي يكون بها الإنسان مسلمًا وبإنكار واحدة منها يكون كافرًا هي : التوحيد والنبوة والإيمان باليوم الآخر، وأما الإمامة فهي من النظريات وليس من البديهيات، ولهذا اختلف فيها المسلمون"[1].

كما بين لي محمد حسين فضل الله بأنه تحفّظ على كثير من الروايات التي تسمي بعض الصحابة بالكفر والردة، كما أنه قال : قضية اللعن والسب أنا لا أؤمن بها، والزيارات[2] التي تتضمن ذلك لا أؤمن بها، والاستفتاءات التي تأتيني في حكم زيارة عاشوراء[3] أجبنا بأنه دعاء غير موثق... ومثله دعاء صنمي قريش دعاء لا أساس له[4].

---

(١) المرجع: لقاء خاص يوم الأربعاء ١٤٢٥/١/٢٦هـ.

(٢) ويشير السيد فضل الله إلى كتب أدعية الزيارات الكثيرة لدى الشيعة.

(٣) وهو دعاء يرى كثير من الشيعة استحباب قراءته في يوم عاشوراء فيه لعنات كثيرة.

(٤) المرجع لقاء خاص يوم الأربعاء ١٤٢٥/١/٢٦هـ.

* المطلب السادس *
مسائل في الإمامة

مع أن محمد حسين فضل الله يقول بالإمامة إلا أن له اجتهادات مهمة في مسألة الإمامة يجب الوقوف عندها من أجل المعرفة الدقيقة لمنهجه، ومع أن هذه الاجتهادات لم تخرجه من كونه إماميًّا إلا أنها آراء لها أثر كبير في التفريق بينه وبين خصومه.

ومن أهم هذه الآراء:

١. أن الإمامة ليست من ضروريات الإسلام.

يرى محمد حسين فضل الله أن اعتقاد الإمامة لا يدخل ضمن الضروريات، بل في إطار النظريات التي تفتقر إلى النظر والاستدلال، وبالتالي فإن عدم الإيمان بها لا يعد خروجًا من ضروريات الدين.

وقد ثار جدل كبير جدًّا في أوساط علماء الشيعة عام ١٤١٤هـ عندما صرّح فضل الله بأن الإمامة من المتحول(١) الذي يخضع للتوثيق والتضعيف، وليس من الثابت(٢)، وقد تلقى فضل الله على إثر هذا الموقف ردّة فعل عنيفة من قبل بعض الأطراف الإمامية(٣).

٢. أن الأئمة ليسوا أفضل من الأنبياء.

إذ لم يتردد محمد حسين فضل الله في وصف القائلين بأن الذين يجعلون الأئمة أفضل من الأنبياء من الغلاة، وقد تعجب من درجة الغلو التي وصلت بالبعض إلى

---

(١) المتحول والمتغير أي ما يقابلان الثابت، والمتغير: هو ما كان من الظنيات وموارد الاجتهاد. انظر: الثوابت والمتغيرات لصلاح الصاوي ص٣

(٢) ذكر لي محمد حسين فضل الله بأنه يرى أن الإمامة من النظريات وليس من البديهيات ـ الضروريات ـ وقال : "لهذا اختلف فيها المسلمون، فهناك أناس قطعوا بها، وأناس لم يقطعوا بها، وهذا أمر كتبت فيه آلاف الكتب ولا يزال المسلمون في جدل حوله". المرجع: لقاء خاص يوم الأربعاء ٢٦/ ١/ ١٤٢٥هـ.

(٣) انظر هذا الموقف فيما يأتي ص ٣٧٢.

القول بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا الله في يوم من الأيام فلم يستجب له حتى قالت فاطمة الزهراء آمين فاستجاب الله بتأمينها[١].

٣. أن الأئمة لا يتلقون وحيًا، بل يعلم كل إمام من بعده، مع توفيق الله تعالى[٢].

❁❁❁

(١) انظر: الندوة ٩/٥٩٤ ـ ٥٩٥.

(٢) انظر الندوة ٢/٣٩٢.

* المطلب السابع *
مسائل في عصمة الأئمة

سبق أن مر معنا في المقدمة اعتقاد عامة الإمامية بعصمة الأئمة، ومحمد حسين فضل الله لم يخالف الإمامية في إثبات العصمة، ولكنه خالف في تفاصيل العصمة، وسيرى القارئ الكريم أن فضل الله يتبنى عصمة أخف غلوًا من مخالفيه، وليس هذا بمستغرب على توجهاته المتعقلة.

إثباته لعصمة الأنبياء والأئمة:

يرى محمد حسين فضل الله أن الأنبياء والأئمة معصومون في التبليغ ومعصومون من الذنوب[1]، فهو بهذا لم يخرج عن قول الإمامية بالجملة في إثبات العصمة للأنبياء والأئمة.

ويرى أن هذه العصمة تكون بفيض من الله على نفس المعصوم بحيث يمتنع الانحراف وصدور الباطل منه[2].

العصمة بين فضل الله وبين الغلاة من الإمامية.

١. يرى فضل الله بأن القول بالعصمة ليس من ضروريات الدين، وأن من لم يقر بها فهو مسلم، وهو يعد العصمة من ضروريات المذهب الإمامي فقط[3].

٢. يرى أن العصمة لا تتنافى مع ما يسميه (نقاط الضعف البشري)، فالمعصوم قد يخطئ في الأمور الحياتية أو ينسى بعض الأشياء العادية، كما يرى بأنه قد يسهو في الآيات ثم يصحح له[4].

وهذا ما ذهب إليه بعض فقهاء الشيعة المتقدمين كالصدوق الذي كان يعد أن

---

(١) انظر الندوة٢/ ٦١و٣٧٠ و٣٨٤، فقه الحياة٢٦٧ ـ٢٦٨،(١٠٠سؤال وجواب٣/٢٧) ، مسائل عقدية٧٨ ـ ٨١.
(٢) انظر فقه الحياة ٢٧٠.
(٣) انظر فقه الحياة ٢٧٤ ـ ٢٦٧. ومثله في هذه المسألة آية الله تقي القمي انظر الحوزة العلمية تدين الانحراف/ملحق الوثائق الجديدة/١.
(٤) انظر: من لا يحضره الفقيه ١/٢٣٤.

أول علامة من علامات الغلو هي نفي السهو عن الأئمة[١]، أو كالخوئي - من المتأخرين - حيث يقول بجواز السهو على النبي أو الإمام في غير التبليغ[٢].

وفي مقابل هذا يقف بعض المراجع المعاصرين لينفوا جواز السهو والنسيان عن الأنبياء والأئمة عقلاً - فضلاً عن وقوعه -، ومن هؤلاء الشاهرودي حيث قال:"نحن نعتقد أن الأنبياء والأئمة عليهم السلام كما هم معصومون من المعصية كذلك معصومون من الخطأ والنسيان.."[٣]، وكذلك محمد تقي بهجت[٤] الذي قال:"عصمة الأنبياء والأوصياء ثابتة في علم الكلام من غير فرق بين العصمة في الخطأ والخطيئة.."[٥]، ومن المراجع المعاصرين الذين نفوا الذنب والخطأ والنسيان عن المعصومين أيضًا: محمد الحسيني الشيرازي[٦]، ومحمد الحسيني الوحيدي التبريزي[٧]، ومهدي المرعشي[٨]، وغيرهم.

٣. يرى فضل الله بأن النبي ﷺ قد يصدر عنه الخطأ الذي لم يعتقد كونه خطأ.

مثل إذن النبي ﷺ لمن أذن لهم من المتخلفين عن غزوة تبوك، والذين قال الله لنبيه في شأنهم: (عفا الله عنك لمَ أذنت لهم)، حيث يرى فضل الله بأن "مثل هذه الكلمة تستعمل في مقام العتاب الخفيف الذي يكشف عن طبيعة الخطأ غير المقصود للتصرّف، كما أن الحادثة لا تحمل في داخلها أيّة حالةٍ من حالات الذنب".

ويقول:"ليس في ذلك انتقاصٌ من عصمته وانسجامه مع الخطّ الذي يريد الله له أن يسير فيه، فقد ترك الله للنبي ﷺ مساحةً يملك فيها حريّة الحركة من خلال ما يدبِّر به أمر الأمة بالوسائل العادية المألوفة التي قد تخطئ في بعض مجالاتها، لا بالوسائل الغيبيّة التي لا يملكها بطريقةٍ ذاتيّة، لم يكشفها الله له بشكلٍ مطلق، تمامًا

---

(١) راجع في ص ٥.

(٢) انظر فقه الحياة ٢٦٨، مسائل عقدية٧٨.

(٣) الحوزة العلمية تدين الانحراف/القسم الثالث/وثيقة ٢٨/ص٢٣٥.

(٤) ولد الشيخ بهجت أواخر عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م في مدينة فومن، وبدأ تعلمه فيها ثم هاجر إلى قم سنة ١٣٤٨هـ، درس فيها على علماء من أبرزهم ابو القاسم الخوئي - أيام وجوده في قم -، و الحاج (الأقا) ضياء العراقي والميرزا النائيني و الشيخ محمد حسين الغروي الاصفهاني (المشهور بالكمباني) وغيرهم، وهو من أبرز علماء الشيعة المتأخرين، إلا أنه لم يظهر لإيثاره التدريس في بيته. انظر:
http://www.al_shia.com/html/ara/ser/ola_behj_h.htm.

(٥) المرجع السابق/ص٢٤٥.

(٦) الشيعة والتشيع للشيرازي٦٧.

(٧) المرجع السابق/ص٢٥٦.

(٨) المرجع السابق/ص٢٨٦.

كما هي الحال في ممارسته القضاء بين الناس حيث قال: [١]«إنما أقضي بينكم بالأيمان والبيّنات"[٢]

٤. يرى أن النبي والأئمة بشر من البشر، بحيث تأتيهم النزعات النفسية ولكن الله ـ تعالى ـ يعصمهم بفضله بحيث يوجد لهم ما يشاء من الحواجز التي تردهم عن ذلك.

وفي نظر فضل الله أن ما حدث ليوسف ـ عليه السلام ـ، الذي قال الله عنه: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا ﴾ هو من هذا القبيل، فهو يرى أن الأنبياء بشر من البشر، وأن عصمتهم لا تتنافى مع وجود نزعات نفسية وغريزية، أو تأثر طبيعي، ولكن هذا التأثر لا يتجاوز أن يكون خطرات يحميه الله من الوقوع في دواعيها السيئة [٣].

والخلاصة: أن محمد حسين فضل الله يثبت العصمة للأنبياء والأئمة، ولكن العصمة التي يتبناها تمتاز بمعْلَمَين أساسين ،وهما:

أولاً: أن العصمة لا تخالف وقوع ما نسميه أخطاء غير مقصودة، أو ما يسميه هو (نقاط الضعف البشري).

ثانياً: أنها لا تخالف وجود النوازع البشرية والخطرات الداخلية ـ اللاإرادية ـ .

وإذا كان المقام مقام مفاضلة، فإن قول فضل الله لا شك بأنه أقرب بكثير إلى المنطق والدليل، حيث استطاع فضل الله أن يثبت عصمة لا تخالف وقوع خطأ غير مقصود، وكل خطأ تذكره الأدلة عن الأنبياء بلا شك فإنه سيكون من هذا القبيل.

كما أن اعترافه بوجود خطرات ونوازع قد تخطر ببال المعصوم لا شك بأنه ليس بمستغرب إذا عرفنا أنه لا يغلو في نظرته للأنبياء وغيرهم ـ كما مر معنا سابقاً ـ .

وعلى العموم فإن قول فضل الله أقرب من قول من ينفي السهو والنسيان، ويثبت العصمة المطلقة، والخلاف معه سيكون أقرب إلى أن يكون لفظياً وليس حقيقياً في الأنبياء والرسل فقط، أما الأئمة الاثنا عشر؛ فإن ذلك خلاف آخر ، إذ أن النصوص لا تسعفنا بأن نقول فيهم ما نقول في الأنبياء ـ عليهم السلام ـ إطلاقاً.



(١) الحديث في الكافي للكليني :٧/٤١٤،ح:١ .

(٢) تفسير من وحي القرآن:

http://www.bayynat.org/books/quran/Youssef06.htm

(٣) تفسير من وحي القرآن:

. http://www.bayynat.org/books/quran/Youssef06.htm

وانظر مسائل عقائدية ٨٤.

* المطلب الثامن *
الوحدة الإسلامية في نظر فضل الله

تعقّد المشكلة بين أهل السنة والشيعة

يقر فضل الله بأن الخلاف بين أهل السنة والشيعة أمر واقع ولكنه يرى بأن الخلاف تطور إلى حالة من التشنج والتعصب الطائفي بحيث صار حجم الخلاف أكبر، وتبع ذلك صعوبة حلّ إشكالية الخلاف.

ويشير فضل الله في هذا الصدد إلى أن الخلاف تحول من كونه (مذهبيًّا فكريًّا) إلى خلاف (مذهبي طائفي) ويوضّح فضل الله ذلك حين يشير إلى أن حال الفريقين صار أشبه بعشيرة الشيعة وعشيرة السنة.

كما يبين فضل الله بأن التراكمات التاريخية خلّفت آثارًا زادت من تعقيدات الخلاف، لا سيما المواجهات الحربية التي حدثت[(١)].

ويبين فضل الله بأن الخلاف بين أهل السنة والشيعة من أهم النقاط التي يستغلها أعداء الدين من أجل السيطرة على المسلمين[(٢)].

إلى الوحدة

أولاً: التركيز على الرجوع للكتاب والسنة حين الاختلاف، تأسيًا بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝ ﴾[(٣)].

ويرى السيد فضل الله هنا بأن من أسباب الاجتماع على ما دل عليه القرآن هو الابتعاد عن الطريقة الباطنية في التفسير، وهي الطريقة التي يشير السيد فضل الله

---

(١) انظر: أحاديث في قضايا الوحدة والاختلاف٨٨.

(٢) انظر: أحاديث في قضايا الوحدة والاختلاف٣٣، ٣٤.

(٣) المرجع السابق ٦٦.

إلى أنها "التي جعلت للقرآن بطونًا"، كما يشير فضل الله إلى الطريقة الأخرى وهي طريقة المنهج التأويل الفاسد ويصفه بأنه "حول القرآن إلى رموز وألغاز لمعان لا علاقة لها باللفظ"(١).

كما يبين فضل الله رفضه للتفسير الطائفي للقرآن مشيرًا بذلك إلى بعض المناهج التي

وهنا أسجل تقديري لفكرة المرجع الأعلى محمد حسين فضل الله الرامية إلى الوقوف على ظواهر دلالات النصوص بعيدًا عن التأويلات البعيدة لأن هذه الطريقة من أحسن أسس اجتماع الكلمة بين مذاهب المسلمين.

ثانيًا: فتح باب نقد التراث، وقبول كل مذهب للنقاش فيما يعدّونه مسلمًا، لأن القرآن ناقش المسلمات، قال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾(٢).

ويشير فضل الله إلى أن من أكبر العقبات التي تواجه الوحدة الإسلامية حملات التكفير التي تمنع من الحرية الفكرية.. فإذا أراد عالم أن يوافق طريقة أهل السنة في مسألة ما، قامت حملات التكفير والتضليل والتشهير لتقطع الطريق.

وهنا يقول المرجع الأعلى محمد حسين فضل الله: "إننا كثيرًا ما نتحدث في المسألة السياسية عن قمع الحريات السياسية.. ولكن المفارقة في الوقت نفسه، أننا لا نملك في مجتمعاتنا - حتى العلمية - مثل هذه الحرية على المستوى الفكري والفقهي، باعتبار أنه ممنوع على الشيعي أن يجتهد خارج نطاق هذا الخط، وممنوع على السني أن يجتهد خارج نطاق هذا الخط"(٣).

ويرى فضل الله أن أفضل طريقة هي دراسة الآراء بطريقة لا تعطيها القطعية والقداسة من أجل الوصول إلى الموضوعية في مناقشة التراث، لكن فضل الله يذكر أن الوصول لهذه المرحلة في الموضوعية صعب لأن مسائل الخلاف أخذت بعدًا حساسًا(٤)..

---

(١) المرجع السابق ١٦٦.
(٢) المرجع السابق ٧٢ - ٧٣.
(٣) المرجع السابق ٧١ - ٧٢.
(٤) المرجع السابق ٥٥.

ولأن الغرب لا يزال يقف دون بلوغ المسلمين مرحلة الموضوعية في النقاش حتى تبقى الفرقة بين المسلمين[١].

ثالثًا: يؤكد فضل الله بأن مشروع الوحدة بين المذاهب الإسلامية يجب أن لا يتجاوز الانحرافات التي تخالف أصول الإيمان، ولهذا نجده يؤكد على أن مشروع الوحدة يجب أن لا يتجاوز "**خطوط الضلال التي تنفذ إلى الفكر الإسلامي أو إلى الواقع الإسلامي**" **لأن** "**مستقبل الحل الإسلامي الذي يعيد للمسلمين وحدتهم على أساس الحق..** "[٢].

رابعًا: يرى فضل الله أن الحركات الإسلامية يمكن أن تلعب دورًا كبيرًا في الوحدة لأن السياسيين مرتبطون بالغرب الذي يلعب دورًا في التفرقة[٣].

خامسًا: نشر أسلوب الحوار وآدابه، وترك أسلوب السباب الذي نهى عنه القرآن لأنه لا يؤدي إلا إلى مقابلة السباب بالسباب ثم المواقف المتعصبة والعدوانية، ويستشهد فضل الله بموقف علي ـ رضي الله عنه ـ عندما سمع بعض أهل العراق يسبون أهل الشام فقال: (إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبِّكم: الله احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق مَن جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به"[٤].

سادسًا: يبيّن محمد حسين فضل الله بأنّ المسلمين في طريقهم إلى الوحدة الإسلامية يجب أن يعوا جميعًا أن الغرب ينظرون إلى مشروع الوحدة الإسلامية على أنه مشروع حضاري ينافس الحضارة الغربية ومصالحها[٥].

❀❀❀

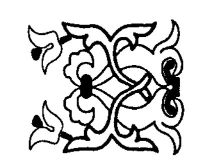
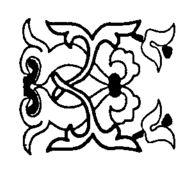
(١) المرجع السابق ٥٧.

(٢) المرجع السابق ٦٣.

(٣) المرجع السابق ٣٧.

(٤) المرجع السابق ٦١ ـ ٦٣.

(٥) انظر: أحاديث في قضايا الوحدة والاختلاف ٥٨، ١١١.

المبحث الثالث
موقف الإمامية المعاصرين من فضل الله

انقسم الشيعة الإمامية المعاصرون في موقفهم من المرجع محمد حسين فضل الله إلى فريقين:

الفريق الأول: المخالفون لفضل الله.

رفض أفكار المرجع الشيعي محمد فضل الله طائفة كبيرة من المراجع المعاصرين، وآخرون ممن ينتسبون للعلم الشرعي من مدرسي الحوزات العلمية وطلابها، وشارك في الرد عليه مجموعة، من أبرز هؤلاء:

آية الله الميرزا جواد التبريزي، آية الله الشيخ الوحيد الخراساني، آية الله السيد محمد الروحاني، آية الله الشيخ محمد تقي بهجت، السيد علي البهشتي، الشيخ لطف الله الصافي، آية الله السيد محمد الشاهرودي، السيد محمد الوحيدي التبريزي، آية الله السيد صادق الروحاني، آية الله السيد مهدي المرعشي، السيد حسن القمي، آية الله السيد تقي القمي، الشيخ محمد الهاجري، الميرزا حسن الإحقاقي، الشيخ محمد تقي الفقيه، السيد علي مكي العاملي، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، الشيخ محمد تقي الإيرواني، السيد الكوكبي، الشيخ الفلسفي، السيد مصباح، الشيخ مرواريد، الشيخ حسن زادة الآملي، الشيخ جوادي الآملي، السيد موسى الزنجاني، وغيرهم[1].

---

(١) انظر فتنة فضل الله لمحمد باقر الصافي

http://www.geocities.com/alshia_d/alshia.htm

وانظر بيانات هؤلاء وغيرهم في كتاب (الحوزة العلمية تدين الانحراف) لمحمد علي الهاشمي المشهدي. وقد صدرت مجموعة كتب من بعضهم في قم كالشيخ جواد التبريزي الذي كتب (اعتقاداتنا) والشيخ الوحيد الخراساني الذي كتب (مقتطفات ولائية) والشيخ محمد تقي بهجت الذي كتب (البرهان القاطع) والسيد جعفر مرتضى العاملي الذي كتب (مأساة الزهراء) ثم أعقبه بكتاب آخر (لماذا مأساة الزهراء؟) ، وكتاب آخر (خلفيات مأساة الزهراء) ، والسيد محمد علي الهاشمي المشهدي ـ ويقال إنه اسم مستعار ـ أصدر=

وهناك أسماء بارزة يذكر بعض المخالفين لفضل الله أسماءهم ضمن المعارضين وهم آية الله علي السيستاني و آية الله الشيخ فاضل اللنكراني و آية الله السيد محمد سعيد الحكيم و آية الله السيد محمد الصدر و آية الله السيد محمد الشيرازي و آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي، غير أن الشيخ حسين الخشن – وهو من أبرز طلاب فضل الله ـ ذكر لي أنه لم يصدر من هذه المراجع الأخيرة شيء تجاه فضل الله.

بعض أقوالهم فيه:

ووصف آية الله العظمى الوحيد الخرساني أقوال فضل الله بأنها "إضلال عن سبيل الله وإفساد في الطريقة الحقة"[(١)]. كما وصف فضل الله بأنه "ضال مضل"، وصرح في مجلسه العلمي بقوله: "يجب على جميع المؤمنين، كل بحسب وسعه وقدرته **إسقاط فضل الله**"! وعندما سأله أحد الحضور: هل نقتله؟! أجابه: "كلا"، **ثم يعقب بما يكشف بأن ذلك ليس لحرمة دمه**، فيقول: "لأنه إذا قتل فستصبح أفكاره أكثر شهرة ورواجًا، والواجب هو القضاء على أفكاره ومنع انتشارها"[(٢)].

وأما جواد التبريزي فقد وصف أقواله بأنها"خلاف المسلمات بل ضروريات المذهب الحق، وقائلها خارج عن طريقة المذهب الاثني عشري، وأن فضل الله ومن يساهم في نشر أقواله يدخلون في عنوان: من يشري مرضاة أعدائنا بسخط الخالق"[(٣)].

وأما محمد تقي بهجت فقد صرح "**بأن فضل الله مشروع وهابي** ينخر في كيان التشيع من داخله"[(٤)].

=(الحوزة العلمية تدين الانحراف) ، والسيد ياسين الموسوي الذي كتب (ملاحظات)، والشيخ نجيب مروة الذي كتب (حتى لا تكون فتنة) ، والسيد محمد محمود مرتضى الذي كتب (الفضيحة.. محاكمة كتاب هوامش نقدية) . وللمزيد انظر مجلة الشراع مقال: (فتاوى تكفره وخامنئي يدعمه) للسماوي ١٩٩٨م ص٢٤ . وموقع أحمد الكاتب:

http://www.alkatib.co.uk/m30.htm .

(١) الحوزة العلمية تدين الانحراف ـ القسم الثالث/وثيقة (١١) .

(٢) فتنة فضل الله/فصل الموقف من الفتنة.

(٣) الحوزة العلمية تدين الانحراف ـ القسم الثالث/وثيقة١٢ .

(٤) فتنة فضل الله / فصل الموقف من الفتنة.

كما اعتبر (علي السيد حسين يوسف مكي) بأن فضلَ الله "يشكل خطرًا كبيرًا على التشيع وعلى الفكر الشيعي وعلى أسسه وقواعده وعقائده وشرائعه وتاريخه"[١].

واعتبر محمد الصدر أن فضل الله يحمل "مشروعًا خطرًا"، حقيقته: "تغيير الشخصية الشيعية باستبدال عقيدتها الأصلية بعقيدة مزيفة"[٢].

وفي بيان الحوزة في قم اعتبروا أقواله"ضلال وإضلال" و "إنكار لضروريات المذهب"[٣].

كما أصدرت الحوزة العلمية في أصفهان بيانًا جاء في عنوانه:"انحرافات الضال المضل فضل الله"[٤].

أما محمد باقر الصافي ـ مؤلف كتاب فتنة فضل الله ـ ٥ فقد أوغل في ذم فضل الله فسماه "معاوية العصر" ووصفه بأنه "صاحب فتنة"، وأنه صاحب"دور خبيث"، وأنّ جريمة تلك المرأة الإيرانية ـ التي حكم عليها الخميني بالإعدام لأنها عدّت الزهراء ليست قدوة للنساء في عصرنا الحاضر ـ تعادل عُشر جريمة فضل الله كمًّا وكيفًا.

كما وصف أفكار فضل الله قائلًا :"فما هي إلا إشكالات ابن تيمية وابن حجر ومبغض الدين الخطيب[٦] والآلوسي[٧] وجار الشيطان[٨]، من مقالات "التحفة الاثنى عشرية" و"الصواعق" و"المنهاج" وأضرابها، مع تقديم وتأخير، وحذف واختصار هنا وإضافة وإطناب هناك، اجترها الرجل في طرح من "داخل البيت"، لم يختلف عن الطرح الوهابي إلا في الحذر والجبن الذي لم يسمِّ الأشياء بأسمائها... فهاجم

---

(١) المرجع السابق / انظر رسالته للتريزي والخرساني ،ص١٧٥و١٧٦/ وثيقة(٢٠و٢١).

(٢) ردود المرجع الديني السيد محمد الصدر على الشبهات البيروتية ص٣/دار الملاك الأصيل ـ بيروت(مصور ضمن ملاحق كتاب الحوزة العلمية تدين الانحراف).

(٣) الحوزة العلمية تدين الانحراف ـ القسم الثالث١٧٩ ـ ١٨١.

(٤) الحوزة العلمية تدين الانحراف ـ القسم الثالث ١٦٩.

(٥) ويقول الشيخ حسين الخشن بأن هذا الاسم مستعار.

(٦) يقصد محب الدين بن أبي الفتح محمد بن عبد القادر الخطيب، له كتاب الخطوط العريضة المتوفى سنة١٣٨٩هـ، الأعلام للزركلي٥/٢٨٢.

(٧) يقصد محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين الألوسي البغدادي ، له كتاب مختصر التحفة الاثني عشرية. المتوفى سنة ١٣٤٢هـ.الأعلام ٧/١٧٢.

(٨) يقصد موسى جار الله ابن فاطمة مؤلف كتاب الوشيعة في نقض عقائد الشيعة.

التوسل والشفاعة وتنكر لها ونقضها دون أن ينعتها بالشرك، وطعن في المعجزة ونال من الكرامة ومن مقامات الأولياء دون أن يسميها بالكفر والغلو... وهكذا".

وأما محمد علي المشهدي فقد عقد مقارنة بين فضل الله وبين ابن تيمية فقال:" ثم تبين لنا أنه وبالمقارنة بين آرائه الموجودة في كتبه وغيرها، وبين آراء ابن تيمية في كتابه(منهاج السنة) أنهما يلتقيان في كثير من القضايا والمعتقدات،مسألة العصمة، ومسألة الشفاعة، ومسألة إقامة المآتم، ومسألة آية المباهلة"، ثم أخذ يبين مشابهة دور ابن تيمية في وسط أهل السنة ودور فضل الله، فقال: "وأيضًا فقد تبين من المقارنة بين أساليبهما في البحوث أن لصاحبنا داعية التجديد في المذهب الشيعي، كما كان لابن تيمية داعية التجديد في الإسلام، فكان عاقبة ذلك أن ضلله علماء المذاهب الاربعة، وعاقبة هذا أن ضلله علماء المذهب الإمامي.." [(١)].

وبَعْد: فمن خلال هذه الأقوال التي نقلناها عن خصوم فضل الله يتضح أن الخلاف بين هذا الفريق وبين فضل الله وصل لشدّته إلى درجة التضليل، بل وإلى الإشارة بحل دمه عند البعض[(٢)].

كما يتبين لنا أن هذا الفريق يدرك تمامًا أن فضل الله يتبنى مشروعًا يهدد (غلوهم وخرافاتهم)التي يعتبرونها من أسس التشيع، بينما يعتبرها فضل الله انحرافًا عن التشيع الصحيح القائم على الكتاب والسنة الصحيحة والعقل السليم من الخرافات.

كما يتضح لنا بجلاء أن هؤلاء يعرفون بأن فضل الله يتبنى مذهبًا شيعيًّا أقرب إلى الوحدة مع بقية المسلمين، مما جعلهم يقارنون بينه وبين بعض رموز أهل السنة كابن تيمية والدهلوي والآلوسي وغيرهم، وهو ما يوحي بطائفية بعيدة كل البعد عن النظرة الموضوعية العلمية، فضلًا عن بعده عن النظرة (الوحدوية) التي يتغنى بها هؤلاء، وهم أبعد ما يكونون عن تطبيقها فعليًّا.

أبرز مآخذ مخالفيه:

إنّ الأمور التي اعتبرها المخالفون لفضل الله مما يوجب إسقاطه ، واعتباره خطرًا

---

(١) الحوزة العلمية تدين الانحراف٧.

(٢) إن صدق الصافي في نقله الذي سبق عن المرجع الخرساني.

على التشيع؛ تعود إلى مسائل علمية أو مسائل منهجية، وهي كالتالي:

أولاً: المسائل العلمية :

١. تشكيكه في بعض ما يعتبرونه من الضروريات.

فقد عدّه كثير ممن خالفه بأنه يشكك في بعض "الضرورات"[(١)]، سواء ضرورات الدين أو ضرورات المذهب الإمامي، ومن تلك الضرورات ـ في نظرهم ـ :

أ ـ تشكيكه في روايات كسر ضلع فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها وقتل جنينها.

وحقيقة موقف فضل الله يتضح في أمرين :

الأول: أنه شكك ـ ولم يصرح بالتضعيف ـ في صحة الروايات التي ذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتحم بيت علي وكسر بابه أو أحرقه مما أدى إلى كسر ضلع فاطمة رضي الله عنها وإسقاط جنينها الذي في بطنها وهو المسمى بـ"محسن"، ولم يتعد فضل الله في كلامه منزلة التشكيك إلى النفي القاطع أبدًا.

الثاني: أنه استبعد وقوع هذا الحدث لأنه يقول بأن محبة المسلمين لفاطمة رضي الله عنها كانت أكثر من محبتهم لعلي ـ بحسب اعتقاد فضل الله ـ ، وأن هذا يقتضي عدم إقدام أحد ممن يبيت لهم سوءًا خوفًا من تهييج الرأي العام[(٢)].

ومع أن هذه جزئية تاريخية إلا أن كثيرًا من الذين ردّوا على فضل الله اعتبروها من الضرورات التي لا يسوغ إنكارها، بحيث حكم عليه بعضهم بالخروج من المذهب بمجرد تشكيكه فيها[(٣)].

ب ـ قوله بأن الإمامية من المتحول.

سبق وأن ذكرنا أن فضل الله يرى بأن الإمامة ليست من ضرورات الدين التي توجب الخروج من الإسلام، وأن الإمامة من المتحول الذي يدور في فلك التوثيق

---

(١) الضروري: هو ما يحصل بدون فكر ونظر في دليل.(معجم لغة الفقهاء ـ لقلعجي وقيني ـ ٢٨٤ دار النفائس ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٠٨هـ.

(٢) انظر: محمد حسين فضل الله أمة في رجل للجزائري٢١٩.

(٣) الحوزة العلمية تدين الانحراف٢٦. وممن صرح بذلك: محمد الحسيني الوحيدي التبريزي . انظر وثيقة ص٢٥٩ في نفس المرجع.

والتضعيف.

وبسبب ذلك فقد اعتبره بعض خصومه[١] ممن يشكك في القطعيات،وقد غلا آية الله الخرساني في ردّه إلى درجة بعيدة حين قال في معرض ردّه: "إلقاء الشك فيها [يعني الإمامة] نقض للغرض من الخلقة والبعثة"[٢].

ت. قوله في الشفاعة.

مر معنا فيما سبق الموقف المتوسط لفضل الله في موضوع الشفاعة بين المنكرين لها وبين المفرطين في إثباتها، وهو موقف لم يرق لبعض من يغلو فيها من خصومه، فقد رد آية الله تقي القمي قولَ فضل الله بنفي الحاجة للوسطاء بين الله وخلقه في طلب الحاجات، وعدّ كون الأئمة وسطاء في طلب الحاجات من ضروريات الدين، فقال:"وأما جعل الأنبياء والأئمة عليهم السلام والأولياء وسطاء إلى الله لقضاء الحوائج، فمما لا إشكال فيه ثبوتًا، كما أن الأدلة كافية لإثبات المُدْعَى، والسيرة بين المسلمين جارية على المنوال المذكور، **وكل من ينكر هذا الأمر فقد أنكر ضرورة من ضروريات المذهب بل الدين**"[٣].

وما ذكره القمي هنا غاية في الغلو، حيث يقتضي كلامه كفر من قال: لا إله إلا الله ولو قام بجميع فرائض الإسلام، مادام لم يَقر بكون الأنبياء والأئمة وسطاء في طلب الحاجات لأنه في نظره أنكر ضروريًا من ضروريات الدين.

وفي موقف آخر –يمكن تصنيفه بأنه أخف غلوًا ـ فقد عدّ آية الله محمد تقي بهجت "إنكار الوسطاء ليس من الدين" ولكنه لم يذكره بأنه من الضروريات[٤].

ث. إنكاره الولاية التكوينية.

لم يقبل كثير من علماء الشيعة المعاصرين قول محمد حسين فضل الله حين

(١) ذهب بعض الذين ردوا على فضل الله ـ ومنهم المرجع الشيعي مهدي المرعشي ـ إلى أن فضل الله مادام يعتقد بالإمامة فهو من الإمامية وإن لم يثبت عنده الدليل القطعي. فهو لم يعتبر قوله بأنها من المتحول كافيًا للخروج من المذهب. انظر الحوزة العلمية تدين الانحراف/القسم الثالث/ وثيقة ص٢٦٧.

(٢) انظر: الحوزة العلمية تدين الانحراف /القسم الثالث ص١٤٧/ وثيقة١١.

(٣) الحوزة العلمية تدين الانحراف (ملحق الوثائق الجديد ص٧).

(٤) المرجع السابق/القسم الثالث/ ٢٤٩.

أنكر الولاية التكوينية ولذا رد ذلك محمد بهجت[١]، ومحمد الشاهرودي[٢]، وتقي القمي[٣]، وألف في إثباتها والإجابة على أدلة من أنكرها هشام شري العاملي كتابًا سمّاه "الولاية التكوينية بين الكتاب والسنة" وغير ذلك.

ج. **قوله بأن العصمة ليست اختيارية محضة.**

اختار محمد حسين فضل الله القول القائل: بأن العصمة تكون بفيض من الله على نفس المعصوم بحيث يمتنع الانحراف وصدور الباطل منه[٤].

يقول محمد حسين فضل الله "المعصوم ينطلق بإرادته نحو الطاعة، ولكنه إذا أراد أن يعصي فإن الله يعصمه في ذلك عندما تتوفر له ظروف المعصية فإن الله يخلق له حواجز تصدّه عن هذه المعصية"[٥].

و فضل الله يحاول بتقريره هذا جعل العصمة وسطًا بين الاختيار وبين الجبر، بحيث يكون الأصل في الأئمة الاختيار "ولكنه عندما يواجه الضعف البشري في نفسه فإن الله يتدخل، كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف ٢٤] "[٦].

وسبب اتجاه فضل الله لهذا الرأي في مسألة العصمة هو محاولة التوفيق بين كون النبي أو الإمام ـ في نظره ـ معصومًا بعد البعثة أو الإمامة، وبين كونه عاش قبلها فترة طفولة طبيعية، ولهذا يقول: "إننا نتساءل إنه إذا كانت العصمة تنطلق من حالة اختيارية ذاتية فكيف يمكن أن يكون معصومًا في بداية الطفولة؟"[٧].

ولعل فضل الله لم يكن هو الوحيد في هذا الرأي، فقد نُسب هذا القول لـ(الصدر) و(المفيد)[٨].

وقد وقف لفضل الله طائفة من علماء الإمامية ليردوا عليه بإثبات أن الإمام

---

(١) المرجع السابق/القسم الثالث٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٢) المرجع السابق/القسم الثالث/٢٤٢.

(٣) المرجع السابق/ملحق الوثائق الجديدة٧ ـ ٨.

(٤) انظر فقه الحياة ٢٧٠.

(٥) فقه الحياة ٢٧٢.

(٦) فقه الحياة ٢٧٢.

(٧) فقه الحياة ٢٧٣.

(٨) انظر مرجعية المرحلة وغبار التغيير للشاخوري ٢٠٤.

معصوم عصمة اختيارية كجواد التبريزي[(١)]، والشاهرودي[(٢)]، وبهجت[(٣)]، والمرعشي[(٤)]، وتقي القمي[(٥)]، وغيرهم.

وقد بنى هؤلاء ردّهم على ما ورد في السؤال - الذي عرض عليهم بنفس الصيغة - وفيه أن فضل الله يريد إثبات العصمة الجبرية، ولكن بالنظر إلى ما قاله محمد حسين فضل الله نجد أنه -كما نقلنا عنه - يقول بالجبر في ناحية منها، والله أعلم[(٦)].

والخلاف بين الطرفين في هذه المسألة فرع عن إثبات العصمة للأئمة، وهي مسألة سبق بيان مخالفتها لظواهر كثير من النصوص القرآنية.

ثانيًا: مسائل منهجية.

وأعني بها منهجية آية الله محمد حسين فضل الله في التعاطي مع الموروث العلمي، والتعامل مع الأتباع والمخالفين، وباختصار "المنهجية العلمية والعملية".

وبالوقوف على الصراع الذي دار بين محمد حسين فضل الله ومخالفيه، نجد أن حقيقة الخلاف تعود - وبدرجة كبيرة - إلى شكل المرجعية الجديدة التي ظهر بها فضل الله -والتي لم يخرج بها عن إطار الإمامية في الحقيقة - ولكنها أصبحت تهدد كثيرًا من المرجعيات التي بدأت تشعر بخطورة توجّه فضل الله المؤثر والمقبول لاسيما في أوساط المثقفين الشيعة.

وقد تميزت مرجعية فضل الله بميزات جعلتها مقبولة بشكل أكثر في الوسط الشيعي ومنها:

١. مرجعية مقنعة.

قدم فضل الله نفسه بصورة المرجعية المقنعة للجمهور الشيعي، وذلك يرجع لأسباب منها:

---

(١) الحوزة العلمية تدين الانحراف/القسم الثالث/ص١٥٠.

(٢) المرجع السابق/القسم الثالث/ص٢٣٨.

(٣) المرجع السابق/القسم الثالث/٢٤٧ - ٢٤٨.

(٤) المرجع السابق/القسم الثالث/٢٧٠.

(٥) المرجع السابق/ ملحق الوثائق الجديدة/ص٤.

(٦) ثمة أمور أخرى يخالف فيه السيد فضل الله. راجع فيها كتاب الحوزة العلمية تدين الانحراف. أوموقع (ضلال نت) http://www.zalaal.net/

أ. آرائه المتعقلة.

فهو يرى أن الأساس الذي اعتمده الأنبياء في خطابهم ودعوتهم هو خطاب العقل وليس المعجزات[١]، ولهذا اعتمد فضل الله هذا الأسلوب الناجح في مخاطبته وإقناعه للجمهور، خلافاً لكثير ممن يعتمدون على ترداد الروايات الخرافية الباطلة.

ومن جهة أخرى يرى فضل الله بأن الأنبياء كانوا لا يمنعون النقاش أو طرح الأسئلة المعارضة، بخلاف ـ من يسميهم فضل الله ـ المتخلفين الذين "يمنعون الناس من أن يناقشوا أو يعترضوا، فإذا اعترض معترض فالفتوى بالتكفير والتضليل تأتي من كل مكان"[٢].

ولهذا نجد فضل الله يناقش القضايا بصورة أقرب للعقل، بخلاف كثير من خصومه الذين يصرّون على إعمال الخرافة والمناقشة الفلسفية التي لا يقتنع بها عامة الناس.

فعلى سبيل المثال: لم يتحرج فضل الله من التشكيك في النصوص القائلة بأن نور فاطمة رضي الله عنها خلق قبل خلق السماء والأرض وذلك لضعف أسانيدها، ولم يجد هو في هذا الموقف طعنًا في مكانة الزهراء رضي الله عنها الثابتة بدون هذه الميزة الخرافية.

ولكن خصومه جعلوا ذلك من الأمور الثابتة التي لا تقبل الجدل ، بل غلا بعضهم فجعلها متواترة، ومن ثم لجؤوا إلى تفسير ذلك بالعقلية الخرافية ـ التي لا يقبلها العقل السليم ـ بأن الذي خلق قبل السماء والأرض هو "أشباح" النبي صلى الله عليه وسلم والزهراء والأئمة!![٣]. ولست أعلم ما فائدة خلقهم أشباحًا في تلك الفترة.

ب. موقفه من الخرافة والخرافيين وقد سبق الحديث عنه.

ج. كثرة مشاريعه الخيرية.

فقد قام فضل الله بإنفاق كثير من الأموال التي تقدم له ـ من الأخماس ـ في مشاريع يراها الناس ماثلة أمامهم، مما عزز ثقتهم به و بنواياه الإصلاحية[٤].

---

(١) الندوة ٤/ ١٤٩.

(٢) الندوة٩/١١٧.

(٣) الحوزة العلمية تدين الانحراف انظر فتوى كل من(التبريزي١٥٦) و (الشاهرودي ـ وقد صرح بالتواتر ـ ٢٤٣) و(تقي القمي ـ ملحق الوثائق الجديدة ـ ٩ وفيها صرح بالتواتر) .

(٤) انظر موقع المبرات والمكتب الخيري التابع للسيد محمد حسين فضل الله :
http://www.fadlullah.org http://www.mabarrat.org.lb/arabic/index.shtml

وبالعموم فإننا نقول : إن عقلانية فضل الله وبُعده عن الخرافة، وكثرة مشاريعه الخيرية، ساهمت في استقطاب الكثيرين من الشيعة إليه، خصوصًا فئة الشباب والمثقفين، الذين يتطلعون إلى التجديد والمعاصرة والخروج من العزلة، ويأملون بصيغة فكرية وعقدية تحقق الوحدة الإسلامية وتسهم في التخلص من الأفكار الدخيلة والخرافات والأساطير التي مزقت المسلمين وباعدت بينهم[1] .

القبول الإعلامي له.

استطاع فضل الله أن يحقق نجاحًا إعلاميًّا واضحًا، لاسيما في السنوات الأخيرة، ولعل هذا مما زاد خصومه حنقًا وغيظًا.

ومما يبين ذلك قول أحد خصومه ـ بلهجة ينبع منها الحسد ـ : "كيف يعيش جهابذة العلم وأساطين الفكر في قم والنجف وملؤهم الحسرة على طباعة مؤلفاتهم القيمة ونشرها ليستفيد منها الناس، بينما تجد الأوراق والصحائف تسوّد بالترهات والسخافات والغث والحشو الذي يحرق به فضل الله أوقات الناس أسبوعيًّا، بتغطية إعلامية تلفزيونية وإذاعية وصحفية لكل كلمة وهمسة يشطط بها لسانه الآثم؟!..."[2] .

وبلا شك فإن السر الذي لا يدركه هذا الكاتب وأمثاله، هو أن الإعلام لن يحرج نفسه بإخراج مراجع يرددون خرافاتهم على شاشاته أو في الصحف، خاصة في هذا العصر الذي لا يحتمل فيه كثير من الناس أمثال هؤلاء، أعني: الذين يبدأون أحاديثهم باللعنات للمخالفين؛ وهي لهجة تعزز الطائفية والأحقاد بين المسلمين.

أفكاره الإصلاحية الجريئة.

فقد طرح فضل الله وبشجاعة فكرة إصلاحية جريئة وهي نقد تراث المذهب ـ خلا البديهيات والضروريات ـ فقال:" إن التراث الفقهي والكلامي والفلسفي نتاج المجتهدين والفقهاء والمفكرين ، وهو لا يمثل الحقيقة إلا بمقدار ما نقتنع به من تجسيده للحقيقة ، على أساس ما نملكه من مقاييس الحقيقة ، وبالتالي فإن الفكر الإسلامي ما عدا البديهيات هو فكر بشري قد يخطئ فيه البشر وقد يصيبونه"

---

(١) انظر : http://www.alkatib.co.uk/m30.htm

(٢) فتنة فضل الله لمحمد باقر الصافي(فصل الإسناد الإعلامي).

ويقول: " لا بد من الخروج من أقبية الذات والخصوصيات والحسابات الضيقة ، وعلينا أن نواجه قضايانا وأفكارنا وحتى عقيدتنا بالنقد والشجاعة والجرأة قبل أن ينقدها الآخرون ، لأننا نملك كما غير قليل من الموروث الذي تركه لنا الأقدمون ، والذي ينبغي النظر إليه بعين النقد والتحليل حتى لا نكون مصداقًا للآية الكريمة : (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون)" ويقول: " إن الحرية المطروحة هنا وهناك هي حرية مناقشة الآخر . أما أن نناقش في فكرنا في عملية نقد علمي فهذا ليس واردًا، بل قد نجد هنا وهناك إرهابًا فكريًّا، ولذا فاني أعتقد أن علينا أن ندرس ما عندهم وأن عليهم أن يدرسوا ما عندنا ، بطريقة علمية موضوعية بعيدًا عما إذا كانت هذه المفردات الفكرية أو الفقهية أو المفهومية مما التزم به المتقدمون ، أو مما لم يلتزموا به"[(١)] .

وهذا المبدأ الذي يدعو له فضل الله يدل على فكر نير ، وعلى تجرد واضح، بعيدًا عن العصبية التي هي سمة لكثير من خصومه، كما أن هذا المبدأ هو من أخطر ما يطرحه محمد حسين فضل الله في وجه التيار التقليدي.

٤. القدرة المالية الكبيرة.

فالذي يعرف المشاريع التي يقوم فضل الله بالإنفاق عليها يعلم أنه يتمتع بقدرة مالية عالية. و"يقول بعض المراقبين إن الذي أشعل المعركة الإعلامية ودفع المحافظين للهجوم على السيد فضل الله واتهامه بالانحراف والضلال والخروج على ضرورات التشيع هو خبر تقديم تاجر كويتي مبلغ ١٢٠ مليون دينار كخمس وزكاة ، في حين يعاني المراجع التقليديون أزمة مالية خانقة بسبب إحجام الناس عن إخراج الخمس و إعطائها لهم ، أو مطالبتهم بموارد صرفه"[(٢)] .

هل نجح خصوم فضل الله في إسقاطه؟

على رغم عِظَم الحملة التي قامت بها طائفة كبيرة من رموز الشيعة الإمامية والتي اشتدت في سنة ١٤١٨هـ ولا تزال، حتى صرّح فضل الله من جرائها أكثر من مرة بأنه"يتعرض لمحاولة اغتيال معنوي" من خلال البيانات التي تنسب له كذبًا وزورًا

(١) انظر: جريدة الحياة ١٩٩٩/١/٢٥م مقال:(فضل الله يقود ثورة ثقافية ويشكو الإرهاب الفكري) .

(٢) المرجع السابق.

يراد من خلاله إعلان أنه ضد عقيدة التشيع وضد خط آل البيت"[١].

إلا أن محمد حسين فضل الله لا يزال يحقق نجاحًا بارزًا أمام الجميع بازدياد شعبيته ونفوذه، ولذا فإن الحملة الإعلامية التي قامت بها المرجعيات التقليدية لم تلق آذانًا مصغية بالشكل الذي كانوا يريدون، وذهبت أدراج الرياح؛ لأنها عزفت على أوتار بالية وقضايا تاريخية ميتة.

وعلى رغم وجود فتاوى أو آراء خاصة لفضل الله قابلة للنقاش والرفض أو التأييد، فإن الملاحظ أن الحملة الإعلامية المضادة له، الصادرة من الحوزة في قم ، تحاول سد باب الاجتهاد في المسائل التي فتحها والحيلولة دون الاقتراب من مناقشة القضايا الموروثة حتى إذا لم تكن أساسية في مجال التاريخ كقضية كسر ضلع الزهراء ، والاحتماء بسلاح الفتاوى خوفًا من فتح ملفات أخرى أساسية في الفكر الشيعي[٢].

الفريق الثاني: المؤيدون.

يؤيد أفكار محمد حسين فضل الله في أوساط الشيعة طائفة لابأس بها، سواء في المنتسبين إلى العلم، أو المثقفين وهم الشريحة الأكبر من المؤيدين، بل وحتى عامة الشيعة.

ومن أبرز هؤلاء المؤيدين: عبد الله الغريفي، وحسن نوري، و شفيق الموسوي ، ومهدي العطار، وجعفر الشاخوري ، وجواد الخالصي، ويحيى محمد علي، وحسين الخشن، وإبراهيم الأشيقر الجعفري، ومصطفى الحاج علي، ونجيب نور الدين ، وعادل القاضي ، وباقر الناصري، وحسين شحادة، وسليم الحسني ، علي المؤمن، وأبوجعفر العلاق، فؤاد إبراهيم ، وسيد عبد الله العلي (قطر) وغيرهم[٣].

---

(١) انظر: مقال:(الصراع على المرجعية الشيعية يخرج إلى العلن) جريدة الحياة/ عدد ١٤٥٥٢. وانظر لقائه من قناةmbc يوم (٢١ شوال ١٤٢٣هـ الموافق ٢٤ ـ ١ ـ ٢٠٠٣) ، ولقائه في قناة الجزيرة (الأحد ٢٩/٤/١٤٢٤هـ الموافق ٢٩/٦/٢٠٠٣م) .

(٢) انظر: مقال أحمد الكاتب فضل الله يشكو من الإرهاب الفكري: صحيفة الحياة٢٥/١/١٩٩٩م.

(٣) وقد أصدر بعض هؤلاء كتبًا ومقالات تؤيد محمد حسين فضل الله منها: هوامش نقدية لمحمد الحسني، ومأساة الزهراء لنجيب نور الدين، ومرجعية المرحلة وغبار التغيير لجعفر الشاخوري، وحركة العقل الاجتهادي للشاخوري، وآية الله السيد فضل الله يدحض الشائعة، وأمة في رجل لمحمد الجزائري، وكتب جلال حسين شريم عدّة مقالات في الصحف والمجلات، انظر فتنة فضل الله، ومجلة الواحة/العدد الأول/

وقد تعالت أصوات هؤلاء وغيرهم في مناصرة محمد حسين فضل الله مع ما ينطوي على ذلك من خطورة، قد تصل إلى درجات بعيدة لاسيما على يد أتباع خصومه الذين يشحنون أتباعهم بالغيظ على فضل الله وخطورته على مذهب الأئمة.

وقد كتب عدد من المثقفين مقالات تدل على الشعبية التي يلقاها فضل الله في أوساطهم، ومن ذلك أن منتظر الموسوي ـ وهو كاتب مقيم في سويسرا ـ سجل رؤيته قائلا:" وصل ببعض ما تسمى بالمرجعيات القابعة في سراديب قم بإطلاق فتاوى التضليل والتي دافعها الحقد والحسد والخبث والبغضاء والمنافسة الغير شريفة، بعد أن لمع اسم سماحة السيد وطرح مرجعيته الواسعة المنفتحة.." كما يرى بأن هذه "الحملة المسعورة لم تنجح، بل على العكس فقد أوجدت تيارًا قويًا ضدهم"[١].

كما شارك كل من محمد باقر شري[٢]، وعلي حسين حمود [٣]، وأحمد الكاتب[٤] بمقالات توضح موقفهم المؤيد لأفكار فضل الله الاصطلاحية.

لكن اللافت للنظر هو أننا لم نجد في قسم المؤيدين لفضل الله اسم أحد المراجع، إلا اسمًا واحدًا وهو (آية الله نوري الهمداني) ، الذي كان أيّد محمد حسين فضل الله بشدّة في أول الأمر، ولكنه سرعان ما رجع عن ذلك، والسبب في ذلك يعود إلى مقاطعة العلماء والطلبة وانصراف الناس عن تقليده في همدان مما سبب له ضائقة مالية، جعلته ينقلب على فضل الله ويصرح ببعض الاتهامات المكذوبة التي وصلت في بعضها إلى عِرض فضل الله، وكل هذا من أجل أن تعود له أخماس المقلدين، نسأل الله السلامة[٥].

مقال:النقد الذاتي وسلطة العوام.www.alwaha.com/issuel/is01sb13.htm

(١) موقع كتابات:www.kitabat.com. وانظر مقال رضوان عقيل في جريدة النهار الصادرة في ٨ كانون الثاني ٢٠٠٣م بعنوان "شريط مؤلف يستهدف فضل الله يوزع في قم ولبنان ويشغل الشيعة" حيث صرح فيه بأن عدد الذين يقلدون فضل الله ويلتزمون فتاواه قد زاد وأن بينهم عددًا لا بأس به في حركة أمل.

(٢) انظر مقال: آية الله فضل الله ومعاناة المرجعية"وإذا كانت النفوس كبارًا.."/صحيفة الديار ٢٦/كانون الثاني ٢٠٠٣م.

(٣) انظر: مقال: المرجعية الشيعية من الجاذبية إلى التجاذب السياسي/ صحيفة السفير١/شباط ٢٠٠٣م.

(٤) انظر: مقال: فضل الله يقود ثورة ثقافية ويشكو من الإرهاب. صحيفة الحياة٢٥/١/١٩٩٩م.

(٥) انظر: مقال: "فتاوى تكفره وخامنئي يدعمه" للسماوي /مجلة الشراع ١٩٩٨م.

ولعل حادثة تأييد الهمداني ثم نكوصه تكشف أحد الأسباب الحقيقية لعدم تأييد بعض الجهات لفضل الله، وأعني بالتحديد خوف بعضهم من الحصار المالي، الذي قد يلقاه نتيجة ذلك.

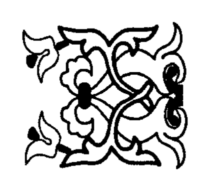
وعلى العموم فإن أنصار فضل الله المنتسبين إلى العلم هم في الغالب من الذين لم يرتبطوا بمصالح مالية مع التيار التقليدي، وهو ما يجعلهم أكثر حرية في الرد والمناصرة لفضل الله، كما أن القسم الأكبر في مؤيديه هم المثقفون والعامة العقلاء الذين لم تستحوذ عليهم الخرافة وإلغاء العقل[1].

وأذكر بأنني لقيت في بيروت[2] رجلًا كبيرًا في السن من شيعة جنوب لبنان يقلد أحد المراجع العراقيين البارزين، فسألته عن فضل الله فقال لي: أنا أحب السيد فضل الله أنزه المراجع ولا يعمل لنفسه، وقال لي: لو أطاع الشيعة فضل الله (كنّا بخير)، ولمّا سألته عن المعارضين لفضل الله؛ أجاب: يعارضه أصحاب الكراسي، والجهال الذين لا يفهمون الإسلام. ولما سألته عن سبب انصرافه عن تقليد فضل الله قال: (المصاري) يعني أن غيره يعطيه إعانة أكبر.



(١) هذا ما ظهر لي حتى لحظة كتابة هذا الفصل، ولا أدري إلى ما سيصير إليه حال فضل الله ولا أتباعه، وهل سيكون أمره أكثر انتشارًا بين الشيعة فيما نستقبل من الأيام ـ كما نتمنى ـ أو العكس؟ هذا مما لا يعلمه إلا الله تعالى.

(٢) في شهر محرم سنة ١٤٢٥هـ.



المبحث الرابع

من أبرز الملاحظات على محمد حسين فضل الله



موقفه من الآيات التي تخالف العصمة

سبق أن مرّ معنا أن فضل الله لم يخرج من القول بعصمة الأئمة، ولكنه يخالف الإمامية في تفاصيل العصمة، فهو يريد أن يثبت عصمة لا تنافي بشرية الرسل والأئمة، ولذا قال بأن العصمة لا تنافي وجود نوازع نفسية تطرأ على نفس المعصوم كما وقع ليوسف عليه السلام، كما أنّ العصمة لديه لا تنافي وقوع السهو أو الخطأ غير المقصود، وأنها ليست جبرية بإطلاق.

والملاحظة أن العصمة التي يتبناها السيد محمد حسين فضل الله وإن كانت ليست هي العصمة التي يقررها عامة مراجع الإمامية، إلا أنها في النتيجة ستتفق معهم في قضية وهي أن جميع ما صح من أقوال الإمام فهو حق لا يعتريه خطأ، وهذا هو القدر المشترك بين رأي فضل الله وغيره، وقد ذكرنا فيما مضى أن نصوص القرآن لا تسعف القول بالعصمة، بل هي تدل على وقوع الخطأ من الرسل والأنبياء عليهم السلام - على وجه عدم قصد الخطأ، وعدم الاستمرار بل سرعة المبادرة للتوبة والأوبة إلى الله تعالى، فصاروا عليهم السلام أئمة لنا في فعل الخير، وأئمة لنا في المسارعة إلى الاستغفار والتوبة حتى من أصغر الأخطاء التي لم يقصدها، كما حكى الله تعالى عن نوح عليه السلام لما طلب من الله الشفاعة لابنه فعاتبه الله تعالى قائلاً ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ فكان نوح عليه السلام إمامًا في الأوبة حين بادر بقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [هود٤٦ ـ ٤٧].

كما أن داود عليه السلام ضرب مثلاً رائعًا في سرعة المبادرة بالرجوع والاستغفار

حين أخطأ عن غير قصد ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾سورة ص٢٤ ـ ٢٥].

والآثار والمواقف الواردة عن أئمة آل البيت رضوان الله عليهم أجمعين تدل دلالة واضحة على أنهم لم يكونوا يتبنون القول بعصمة أحد بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما سبق.

كيف يوجه فضل الله النصوص التي تخالف العصمة؟

حاول محمد حسين فضل الله توجيه جميع الآيات أو الآثار التي تشير إلى ما يخالف العصمة، بحيث تتفق مع قوله بعدم وقوع الخطأ.

فإذا وقف على كلام لأحد الأئمة يذكر فيه ذنوبه أو استغفاره لربه، يقوم بتوجيهها بأن الإمام يتحدث عن الإنسان عمومًا وليس عن نفسه، فإذا قال يا رب قد أسرفت .ونحوها من العبارات، يقول: إنما يريد واقع الإنسان وليس واقع نفسه[(١)] .

وإذا وقف محمد حسين فضل الله على قوله تعالى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح:٢] يوجّه الآية بأن المغفرة هنا بمعنى الرضوان والمحبة والرحمة[(٢)] .

كما يرى فضل الله بأن أكل آدم عليه السلام من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها؛ ليست معصية حقيقية بل هو كان أمرًا إرشاديًا، والأمر كما يقول بمثابة الدورة التدريبية التي يتعلم منها هو وذريته أن ثمة من يكيد لهم[(٣)] .

ومن أغرب التأويلات التي ذهب إليها السيد محمد حسين فضل الله أنه لما وقف على الآيات التي تذكر رمي موسى الألواح، ثم جرّه لهارون من لحيته، قال "لم يكن ما قام به تصرّفًا عصبيًا ناشئًا من حالة انفعالية غير عقلانية، بل قد يكون الأمر في أغلب الظن أن موسى (ع) أراد أن يوحي إلى قومه بأنه يواجه حالة التمرد وعدم القيام بالمسؤولية بالشكل الذي يجب، حتى بالنسبة إلى أخيه، يعني أراد أن يمتص الجوّ ويأتي من مركز القوّة ويواجه أخاه هارون بهذه الطريقة حتى يستطيع أن يحتوي

---

(١) انظر:حوار مع السيد محمد حسين فضل الله (٣٠٠٠سؤال وجواب) ص ٣٠٢.

(٢) انظر: الندوة ٩/٥٦ ـ ٥٦١.

(٣) انظر: الندوة ٤/٤٢٢ ـ ٤٢٣.

الجوّ ..إلى أخر ما قال[1].

هذه نماذج تمثل طريقة توجيه محمد حسين فضل الله للنصوص التي تخالف العصمة، وهي كما يرى القارئ الكريم تأويلات متكلفة جداً، لا تقبل من الخرافيين فضلاً عن قبولها من مثل السيد محمد حسين فضل الله المعروف ببعده عن التفسيرات المتكلفة، البعيدة عن ظاهر النص.

نعم نتفق مع السيد محمد حسين فضل الله عندما يوجّه بعض الآيات التي تذكر نهي النبي عن طاعة الكافرين وخوف الرسول من عذاب الله وتهديد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه لو أشرك لحبط عمله بأن النبي قد برأه الله تعالى من أن يقع في ذلك، وبأنها وردت على سبيل التهديد لمن بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الناس.

ولكن هل ورد ما يدل على عصمة غيره، وهل ورد ما يبرئ غيره صلى الله عليه وآله سلم؟

ثم لماذا لا يكون مبدأ النقاش بين المثبت والنافي للعصمة: هل وقوع الخطأ الصغير من الرسل أو الأنبياء ثم رجوعهم عنه يعدّ نقصًا ملازمًا لهم، أم أنهم يجسّدون بذلك القدوة الحية لكل البشر في مسارعتهم إلى العودة إلى الله والاستغفار؟.

والواقع أن هذه الأدلة تدل على أن الأنبياء والرسل فضلًا عن غيرهم معرضين للخطأ، فلماذا نعرض عن هذا إلى التأويلات المتكلفة، ونجتهد في إثبات صور خيالية ومثالية لبشر مثلنا بنص كتاب الله تعالى؟!

وأخيرًا : نحن وإن تفهمنا أن كثيرًا من الذين يجتهدون في نفي الخطأ عن المعصومين - ومنهم سماحة السيد محمد حسين فضل الله - يريدون تنزيه الشريعة، وحماية منزلة أئمة الدين من النبيين أو من يعتقدون أنهم أوصياء إلا أن هذا لا يعني تجاوز النصوص والواقع التاريخي، بل وأكثر من ذلك تصريح أولئك الأئمة بنفي العصمة، ولعل تجاوز كل هذا سيكون من قبيل تجاوز كثير من الأمم التي قدّست فضلاءها ورفعتهم فوق ما ينبغي لهم بقصد ودافع طيب، **والقصد الحسن وإن كان موجبًا لمغفرة الله في بعض الصور إلا أنه لا يوجب تصويب ذات الرأي عند دراسته ما دام يخالف النصوص**، والله أعلم.

❁❁❁

(١) انظر: حوار مع السيد محمد حسين فضل الله (٣٠٠٠سؤال وجواب) ص ٣٢١.

الباب الثالث

دراسة عن
حركة التصحيح والاعتدال
في صفوف الإمامية
وموقف أهل السنة منها



إن حركة التحول في المذاهب والأديان ظاهرة طبيعية مستمرة، وليست طفرة مؤقتة في فترة محددة بوقت أو بمكان أو بمذهب معين، كما أنها تعد مخزونًا من التجارب يحوي في طياته الكثير من الدلالات والفوائد التي ينبغي أن لا يُفرط في النظر فيها والاستفادة منها، حتى وإن كانت تحولات عكسية مذمومة - في عرف المذهب المُتَحولِ عنه - .

وحتى يستفاد من التحولات العقدية سواء الكبرى بين الأديان أو بين الفرق في الدين الواحد، أو حتى داخل الفرقة الواحدة، يجب أولًا أن تدرس بموضوعية تامة، بعيدًا عن العواطف والرغبات الجامحة في إعلاء أصحاب كل مذهب لمذهبهم، بل ينظر إليها بعين النقد الموضوعي العلمي ولو كانت تحولات مذمومة في عرف الناظر إليها، وكم من الفوائد تضيع عندما يُنظر إلى التحول المذموم بعين الحنق والتحذير دون دراسة متجردة من العواطف لأسباب وخلفيات ذلك.

وقد علّمنا الله تعالى في كتابه أن ننظر بتجرد إلى أي حركة تغيّر أو تحول؛ وذلك لما حكى لنا صورًا كثيرةً من التحول، مبينًا لنا فيها أولًا واقع ذلك التحول ثم الحُكم عليه ثم الدعوة إلى الاستفادة من تلك الحادثة، وعلى سبيل المثال: لو تأملنا قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف١٧٥ - ١٧٦].

فلو تأملنا الآيات السابقة؛ لوجدنا فيها ما يلي:

الأول: أن الله تعالى ذكر حالة من حالات التحول المذمومة.

الثاني: أن الله أمر بذكرها وعدم كتمانها كما في أول الآيات وآخرها ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ ، ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ ﴾

الثالث: أن الله وصَف حال المتحول قبل تحوله: بالعلم النافع﴿ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾.

الرابع: أنه جل وعلا وصَف حال المتحول بعد التحول بأنه ضل السبيل ﴿ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾، وأن الشيطان قد تسلط عليه ﴿ فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ وأن قلبه أصبح لا يكفيه من الدنيا شيءٌ ﴿ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ ﴾.

الخامس: أن الله تعالى ذكر أسباب تحوله، وهو إخلاده إلى الشهوات والمقاصد الدنيوية، واتباع الهوى، وهما مما يوجب الخذلان الذي لا يجتمع مع التوفيق ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾.

السادس: الأمر بأخذ العبرة منها ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾.

وفي حالة أخرى مقابلة نجد أنه تعالى قد ذكر في كتابه حالات كثيرة من حالات التحولات المحمودة، مثل قصة إسلام سحرة فرعون، وإيمان بعض رهبان النصارى، وإسلام بعض الجن لما سمعوا الآيات، وفي كل موضع نجد الآيات تنوّه بذكر شيء من أسباب التحول المحمود، مثل وجود الأرضية الطيبة في مثل حالة الرهبان الذين وصفهم سبحانه بعلمهم النافع لبعض الحق ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة ٨٣]، أو كونهم ممن يقبل النقد والحوار ويتقبل الأفكار، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة ٨٢]، أو تأثير جمال الحق وروعته: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن ١ ـ ٢] وغيرها من الأسباب التي ذكرها الله تعالى في كتاب العزيز.

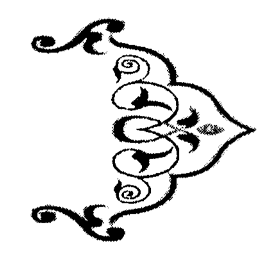
وفي القرآن مواضع كثيرة يذكر الله تعالى فيها حالات من التحولات المحمودة والمذمومة، وينبه على شيء من أسبابها، من أجل أن تؤخذ الفوائد والعبر، وهو ما يؤكد ضابطًا منهجيًا:

أهمية الدراسة الموضوعية للتحولات، بعيدًا عن روح التشفي والشماتة في كل ما نَعدّه تحولًا مذمومًا، وبعيدًا عن روح الانتصار والاستقواء بالمتحولين الجدد فيما نَعدّه تحولًا محمودًا؛ لأن الحق لا ينصره كثرة المتحولين إليه، ولا يدحره تخلي بعضهم عنه، فتبقى الدراسة الموضوعية نفعًا لأهل الحق أولًا، وللمنصفين من مخالفيهم ثانيًا.

واللافت في أغلب المواضع التي ذكر الله تعالى فيها بعض المتحولين: هو أنه سبحانه لم يذكر أسمائهم، فلم يذكر سبحانه اسم المؤمن من آل فرعون ولا أسماء السحرة، ولا أسماء القُسُس الذين أسلموا وفاضت أعينهم من الدمع ونحوهم، ولعل الفائدة من ذلك: **هو الا نهتم كثيرًا بالأسماء ولا بذات التحولات، بقدر ما يهمّنا اخذ الفوائد من تلك جميعًا سواء التحولات، المحمودة أو المذمومة.**

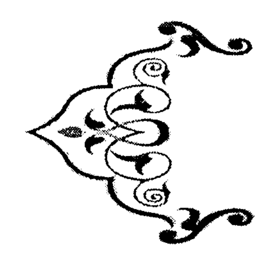
ولهذا جاء هذا الباب الأخير، ليكون خلاصة البحث، والمقصود الأهم.ونسأله جل وعلا أن يوفق كل مؤمن للخير والسعادة.

❁❁❁



الفصل الأول

دراسة لأبرز دوافع التصحيح والتحول إلى الاعتدال



إن دراسة أسباب التحولات أمر مهم للغاية بالنسبة للمتحَول إليهم والمتحَول عنهم، إذ من المهم أن يجيب كلا الطرفين عن سؤالٍ محددٍ، ألا وهو: **لماذا غيّر هؤلاء قناعاتهم في أخص وأخطر ثقافة يملكها الإنسان؟**.

تكمن أهمية الإجابة على هذا السؤال في أنها تعين على تخطي كثير من التجارب الفاشلة في بيان الحق، وتكشف عن جوانب الضعف ومكامن القوة في العقائد وعوامل الجذب في الثقافات المُتَحَول إليها عمومًا، كما أن دراسةَ أسباب التحول يرشد في كثير من الأحيان إلى الخلل والنقص في أسلوب الدعوة، أو الانتباه إلى الجوانب المهملة في ما نقدم للناس.

ولعلّ دراسة أسباب التحولات المذمومة لا تقل أهمية من التحولات المحمودة، والقرآن أكبر دليل على هذا، حيث بيّن سبحانه لنا أسباب هداية الناس كالموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وأسلوب الخطاب العقلي وغيرها، كما بيّن لنا كذلك كثيرًا من أسباب الغواية والضلال كالشبهات والشهوات، وسيطرة التقليد الأعمى ونحوها.

والعجيب أن البعض يتعجب من إقبال الناس على من يعدّهم قاصرين أو منحرفين، وقد يعزو ذلك إلى انحراف داخلي لدى الناس (أهواء أو شهوات)،ولو نظر بعين ناقدة لربما رأى خللًا أو نقصًا في أسلوبه، أو مفردات خطابه، جعل الناس ينفرون منه إلى الآخر، وعلى سبيل المثال فإن إقبال فئة من الناس على الاتجاه الصوفي يكشف في بعض الأحيان عن تقصير بعض الأطراف الأخرى في ملء الجانب الروحي لدى عامة الناس.

وفيما يلي سيتم إلقاء الضوء على أبرز الأسباب التي دفعت هذه الشخصيات التي سبق الحديث عنها إلى تبني فكرة التصحيح واختيار خط الاعتدال، وعلى القارئ الكريم أن يعلم أن أسباب التحولات المحمودة كثيرة، ولكنني سأكتفي بالعناية بأهم ما يتعلق بالشخصيات التي سبق الحديث عنها.

السبب الأول: الأثر القرآني.

لعل من أكبر أسباب التحولات المحمودة على الأفراد والجماعات الإسلامية هو التفكر في القرآن الكريم، فالقرآن كما وصفه سبحانه سببٌ لحصول الهداية والتوفيق إلى أحسن الأحوال في كل شيء، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء:٩]

قال المفسر السعدي رحمه الله تعالى: ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ "أي أعدل وأعلى، من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن، كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره"[(١)].

ولهذا كان من جدّ واجتهد في تدبر كلام الله تعالى، انفتح له الباب العظيم إلى أحسن الخيرات في كل باب، واستغنى به عن كثير من الطرق والبحوث المتكلفة[(٢)].

وكشاهد على ذلك فإن أبا الفضل البرقعي ـ رحمه الله تعالى ـ لم يكن سبب تغيير قناعاته حوارٌ، ولا مناظرة أحد، وإنما كانت بسبب الإقبال على القرآن الكريم، فها هو يصرح بقوله: "ببركة التدبر لكتاب الله صحوت قليلًا قليلًا وفهمت أن الروحانيين (مشايخ الطائفة) وأهل الطوائف بدّلوا الإسلام ونبذوا الإسلام الأصيل باسم المذهب".

ويقول العلامة الخوئيني في بعض الأبيات:

كتبت قبل أربعين سنة شرحًا على منظومة ملا هادي

أظن طريقتهم على الهداية وأرى اللحاق بهم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤٥٤.وانظر بدائع التفسير لابن القيم ٧٢/٣.

(٢) راجع القاعدة الأولى في كتاب القواعد الحسان للسعدي/١٣.(ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي ـ جزء ٨).

اهتديت بسبب القرآن والإسلام وفهمت معنى آيات القرآن والإسلام .. إلى آخر ما قال رحمه الله[١].

كما أن أكثر المتحولين تجد من خلال ما مضى شدّة تعلقهم بالقرآن، وكثرة استشهادهم به.

فلو أحسن أهل الحق دعوة الناس عمومًا إلى التفكر في آيات الله تعالى، وعلّموا الناس طرق التفكر في القرآن، وكيفية تدبر معانيه، لقطعوا بذلك شوطًا كبيرًا، وأراحوا أنفسهم من كثير من البحوث الخارجة التي لا تنتهي بين الفرق والمذاهب أخذًا وردًّا .والله أعلمظ.

السبب الثاني: التجرد للحق والصدق مع الله.

من أعظم الأسباب القائدة إلى التوفيق والرشاد أن يكون العبد صادقًا مع ربه تعالى؛ لأن الله تعالى يعامل عبدَه بصدقه، كما قال: ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٢٤]، فمن صَدَق في طلب رضوان الله واتباع الهدى، وفقّه الله تعالى إلى الهداية؛ كما قال رسول الله ـ صلى الله وآله وسلم ـ: "**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة..** " الحديث[٢].

وقد يخطئ البعض فيظن أنّ كل من كان صاحب بدعة، فهو قاصد لاتّباع أهوائه وشهواته، وأنهم جميعًا ممن يشملهم قول النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: "وإنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَب[٣] بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله" [٤] ولعل إطلاق هذا على كل صاحب بدعة فيه نظر، فقد خالف الشاطبي رحمه الله تعالى مَنْ زعم أن جميع أهل البدع هم ممن

---

(١) النص مترجم . والأبيات في القسم الأول من الموسوعة القرآنية.

(٢) رواه الترمذي وأحمد وغيرهما .

(٣) الكَلَب: داء يعرض للإنسان من عضّ الكَلْب الكَلِب، فيصيبه شبه الجنون، فلا يعض أحدًا إلا كَلِب، وتعرض له أعراض رديئة ، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشًا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١٩٥/٤.

(٤) رواه أحمد (١٠٢/٤) وأبو داود (٤٥٩٧) وابن ابي عاصم في السنة(٢/١ رقم ١) عن معاوية رضي الله عنه.وصححه الألباني.

تتجارى بهم الأهواء وأنهم لا ينفع معهم حوار، وذَكر أن الصحيح أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أخبر أن الأمة ستفترق "من غير إشعار بإشراب أو عدمه [يعني للبدعة]، ثم بين [يعني: النبي صلى الله عليه وسلم] أن في أمته المفترقين عن الجماعة من يُشرب تلك الأهواء، فدل أن فيهم من لا يُشربها، وإن كان من أهلها"(١)، كما استدل الشاطبي على ما يقول برجوع جماعة من الخوارج بعد حوارهم مع ابن عباس رضي الله عنه وغيرهم ممن رجع عن بدعته التي كان مناصرًا لها، موضحًا أن هذا مما يبين أنهم كانوا ملبسًا عليهم وليسوا أهل أهواء أنهم لم يكونوا ممن يختار ترك الحق الذي يعلمه اتباعًا لهواه، وعليه بنى الشاطبي رحمه الله مسألةً أخرى وهي أن عودتهم للحق أمرٌ واردٌ سواءً في ذلك أهل الفرق أو أصحاب البدع الجزئية(٢).

وبعض هؤلاء الذين مرّ معنا شيء من الحديث عنهم في البحث أكبر شاهد، إذ ما الذي يدعو البرقعي أن يضحي بمنزلة كبيرة في مذهبه ويتحمل في سبيل ذلك الكثير، بل فصول حياته تشهد ـ والعلم عند الله ـ أنه كان صادقًا في نصرة الدين والملة منذ أن كان شيعيًّا إماميًّا، وكشاهد آخر ما الذي يدعو العلامة خوئيني إلى التخلي عن طريق الزعامة ويؤثر الطريق الوعر وقلة المال وهجر الأقارب، كما أن إصرار السيد محمد حسين فضل الله على التصحيح داخل المذهب مع تحمله خطورة التهديدات، وصدّ الناس عنه بالتضليل والتسفيه والطعن بما يصل إلى العِرض شاهد على الصدق في قصد الحق ـ ولا نزكي على الله أحدًا ـ ،كما أن إقبال أحمد الكاتب وغيرهم ممن سبق الحديث عنهم في البحث على معارضة الخرافات والغلو شواهد لا يمكن تجاوزها دونما وقوف على دلالات ذلك.

إن ما سبق يعد من أكبر الشواهد على وجود صدق في طلب الحق لدى بعض من نعدّهم مخالفين لنا في بعض مسائل الاعتقاد، وهذا يحتّم علينا أن نبدأ حوارنا معهم ومخاطبتهم من زاوية صدقهم وحبهم للحق، فإن الله تعالى أمر بالقول الحسن والمجادلة بالتي هي أحسن مع عموم الناس،ولم يستثن إلا الظالمين المعاندين للحق، فلزم أن لا نبدأ حوارنا أو بياننا لهؤلاء وأمثالهم بالقول الفض الذي يعزز نزعة الفرقة

---

(١) الاعتصام ٢/٧٨٣.

(٢) الاعتصام٢/٧٩٤.

والتعصب للموروثات ما لم يتبين لنا أنهم معاندون.

السبب الثالث: حمل همّ الأمة والسعي الصادق إلى الوحدة الإسلامية.

من أحسن صفات المسلم أن يكون ممن يحمل همّ الأمة الإسلامية جمعاء، ويسعى في النصح الصادق لها، إذ أن هذا الشعور يقود إلى محاسن كثيرة، ويفتح أفاقًا جليلة في طرق الدعوة وأساليب البيان، ويعرّف صاحبه بالأولويات والكليات التي ينبغي أن يوازن بينها، كما أن إقبال المسلم ولو كان من أهل الحق على شئون طائفته فقط هو من أكبر أسباب ضعف المسلمين، وتعزيز الفرقة ونزعات الهوى حتى عند أهل الحق.

ومن خلال دراسة أحوال بعض الذين غيّروا قناعاتهم وأقبلوا على التصحيح سواء في أوساط أهل السنة والجماعة أو غيرها من الفرق؛ نجد أن الدافع لبعضهم هو شعورهم بالأسى والحزن على أحوال المسلمين وضعفهم، وتسلط أعدائهم عليهم، مما دفَعَهم إلى البحث عن الحل لهذه الأمة المكلومة المنكوبة، والتفتيش عن السبيل إلى الحل، وهو بطبيعة الحال مما يفتح آفاقَ المراجعة والتنقيب في أسباب تشرذم الأمة.

وقد ترجم البرقعي رحمه الله عن هذه الحالة بقوله: "ومنذ أمد بعيد قد أسفت على انحطاط المسلمين وذلّهم وتفرقهم وفقرهم، وبحثت عن طريق الخلاص لهم، ورأيت أن تجار الدين والمنتفعين به هم أكبر عثرة في طريق رقي المسلمين وتقدمهم..." إلى آخر ما قال[١].

كما أن لهجة السيد محمد حسين فضل الله واضحة في تبنيه لقضايا الأمة بصدق، وسعيه في فكرة الوحدة عمليًا، شيء مؤثر بلا ريب في توجهه الإمامي المعتدل.

وأيضًا فإن الياسري الذي تخلى عن الإمامة كان أعظم أمانيه قبل أن يغير قناعاته وحدة المسلمين[٢]، وهكذا الدكتور موسى الموسوي يذكر أنه كان يتألم على واقع المسلمين بسبب الخلاف الطاحن بين السنة والشيعة[٣].

ومن أهم ما يجب أن نستفيده من هؤلاء جميعًا أن تعزيز هذه الصفة المحمودة -

---

(١) كسر الصنم ٢٧.

(٢) القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة الإمامية الاثني عشرية ص ٥.

(٣) انظر: الشيعة والتصحيح ٥.

أعني الاهتمام بأمر المسلمين - هي من أحسن الأمور لجمع كلمة الأمة؛ لأن وجود الألم المشترك، يقود إلى طلب الاتفاق الاعتقادي والثقافي، والبعد عن الغلو والخرافات والأخبار والتحليلات التاريخية المغلوطة التي لم تجمع، بل عززت الفرقة والأحقاد.

السبب الرابع: الحوار الناجح.

لقد أمر الإسلام بالحوار والجدال بالحسنى مع الغير حتى ولو كان كافرًا؛ وذلك لما للقول الحسن من الدور الإيجابي في بيان الحق، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل١٢٥]، ولم يستثن منهم إلا المعاندين، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت ٤٦]

ولا شك بأن طوائف المسلمين أولى بأن يسلكوا مسلك الحوار والمجادلة بالقول الحسن لأنه أقرب الطرق إلى المفاهيم والوصول إلى الأرضية المشتركة.

وبالأساس فإن علاقة المسلم بالمسلم ينبغي أن تكون مبنية على أساس النصح الصادق، ومحبة الخير له؛ إذ ما من مسلم - وإن كان في تقييمنا متلبسًا ببعض البدع - إلا وهو داخل في عموم حديث تميم الداري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "الدين النصيحة ثلاثًا" قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" [(١)]، قال الخطابي: "النصيحة كلمة يُعَبّر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له، قال: وأصل النصح في اللغة: الخلوص، يقال: نصحت العسل: إذا خلّصته من الشمع"، وقال محمد بن نصر رحمه الله: "قال بعض أهل العلم: جماع تفسير النصيحة هو عناية القلب للمنصوح له مَنْ كان.." [(٢)].

والحوار القائم على أسس صحيحة في التعامل مع الطرف الآخر، المنضبط بالأدب، وتقديم الأولويات هو من أهم الأسس التي ينبغي أن يؤكد عليها هنا.

وقد رأينا مثالا حيًّا للحوار الناجح في قصة الياسري مع صاحبه محمد بن حجي

---

(١) رواه مسلم رقم (٥٥) وابن حبان (٤٥٧٦) .

(٢) جامع العلوم والحكم ٢١٩ - ٢٢٠.

كريم، حيث اتسم الحوار بالاحترام، والاحتفاء بالآخر، والانطلاق من الهم المشترك، والبدء بالأولويات "الاتفاق على مصدر التلقي ـ القرآن ـ "، وقد آتى اللقاء ثمرات طيبة، ولله الحمد.

والبعض قد يرى أن الخطاب والتعامل مع المخالف يجب أن لا يلين بأي حال من الأحوال، ولا يفرق بين كون المخالف شخصًا واحدًا أو مائة مليون شخص، وينسى أن ابن عباس رضي الله عنه لما خرج ثمانية آلاف ـ وقيل: أربعة آلاف ـ من المسلمين على جماعة المسلمين أرسله علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليحاورهم؛ فجاءهم، وبيّن لهم الحق عبر حوار هادئ فرجع نصفهم[1].

السبب الخامس: أثر القدوة.

في كثيرٍ من الأحيان تكون التغيرات المحمودة سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات حركة تتكامل شيئًا فشيئًا، فقد يعيش أحد المذاهب أو المجتمعات مرحلة يغطّيها سحاب كثيف من الجمود والانحرافات التي أصبحت تقليدًا موروثًا يصعب تخطيه، فيكون الناقد الأول صاحب الفضل في فتح باب الإصلاح لكثير ممن يأتي بعده.

وفي هذا البحث يجد القارئ الكريم أن البرقعي دُفع إلى التجديد من خلال آية الله الكاشاني، كما نجد محمد الخالصي قد تأثر بقوة والده، كما يلاحظ أيضًا أنّ الدكتور موسى الموسوي يستند بشكل كبير على بعض المواقف الجريئة لجدّه، ويرى أن مشروعه امتداد لإصلاحات جدّه، كما أن السيد محمد حسين فضل الله ومحبيه يسلّون أنفسهم بما لحق محسن الأمين العاملي من الاتهام بالزندقة[2]، كما يسلون أنفسهم بما لقي بعض المتأخرين من الاتهامات لمجرد اجتهادات[3].

كما أن اتجاه المثقفين المتدينين الإيرانيين الذي كان له دور بارز في المحافظة على كثير من الشباب الإيراني من العلمنة والشيوعية والإلحاد هو في الحقيقة

---

(١) انظر مناظرة ابن عباس رضي الله عنه في جامع بيان العلم لابن عبد البر٢/١٢٦ ـ ١٢٨(دار الفكر ـ بيروت ـ بون رقم ط ولا تاريخ).

(٢) سبق بيان سبب اتهامه بالزندقة في هذا البحث ص ٢٠٧.

(٣) انظر: كتاب مرجعية المرحلة وغبار التغيير ٢٠ ـ ٢٣.

سلسلة متتالية، فالدكتور علي شريعتي رمز سابق في هذا التيار، واليوم تعيش الساحة الإمامية في إيران نماذج متعددة مشابهه لشريعتي، ولعل الاتجاه الطلابي الرافض لكثير من الأدبيات الإمامية هو وليد لهذا التيار.

كل هذا يؤكد حقيقةً مهمة في فلسفة التحولات المحمودة في كل المذاهب، وهي أن الناقد الأول سيبقى رصيدًا وينبوعًا يغذّي ويروي عطش الناقد الثاني، وقد لا يكون الأول ممن حظي بنقد مسائل كبيرة أصلية، ولكن خطوته عظيمة في وقتها، فالأول له حَظوة السبق وفتح باب التصحيح، والتالي له حَظْوة التقدم في الإصلاح، و﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد ١٠].

السبب السادس: تسلّط أهل المذهب.

من الأسباب التي تدفع كثيرًا من الناس إلى التحرر من ربقة التبعية والتقليد لمذهب أو تيار ما، تسلط بعض الرموز باسم ذلك المذهب أو التيار، فالإنسان جُبل على حب الحرية والأنفة من الاستعباد، ولذا كان التسلط والاضطهاد باسم الدين من أكبر أسباب النفور والتحول.

ولعل تاريخ النصرانية الحديث أكبر شاهد على أحد أكبر التحولات الثقافية التي كان سببها واضح وهو التسلط باسم الدين، حيث ظهر المذهب العلماني (بقصد الانفلات من القيود الدينية الزائفة).

والأمر نفسه يتكرر في كثير من الأحيان على صعيد الأفراد، حين يجد بعضهم نفسه مقيدًا بقيودٍ باطلةٍ، أُلبست لَبُوس الدين، سواء كانت قيودًا ثقافية تمنع النظر واتخاذ الآراء المقبولة، أو كانت تسلطًا على الأموال والأنفس والبلدان يمنع زينة الحياة الدينا التي جعلها الله مكفولة للإنسان.

ولعل مما جرأ بعض دعاة التصحيح والاعتدال على الجهر بآرائهم والمناضلة من أجل نشرها، محاولة مصادَرة تفكيرهم، وسعي بعض المتسلطين باسم المذهب إلى التضييق عليهم، مما دفعهم إلى الصمود ورفع أصواتهم بالدعوة جهارًا.

وكمثال واضح على ذلك، فإن محمد حسين فضل الله صرّح في أوائل الهجمة التي ثارت ضدّه بأنه يتعرض لمحاولة اغتيال معنوية - وهو اعتراف منه بشدّة الهجمة عليه -، وقد سعى جادًا لتهدئة الفتنة التي أثيرت عليه، ولكنّ المتسلطين وأصحاب الإرهاب الفكري ذهبوا قُدُمًا في تضليله وتكفيره، ونشطوا طمعًا في القضاء على مرجعيته، مما دفعه نحو بيان

أفكاره وآرائه بشكل أوضح من ذي قبل، فكانت الفتنة خيرًا لكثير ممن لم يكونوا يعرفون عنه شيئًا، فأصبح أتباعه ومحبّوه أكثر، كما فاز بالقبول الإعلامي بشكل أعظم.

وكما قيل:

وإذا أرادَ اللهُ نَشرَ فَضيلةٍ ... طُويَت أتاحَ لها لسَانَ حسودِ

لَولا اشتعالُ النارِ فيمَا جَاورتْ ... مَا كانَ يعرفُ طِيبُ عُرفِ العُودِ[(١)]

وأظن بأن الحملة التي قامت في وجه الدكتور موسى الموسوي كانت من أكبر الأسباب التي جرّأته على النقد أيضًا، وفي تجربة الأستاذ أحمد الكاتب نجد أنه لم يُرد الخروج من عباءة الإمامة أولًا، ولكنّ تجاهلهم لأفكاره، ورفضهم لمناقشتها، ثم البدء بالهجوم عليه، جرّأه على النقد العلني.

والدرس الذي ينبغي أن يَعرفه كل صاحب حق، **هو أن التسلط على الحريات المكفولة شرعًا، وفرض القناعات ولو كانت صحيحة خطأً شرعًا وعقلًا**، لأن الشرع لم يفرض على الناس أعظم الضرورات وهو الدخول في الدين، بل علّم المسلمين أن يسلكوا أحسنَ السبل لإقناع الناس به ، وجعل في الساحة الإسلامية رحابة تكفل لكل فرد دخله أن ينظر ويتأمل ويناقش.

وللأسف فإننا نجد في النافرين عن حياض أهل السنة والجماعة شريحة تشهد على أن بعض المنتسبين إلى الحق قد يخطئون عندما يسلكون سبيل الإقصاء وفرض الآراء، وعدم مناقشة المعترضين عليهم من أهل السنة فضلًا عن غيرهم، بل إعطاء جميع المخالفين لهم حُكمًا واحدًا في التعامل ولو كانت المخالفة في الآراء الفقهية، مما يولد تحولات لا يرتضيها إلا المتربّصون.

السبب السابع: البحث المتجرد.

ومن أسباب التحولات المحمودة: الإقبال على البحث والمطالعة المتجردة من التقليد في مسائل الاعتقاد، فقد بين البرقعي أن إقباله على البحث والمطالعة كان سببًا كبيرًا في إرشاده إلى كثير من الآراء التي اقتنع بها أخيرًا[(٢)].

---

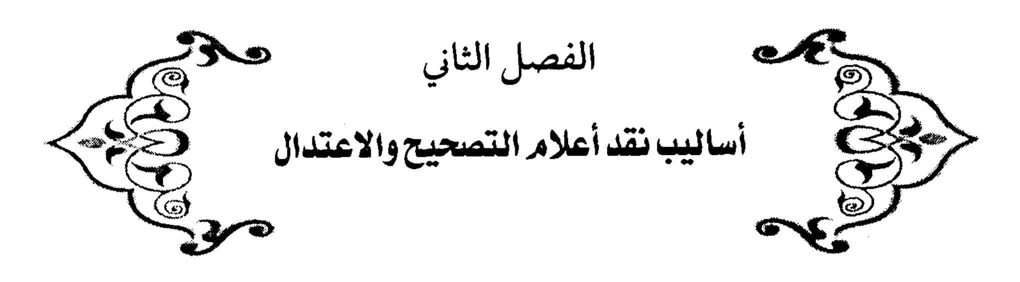
(١) قاله أبو تمام الطائي (٢٣١هـ) . انظر:طبقات الشعراء ٢٨٣، تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٧٧/٢ . تاريخ الأدب العربي لفروخ ٣٥١/٢ . تاريخ بغداد ٢٤٨/٨. البداية والنهاية ٢٩٩/١٠.

(٢) راجع ص ٥٨.

كما أن الأستاذ أحمد الكاتب استطاع من خلال البحث والاطلاع الوصول إلى نتائج لم يكن يظن أنه سيصل إليها يومًا ما، وهكذا الياسري كما سبق، وهذا يؤكد أن فتح آفاق البحث والاطلاع في مجال الاعتقاد خصوصًا ـ فتح باب البحث فيه ـ يؤدي إلى نتائج محمودة ، لا سيّما وأنه باتفاق الجميع مما يحرم فيه التقليد، ، والله أعلم.

هذه أبرز الأسباب التي يمكن استخراجها من حركة التحولات التي سبق إلقاء الضوء عليها في الباب السابق.





لماذا ندرس أساليب المتحولين؟

اختلفت أساليب المتحولين في نقدهم وطرحهم لآرائهم، ولعل إلقاء الضوء على أنواع أساليبهم يكشف لنا جانبًا مهمًّا يثري التجربة الإسلامية في الحوار، من حيث معرفة أحسن الأساليب وأقواها في الحوار والإقناع للتمسك بها، وأضعف الأساليب وأرداها لعدم تكرارها.

تقويم أساليب المتحولين النقدية:

أولاً : أسلوب أحمد الكسروي

سبق أن عرضنا أفكار الكسروي، ومآخذه على المذهب الإمامي، كما بينا أهم الملاحظات العلمية عليه، وأما عن أسلوب الكسروي؛ فإنه تميز بطابع الثورة – فلا حاجة للتنبيه على ذلك مرّة أخرى، **ولكن السؤال المهم**: كيف استطاع الكسروي أن يؤثر على شريحة لا بأس بها من الشباب بهذا الأسلوب مع ما جمع من ملاحظات كبيرة؟

وقبل الإجابة يجب أن نستحضر الفترة الزمنية التي عاش فيها أحمد الكسروي وهي من سنة ١٢٦٧هـ حتى ١٣٢٤هـ، فقد شهدت إيران في هذه الفترة زيادة في النفوذ الغربي وبروزًا لحركات جديدة هدامة كالشيخية والبهائية والكشفية، كما شهدت إيران بدايات الحركة التغريبية التي أخذ يدعو إليها ناصر الدين شاه(١٢٦٠هـ ـ ١٣٠٨هـ) وهو أول حاكم إيراني يزور الدول الغربية، والذي اصطدم بمعارضة جمال الدين الأفغاني الذي أرغم على مغادرة فارس، وأخيرًا اغتيل ناصر الدين ثم سار على نهجه ابنه مظفر الدين[(١)].

---

(١) انظر: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ١/ ٢٣٨ ـ ٣٢٩.

وبلا شك فإن ظهور صوت الكسروي ﴿ في ﴾ هذه الفترة الحالكة مطالبًا بالخروج عن قيود الغلو والخرافة التي كبلت عقول الناس في فترة سادت فيها الخرافة، سيلقى صدى في أوساط الجيل الجديد (الشباب)، كما أن كشف الكسروي عن مفاهيم تاريخية ودينية فرقت الأمة وهي مفاهيم غائبة أو مغيبة عن الناس سيلقى صدى مهما كان.

والخلاصة: أن الذي ساعد الكسروي في نشر أفكاره الفترة الزمنية الحالكة، والهجوم الثوري الذي استقطب الشباب الناقم على التيارات الدينية التي لم تُوجد حلًا، بل بيّن الكسروي لأولئك الشباب أن هذه المرجعيات من أسباب المعضلة الإسلامية.

كما أن الكسروي لم يستطع التأثير على قطاع التيارات العلمية الشيعية، وانحصر أثره في الشباب؛ لأنه ظهر بصورة الناقد الحاد من خارج المذهب، ثم إن خصومه من التيار الديني خدمتهم الأخطاء العلمية التي وقع فيها لاسيما نظرته القاتمة نحو جعفر الصادق رحمه الله ـ كما مر من قبل ـ ، وهي نظرة سيخالفه فيها أهل السنة والشيعة جميعًا، ولعل هذا هو السبب في تقلص نفوذ ثورة الكسروي وعدم استناد المتأخرين عليها، فقد غدا ينتقده الآن حتى المثقفين المطالبين بالإصلاح الديني، ولا يرضون أن ينسبوا إليه.

والحكمة التي ينبغي أن يعرفها من يريد جَمْع كلمة المسلمين على الهدى والنور؛ **هي أن النقد العلمي المنصف ارسخ قدمًا، واعظم أثرًا لشريحة أكبر لفترة أطول، وأما النقد الثوري الغاضب المندفع؛ فإنه يجمع الحانقين في لحظته فقط، ثم سرعان ما ينطفئ نوره.**

ثانيًا: أسلوب البرقعي

تميز أسلوب البرقعي ـ رحمه الله تعالى ـ بأنه كان علميًّا بدرجة كبيرة، والسبب يرجع إلى أنه كان ذا رتبة علمية، وأنّ تغيّر افكاره كان بنظر وتأمل وبحث ذاتي، وهذا ما جعل البرقعي يتجه إلى الأسلوب العلمي بعيدًا عن كل أسلوب عاطفي أو غيره.

والملاحظ أن البرقعي رحمه الله أخذ ينتقد آراء أساسية في مذهب الإمامية باسم الإسلام، وليس باسم أهل السنة ولا غيرهم، لأنه صرّح بأنه ترك المذهب، وأنه اقتنع بأن الإسلام هو في الأساس بعيد عن كل الأسماء والألقاب.

كما أنه اعتمد بشكل كبير في مناقشاته على القرآن، والأسلوب العقلي، فهو يعتمد على الاستشهاد بالقرآن على القبول أو الرد بدرجة كبيرة، كما يعتمد على الأسئلة العقلية الاستفزازية، ولعل قصده أن يربأ القارئ بنفسه عن الدخول في دائرة هذا القول المنحرف، نحو قوله:

"إذن ما الفائدة من جمع هذه الروايات المخالفة للقرآن؟ ولماذا يسيئون إلى الأئمة ويظهرونهم بمظهر الجهل من جراء هذه الأخبار؟"[(١)].

كما أنه يتعمد التهكم من القول الضعيف المخالف للقرآن فيقول مثلًا: "يبدو أن الراوي أراد أن يظهر الإمام جاهلًا بالقرآن"[(٢)].

كما يعتمد البرقعي على الرد المنطقي أمام كثير من الخرافات، فيعلق على أحد أحاديث الكافي فيقول: "يقول الإمام وإن عندي الاسم الذي كان رسول الله ﷺ إذا وضعه بين المسلمين والمشركين لم يصل من المشركين إلى المسلمين نشّابة[(٣)]..وإذا كان لرسول الله عالم كهذا لماذا لم يضعه في غزوة أحد وسائر غزواته كي لا يقتل المسلمون أو يصيبهم سهم؟"[(٤)].

كما يعتمد البرقعي بشكل كبير على رد الروايات بعرض بعضها على بعض وبيان تناقضها، فضلًا عن تناقضها مع القرآن[(٥)] أو اللغة[(٦)] أو التاريخ[(٧)]، علاوة على أنه يبدأ تعليقه على الأحاديث بنقد رواتها ونقل تضعيف المجلسي في أغلب الأحيان.

والمقصود أن البرقعي تميز بنقد علمي واضح، وهو ما أعطى نقده وزنًا أكبر.

ويبقى السؤال المهم: هل وُفّق البرقعي إلى الأسلوب الأمثل، أو أن اتخاذه أسلوب الصدمة والإثارة قلل من حظه؟

وقبل الإجابة يجب أن نستحضر ما مضى من انزعاج البرقعي من الخرافات التي

---

(١) كسر الصنم ١٦٦. وانظر أيضًا: ١٦٢، ١٣٣، ١٨٨.

(٢) كسر الصنم ١٧٣.

(٣) يشير البرقعي إلى ما رواه الكليني بأن الصادق قال: "وإن عندي الاسم الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله سلم إذا وضعه بين المسلمين والمشركين لم يصل من المشركين إلى المسلمين نشّابة..". الكافي ١/٢٣٣.

(٤) كسر الصنم ١٨٣ ـ ١٨٤.

(٥) انظر: كسر الصنم ١٨٥، ١٨٦، ٢٠١، ٢٣٦، ٣٢٥.

(٦) انظر: كسر الصنم ١٨٢.

(٧) انظر: كسر الصنم ١٨٣، ١٨٤.

غيبت عقول الناس في وقته، وما حصل له في مدينة آباده[١]، وكما أن قصة الناقة التي دخلت صحن الرضا في خراسان[٢] من أكبر الشواهد على مدى سيطرة الخرافة على أذهان الناس، وهذا ما يجعلنا نعتبر طريقة البرقعي أسلوبًا طبيعيًّا ومناسبًا لإيقاظ العقول النائمة في ذلك الوقت.

وفي دليل على أثر أسلوبه فقد أخبرني أحد الذين حضروا درس التفسير للبرقعي عندما كان يقدّمه في مسجده في طهران قبيل الثورة الإيرانية أنّ طلابه كانوا زهاء المائتين، وهو عدد كبير لاسيما إذا لاحظنا أمرين مهمين:

١.أن الاعتناء بتفسير القرآن لطلبة العلم وللعامة وقتها لم يكن كبيرًا في الوسط العلمي الإمامي في إيران[٣].

٢.أن البرقعي لا يربطه مع طلابه عطايا من الأخماس؛ لأنه كان قد رجع عن أخذ الخمس وأعاد ما عنده للناس قبل هذا بفترة طويلة.

وهذا كله مما يؤكد أن الطلاب الذين اختاروا البرقعي معلمًا لهم يأتونه عن قناعة بما يطرحه فقط، والله أعلم.

ثالثًا: أسلوب الخالصي

السياسة التي انتهجها الخالصي ـ رحمه الله ـ في نقده لبعض الانحرافات في المذهب الإمامي، تقوم على القناعة بأن المذهب الإمامي صحيح ولكن الغلاة هم الذين أفسدوه، ولكن الخالصي ارتكب خطأً علميًّا عندما ركز على أن الذين يدعون إلى القول بتحريف القرآن، وبالاستغاثة بغير الله تعالى والقول بأن الأئمة يتصرفون بالكون، هم محصورون ـ في كلام الخالصي ـ في ثلاثة أصناف : الأول: الرواة الغلاة كأبي الخطاب والمغيرة بن سعيد وغيرهما ممن سبقوا. والصنف الثاني: الفرقة المعاصرة المسماة بالشيخية، والصنف الثالث: فئة من الخطباء الذين يرتزقون من خطبهم.

---

(١) راجع القصة ص١١٨.

(٢) راجع القصة ص١١٩ .

(٣) وهذا ما اعترف به آية الله العظمى الخامنئي كما سبق . انظر ص ١٢٥.

رابعًا : أسلوب الخوئيني

غلب على أسلوب إسماعيل آل إسحاق الخوئيني أسلوب المناقشة من خلال القرآن، فهو ينطلق من خلال آيات القرآن إلى كثير من آرائه، ولهذا ألف موسوعته القرآنية.

كما أن الخوئيني يقترب كثيرًا من أسلوب البرقعي في النقد العلمي من حيث دراسة المتون والأسانيد، ولكنه لا يمارس أسلوب البرقعي في إثارة القارئ والتهكم من الأقوال الشاذة.

كما أن الخوئيني يتفق مع البرقعي في الهجوم بقوّة على كثير من الانحرافات التي دخلت المذهب باسم آل البيت، إلا أنه يدعو إلى إلغاء كل المذاهب والرجوع إلى الإسلام فقط بلا مذاهب، وبلا ألقاب، ويركز كثيرًا على الدعوة إلى الوحدة الإسلامية التي ضاعت بسبب الانحرافات والمذاهب التي فرقت المسلمين.

خامسًا : أسلوب موسى الموسوي

يختلف الدكتور الموسوي ـ رحمه الله ـ عن سابقيه في الأسلوب؛ لأنه تبنى نقد المذهب بأسلوب لا يميزه العلمية الدقيقة، ولا الإثارة والصدمة، ولكن يميزه تبني الدفاع عن التشيع الحقيقي ، فهو يتحدث بلسان الأئمة وباسم التشيع الذي لعبت فيه أيادي أهل الأغراض والمنافع من الشيعة وغيرهم، ومن هنا فإن الموسوي أصبح مدافعًا ومهاجمًا في آن واحد، يدافع عن الأئمة وعن التشيع الخالص من الغلو والانحرافات الشركية والسياسية التي أدخلت في المذهب، ومهاجمًا لما يسميه البدع والتجاويف التي لحقت بالمذهب بعد عصر الأئمة.

كما أن الموسوي تميز بأنه حاول أن يطرح صيغة منسجمة بين موقف الأمة التي يسميها (الأكثرية)، وبين موقف الشيعة الأوائل الذين يسميهم (المعارضة) ، وذلك حينما ذكر أن الشيعة الأوائل كانوا يطالبون بالعودة إلى مبادئ عهد الخلفاء الراشدين العادلة. وقد انتقد الموسوي بعض المناضلين الذين يريدون الإصلاح وهم كما يقول: "لم يعرفوا ـ وحتى هذا اليوم ـ لغة التخاطب مع الشيعة في إيران، وغير إيران، وبذلك لم تستطع المعارضة تكوين رأي عام ..."، وقد اعترض الموسوي على بعض من يحارب النظام الإيراني بحجة أن النظام الإيراني ضد الإسلام، والأجدر في تصور الموسوي أن يُبَيِّن أن هذا ضد المبادئ الشيعية الأصيلة التي كان عليها الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ وذريته[(١)] ، لكن الملاحظة الواضحة أن الموسوي دخل في خصومات شخصية مع بعض رموز

(١) انظر: يا شيعة العالم استيقظوا ٣٧.

الإمامية المعاصرين لاسيما الممثلون للنظام الإيراني بعد الثورة، فأخذ يكتب في ذكر بعض ما يعتبره فضائح ومخازي ومن نظر في كتابه "الاستاذ الخميني في الميزان" يرى شيئًا كثيرًا من هذا القبيل، فقد ملأه بما يعرف من تلك الفضائح، ولعل انتهاج الموسوي لهذا الأسلوب –في الفترة التي كان الشيعة يستنشقون نشوة الفرحة بتمكّن الشيعة وتصدير التشيع للعالم، كان من أكبر أسباب نفرة الجمهور الشيعي عن أفكار الموسوي، لا سيما وأن مجرد صدور الحكم بالكذب من قبل المراجع كفيل بإسقاط جميع طعونه، وبالتالي فقدان الموسوي مصداقيته لدى الجمهور ـ وهو ما وقع فعلًا ـ ، فضلًا عن أن هذا الأسلوب يكفي في تحويل المشكلة من كونها مشكلة فكرية عقدية إلى مشكلة شخصية، وفي نظري أن هذا خطأ كبير وقع فيه الموسوي، فلو ترك الناقد هذه الطريقة، والتزم الجميع بالنقد الموضوعي ـ بعيدًا عن الأشخاص ـ ، لكان ذلك أكثر قبولًا وأحسن لإدارة حوار ناجح بدلًا من خلط ذلك بالطعن في الذوات.

سادسًا : أسلوب محمد حسين فضل الله

بلا تردد أستطيع القول بأن محمد حسين فضل الله يتميز بأنه استطاع أن يصحّح أمورًا مهمةً دون أن يخسر مكانته كمرجع إمامي له حضوره في الساحة الشيعية المعاصرة، بل الذي يراه الناس أنه يزداد شهرةً وكثرةً في الأتباع مع مرور الأيام.

ولعل مما يُلاحظ بشكل واضح في أسلوب محمد حسين فضل الله تجنبه المصادمة مع بقية المراجع الإمامية، فمع أنه برز إعلاميًّا، إلا أنه لم يستخدم الإعلام للانتصار عليهم والاقتصاص منهم، وقد سألت محمد حسين فضل الله عن سبب هذا الإعراض عن ذلك؛ فأخبرني بأنه لم يرد أن تتحول الخصومة إلى خصومة شخصية[(١)].

كما أن من الملاحظ أن فضل الله لم يستخدم الإعلام لصالح كثير من الأفكار الأساسية التي ضُلّل بسببها، إذ لا نراه استخدم القنوات ولا الصحف والمجلات التي تتنافس في استضافته في طرح ردوده على مضلليه في مسألة الولاية التكوينية ومسألة الشفاعة ودعاء غير الله ونحوها من المسائل، وفي أقصى الأحوال يكتفي بإشارات عامة مثل أنه يحارب الخرافة والخرافيين، أو التخلف والمتخلفين، أو أنه ضد إثارة الأحقاد

(١) المرجع لقاء خاص يوم الأربعاء ٢٦/١/١٤٢٥هـ.

أو الفهم الخاطئ للتاريخ، ونحو ذلك فقط.

ولعل اتخاذ هذا الموقف الحذر مما يزعج بعض الأطراف من أهل السنة والشيعة، وذلك أن هذا الموقف يدعو بعض أهل السنة إلى الريبة والتساؤل عن كون الخلاف بين فضل الله وخصومه حقيقيًا أو لا؟. وأما بعض الأطراف الشيعية المحاربين له، فإنها تشتد حنَقًا لأن إعراضه عنهم يكون على وزن:

يزِيدُ سَفَاهةً وأزِيدُ حلْمًا كَعودٍ زَادَهُ الإحْراقُ طِيبًا

كما أن مما يلاحظ على أسلوب محمد حسين فضل الله اللين في عبارات الإنكار ورد الأقوال، وهو أمر يُغضب بعض أهل السنة وبعض الشيعة أيضًا، وكما يقول عنه أحد الغاضبين عليه من الإمامية : " لم يسمِّ الأشياء بأسمائها... فهاجم التوسل والشفاعة وتنكر لها ونقضها دون أن ينعتها بالشرك، وطعن في المعجزة ونال من الكرامة ومن مقامات الأولياء [يقصد تصرف الأئمة بالكون] دون أن يسميها بالكفر والغلو... وهكذا"[1].

والحقيقة أننا يمكن أن نعتذر لمحمد حسين فضل الله بأنه يراعي تحقيق الإصلاح بأقل مفاسد عامة، لأنه لا يريد أن تتحول صراعات المسلمين إلى الداخل بقدر الإمكان،لأنها في نظره ستؤخر الإصلاح و ستمكّن العدو الخارجي وإذا صحت النية فهذا مما يسوغ فيه الاجتهاد، والله أعلم.

وكشاهد على ما أقول؛ أذكر أنني وجدت بعض اللبنانيين اختاروا تقليد محمد حسين فضل الله لإعجابهم بموقفه عندما ترك مجارات المخالفين له في الشتائم وتبادل الاتهامات، واختياره السكوت عنهم، وهو ما دفعهم إلى إكباره وحبّه.

سابعًا : أسلوب الياسري

اتخذ الياسري أسلوبًا قريبًا من أسلوب الموسوي، فهو يحاول أن يبين أن توحيد الأئمة يخلو من كثير من البدع التي يفعلها الغلاة، كما أنه يركز على أن مظاهر الغلو تخالف نهج الأئمة.

لكن الياسري يتميز باعتماده على النصوص القرآنية وآثار الأئمة بشكل كبير، كما أنه لما تحدث عن مسألة تحريف القرآن اتهم بعض أعلام المذهب بطريقة علمية موضوعية ومؤدبة، فهو يذكر كل عالم بلقبه ورتبته في المذهب.

---

(١) انظر: فتنة فضل الله للصافي (سبق عنوان الكتاب على الإنترنت).

ولشدّة اهتمام الياسري بالقرآن فقد ألّف كتابًا سماه "المنهاج"، لم يذكر فيه إلا العناوين والآيات فقط ـ عدا مواضع يسيرة ـ ، وهي في نظر الياسري تكفي لجمع كلمة المسلمين على الاعتقاد الصحيح.

فالياسري باختصار اعتمد بشكل كبير على القرآن في الاستدلال على تمييز الصحيح من روايات الأئمة.

ثامنًا: أحمد الكاتب

من خلال ما مضى في فصل أحمد الكاتب يتبين أنه اتخذ أسلوب البحث العلمي في استخراج النتائج، وتظهر قوة المعلومات التي استخرجها في اعتماده على مصادر المذهب الإمامي والاهتمام بدلالة التاريخ بدرجة كبيرة، ومن النادر أن يستشهد بمصادر الحديث عند أهل السنة، كما أن مما يميز أسلوب الكاتب أنه تدرج في دراسة النظرية الإمامية، متتبعًا تطورها وأقوال فتاوى علماء الإمامية في كل مرحلة.

والكاتب يكتب بَنَفس موضوعي، بمعنى أنه لم يجرح أحدًا من علماء المذهب، ومن انتقده من الرواة أو الرجال المتقدمين فهو يحيل في نقده لمن سبقه في ذلك.

كما أن من أحسن ما يميز كتاب "التطور" للكاتب طول نفسه في بحث المسألة، وعلى سبيل المثال تناول قضية المهدي من نواحي متعددة، وفي كل ناحية منها يحاول تكميل كل جوانبها بحيث خرج البحث في صورة متكاملة.

والكاتب في بحوثه ومقالاته يلتزم الأدب حتى مع مخالفيه الذين يتعمدون إساءة الأدب معه، كما أنه يركز كثيرًا على الأسلوب العقلي في بيان فساد القول.

ومع هذا لا يزال الكاتب يكتب ويتحدث من جهة كونه شيعيًا ، وينتسب إلى الشيعة، ويرى أنه يتبع المنهج الصحيح لآل البيت، إلا أنه لا يرضى بأن يقال له: الإمامي أو الاثنا عشري، لعدم إيمانه بهذه النظرية.



الفصل الثالث

موقف أهل السنة والجماعة من حركة التصحيح والاعتدال في صفوف الإمامية

بين التقية والحقيقة.

من النقاط التي تجعل الكثير من أهل السنة يستشكلون التعامل مع المنتسب إلى الطائفة الإمامية، قضية التقية، إذ أنها تؤثر في قبول أي تقرير له يخالف المتعارف عليه من مذهبهم، ولأهمية هذه النقطة في التعامل مع المتحولين أو التحولات العامة، لا بد أن نبين ما يلي:

أولاً: وجوب قبول الظاهر.

الواجب في التعامل مع الناس قبول الظاهر منهم دون التنقيب عن بواطنهم، وهذه القاعدة قد دلّ عليها أدلة كثيرة من أبرزها:-

١. حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقها وحسابه على الله" رواه مسلم[١].

٢. حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع، وفيه: "إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس، ولا أشق بطونهم". متفق عليه[٢].

قال النووي - رحمه الله -: "معناه: أني أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر"[٣].

---

(١) صحيح البخاري رقم ١٣٩٩. وصحيح مسلم رقم ٢١.

(٢) صحيح مسلم (١٠٦٤).

(٣) شرح صحيح مسلم ٧/٢٢٨.

وقال البغوي ـ رحمه الله ـ: "إن أمور الناس في معاملة بعضهم بعضًا إنما تجري على الظاهر من أحوالهم دون باطنها، وأن من أظهر شعار الدين، أجري عليه حكمه، ولم يكشف عن باطن أمره، ولو وجد مختون بين قتلى غلف، عزل عنهم في المدفن، ولو وجد لقيط في بلاد المسلمين حكم بإسلامه"[١].

وقال الشاطبي ـ رحمه الله ـ: "أصل الحكم بالظاهر مقطوع به في الأحكام خصوصًا، وبالنسبة إلى الاعتقاد في الغير عمومًا أيضًا، فإن سيد البشر ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع إعلامه بالوحي، يُجري الأمور على ظاهرها في المنافقين وغيرهم، وإن عَلِم بواطن أحوالهم، ولم يكن ذلك بمُخرجه عن جريان الظواهر على ما جرت عليه"[٢].

وعليه فإن المفترض في المسلم أن يقبل قول كل من أظهر الحق، ويحكم عليه ظاهرًا بهذا، ويكل سريرته إلى الله تعالى، لأن الحكم بأنه يمارس التقية والحالة هذه يكون ظنًّا، والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء ٣٦]،والرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث" رواه البخاري ومسلم[٣].

وعلى القارئ الكريم أن يعلم أن ما ذُكر ضابطٌ في الحكم على الأفراد، وليس في الحكم على الفِرَق، لأن الفِرَق إنما يقرر قولها مؤسسوها وأعلامها في الجملة وليس العالم الواحد.

فمن قال من الخوارج بأنه لا يكفر صاحب الكبيرة قبلنا قوله في نفسه، وأما أن يقرر أن هذا هو مذهب الخوارج جميعًا، فهذا غير مقبول.

ومن قال من الإمامية بأنه لا يقول بالعصمة مثلًا، فينبغي أن يقبل ذلك منه، ولا يقال له بأنك تكذب أو تتقي في هذه المسألة، ولكن إن قال بأن المذهب لا يقول بذلك، فينبغي أن لا يتهم بالكذب لاحتمال عدم العلم ، بل يعرّف أولًا بأقوال أعلام المذهب، فإن ظهر منه المراوغة فهو يمارس التقية.

---

(١) شرح السنة ١/٧٠.

(٢) الموافقات ٢/٢٧١.

(٣) صحيح البخاري رقم ٦٠٦٤. وصحيح مسلم رقم ٢٥٦٣.

ولعل هذا النهج أسلم للديانة في التعاطي مع أقوال الناس، من اللجوء إلى الاتهام المباشر بالتقية والكذب من دون دليل.

ثانيًا: قبول الظاهر لا يعني عدم الحذر.

من المهم أن نفرق بين وجوب قبول الظاهر من الناس، وبين الحذر من الأطراف التي يُظن إبطانها غير ما تظهر، فإن الحذر ممن هو مظنة للريبة يعد من الحزم الذي دل عليه العمل النبوي، فمع أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يفتش عن بواطن المنافقين، إلا أنه لم يُعلم أنه صلى الله عليه وسلم ولّى أحد المنافقين، كما أن أبا بكر الصديق لما أسلم كثيرٌ من المرتدين قَبِلَ منهم ذلك ولم يمنعهم من المشاركة في الجهاد، إلا أنه أمر رؤساء الأجناد في العراق والشام ألا يولّوا أحدهم[1].

وقد قال ابن حزم ـ رحمه الله تعالى ـ: "وأما سوء الظن فيعدّه قوم عيبًا على الإطلاق، وليس كذلك، إلا إذا أدى صاحبه إلى ما لا يحل في الديانة، أو إلى ما يقبح في المعاملة، وإلا فهو حزم والحزم فضيلة"[2].

لكن هذا الظن والحذر يجب أن لا يقود إلى ما هو محرّم، كالغيبة أو إلقاء التهم علنًا بناء على الظن، بل الأمر يشبه تمامًا ما إذا ظن رجل بأحدهم أنه لص لأمارة ظهرت عليه، فله أن يحذَرَه ولكن ليس له أن يطعن به في الظاهر.

ثالثا: المواقف والآراء التي لا تحتمل التَقِيَّة (الكذب).

يتوقف بعض أهل السنة في حالات ومواقف هي ـ والله أعلم ـ مما لا تحتمل الحكم بالتقية، مثل أن يكون الرجل ممن له تراجع بيّن، أو يتبنى مواقف واضحة ويدافع عنها، وقد يدخل بسببها في صراع يعرفه القريب والبعيد مع أتباع المذهب، فلا معنى للقول بأن عمله تقية.

ومن هذا القبيل ما لقيه الدكتور موسى الموسوي ـ رحمه الله تعالى ـ، حيث كتب في نقد المذهب الإمامي بشكل واضح، ووزعت كتبه على نطاق عالمي، وألف في الرد عليه من قبل بعض الإمامية، ومع ذلك لقي اتهامًا بالتقية من بعض أهل السنة.

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٦/٣١٨.

(٢) الأخلاق والسير ٣٤.

وقد يقول قائل: هل في العلماء من تعامل مع بعض أقوال الإمامية بمثل هذه القاعدة؟

وللإجابة على هذا نذكر موقف ابن حزم ـ رحمه الله تعالى ـ وهو من أشهر من ألّف في الفرق، فقد سبق أن نقلنا استثناءه الشريفَ المرتضى وصاحباه من القول بتحريف القرآن من غلاة الإمامية في وقته، كما ذكر ـ رحمه الله ـ أنه أدرك فقيهين، هما: علي بن محمد بن الحسين بن القاسم بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، والثاني: محمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن أحمد بن مروان بن سليمان بن مروان بن أبان بن عثمان بن عفان، الأول بأفريقيا وهو يصرح بتفضيل عثمان على علي بلا تقية، والثاني بقرطبة يصرح بتفضيل علي على عثمان بلا تقية[1].

فنسبة ابن حزم هذه الأقوال إلى هؤلاء واعتبارها لا تحمل على التقية، لا بد أن تؤخذ على أنها كانت لأسباب واضحة وهي اشتهار هذا القول عنهم وردّه على المخالفين له ونحوها من الحالات التي لا تحتمل التقية والله أعلم.

رابعًا: بعض المواقف لا تحتمل إلا التقية المحرمة(الكذب) أو الجهل.

وعلى عكس الحالات التي لا تحتمل التقية، ثمة حالات لا يمكن حملها إلا على التقية أو الجهل، كأن ينكر الرجل نسبة أمور إلى المذهب، والحال أنها من المذهب بتصريح أعلام المذهب وأعلام مخالفيه، فإما أن يقال بأن هذا جاهل أو هو يمارس التقية والمراوغة.

طُرق تعامل أهل السنة مع أعلام التصحيح والاعتدال.

فيما يلي سألقي الضوء على أبرز طرق علماء أهل السنة ورموزهم في التعامل مع أصحاب التحولات المحمودة، سواء كانت كلية أو جزئية.

ولن أتخذ أسلوب عرض مواقف كثيرة أو أسماء عدّة، لأن حصر ذلك يكتنفه مشقة، كما أنني لن أكتم تخوفي من شدّة ما قد يثيره ذكر أسماء ومواقف متعددة، إضافة إلى أن كثيرًا من علماء أهل السنة ليس لهم موقف واضح أصلًا تجاه هذه

---

(١) رسائل ابن حزم ١١٢/٢.

القضية المهمة (حركة التصحيح والاعتدال في صفوف الإمامية)، **وإن كان سكوت بعضهم يشكل في النهاية موقفاً لتيار موجود**، بحيث لا تجد أي لون من التأييد أو المعارضة، أو التقويم أو شيئًا من هذا القبيل.

ولعل أسباب هذا (الموقف الصامت) تعود إلى أحد الأسباب الآتية:

١. الشك المطلق في كل ما يصدر عن أي إمامي بأنه تقية.

٢. القناعة بأن جميع علماء الإمامية لا يمكن أن يرجعوا عن الخرافات و الغلو.

٣. الموقف الحذر من الثناء أو الإقرار بأي مزية لأي مخالف ولو تراجع عن كثير من البدع، وإن جاهد في سبيل ذلك ما دام متلبسًا ببعض الانحرافات.

وبالجملة فإن هذا الموقف إن لم يكن عن عدم علم بالمتحولين فإنه مبني على أساس قناعات يغلب عليها الحذر في التعامل مع المبتدع.

ويمكن أن نجد العذر لسكوت كثير من أهل هذا الفريق عن التحولات المحمودة عندما يكون الساكت منشغلاً بأعمال تقتضي انغماسه في أمور أخرى كالفتوى والتعليم وغيرها من المصالح إلا أن هذا لا يعني عذر الكل في التقصير في التعامل مع هذه الظاهرة، كما أنه لا يعفي أعلام هذا التيار عن معرفة أفكار دعاة التصحيح والاعتدال حتى يتجنب الأحكام التعميمية الجائرة.

وفي مقابل ذلك يقف آخرون في (موقف المهتم) بهذه التحولات المهمة، من خلال النظر في أفكارهم وتقديم توصيف لهم بالسلب أو الإيجاب، وهو ما يعني إيجابية في تقدير أهمية هؤلاء وأثرهم في الأمة.

وقد اختلف أصحاب هذا التوجه في نظرتهم وتقييمهم لدعاة التصحيح والاعتدال، وبطبيعة الحال فإن الخلاف سيبرز في تقييم أصحاب التراجعات الجزئية (التي لم تخرجهم من المذهب)، والسبب أنهم جمعوا موجبات للمدح وللقدح، وأما التحولات الكلية فلا أظن أن أحدًا يعرف عنها إلا ويتقبلها.

و فيما يلي صورتين للتعامل مع أحد دعاة التصحيح والاعتدال الذين مرّ الحديث عنهم، وهو آية الله محمد الخالصي، حيث عاش في زمنه اثنان من أهل السنة في العراق، هما: محمود الملاح، وعبد العزيز البدري، وقد اختلفت طريقة كل واحد منهما في تقييم الخالصي، وفي أسلوب التعامل مع شخصيته، ولعل هذين النموذجين

يمثلان مدرستين في التعامل مع أهل التحولات الجزئية، ولذا سأكتفي بعرض هذين النموذجين لأنبه بهما على أمثالهما.

وأرجو أن لا يملّ القارئ الكريم من طول النفس في التقييم الآتي، لأن تمحيص الموقف الصحيح ينبغي أن لا يكون عابرًا، كما أن التفصيل عادة ما يخرج نتائج مهمة في مثل هذه الموضوعات.

أولًا : طريقة الملاح في تقييم الخالصي.

من هو الملاح؟

هو محمود الملاح، أديب وشاعر عراقي، من أهل السنة في الموصل، درس المذهب الحنفي، وتعلم على أيدي بعض المشايخ في الطرق الصوفية ـ كما يصرح ـ ، وقد مال بعد ذلك عن التصوف، واختار ترك التعصب والتقليد، وكانت له ميول قومية ولكنه أراد أن يجعلها منضبطة بأربعة خطوط أساسية هي التاريخ والأدب والتفسير والحديث، توفي في أواخر الخمسينيات[1].

وقد عاصر الملاح فترة عصيبة في تاريخ المسلمين، فقد شهدت هذه الفترة خروج حركات هدامة كالقاديانية والبهائية ونحوها، كما غزا العالم كثير من التيارات المنحرفة كالشيوعية واللادينية والعلمانية وغيرها، وأعظم من هذا فقد تصدر كثير من المفكرين الذين شككوا في صلاحية الإسلام لهذا العصر ، فأخذوا يدعون إلى الانسلاخ من الهوية الإسلامية ، وقد تألم لهذه الحالة كثير من أبناء الأمة، فأخذ كل واحد يتلمس الخلل ويسعى في توصيف العلاج، وهو ما يبرر خروج كثير من التيارات المختلفة في نظرتها لماهية الخلل وطريق العلاج.

ومن الواضح أن الملاح قد اقتحم باب الإصلاح بقوة وشجاعة في نواحي متعددة، ولكن هل نجح الملاح في ذلك؟

قبل أن نجيب على هذا يجب أن نؤكد على أمر مهم، هو: أن نقد موقف الملاح يجب أن يخضع للموضوعية العلمية وفق منهج أهل السنة والجماعة، وليس بناء على العصبية لكونه من أهل السنة، كما أن الإشارة إلى تخطئة أسلوبه أو بعض أفكاره، لا

---

(١) المراجع: مقدمة الآراء الصريحة ٩ ـ ١٠. ولقاء خاص بمحمد الآلوسي وتوفيق البدري٢٨/١١/١٤٢٤.

يعني الحديث عن ذاته، لأن الرجل قد يدافع عن الدين وهو صالح تقي، كما أنه قد ينفع الله هذا الدين بالفاجر الشقي، ولهذا لن نتحدث عما يثار من قبل بعض محبيه أو مخالفيه تجاه ما يتعلق بذاته[١].

هدف الملاح:

صرح الملاح بأن هدفه النضال في عدّة جبهات دفاعًا عن الإسلام الذي تكالب عليه أعداؤه، ويقول: "ليس دفاعي محصورًا في بقعة معينة.. بل دفاع عام عن مصلحة الإسلام في أي بقعة"[٢].

وقد بيّن الملاح أنه يسعى إلى الوحدة بين المسلمين[٣]، وأنه يسعى إلى تصفية الأجواء بين السنة والشيعة[٤].

أبرز ملامح الملاح النقدية

من أبرز ما اتسم به نقد الملاح للفرق الأخرى، ما يلي:

١. يختار الملاح ما يسميه منهج التعبئة والبت والبتر مع الشيعة[٥].

فهو يرى أن الأجدى بأهل السنة أن يسلكوا منهج التعبئة ضد الشيعة وغيرهم من الفرق[٦]، بحيث ينتقد الملاح أي لون من ألوان اللين مع الخصم، أو الإقرار بشيء من الأدلة التي عندهم، بل يتبنى إسقاطهم جملة وتفصيلاً.

ويذكر الملاح أن مثله الأعلى في هذا المقام هو ابن حزم ـ رحمه الله تعالى ـ فهو يصفه بأنه "مجدد بحق" وأنه "أول من أخذ بالحزم في الرد على المبطلين"[٧].

ويبالغ الملاح في منهج التعبئة حتى أنه طعن في عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ

---

(١) وجدت بعض المعارضين لطريقة الملاح من أهل السنة يتناقلون أشياء من هذا القبيل، كقولهم بأنه كان ضعيف العبادة ونحوه، ولعل هذا مما لا يعتد به في نقد الأفكار والمناهج.والله أعلم.

(٢) المجيز على الوجيز (ضمن مجموع السنة٢/٢٩٢) .

(٣) الوحدة الإسلامية بين الأخذ والرد (ضمن مجموع السنة٢/٣١٠ ـ ٣١١، ٣١٥) .

(٤) الرزيّة في القصيدة الأزرية(ضمن مجموع السنة١/١٤٣) .

(٥) الآراء الصريحة (ضمن مجموع السنة٢/٣٣٣) .

(٦) تاريخنا القومي (ضمن مجموع السنة١/٣٣٤) .

(٧) الآراء الصريحة ٧٤(ضمن مجموع السنة٢/٧٤) .

بأنه كان "حجرًا رخوًا في صرح الدولة الأموية"[١]، لأن العدل -في نظره- لا ينفع مع المصرين على عقائدهم.

كما أنه يصف صاحب "كتاب التحفة الاثنا عشرية"ولي الدين الدهلوي بأنه من "المتميعين" الذين يصفهم بأنهم أصحاب "نزعة عجائزية هرمة"[٢]، وينعتهم بـ"ملتمسي البركات"[٣] ويعني بهم الذين يلطفون عباراتهم مع أتباع الفرق الأخرى، ويذكرون أدلتهم ويحاولون إقناعهم باللين وبأسلوب هين.

٢. ترك الموضوعية مع الخصم.

يدعو الملاح إلى مبدأ غريب في الحوار مع المخالف، حيث يرى عدم الاعتراف بأي دليل يكون للخصم فيه تعلق أو طرف من حجة[٤]، فأحاديث الفضائل التي يتعلق بها الشيعة هي في نظره "أحاديث مائعة"[٥]، ويذكر بأن ما يُروى عن الشافعي من الأبيات التي يقول فيها "إن كان حب محمد .."[٦] هو من الشعر المائع، ويعيب على الدهلوي إيرادَه لها في كتابه، كل هذا بحجة"تضييق الدائرة على الخصم"[٧].

ويعيب الملاح كثيرًا من أهل السنة الذين رووا أحاديث الفضائل كحديث المنزلة والمباهلة لأنها في نظره "أحاديث مائعة" فتحت باب التفضيل ثم الطعن والغلو عند الشيعة[٨].

---

(١) وإن كان الملاح يقول بأن رأيه هذا لا يخرجه من كونه أعجوبة من أعاجيب بني أمية.الآراء الصريحة (ضمن مجموع السنة٢/٩٤ ـ ٩٥).

(٢) الآراء الصريحة (ضمن مجموع السنة٢/٧٤ ـ ٧٥).

(٣) المرجع السابق ٦٥، ٢/٧٤.

(٤) المرجع السابق ٢/٧٠.

(٥) المرجع السابق ٢/٦٣، ٧٠.

(٦) الإشارة إلى الأبيات التي تروى عن الشافعي ـــ رحمه الله ـــ وهي:

يا راكبًا قف بالمحصب من منى واهتف بقاعد خيفنا والناهض

سحرًا إذا فاض الحجيج إلى منى فيضًا كملتطم الفرات الفائض

إن كان رفضًا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

انظر: مناقب الشافعي للبيهقي٢/٧١، ومناقب الشافعي للرازي ٥١.

(٧) المرجع السابق٢/٦٢.

(٨) الرزية (ضمن مجموع السنة١/١٥٤، ١٥٦. ٢/٧٢ـ٧٣).

ومن صور عدم الموضوعية في نقد الملاح؛ أنه لما ذكر تراجع الخالصي عن الشهادة الثالثة في الأذان، لم يثن عليه فيها، بل لجأ إلى تعييره بأبيه، حيث قال: "مع أن أباه لم يدرك فسادها، بل مات عليها كما ولد عليها"[١].

٣. تقديس التاريخ.

من الواضح أن الملاح يعتز بتاريخ الإسلام اعتزازًا كبيرًا؛ يصل إلى درجة الشطط والإفراط، فهو يرى بأن التاريخ الإسلامي هو القومية التي يجب الدفاع عنها.

ويؤسس الملاح لفكرة مفادها: أن للتاريخ محكمة عرفية لا شرعية، وأن السياسة اعتزلت الدين منذ قُتل عثمان، وإنْ ظلت حامية لحوزة الإسلام[٢]، ولهذا نجده لا يحاكم أعمال الخلفاء من جهة شرعية بل من جهة القوة السياسية بالدرجة الأولى، وهذا ما يبرر طعنه السابق في عمر بن عبد العزيز، وأعظم منها أنه طعن في علي بن أبي طالب بأن سياسته لم تنجح[٣].

ومما يدل على إفراط الملاح في تقديس التاريخ أنه يعتبر التاريخ الأموي صفحة ناصعة يجب أن لا يمسّ بشيء من التجريح، بل ذكر أن الذي أثاره على الخالصي هو أن الخالصي بدأ يدعو إلى الوحدة ثم أخذ يطعن في الأمويين، وهو أمر ينافي الوحدة في نظر الملاح[٤].

ويصل تقديس الملاح للتاريخ الأموي إلى درجة يعتذر فيها حتى عن الأخطاء الواضحة ، مثل اعتذاره عن قتل معاوية لحجر بن عدي [٥]، حيث قال:والظاهر أن حجرًا جاء بما لا تحتمله السياسة ولا تغفره[٦].

ويجتهد في الدفاع عن يزيد بن معاوية، ويصف طَعْن إلكيا الهراسي[٧] في يزيد

---

(١) الآراء الصريحة (ضمن مجموع السنة٢/١٣١) .

(٢) الوحدة الإسلامية بين الأخذ والرد (ضمن مجموع السنة٢/٣٩٢).

(٣) الرزية (ضمن مجموع السنة١/١٥٧).

(٤) الاراء الصريحة (ضمن مجموع السنة٢/٣٣٠، ٣٨٤) .

(٥) انظر ما سبق ص ٣٦٤.

(٦) الرزية(ضمن مجموع السنة١/١٣٨) .

(٧) إلكيا الهراسي: هو شمس الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري الجويني، فقيه شافعي، مفسر، من أجل تلاميذ ابي المعالي الجويني، اقم بالباطنية لتوافق اسمه مع ابن الصباح الإسماعيلي وكادوا أن يقتلوه حتى=

بأنه "عريدة"[(١)]، كما وصف جواب أبي حامد الغزالي عن سؤال وجِّه إليه عن حكم لعن يزيد بأنه "لم يخل من عريدة" والسبب هو أن الغزالي أشار إلى بعض أقوال أهل السنة الذين يرون الطعن في يزيد، هذا مع أن الغزالي انتهى في الجواب إلى القول بأن لعن يزيد من الفسق وأن الترحم عليه مستحب[(٢)].

ومما يؤكد هذه النزعة المفرطة لدى الملاح؛ أنه في مقابل دفاعه عن الأمويين يطعن في علي بن أبي طالب بأن بيعة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ جعلته يحقد على أبي بكر، وأن تولية عمر ـ رضي الله عنه ـ زادته وغرًا[(٣)].

كل هذا مما يؤكد أن الملاّح يميل إلى نظرة عنصرية للتاريخ[(٤)]، وهي رؤية خاطئة بلا شك، لأن التاريخ الإسلامي محكوم وليس بحاكم، فما كان فيه من معالم عزة افتخرنا به ودافعنا عنه، وما كان فيه من أخطاء أقررنا بها، وحدّثنا بها للعبرة، وليس في التاريخ من هو أكرم من محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، ومع هذا سطّر الله في عتابه آيات تتلى إلى قيام الساعة.

٤. الإكثار من الألفاظ اللاذعة الاستفزازية.

يكثر محمود الملاح من الألفاظ اللّاذعة عندما يخاطب من يخالفه، كما يستعمل الأسلوب الاستفزازي بصورة كبيرة جدًّا،ولعل كونه كاتبًا صحفيًّا قد أثر عليه

=شهد جماعة ببراءته. توفي سنة٥٠٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/٣٥٠ ـ ٣٥١. المنتظم ٩/١٦٧. طبقات الشافعية للسبكي٧/٢٣١ ـ ٢٣٤. شذرات الذهب٤/٨ ـ ١٠.

(١) الرزية (ضمن مجموع السنة١/١٤٤) .

(٢) الرزية (ضمن مجموع السنة١/١٤٥) .

(٣) انظر مجموع السنة ١/١٧٥، ١٧٧.

(٤) اتهم الشيخ محمد بن فؤاد الألوسي والشيخ توفيق البدري ـ وهما من المعاصرين للملاح ـ اتهما محمودًا الملاح بأنه له ميول قومية، وهذه التهمة إن كانت صحيحة فإن لها حظًا كبيرًا في أفكاره (المرجع: لقاء خاص ـ يوم الثلاثاء ـ ٢٨/١١/١٤٢٤) . إلا أن الذي بدا لي من خلال قراءة ما كتبه الملاح أن له ميولًا دينية لا موضوعية ومعها ميول قومية عربية، ويؤكد ذلك أنه انتقد الدعوة القومية والتعصب المقيت للقومية في مواضع من مقالاته.كما أنه صرّح بمنهجه في هذه الناحية حين قال: " نعم! أنا تعصبت للقومية الإسلامية الصحيحة وتاريخها وفي ضمنها القومية العربية الصحيحة وتاريخها السالم، وإنما قيدت بالسلامة والصحة لعلمي بأن الاستغلال والتظاهر أساءا إلى تينك القوميتين.."، انظر: مجموع السنة٢/١٠، ٢٤٤، ٢٧٠.

كثيرًا.

ومن الأمثلة على ذلك تسميته للمخالف له بـ"الحلزوني"[١] تارة أو"المدموغ"[٢]، أو "سماحة الخفيف الحركة"[٣]، ونحوها من الألفاظ التي يظن بعض المتحمسين للرد بأنها مما يسوغ في مجال الرد على المخالف، وليس هذا بصواب لأن العلماء ذمّوا الإساءة إلى الخصم أيًّا كان لاسيما في مقام الرد والمناظرة[٤].

٥. يرى الملاح أن الحوار مع الخالصي أو غيره من الشيعة لا يجدي، بل يقول بأن الوصول معهم إلى نتيجة"من رابع المستحيلات"[٥].

ومع أن الملاح يذكر أنه يسعى إلى الوحدة، إلا أنه يسمي نقاط الالتقاء بـ"الموائع المشتركة"[٦]، وهو أمر يزيد المتأمل عجبًا من أسلوب الملاح.

هذي هي أبرز ملامح نقد الملاح، وهي باختصار تعبر عن شخصية متحمسة للدفاع عن الحق الذي يراه بكل شجاعة، ولكن بنوع من الإجحاف تارة، وبشطط وتصورات خاطئة تارة أخرى، وبشيء من الأساليب التي لا تليق في مواضع كثيرة، ولم أقصد إسقاط كل جهود الملاح، بل قصدتُ الإطالة والتفصيل في توضيح منهج الملاح النقدي من أجل أن بعض أهل السنة اعتمدوا على مجرد نقده وتقييمه للخالصي، وزاد من قبوله أنه يدافع باسم السنة، وأن المطعون فيه إمامي.

غير أن ضوابط الجرح والتعديل عند أئمة أهل السنة تقتضي عدم قبول طعن المتعنت وكذلك عكسه المتساهل في الجرح مباشرة، خلافًا لمن عرف عنه الاعتدال في ذلك فإنهم أولى بهذا الشأن[٧].

---

(١) الآراء الصريحة ٢/١١٦.

(٢) الآراء الصريحة ٢/١٢٢.

(٣) الرزية ١٣١.

(٤) انظر: كتاب منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد ٢/٧٦٩ ـ ٧٧١.

(٥) تاريخنا القومي (ضمن مجموع السنة ١/٣٣٣).

(٦) مجموع السنة ٢/٩٨.

(٧) انظر: ضوابط الجرح والتعديل عند الحافظ الذهبي ٢/٧٩٧ ـ ٧٣٥.

خلاصة رأي الملاح في الخالصي.

نظرة الملاح للخالصي هي نظرة سوداء بكل ما تعني الكلمة، فهو في نظره نموذج الكذب[(١)]، ويسميه "دجال مدينة الجهل"[(٢)]، و يصفه بـ"إمام الغلاة حقيقة"[(٣)]، وبأنه يغيّر اجتهاده كلما عبر من رصيف إلى رصيف[(٤)]، وأنه الممثل للشيعة الإمامية في العراق[(٥)]، ويذكر أن غرض الخالصي من إقامة الجمعة هو التشدق والشتم[(٦)] والتفريق بين المسلمين[(٧)].

ومن أعجب التهم التي وجهها الملاح إلى الخالصي: أنه يفتري على الشيخية[(٨)]، وأعجب من ذلك أنه اتهم الخالصي بأنه جاء إلى العراق ليحارب الشيوعية، فأصبح يحارب الإسلام، وأعجب من هذا كله أن الملاح يعد من نقائص الخالصي كونه سببًا لانقسام الشيعة في العراق!![(٩)]، والعجيب أن بعض أهل السنة ينقلون هذا على أنه مما يطعن به في الخالصي[(١٠)]، مع أن الانقسام كان بسبب تصحيح بعض الأخطاء، وهو مما يمدح به ولا يذم أبدًا.

هكذا قيّم الملاحُ الخالصي بتقييم يبين أن الخالصي لم يصنع إلا الحرب على الإسلام، والكذب.. ويبقى السؤال: لو سلمنا بكل ما يقول الملاح، فعلى أي أساس جاهد الخالصي الانجليز؟ ولماذا نُفي هو ولم ينف الملاّح من العراق؟ ولماذا عاش حياة النفي في إيران وهو إمام الغلاة؟ ولماذا حاربَه كثير من الإمامية، وسعوا في إسقاطه وهو الممثل للمذهب؟.

---

(١) الآراء الصريحة ٢/١٣١.

(٢) ويشير الملاح إلى الجامعة العلمية التي أسسها الخالصي في الكاظمية. انظر: مجموع السنة٢/٢٨٢.

(٣) المرجع السابق ١/٣٨٦.

(٤) المرجع السابق٢/١٣٢.

(٥) انظر: مجموع السنة ١/٢٦٧.

(٦) المرجع السابق٢/٢٤٨.

(٧) المرجع السابق١/١٢٦.

(٨) المرجع السابق٢/٢٣٤.

(٩) الرزية ١/١٢٦، وحجة الخالصي ٥.

(١٠) انظر: مسألة التقريب بين السنة والشيعة٢/٢٠٩.

وأرى قبل الإجابة على هذه الأسئلة أن نعرض نموذجًا آخر في التعامل مع شخصية الخالصي، وهي طريقة الشيخ العلامة عبد العزيز البدري رحمه الله تعالى.

ثانيًا: طريقة البدري في تقييم الخالصي

من البدري؟

هو الشيخ عبد العزيز البدري من أسرة سامرائية يعود نسبها إلى آل البيت، ولد سنة ١٩٣٢م، وكان والده من العلماء، وقد اختار التوجه لطلب العلم بنفسه في فترة قلّ فيها هذا التوجه لدى شبان أهل السنة في العراق، وتعلم على أبرز علماء العراق وهم: أمجد الزهاوي الحنفي، وفؤاد الآلوسي، وعبد القادر الخطيب، والقزلشي الكردي، وقاسم القيسي وغيرهم، وقد منحه هؤلاء الإجازة العلمية في أوائل الخمسين أي بعد أن جاوز العشرين، عرف عنه حرقته على الإسلام، وزهده وشجاعته في الحق، وقد انضم إلى حزب التحرير وعين رئيسًا له في العراق، ولكنه اصطدم معهم لما طالب الحزب بالاهتمام بالنواحي العبادية والشرعية فترك حزب التحرير، ثم أسس تكتلًا سياسيًّا ساهم في إسقاط الشيوعيين، ونتيجة لجهوده فقد أعدمه البعثيون عام ١٩٦٩م[١].

ويُعد الشيخ عبد العزيز البدري من أبرز أعلام أهل السنة والجماعة في العراق في القرن الماضي، وهو من أبرز علماء أهل السنة المناضلين في وجه الخطر اللاديني الشيوعي، ولم يقتصر البدري على مشاركته هو فقط، بل ساهم في دفع كثير من شيوخه إلى ساحة العمل مثل الزهاوي وفؤاد الآلوسي وغيرهما.

وقد كان البدري يحظى باحترام بالغ من قبل كثير من أهل السنة، بل وكثير من الشيعة، بسبب تضحياته ودفاعه الواضح عن الإسلام.

واتصف البدري بالصراحة والوضوح، فقد كان كثيرًا ما يدعى إلى مناسبات الشيعة، فيذهب ويتحدث لهم عن نظرة أهل السنة للصحابة رضوان الله عليهم، ويبيّن لهم ما يعتقد بكل وضوح وأدب[٢].

---

(١) انظر: (كتاب الشيخ عبد العزيز البدري لمحة من السيرة الذاتية الجهادية/تأليف: محمد الآلوسي).

(٢) وقد أخبرني أخوه الشيخ توفيق البدري ومحمد الآلوسي أنهما حضرا معه كثيرًا من هذه المجالس.(المرجع: لقاء خاص).

كما أن مما يميز البدري أنه كان صادقًا ـ فيما نحسبه والله حسيبه ـ و متجردًا لنصرة الدين، وأكبر شاهد على هذا أنه لما اختلف مع حزب التحرير وقرّر تركهم، لم يهاجمهم أو يتكلم عليهم، ومع أنه صدر من بعضهم الإساءة في حقه إلا أنه تركهم من غير أن يشعر أحدًا إلا بعض خاصته، بل اعتُقل مرارًا على أنه منهم ومع ذلك لم يذكرهم في تحقيق السلطات معه عنهم إلا خيرًا حتى لا يستغل كلامه في إيقاع الأذية بهم[١].

وقبل أن نتحدث عن تجربة البدري يجب أن نستحضر أن الفترة التي عاش فيها البدري "عمره الإنتاجي" هي من الخمسينيات الميلادية حتى سنة مقتله ١٩٦٩م، وقد شهدت هذه الفترة زيادة تضييق على الحريات في عهد نوري السعيد مما أدى إلى سقوط الدولة الملكية، كما أن من سماتها نشاط الحركة الشيوعية، واضمحلال الروح الإسلامية لدى الناس وصعود القومية العربية[٢].

أهداف البدري.

يمكن إجمال أهداف البدري الكبرى رحمه الله فيما يلي:

١. إعادة الروح الإسلامية التي زهد الناس فيها، واستبدلوها بالشعارات الأخرى كالشيوعية ونحوها.
٢. التنظير للدولة الإسلامية الحديثة، وإقناع الناس بصلاحية الإسلام للحكم.
٣. صدّ الخطر الأكبر: وهو الفكر الشيوعي والإلحاد واللادينية، الذي بدأ ينتشر بقوة في العراق وغيرها.
٤. إقامة تكتل إسلامي بين أهل السنة والتيارات المعتدلة في الفرق الأخرى وبالذات الشيعة، من أجل الوقوف أمام الأخطار الكبرى التي تهدد الإسلام[٣].

التحالف بين البدري والخالصي.

دخل الشيخ البدري في تحالف سياسي مع آية الله الخالصي، قصد منه تنسيق الجهود من أجل تحقيق أهداف مشتركة، وأبرزها مقاومة المد الشيوعي الإلحادي.

ولعل السؤال الذي يرد إلى الذهن: لماذا اختار البدري الخالصي بالذات من بين الشيعة؟

---

(١) المرجع السابق.
(٢) انظر: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ١/١٩٢، ٢٠١ ـ ٢٠٢.
(٣) المرجع السابق.

سألت الشيخ محمد الآلوسي - وهو من أخص أصحاب عبد العزيز البدري والخالصي أيضًا - عن هذا فقال: **اختار البدري الخالصي لعدّة أسباب:**

أولاً: أنّ البدري كان يعتقد أن الخالصي هو من أقرب الشيعة الإمامية إلى أهل السنة؛ لأنه كان بعيدًا عن الغلو، وعن تكفير الصحابة، وأمهات المؤمنين.

ثانيًا: أنّ الخالصي هو المرجع الوحيد الذي قبل التعاون معه في عمل سياسي، فقد جرّب البدري أن يدفع المراجع إلى أعمال مهمة، ولكنه كان يلقى تثاقلًا منهم، وعلى سبيل المثال جرب البدري أن يدفع المرجع الأعلى للشيعة محسن الحكيم إلى إصدار فتوى في الشيوعيين فتعذر، فقام البدري والخالصي بإصدار فتوى مشتركة كانت السبب في قيام الناس على الشيوعية، ولما رأى الحكيم ذلك قام بإصدار فتواه بعد ذلك، كما أن البدري - بعد موت الخالصي - حاول أن يظفر من المرجع الأعلى برسالة إلى جمال عبد الناصر ليثنيه عن قتل سيد قطب فلم يظفر من ذلك بشيء، مع أن هذا العمل أمر هيّن في مقابل أعمال الخالصي مع البدري التي بلغت التنسيق للمقاومة المسلحة ضد الشيوعيين.

ثالثًا: أن البدري وجد من الخالصي صراحة، وقبولًا للحوار والأفكار، فقد كنت [والحديث للآلوسي] أحضر مع البدري اجتماعًا مختصرًا يوم الاثنين، وكان البدري في بعض الأحيان يناقش الخالصي في بعض جوانب الاعتقاد، وفي مقابل ذلك لا يتردد الخالصي في الكشف عن اعتقاده، وقد كان لتلك النقاشات الواضحة أثر كبير في تخفيف دوائر الخلاف.

متى بدأ التحالف بين البدري والخالصي؟

بدأ تحالف الخالصي بالبدري بعد حادثة عرفت بـ"مقتل الطويل" وهو رجل من شيعة الكاظمية، قتله الشيوعيون في الكاظمية وأخذوا يجرّونه أمام الناس حتى عبروا الجسر إلى الأعظمية، فثار أهل السنة عليهم وقتلوا كثيرًا من الشيوعيين وأخذوا جثة الرجل وغسلوه وصلو عليه، ثم ذهبوا إلى الكاظمية وسلموا الجثة للخالصي، وقد قام الخالصي في الجمعة التي بعدها بجمع الناس والقيام بمسيرة إلى الأعظمية وصلّوا معهم الجمعة، وبعدها تكلم الخالصي وشكر أهلَ الأعظمية على موقفهم الحميد، فكانت هذه الحادثة بمثابة الشرارة التي قدحت فتل الحلف "البدري

الخالصي"[١].

وخلاصة رأي البدري أن الخالصي صادق في التخلي عن بعض الشركيات والخرافات والغلو، وأن الخالصي مع أنه يخطّيء الصحابة في موقفهم من إمامة علي رضي الله عنه، ويتأول كثيرًا من الآيات الواردة في مدحهم لتتسق مع كونهم أخطئوا خطأ فادحا إلا أنه لا يكفرهم مثل غيره[٢]، كما يرى البدري أن إقامة هذا الحلف القائم على تحقيق الهدف الواجب شرعًا على الجميع -سنة وشيعة - وأعني به مجاهدة الشيوعيين ودعوة الناس إلى العودة إلى الإسلام الذي تخلو عنه إلى الشعارات القومية وغيرها، علاوة على أنه من التواصي على الحق، من شأنه أيضًا أن يدعم موقف الخالصي ويشجعه على الثبات على تصحيحاته على أقل تقدير، إن لم يتقدم إلى خطوات أكبر نحو مواقف محمودة أخرى قد يحجم عنها بدون مساندة، وقد أكد لي محمد الآلوسي أن خطوة البدري حققت شيئا من هذا، ففي الوقت الذي كان مراجع التيار التقليدي يريدون خنق المرجعية الخالصية ويسعون في القضاء عليها، بسائر أنواع الإشاعات والتهم، جاءت مبادرة البدري لتساند الخالصي ولتدفعه إلى مواقف إيجابية أكثر، فقد أحيا الخالصي في قسم من الشيعة روح التفاهم مع أهل السنة، كما أحيا فيهم فكرة العمل المشترك من اجل الإسلام، ويكفي البدري أنه كان من أسباب صمود المرجعية العراقية الوحيدة آنذاك التي كانت تفتح باب التصحيح بجدّية، وهو اتجاه تأثر به السيد محمد حسين فضل الله وبشكل واضح[٣].

هكذا كان ينظرُ البدري للخالصي، وهي رؤية بعيدة عن رؤية الملاح القائمة على أهمية إسقاط الخالصي في سبيل الدفاع عن الهوية الإسلامية، دون النظر إلى ما هي الفرص العملية المتاحة لتحقيق أكبر مصالح للهوية الإسلامية.

لماذا اختلف الملاّح والبدري في تقييم الخالصي؟

لعل أبرز الأسباب التي أدت إلى اختلاف البدري والملاح هو أن البدري عالم عامل

(١) المرجع السابق.

(٢) وهو ما صرح به في المراسلات التي جرت بينه وبين البيطار. انظر كتاب الصحابة الكرام (ضمن مجموع السنة ج ١).

(٣) عن لقاء خاص.

مجاهد، والملاح أديب ناقد فقط.

وهذا فرق جوهري إذ أن نظرة العالم في التقييم أولى من نظرة غيره، كما أن البدري عالم يجاهد في أرض الواقع في نصرة الدين أمام الإلحاد والضلال، وهو ما يتيح له فقه أوسع في معرفة المصالح والمفاسد، بخلاف الملاح رحمه الله الذي لا يمثل إلا الرؤية النقدية، ولا شك أن العالم المجاهد في نصرة الدين عنده من الفقه والدراية أكثر، بل له وعد من الله بالتوفيق للسداد، قال تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت٦٩].

كما أن الملاح والخالصي ثار منهما من السباب الصحفي ما يجعل المنصف يتحرّج من قبول ذلك النقد، وقد مرّ معنا قول الداوودي رحمه الله بأن شهادة الرجل على من بينه وبينه عداوة لا تقبل[(١)].

كما أن الملاح ينتقد الخالصي عن بُعد، والبدري يعرفه عن قرب، حيث إن الملاح من أهل الموصل، والبدري من أهل الأعظمية ببغداد، والخالصي بجواره في الأعظمية، ويجتمعان في كل أسبوع مرّة على الأقل.

الموقف المتعيّن تجاه دعاة التصحيح والاعتدال:

أظن أن أسلوب الملاح والبدري يمثل اتجاهين في مذهب أهل السنة في طريقة تحليل ودراسة ما للمخالفين وما عليهم، ومن ثم طريقة التعامل معهم، وكلا المدرستين تتفقان على كلية من كليات الشريعة؛ هي: أهمية تطهير الإسلام مما علق به من البدع والانحرافات، لكن "المدرسة التي ينتمي إليها الملاح" ترى الحل في البت والبتر وعدم التعامل مع المخالف إلا من خلال"أخطائه"، وأبرز ما يميّز هذه المدرسة هو أن مشروعها الإسلامي (داخلي) فهي لا تملك إلا فكرة إزالة الأوساخ التي تراكمت على جوهرة الإسلام من قبل بعض المسلمين الذين تبنوا نظريات تخالف ما يعدّونه النقاء العقدي، وهي فكرة صحيحة ومشروع رباني بلا شك، ولكن الخلل يأتي من جهة عدم التوازن لدى الاتجاه الملاحي بين المشروع الداخلي (تنقية عقيدة المسلمين) والمشروع الخارجي (مدافعة الأخطار التي تهدد المسلمين جميعًا) ولعل عدم

---

(١) نقله ابن حجر في الفتح ٣/٢٧٣.

التوازن هنا هو ما يدفع هذا الاتجاه إلى مواقف أكثر عنف وحدّة كما ظهر لدى الملاح، أو يكون سببًا لـ(فتن داخلية) لا تخدم إلا أعداء المسلمين بسبب عدم تقدير المصالح والمفاسد، كما أن مشروع (الوحدة الإسلامية) عند هذا الاتجاه سيكون خياليًا لأنه لا يمكن أن يتم إلا بأن يتحول الناس كلهم إلى أهل سنة من غير أي خلل عقدي ولو صغير،وهذا ما يتضح في كثرة الفتن بين أهل هذا التيار أنفسهم حيث تثور بينهم الفتنة بسبب مواقف اجتهادية أو حتى فقهية جزئية، وإذا كان هذا هو حال هذا الاتجاه بينهم فكيف سينجح مشروعهم الوحدوي.

أما "المدرسة التي ينتمي إليها البدري" فإنها ترى بأن تطهير ساحة الإسلام من أهم الأمور، ولكنه يجب أن لا يتعارض مع أمر آخر هو أن الشريعة جاءت لإقامة المصالح ودفع المفاسد ما أمكن، وأن المخالف يجب أن ينظر له نظرة تشمل سلبياته وإيجابياته، بحيث لا يعطى المخالفون درجة واحدة، كما أن المجتهد منهم في نصرة الدين ورد الباطل البين ـ المتفق عليه ـ يجب أن لا يساوى بالمتخاذل الذي لا هم له إلا نشر ما عنده من خرافة وغلو، ومحاربة أهل السنة.

وفي التاريخ الإسلامي نجد أن الحافظ عبد الغني الجماعيلي المقدسي الحنبلي(١) رحمه الله تعالى كان شديدًا على أهل البدع، لا يرى بأن يلتقي معهم في عمل، ولا يرى اللين معهم، بينما نجد قرينه وابن خالته الفقيه الموفق ابن قدامة المقدسي الحنبلي(٢) رحمه الله على طريقة أخرى، فقد كان يقبل الحوار مع المخالفين له، ويجلس بعد كل صلاة ظهر للمناظرة، ولا يناظر إلا وهو يتبسم، وكان مقرّبا من صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وانضوى تحت لوائه في جهاد الصليبيين ـ مع أن صلاح الدين يميل بشدّة إلى الأشاعرة الذين يختلفون مع الاتجاه السلفي لابن قدامة ـ وتظهر المفارقة في أن صلاح الدين لاحق الحافظ عبد الغني لأجل إظهاره الإنكار على

---

(١) هو أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الحنبلي، كان من حفاظ السنة، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، شديد على أهل البدع، وله أخبار في الإنكار عليهم، توفي سنة ٦٠٠هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٢١/٤٤٣ ـ ٤٧١.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، كان من أعظم فقهاء عصره، كان شديد الاحتمال، بارعًا في المناظرة، توفي سنة ٦٢٠هـ .انظر: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٦٥ ـ ١٧٣، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/١٣٣ ـ ١٤٩.

الأشاعرة في مسائل عقائدية، غير أنه كان يقبل ابن قدامة رحمهم الله جميعًا.

فابن قدامة يمثل اتجاه في التعامل مع المخالف يقوم على بيان ما يعتقد أنه خطأ مع قلة الخسائر العامة لجماعة المسلمين ووحدة صفهم لا سيما في ذلك الزمن الذي كانوا أحوج ما كانوا إليه، بينما عبد الغني المقدسي كان بيان الخطأ ملازم للغلظة على المخالفين، ولو بالمواجهة مع السلطان حتى وإن كان الروم على مشارف البلاد.

وهكذا فإننا نجد منهجين الأول لا يتعاطى إلا من زاوية الرد والإبطال لما عند المخالف من الباطل وهو "مسلك البت والبتر" ويرى بأن الحفاظ على الإسلام يجب أن يكون بهذا الطريق[1]، والثاني يتعامل مع المخالف من خلال نظرة شاملة لما عنده من حق وباطل، ولما هو أصلح في لجماعة المسلمين عمومًا.

وفي الوقت الذي نجد بعض أهل السنة والجماعة قيّموا أبا عبد الرحمن السُّلمي[2] من خلال شطحاته فقط، فقد نعته أحد المعاصرين له وهو محمد بن يوسف القطان بالكذب[3]، ومع أن الذهبي وصف القطان بأنه حافظ بارع إلا أنه دافع عن السُّلمي بأنه لا يتعمد الكذب[4]، وذهب ابن تيمية إلى إنصاف أكثر من هذا حين أقرّ بأن السُّلَمي يروي الموضوعات ولكنه اعتذر له بأنه دخلت عليه لعدم إتقانه وحفظه، كما لم يغفل عن التنويه بأنه في كتبه "فوائد كثيرة ومنافع جليلة"، ونبّه على أن بعض أخطائه عن اجتهاد سائغ، ثم أشار إلى أن السُّلمي ممن له في الأمة لسان صدق عام وأثنى عليه .. إلى آخر ما قال[5].

---

(١) ولا أقصد بأن جميع هؤلاء مثل الملاح في عدم الموضوعية وبقية سماته النقدية، ولكن يشتركون معه في النظرة الإجمالية للحل الأمثل من أجل إقامة الدين.

(٢) هو أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد الأزدي ، المعروف بالسلمي ـ نسبة لأهل أمه الذين تربى عندهم. ولد ٣٢٥هـ في نيسابور في بيت عرف بالتصوف، وطلب العلم صغيرًا،ونظّر للتصوف المعتدل، وكتب فيه كتابات كثيرة مثل: آداب الصوفية، الإخوة والأخوات الصوفية، تاريخ أهل الصفة، رسالة في غلطات الصوفية وغيرها. توفي سنة ٤١٢هـ. انظر:سير أعلام النبلاء١٧/٢٤٧، حلية الأولياء٢/٢٥، ميزان الاعتدال٣/٥٢٣، تذكرة الحفاظ٣/١٠٤٦،شذرات الذهب٣/١٩٦.

(٣) معاصر للسلمي، وصفه الذهبي بقوله: الحافظ البارع، توفي ٤٢٢هـ.انظر: سير أعلام النبلاء١٧/٤١٣. شذرات الذهب٣/٣٢٥.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٧/٢٥٥.

(٥) مجموع الفتاوى١١/٣٩.

والمقصود أن الاتجاهين اللذين ظهرا في مسلك الملاح والبدري لم يزالا موجودين منذ أن توسعت دائرة البدع وكثرت المخالفات في الأمة، فصارت أنظار المجتهدين في نصرة الدين تختلف في التعامل مع انحرافات الأمة.

ولتحقيق الموقف المتعين يجب أن ينظر إلى كليات الشريعة التي جاء الإسلام بها ويفرق بينها وبين الوسائل، ومن ثم يجب أن لا تكون الوسائل عائقًا أمام تحقيق المصالح، ومن أعظم المقاصد نصرة الحق بكل وجه، والسعي في جلب المصالح ودفع المفاسد عن **الإسلام** ـ وليس عن طائفة أهل السنة فقط ـ ما أمكن.

كما أن نقد الانحرافات مطلوب شرعًا، ولكن يجب أن يكون بعدل وإنصاف، لا بالتّجني والإجحاف.

وعلى سبيل الفرض: لو سلمنا للملاح بأن الخالصي يمارس التقية ويدعو للبدع، فإن من الخطأ البيّن أن يقال أنه لم يكن يجاهد الشيوعيين، أو أنه كان إمامًا للغلاة، أو أنه كان يمثّل الشيعة في زمنه، والواقع يثبت أنه كان مُحَارَبًا من قبل المرجعية العليا في العراق، ومن أعظم الأخطاء أيضًا إنكار جهاده في وجه الإنجليز والاستعمار، وغيرها من الأوصاف المجحفة، أو حتى السباب التي لا تليق من المسلم فضلًا عن المدافع بلسان الحق.

ولعل ما يحمل البعض على الإجحاف هو أنهم يظنون أن الإقرار بأي مزية أو فضيلة لمن يخالف أهل السنة، يعني: الإقرار بكل ما عنده والتسويق لمخالفاته، وهذا من القصور في التصور من جهة الشرع والعقل، فالله تعالى مدح بعض الكفار ببعض ما عندهم في كتابه فقال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥]، والعاقل يدرك تفاضل الناس وتفاوتهم، ووجود نسبة متفاوته من الخير لدى جميع البشر، ويكفي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : "**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**" أو في رواية: "**صالح الأخلاق**" [(١)] ، ولم يقل صلى الله عليه وآله وسلم:لأنشئ أخلاقًا من الصفر، وهو ما يشعر باعتراف النبي صلى الله عليه وسلم بمكتسبات الناس الأصلية، فلا حاجة لأن نتصور بأن الناس سيذهبون إلى التزكية

---

(١) رواه أحمد (٣١٨/٢) والبخاري في الأدب المفرد رقم ٢٧٣، ومالك في الموطأ ـ بلاغًا ـ وقال ابن عبدالبر:حديث صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة٧٥/١ رقم ٤٥.

المطلقة لو أقررنا للمخالفين ببعض جوانب التفوق أو الخير، وللأسف فإن هذا الموقف يفسد أكثر مما يصلح، لأن جميع البشر ينفرون بطبعهم ممن يغضي عن فضائلهم.

ورحم الله الذهبي حين ترجم لأبي الحسن ثابت بن أسلم الحلبي فقيه الشيعة في زمنه(المتوفى سنة:٤٦٠هـ) فقال: "له مصنّف في كشف عوار الإسماعيلية وبدء دعوتهم، وأنها على المخاريق، فأخذه داعي القوم[(١)] وحُمل إلى مصر، فصلبه المستنصر[(٢)]، فلا رضي الله عمن قتله. فرحم الله هذا المبتدع الذي ذب عن الملّة، والأمر لله"[(٣)].

كما أن من المطلوب شرعًا بأن يُشجّع كل من سلك سبيلًا إلى رد الغلو والمحدثات، وفتح بابًا للمراجعة في كل الفرق الإسلامية من أجل أن تجتمع الأمة على الحق، بعد أن زاد تفرقها بانزواء كل طائفة على نفسها وفَرَحِ كل فرقة بما عندها، حتى تحقق فينا قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون: ٥٣].

ومما يدفع البعض إلى التمسك بتربية أهل ملته على ثلب الآخرين فقط، وعدم الاعتراف لهم بأي مزية؛ هو ظن بعضهم بأن هذه الطريقة أحسن لثبات الناس على الحق، ولعدم تشككهم فيما نشؤوا عليه، والحقيقة هي أن الداعي لهذا هو الخطأ الأساسي، وهو الذي نسأل عنه؛ فنقول: لماذا رُبّي الناس على أن غيرهم أصحاب ضلال مطلق، ولماذا لم يعلموا أن الكفر يتفاوت ، وأن البدع تتفاوت، وأن أهل الحق يتفاوتون، والمجتهدين في سبيل نصرة الملة يتفاوتون، والله تعالى قد أخبرنا أنّ من كفر وزاد مع كفره منعَ العبادة في مساجد الله أظلم ممن كفر ولم يقف أمام عبادة الله، كما بين لنا سبحانه: أن اليهود أشد بُعدًا من النصارى، وهكذا في الذنوب حيث بيَن النبي صلى الله عليه وسلم: أن الزنا بحليلة الجار[(٤)] أشد من الزنا بالمرأة البعيدة ـ أعاذنا الله من كل شرّ ـ كما في حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه سئل: أي الذنب أعظم؟

---

(١) الداعي من الألفاظ الشريفة لدى الإسماعيلية، ولهذا يتلقبون به، كما أن للدعاة نظامًا معينًا ودرجات تبدأ بالإمام ثم الباب ثم داعي الدعاة ثم داعي البلاغ ثم الداعي المطلق ثم الداعي المحدود أو المحصور .. إلى آخر تلك الدرجات. انظر: أصول الإسماعيلية للسلومي ١/٣٣٠ ـ ٣٤٩.

(٢) هو أبو تميم معد بن الطاهر علي بن الحاكم العبيدي لقبه المستنصر بالله: (ولي الأمر) بعد أبيه سنة ٤٢٧هـ، حتى وفاته ٤٨٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/١٨٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٨/١٧٦. وانظر: الوافي بالوفيات ١٠/٤٧٠، أعيان الشيعة ١٥/١٢.

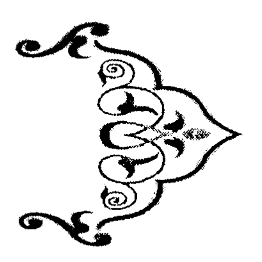
(٤) حليلة الجار: هي امرأته. انظر: النهاية في غريب الحديث ١/٤٣١.

قال: **"أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك"**، قيل: ثم أي؟، قال: **"أن تزاني حليلة جارك"** رواه البخاري ومسلم[(١)].

ويجب أن يعلم القارئ الكريم أن هذا الكلام لا يقصد به إطلاقًا الإطراء بالكافر أو المبتدع وعقد مجالس المديح له، ولكن المراد إنصافه في مقام التقييم، وتطبيق حقوق المسلم له ما دام مسلمًا كالسلام عليه، وكعيادته إن مرض وإخلاص النصيحة له ونصرته ولو قصّر هو في كل هذه الحقوق تجاهنا، **فالمسلم الحق هو من يتّق الله في الناس ولو لم يتقوا الله فيه.**

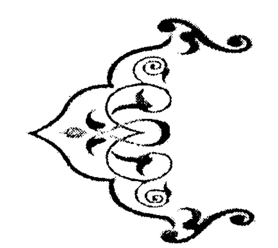


(١) البخاري (رقم ٤٤٧٧) ، مسلم (رقم ٨٦) ، الترمذي (رقم ٣٢٣٢) ، أبو داود (رقم ٢٢٩٣) ، النسائي (٧/٨٩) .



الفصل الرابع

فوائد حركة التصحيح والاعتدال



المبحث الأول

دلالات حركة التصحيح والاعتدال

إن حركة التصحيح والدعوة إلى الاعتدال المعاصرة في صفوف الإمامية أوسع من الدائرة التي تم نقاشها في هذا البحث، لأنني لم أقصد إلا إلقاء الضوء على شخصيات بارزة، ساهمت في كتابة وجهة نظرها، وسبب قصر هذا البحث على هذه الشريحة هو أن نخرج بدراسة عما كتب بعضهم، وليس القصد الأساسي هو الانتصار لمذهب أهل السنة من خلال هذه التحولات، لأنني أظن أن تربية الناس على هذا النمط من الاستدلال يُعد خطأ منهجيًا، إذ الحالة العامة المستمرة تثبت وجود تحولات في كل اتجاه، كما أن القاعدة الأصيلة التي نطق بها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه تقول: "الحق لا يعرف بالرجال، وإنما يعرف الرجال بالحق"[1].

ولعل أهم الدلالات التي نخرج بها من هذا البحث ما يلي:

الدلالة الأولى: أثر الحوار بين طوائف الأمة.

فقد ثبت من خلال البحث أن الحوار الناجح المنضبط، القائم على الاحترام له أثر فاعل في التحولات المحمودة. وقد سبق الحديث عن هذا في أسباب التحولات[2].

الدلالة الثانية: ضرورة تجديد الاستقراء للواقع الثقافي الشيعي.

لعل هذه التحولات تكشف عن شيء من البُعد الذي يعيشه أطراف علمية من أهل السنة عن واقع كثير من المخالفين لهم، حيث اكتفى كثير من المعاصرين بكلام

---

(١) انظر: منهج الجدل والمناظرة ٢/٦٩٢ ـ ٦٩٤.

(٢) انظر ص ٣٩٤.

المتقدمين في وصف المذاهب، وتركوا دراسة التحولات والتطورات المحمودة والمذمومة لتلك المذاهب، ولا أقصد بهذا أن يُهمل كلام المتقدمين فيهم، بل أن يستفاد من كلام المتقدمين في دراسة واقع المتأخرين، والحكم على أعلامهم المعاصرين من خلال الاستقراء الواقعي.

وكثيرٌ مِنْ أهل السنة مَنْ يفخر بأمثال ابن تيمية رحمه الله، ولكنهم ينسون أن من أكبر ما يُعرف به ابن تيمية بين محبّيه: أنه قرأ كتبَ كثيرٍ من الملل والنحل، وبرز كمحقق يفرق بين متقدمي الأشاعرة ومتأخريهم، ويفرق بين متكلمي الإمامية الأوائل ومتأخريهم في باب القدر والأسماء والصفات وغيرها، ومع أن الفلاسفة من أشد خصوم ابن تيمية إلا أنه يقول: إن كلامهم في الطبيعيات غالبه جيّد[(١)]، ويفرق بينهم: فيذكر أن ابن سينا أفضل متأخري الفلاسفة[(٢)]، ويرى أن ابن عربي أقرب الاتحادية إلى الإسلام[(٣)]، وقِسْ على هذا كثيرًا من أعلام أهل السنة الذين كانوا بحق شهداء على الناس، كالأشعري في كتابه المقالات، والشاطبي وابن حجر العسقلاني وغيرهم.

وهكذا فإن تجديد الدراسة للفرق بل والأديان، ورصد التطورات للأقوال الحديثة فيها ومعرفة التيارات المنقسمة عنها، تكشف جوانب تجعل الحكم أكثر إنصافًا من الحكم العام، أو الحكم القديم القاصر على فرق تطورت بشكل كبير تطورًا مذمومًا أو محمودًا.

الدلالة الثالثة: خطأ القاعدة التي تقول إن جميع علماء الشيعة زنادقة لا خير فيهم.

جرى خطاب بعض أهل السنة المعاصرين مع علماء الشيعة على أسلوب عنيف غليظ بناء على أنهم جميعًا من المعاندين، الذين يعرفون الحق ويتخلون عنه لأطماع ومنافع دنيوية.

وقد عزز هذه النظرة حكم بعض المتقدمين من أهل السنة على علماء الشيعة

---

(١) انظر الرد على المنطقيين ٤٣.

(٢) انظر النبوات ٧، ودرء تعارض العقل والنقل ١٠/٤٤.

(٣) مجموع الفتاوى ٢/١٤٣.

بأنهم زنادقة وأنهم لا يرجعون عن الباطل مهما بان لهم[١].

والحق أن هذه التحولات التي وردت في هذا البحث تدل على خطأ تعميم هذه القاعدة، لأننا رأينا علماء كبار رجعوا رجوعًا كاملًا عن المذهب، وآخرين تراجعوا عن بعض أقوالهم، فالبرقعي غير قناعاته بعد بلوغه مرتبة المرجعية (آية الله العظمى)، والخوئيني كذلك، ورأينا كيف سعى آية الله العظمى محمد الخالصي إلى تصحيح بعض الجوانب الأساسية، وأكثر منه في هذا المضمار آية الله العظمى محمد حسين فضل الله.

إن هذه التحولات تدل على أن القاعدة التي تصف جميعَ علماء الإمامية بأنهم من المنتفعين الزنادقة، إما أن تكون استقراء ناقصًا، أو تجربة تكشف عن قصور في أساليب الحوار، أو غيرها من المبررات التي ستنتهي بنا أخيرًا إلى اطّراح هذه القاعدة.

الدلالة الرابعة: أثر دائرة الضوء في اضمحلال الخرافات.

أعني بذلك: خروج المذهب الإمامي من السراديب وحالة الانكفاء الذي عاشه لظروف سياسية من العهد الأموي وحتى ظهور الدولة الصفويّة ثم الظهور الأوضح في العهد الأخير، ومع أن الدولة الصفويّة ساهمت في ترسيخ المذهب وإظهاره إلى العلن إلا أنه لا يقارن بالظهور الأخير الذي جاء في وقت الإعلام المفتوح، وهو ما أقصده بدائرة الضوء.

إن من طبيعة الخرافات أنها لا تنمو إلا في الأجواء المغلقة، ولا تسري إلا في السراديب المظلمة التي يغلب عليها الأجواء المتردية ثقافيًا، وهو ما عاشه المذهب الإمامي فترةً طويلةً في ظل دولٍ ليست إمامية، فقد كانوا يتعاطون الثقافة الإمامية تحت قاعدة التقية والخلاص المنتظر بقرار إلهي، وهي قاعدة تعطل مكامن الإنتاج والتفكير الإبداعي.

وبما أن الأفكار والعقائد التي نشأت في الظلام لا تتحمل أشعة الشمس؛ فإن من حسنات الثورة الإسلامية التي ظهرت في إيران؛ إظهار المذهب في هذه الفترة الزمنية التي توصف بالثورة المعلوماتية، وعصر الإعلام، وهي تجربة ستكون مرّة على أصحاب

---

(١) انظر العواصم من القواصم ١٨٣

الخرافات الذين لن يصمدوا في ظل الإعلام المكشوف، والثقافة التي تنتشر، كما أنها ستكون فرصة سانحة للتيارات الرافضة للخرافة والغلو.

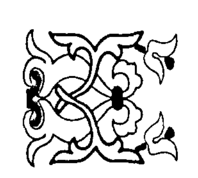
وقد رأيت كما رأى غيري كيف أصبح بعض مثقفي الإمامية يسخرون من شيخ يركّز على أن في الكواكب الأخرى مخلوقات ونحوها من الخرافات التي بدأت تتناقص في الخطاب الديني الإمامي.

إن الثورة المعلوماتية يجب أن تُستغل من قبل المخلصين من أبناء الأمة جمعاء من أجل تعرية الخرافة والغلو والتخلف الاعتقادي حتى تتقلص دائرة الابتعاد عن الحق.

❊❊❊



المبحث الثاني
كيفية الاستفادة من
حركة التصحيح والدعوة للاعتدال



ومن أجل الاستفادة من هذه التحولات، ينبغي أن نتنبه إلى ما يلي:

أولًا: ضرورة تجديد الخطاب.

إن هذه التحولات تدل على أهمية تجديد الخطاب مع الشيعة، ومع بقية الفرق الأخرى عمومًا، حيث يجب استخدام لغة الحوار الموضوعية بدلًا من لغة التضليل المنطوية على سوء ظن بكل شيعي اعتقادًا منه بأنه لا ينفع معه حوار، أو نقاش.

فالأصل فيمن يرون أنهم أهل الحق أن يكونوا دعاة يهدون الناس إلى الصواب، ويحببون الناس إلى الخير ما أمكن، وإذا كنا نعتقد أن الشيعة مخطئين، فإنهم لن يكونوا بأشد من فرعون الذي أتى بأعظم أنواع الكفر ـ وهو الكفر بالربوبية والألوهية ـ ومع هذا أمر نبيه موسى وأخاه هارون عليهما السلام بأن يحسنا الخطاب معه ما أمكن فقال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه:٤٤].

وقد بينّا أن سوء الظن بكل شيعي واليأس من جدوى الحوار معه خطأ، يدل عليه مثل هذه التحولات المحمودة التي سبق عرضها، والله أعلم.

فالواجب استبدال كثير من الأساليب التي تستعدي ولا تستهدي، بأساليبَ أخرى يكون عنوانها ﴿قَوْلاً لَّيِّنًا ﴾ وتكون منطلقةً من قلب ملؤه ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾، ليكون الصدود –إن حصل ـ أخيرًا ـ لم يعززه أسلوب الداعي الفض، بل سوء القصد إن كانت موجودًا عند أحد ما ـ سنيًا كان أو شيعيًا، مسلمًا أو كافرًا.

ثانيًا: تجريد الحوار الموضوعي.

من الإشكالات التي تدور في فلك الحوار السني الشيعي، طغيان روح الانتصار، ومحاولة عدم الاعتراف بأي خطأ ينسب إلى الطائفة، وإذا كان الحديث هنا مع أهل

السنة، فإن من الواجب أن يكون المحاور موضوعيًا، بحيث يستبعد العواطف، وينظر بعين النقد المتجردة.

فمن أهل السنة من يحمله الدفاع عن السنة إلى الدفاع عن أخطاء تاريخية ارتكبها يزيد مثلًا، أو غيره من الولاة الأمويين أو العباسيين، كما أن البعض يضيق صدره لدى ذكر إيجابيات الطرف الآخر، أو يحاول أن ينفي احتمال دليل لأحد الأدلة.

وعلى سبيل المثال: تجد بعض من يستمع إلى استدلال الشيعة للنظرية الاثني عشرية بحديث: "**لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثنى عشر خليفة**"[1] تجده يقابل هذا بتزكية بعض خلفاء بني أمية بناء على هذا الحديث، والحديث إنما يتحدث عن ساحة الإسلام بجملتها وقوة المسلمين، وليس وصفًا للخلفاء، تمامًا كما هو الحال مع حديث تفضيل القرون الثلاثة، حيث لا يمكن استخدام الحديث في تزكية أي خليفة بهذا الحديث.

وينبغي أن لا يظن المسلم بأن الموضوعية -خاصة في موضوع الحوار أو المناظرة- تعني: نصرة الباطل، بل الأمر على عكس ذلك، لأن الحق ليس ملكَ أحدٍ حتى يسعى في طمس الحقائق، وقد قال فخر العُدول قديمًا : "إن أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يذكرون إلا ما لهم "[2].

ثالثًا: الحذر من تنمية حالة الفُرقة والطائفية باسم الدفاع عن السنة.

من الأصول التي تعد من كليات الشريعة الإسلامية أصلان:

الأصل الأول: جمع كلمة المسلمين على الحق، ونبذ كل سبيل إلى الفرقة.

يقول الإمام الطحاوي الحنفي رحمه الله[3]: "ونرى الجماعة حقًا وصوابًا،

(١) أخرجه مسلم (رقم:١٨٢١) ،والترمذي (رقم: ٢٢٢٣) وأحمد ٥/٩٠ و ٩٢و ٩٤.

(٢) ورد هذا الأثر عن أكثر من علم من أعلام أهل السنة منهم: وكيع بن الجراح، وعبد الرحمن بن مهدي، و أحمد بن حنبل رحمهم الله. انظر: أحاديث في ذم الكلام وأهله لأبي الفضل المقري ٢/١٨٨ (دار أطلس/ ١٤١٧/ط١) ، مجموع الفتاوى ٥/٧٢، الجواب الصحيح ٦/٣٤٣.

(٣) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الطحاوي الحنفي، ولد سنة ٢٣٩هـ، بدأ تعلمه على المذهب الشافعي ثم تحول عنه إلى المذهب الحنفي، كان إمامًا لا يخاف في الله لومة لائم، عارفًا بأقوال=

والفرقة زيغًا وعذابًا"[١].

ويقول الإمام النووي رحمه الله:"وأما قوله(ولا تفرقوا) [آل عمران:١٠٣] فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين، وتآلف بعضهم ببعض، **وهذه إحدى قواعد الاسلام**"[٢].

وقد عد العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله السعيَ في جمع كلمة المسلمين من الجهاد، وعقد بابًا سماه: "الجهاد المتعلق بالمسلمين بقيام الألفة واتفاق الكلمة" ثم قال فيه: "فإن من أعظم الجهاد السعي في تحقيق هذا الأصل في تأليف قلوب المسلمين، واجتماعهم على دينهم ومصالحهم الدينية والدنيوية، في جميع أفرادهم وشعوبهم، وفي ربط الصداقة والمعاهدات بين حكوماتهم بكل وسيلة"[٣].

الأصل الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه رد الانحرافات والبدع، وتقليص دائرتيها ما أمكن.

وهو ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾، والآيات والأحاديث الدالة عليه كثيرة جدًا.

إعمال الأصلين هو المتعين شرعًا.

من المؤسف أن نرى البعض يُعمل أحد الأصلين تاركًا الآخر، فمنهم من يحرص على رد البدع ولا يهمه أي طريقة سلك ولو أدت إلى التنافر والفرقة والفتن الطاحنة بين المسلمين، كما أنّ من الناس من يرى أهمية الألفة وجمع الكلمة ولا يفكر أبدا في إصلاح الخلل والانحراف.

وقد ذكر الشاطبي رحمه الله تعالى أن التحذير من البدعة أمر لا بد منه وأن الألفة إذا تعارضت مع الإنكار على البدع فيجب أن يسلك إلى التوفيق بين ذلك بحيث لا تحدث عداوة وبغضاء، فقال : فإذا وجد الأمران [يعني التحذير من البدعة

=العلماء. ألف: رسالة العقيدة الطحاوية، وشرح معاني الآثار، واختلاف الفقهاء وغيرها. توفي عام ٣٢١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء١٥/٢٧ ـ ٣٣. وتذكرة الحفاظ٣/٨٠٨. الوافي بالوفيات ٨/٩ ـ ١٠.

(١) متن العقيدة الطحاوية.

(٢) شرح صحيح مسلم١٢/١١.

(٣) رسالة وجوب التعاون بين المسلمين ضمن المجموع الكاملة لمؤلفات السعدي٥/١٨٧.

والعداوة]؛ فلا ينبغي أن يُذكروا(١) ولا يعيّنوا وإن وجدوا، لأن ذلك أول مثير للشر وإلقاء العداوة والبغضاء، ومتى حصل باليد منهم أحد، ذاكره برفق، ولم يبين له أنه خارج السنة، بل يريه أنه مخالف للدليل الشرعي، وأن الصواب الموافق للسنة كذا وكذا، فإن فعل ذلك من غير تعصب ولا إظهار غلبة، فهو أنجح وأنفع، وبهذه الطريقة دُعِيَ الخلق أولًا إلى الله تعالى، حتى إذا عاندوا وأشاعوا الخلاف وأظهروا الفرقة، قوبلوا بحسب ذلك".

ثم نقل الشاطبي عن الغزالي رحمهما الله قوله: "أكثر الجهالات إنما رسخت في قلوب العوام بتعصب جماعة من جهّال أهل الحق، أظهروا الحق في معرض التحدي والإذلال، ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والازدراء فثارت في بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة، ورسخت في قلوبهم الاعتقادات الباطلة، وتعذر على العلماء المتلطفين محوها مع ظهور فسادها.."(٢) وقد أيّد الشاطبي رحمه الله ذلك بقوله: "وهو الحق الذي تشهد له العوائد الجارية، فالواجب أن تسكّن الثائرةَ ما قُدِر على ذلك، والله أعلم"(٣).

وبهذا يتبين أن المواقف التي رويت عن السلف في هجر المبتدع والغلظة على أهلها ليست كلية شرعية، بل كانت طريقةً يُراد منها تنفيذ الكلية وهي تضييق دائرة الإحداث في الدين، وصيانة الناس منها، فإذا تعارض هذا الأسلوب مع كلية أخرى وهي عدم إحداث الفُرقة والعداوة بين المسلمين فإن الواجب ترك الهجر والتغليظ لأنها ليست طريقة تعبدية، بل يسلك إلى الأمرين، وإذا تعارض الضرران فالمرتكب أخفهما، وبعض الشر أهون من بعض.

رابعًا: دعم موقف المتحولين كليًّا أو جزئيًّا.

حتى يستفيد المسلمون من كل تراجع محمود، يجب أن يشجع أي رجوع إلى الحق، ويُدعم أي رجل يفتح باب النقد البناء، فإن الله تعالى أمر المؤمنين بالتعاون

---

(١) والإشارة إلى أعلام الفرقة المخالفة، أي لا يذكروا بسوء بل يكتفى بذكر نوع الخطأ، دون ذم أو تخطئة أعلام الطائفة، حتى لا تحدث العصبيات.

(٢) نقله الشاطبي في الاعتصام٢/٧٣٢ قال: قال الغزالي في بعض كتبه. ـ وقد بحثت عنه فلم أجده ـ . والله أعلم

(٣) الاعتصام للشاطبي٢/٧٣٢.

على طرق الخير، فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وقد يكون بعض هؤلاء المتحولين لم ينتقل عن مذهبه، ولكنه يدعو الناس إلى ما علم من الحق وما بان له من الصواب، فيواجه الأذى من الغلاة والمنتفعين من البدع، فلا يعقل أن يراه إخوانه المسلمون ولا يساندوه ويآزروه، فإن الرجل قد يضعف أو يجد نفسه غريبًا إذا سكت أهل الحق عن مناصرته ومؤازرته، فيكون السكوت في هذا المعرض من باب إعانة الشيطان عليه.



الخاتمة

أولاً: أهم النتائج:

لعل أبرز النتائج التي نستخلصها من هذا البحث ما يلي:

١ - **أن الإمامي مصطلح يراد به من اعتقد بوجود أئمة اثني عشر منصوص عليهم** من الله وأنهم معصومون واعتقد بأن محمد بن الحسن هو المهدي وأنه قد ولد ثم غاب، وقد يختلفون في تفاصيل القول في هذه العقائد الأساسية مثل اختلافهم في تفاصيل العصمة، ويلحق بهؤلاء من سيقول بأن ثمة أئمة اثني عشر منصوص عليهم ولكنهم أئمة علم وديانة وليس سياسة وهو قول الموسوي بالإمامة الروحية - وإن كان أخف من غيره بكثير - .

وأما بقية العقائد فإنها لا تشكل المعنى الأساسي للإمامية، وهم قد يختلفون في إثباتها مثل اختلافهم في إثبات الرجعة، والقول بتحريف القرآن ونحوها.

٢ - **أن الإمامية المعاصرين منهم غلاة، وهؤلاء درجات في الغلو، ومنهم طائفة** تسعى إلى مدافعة الغلو في أبواب التوحيد مثل نسبة العلم بالغيب لغير الله والقول بتصرف الأئمة بالكون "الولاية التكوينية" وصرف العبادة لغير الله من دعاء أو استغاثة، وهؤلاء يختلفون في درجات ما ينكرون كل بحسب ما ظهر له.

٣ - **التحولات المحمودة التي سبق الحديث عنها تشمل من تحول إلى خارج مذهب** الإمامية وذلك بأن ترك القول بالإمامة والعصمة، وقد يكون جمع مع ذلك ترك انحرافات أخرى في أبواب التوحيد والقرآن والصحابة وغيرها بحسب ما ظهر لكل متحوّل، وأما التحول الآخر: هو التحول المحمود داخل المذهب بمعنى أنه لم يترك القول بالإمامة ، ولكنه يسعى إلى تصحيح بعض العقائد الأخرى التي تعد أخطر من القول بالإمامة مثل الشركيات في باب الربوبية وفي باب العبادة، ومثل القول بتحريف القرآن وتكفير الصحابة ونحوها.

٤ ـ أن المذهب الإمامي لم يظهر من أول وهلة بصورته الحالية، بل تكامل شيئًا فشيئًا، وكان تسلسل تطوره ـ بحسب ما ظهر لي ـ على النحو التالي:

- المرحلة الأولى: مرحلة تفضيل علي على سائر الصحابة،وآخر هذه المرحلة شهدت انتشار فكرة الطعن في الشيخين ـ من غير براءة ـ وهذه المرحلة كانت إلى نهاية القرن الأول.
- المرحلة الثانية: وهي مرحلة البراءة من الشيخين، بحيث أصبح هو قول عامة شيعة الكوفة، وهو ما تجلى بشكل واضح سنة ١٢٢هـ في حادثة خروج زيد بن علي رحمه الله.
- المرحلة الثالثة: وهي مرحلة النص والعصمة، ومع أن هذه الفكرة كانت قد ظهرت قبيل نهاية القرن الأول إلا أنها لم يكتب لها إلا في زمن الإمام الصادق ما بين ١٢٢هـ وسنة وفاته ١٤٨هـ.
- المرحلة الرابعة: وهي المرحلة التي شهدت تحديد الأئمة بعدد اثني عشر، وهذه المرحلة بدأت مع موت الإمام الحادي عشر "الحسن بن علي العسكري" رحمه الله بلا ولد سنة ٢٦٠هـ مما اضطر المنظرون للقول بالإمامة لختم النظرية وادعاء الغيبة.

٥ ـ أبرز من وقفت عليهم من الذين تحولوا عن المذهب الإمامي ـ في القرن الأخير ـ :

أ ـ آية الله العظمى السيد أبو الفضل البرقعي.
ب ـ الناقد المثقف أحمد الكسروي.
ت ـ السيد محمد الياسري.
ث ـ آية الله العظمى إسماعيل آل إسحاق (علامة خوئيني).
ج ـ الأستاذ أحمد الكاتب.

٦ ـ وأبرز من وقفت عليه من الذين كانت لهم تحولات محمودة داخل مذهب الإمامية ـ في القرن الأخير ـ :

أ ـ آية الله العظمى المجاهد محمد الخالصي.

ب ـ الدكتور السيد موسى الموسوي.

ت ـ آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله.

وهؤلاء جميعًا يختلفون في مستوى التحول والتصحيح الذي طرحوه، بحسب ما بان لكل واحد منهم، كما أن لبعضهم حسنات كبيرة مثل الجهاد ضد الكفار والأفكار الإلحادية، وجميعهم يشتركون في مقدار ليس بالهين في مجاهدة بعض البدع والخرافات.

وأهم ما اجتمعوا على دفعه عن الدين الإسلامي الصحيح:

أ ـ القول بأن الأئمة يتصرفون بالكون، حيث عدّوه من الانحراف عن التوحيد.

ب ـ نسبة العلم بالغيب لغير الله سواء للأئمة أو غيرهم.

ت ـ النهي عن توجيه العبادة لغير الله تعالى، كالسجود والاستغاثة وطلب الحاجات، واتخاذ الوسطاء من أجل طلب الغفران وغيره.

ث ـ إنكار القول بتحريف القرآن، والرد على من قال بذلك من غلاة الإمامية.

ج ـ إنكار القول بتكفير الصحابة.

ح ـ ذم الخرافات والأساطير.

٧ ـ **إن أبرز الأسباب التي قادت هؤلاء إلى تغيير قناعاتهم:**

أ ـ الإقبال على القرآن الكريم تدبرًا وتفكرًا.

ب ـ الصدق مع الله تعالى.

ت ـ حمل هم الأمة.

ث ـ الحوار الناجح.

ج ـ القدوة والناقد السابق.

ح ـ تسلّط أهل المذهب.

خ ـ البحث المتجرد.

٨ ـ **أن النقد الداخلي في كل مذهب قد يكون حركة تكاملية**، بحيث يكمل الناقد الثاني طريق الأول، فيجب أن تعزز عملية النقد الموضوعي ولو كانت جزئية، لأن هذا يصب في صالح الوحدة على المنهج الواحد الصحيح في النهاية، وهذا يمثل عملية تقريب صحيحة وجدّية على مدى بعيد، وهذا ما يجب أن يدركه بعض الأطراف من أهل السنة الذين لا يرتضون أن يعززوا أي مصحح ما

لم ينتقل إلى الحق المطلق وبدون أي شائبة.

ثانيًا: أهم التوصيات:

١ ـ أن دراسة التحولات المحمودة والمذمومة بموضوعية أمر مهم للغاية، والقرآن مليء بكثير من الإشارات لمثل هذه الدراسة. ومن هذه الموضوعية أن لا تدرس هذه التحولات على سبيل التكثّر والانتصار بهم على الخصم لأن هذا مما يعزز روح الطائفية حتى عند أهل الحق فضلًا عن المخالف لهم، بل الصحيح أن تدرس كلماتهم وآراؤهم بموضوعية تامة، بحيث يستفاد من نقدهم من أجل الوصول إلى وحدة إسلامية على منهج واحد موافق للقرآن والسنة الصحيحة.

٢ ـ يعدّ الاستقراء الواقعي لتطورات المذاهب والفرق ومنها فرقة الإمامية من الأمور المهمة جدًّا، من أجل بناء تعامل وأحكام عادلة ومنصفة على أفرادها، بدلًا من الأحكام العامة.

وأقترح في هذا الصدد إقامة مركز لدراسة واقع الفرق الإسلامية وغير الإسلامية الحالي، من أجل أن نكون أكثر إنصافًا في التعامل مع الجميع.

٣ ـ دعم المتحولين يجب أن يكون عملية متوازنة، بحيث لا يترك جانب التنبيه على الأخطاء لديه، ولا يهمل جانب التصحيح الذي يعد من الجهاد الذي يجب دعمه بكل الوسائل، وهذا ما يدفعنا إلى السؤال: كيف يحصل هذا التوازن؟

للإجابة على هذا ينبغي أن نسلك عدّة خطوات:

أولاً: إشاعة روح الإنصاف في الأحكام لدى العلماء، أو ما نسميه بنفس المحدثين في مراتب الجرح والتعديل.

الثانية: أن يُعَلّم الناس تفاوت الناس في الخير والشر، حتى يستطيع العلماء تجاوز مرحلة "عدم القدرة على إبداء أي تعزيز للمتحول جزئيًّا" خوفًا من أن يفهم الناس التزكية المطلقة، ولا مناص من هذه الخطوة لا سيما وأن كثيرًا من الناس باتوا يسمعون ويرون كل شيء في ظل الإعلام المفتوح وقد ألف الناس السماع مع أصناف متعددة، فإما أن يتواكب علماء الفرق الإسلامية ودعاتها مع المرحلة التي يعيشها الناس ـ وليس مع طلابهم ومريديهم ـ أو أنهم سيجدون أنفسهم معزولين فكريًّا عن الناس.

ثالثًا: ضرورة فتح الصِلات بين أعلام أهل السنة وبين أمثال هؤلاء المصحّحين، بكل الأساليب التي تقرب القلوب قبل كل شيء من أجل فتح مناخ غير متشنج للحوار، للوصول إلى دعم حركة التصحيح في كل الفرق الإسلامية.

رابعًا: أن السكوت عن هذه التحولات هو أبعد المواقف المطلوبة شرعًا؛ لأن التحولات إن كانت خيرًا للأمة فالساكتون لم ينصروها ويعززوها، وإن كانت باطلًا فهم لم يبطلوها ويردّوها، وإن كان فيها خير وشرّ فهم لم يصنعوا شيئًا تجاه خيرها أو شرّها. كما أن النقد المجحف وغير المنصف يخالف قوله تعالى ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

خامسًا: ضرورة تجديد الخطاب السني، وطرح الأسلوب التعميمي بحيث ينتهج المسلك الذي "يستهدي ولا يستعدي"، لاسيما وأن الشدّة والغلظة لن تجدي مع كون المخالفين لأهل السنة ملايين المسلمين، بل الغلظة والحالة هذه لا تُوجد إلا صورةً إعلاميةً قبيحةً في الذهنية العالمية تجاه أهل السنة، ولا يستفيد منها إلا الحانقون على أهل السنة في صد الناس عنهم.

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم القدوة حيث ترك قتل بعض من ثبت لديه نفاقه مع أنّ أصل قتل من ثبت نفاقه مشروع، إلا أنه ترك ذلك من أجل ألا يكون قتلُهم رسالةً إعلاميةً تصدّ الناسَ عن الدخول في الإسلام، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لمن أشار عليه بقتل بعض المنافقين: "**لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه**" متفق عليه[1].

قال الإمام الشاطبي: "النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا سواء كانت الأفعال موافقة أو مخالفة .. وهو مجال للمجتهد صعب المورد، إلا أنه صعب المذاق، محمود الغِبّ [يعني: العاقبة والمآل]، جارٍ على مقاصد الشريعة"[2].

هذا ما تيسر جمعه في هذا البحث، فما أصبت فيه فمن الله، وما أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وأسأل الله تعالى أن يرحمنا وأن يغفر لنا، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والحمد لله رب العالمين.



---

(١) البخاري، رقم: ٤٥٢٥، ومسلم رقم: ٤٦٨٢.

(٢) الموافقات ٤/ ١٩٤.



فهرس المراجع



أولاً: الكتب والرسائل

١. إتحاف المهرة بزوائد المسانيد العشرة ـ أحمد بن أبي بكر البوصيري/ تحقيق دار المشكاة للبحث العلمي/ دار الوطن بالرياض/ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٢. أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية ـ عبد الله الخرعان/ مكتبة الرشد بالرياض/الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٣. إحكام الفصول لأبي الوليد الباجي/ تحقيق عبد المجيد زكي/ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٤. الإحكام في أصول الأحكام ـ سيف الدين الآمدي/ تعليق عبد الرزاق عفيفي/ المكتب الإسلامي ببيروت /الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

٥. الأحكام لابن حزم ٩٦/١ تحقيق أحمد شاكر/ دار الآفاق الجديد/ ببيروت /ط١/ ١٤٠٠هـ.

٦. إحياء الشريعة – محمد الخالصي/ مصور عن مطبعة الأزهر ببغداد / الطبعة الثانية/ ١٣٨٥هـ.

٧. آخر رسالة ـ إسماعيل آل إسحاق الخوئيني ـ مخطوط.

٨. الآراء الصريحة (ضمن مجموع السنة).

٩. أسد الغابة ـ لعز الدين علي بن محمد بن الأثير/ تحقيق: محمد البنا و محمد عاشور.

١٠. الاسلام سبيل السعادة والسلام/ محمد الخالصي/ المؤسسةالإسلامية للنشر/ الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

١١. أشراط الساعة/ يوسف الوابل/ دار ابن الجوزي بالدمام/ الطبعة الثالثة عشرة ١٤٢٠هـ.

١٢. الإصابة في تمييز الصحابة ـ للحافظ أحمد بن علي بن حجر/ تحقيق طه الزيني/ مكتبة ابن تيمية بالقاهرة/ ١٤١١هـ (د.ط).

١٣. أصل الشيعة وأصولها/ محمد حسين آل كاشف الغطا / مؤسسة الأعلمي

ببيروت/ بدون رقم طبعة ولا تاريخ.

١٤. أصول الإسماعيلية ـ لسليمان السلومي/ دار الفضيلة بالرياض/ الطبعة الأولى/ ١٤٢٢هـ.

١٥. أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية ـ الدكتور ناصر القفاري/ دار الرضا/بالجيزة الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ.

١٦. الاعتصام ـ إبراهيم الشاطبي/ تحقيق: سليم بن عيد الهلالي/ دار ابن عفان – الخبر/ الأولى ١٤١٢هـ.

١٧. أعلام السنة المنشورة/ حافظ الحكمي/ تحقيق حازم القاضي/ طبع وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية/ ١٤٢٠هـ.

١٨. أعلام الموقعين عن رب العالمين ـ أبو بكر بن قيم الجوزية/ تحقيق عبد الرحمن الوكيل/ مكتبة ابن تيمية بالقاهرة/ (د.ط).

١٩. الإعلام بقواطع الإسلام "ضمن كتاب الجامع في ألفاظ الكفر"/جمع د.محمد الخميس/ دار إيلاف الدولية بالكويت/ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٢٠. الأعلام ـ خير الدين زركلي/ دار العلم للملايين ببيروت/ الطبعة العاشرة/١٩٩٢م.

٢١. أعيان الشيعة ـ لمحسن الأمين العاملي ـ دار التعارف ببيروت.

٢٢. آفاق الروح في أدعية الصحيفة السجادية ـ محمد حسين فضل الله/دار الملاك ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٢٣. الإمام الخميني لعادل رءوف/ المركز العراقي للإعلام والدراسات بدمشق/ الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

٢٤. الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة ـ لعبد الله الدميجي/ دار طيبة – الرياض/ الأولى/ ١٤٠٧هـ.

٢٥. أمة في رجل"محمد حسين فضل الله" ـ لمحمد الجزائري/ دار الكاتب العربي ببيروت/الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٦. الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد لابن خياط ١٢٠. مراجعة: محمد حجازي، الناشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة.

٢٧. الأنساب ـ عبدالكريم بن محمد السمعاني ـ تحقيق عبدالله عمر البارودي ـ دار الجنان ـ الأولى ١٤٠٨.

٢٨. الإنصاف للمرداوي" مع كتاب الشرح الكبير والمقنع" / علي بن سليمان

المرداوي بتحقيق عبد الله التركي/ توزيع وزارة الشؤون الاسلامية بالمملكة العربية السعودية/ ١٤١٩هـ.

٢٩. الأنوار النعمانية – نعمة الله الجزائري ـ تعليق الطبطبائي/ مؤسسة الأعلمي ببيروت ـ (د.ط).

٣٠. أوائل المقالات – محمد بن النعمان المفيد/ دار المفيد ببيروت الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٣١. بحار الأنوار ـ محمد باقر المجلسي/ دار إحياء التراث العربي ببيروت/ الطبعة الثالثة/ ١٤٠٣هـ.

٣٢. البحر المحيط لمحمد بهادر بن عبد الله الزركشي/ تصحيح وتعليق مجموعة من الباحثين/نشر وزارة الأوقاف بالكويت/ (د.ط).

٣٣. بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم الجوزية ـ جمع يسري السيد محمد/دار ابن الجوزي بالدمام/ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٣٤. البداية والنهاية/ لأبي الفداء بن كثير/ دار المعرفة

٣٥. البدر الطالع ـ للشوكاني/ دار المعرفة ببيروت ـ بدون رقم ولا تاريخ طبعة.

٣٦. البرهان لأبي المعالي الجويني/ تحقيق د.عبدالعظيم الديب،ط١،عام١٣٩٩ هـ،مطابع الدوحة بقطر.

٣٧. بصائر الدرجات الكبرى ـ محمد بن الحسن الصفار /طباعة دار المرعشي ١٤٠٤هـ بقم.

٣٨. البهائية لإحسان إلهي ظهير/ إدارة ترجمان القرآن بلاهور بباكستان/ (د.ط).

٣٩. البيان في تفسير القرآن/ أبو القاسم الخوئي/ مؤسسة الأعلمي ببيروت الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ.

٤٠. بيان مذهب الباطنية وبطلانه ـ لمحمد بن الحسن الديلمي/ مطبعة الدولة بإستنبول/ ١٩٣٨م.

٤١. تأثير المعتزلة على الخوارج والشيعة ـ دار الأندلس الخضراء بجدّة/الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٤٢. تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ/دار العلم للملايين ببيروت/ الطبعة الخامسة/١٩٨٥م.

٤٣. التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر/ المكتب الإسلامي/ طبعة١٤١١هـ.

٤٤. تاريخ الأمم والملوك – محمد بن جرير الطبري/دار صادر ببيروت/الطبعة

الأولى ١٤٢٤هـ.

٤٥. تاريخ العالم الإسلامي المعاصر والحديث لمحمود شاكر و إسماعيل ياغي/ مكتبة العبيكان بالرياض/ الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

٤٦. تاريخ بغداد ـ للخطيب البغدادي/ المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة. (د.ط).

٤٧. تاريخ دمشق – لابن عساكر/ تحقيق علي شري/ دار الفكر الطبعة الأولى١٤١٥هـ.

٤٨. تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ الحافظ يوسف المزي/ تحقيق بشار عواد معروف/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٤٩. كشف الغمة في معرفة الأئمة ـ لأبي الحسن علي بن عيسى الأربلي/ دار الأضواء ببيروت الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

٥٠. مشارق الشموس ـ حسين الخوانساري/ من منشورات مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بإيران.

٥١. شرح أصول الكافي –محمد صالح المازندراني/ تعليق الميرزا أبي الحسن الشعراني/ (د.ط).

٥٢. المهذب للقاضي البرجي/ طبع بإشراف جعفر السبحاني/ الناشر جامعة المدرسين بقم ١٤٠٦هـ.

٥٣. بستان المحدثين – عبد العزيز الدهلوي/ ترجمة محمد أشفاق السلفس أعده وراجعه محمد لقمان السلفي / دار الداعي للنشر بالرياض/ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٥٤. تاريخنا القومي. (ضمن مجموع السنة).

٥٥. تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي/ لمحمد عبد الرحمن المباركفوري/ دار الكتب العلمية بيروت/الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٥٦. تذكرة الحفاظ ـ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي/ دار إحياء التراث العربي بيروت

٥٧. التشيع الصفوي والتشيع العلوي/علي شريعتي/ ترجمه حيدر مجيد/ دار الأمير ببيروت/الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٥٨. التشيع والشيعة – أحمد الكسروي ـ تحقيق ناصر القفاري وسلمان العودة/ بدون ناشر / الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٥٩. تطهير الاعتقاد ـ محمد بن إسماعيل الصنعاني/ حققه شريف بن محمد

فؤاد بن حسن هزاع/ مكتبة الضياء بجدة/ الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٦٠. تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه ـ أحمد الكاتب/ دار الجديد ببيروت/ الطبعة البيروتية الأولى ١٩٩٨م.
٦١. تفسير ابن أبي حاتم ـ عبد الرحمن بن أبي حاتم/ تحقيق أسعد الطيب/ مكتبة نزار الباز/ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٦٢. تفسير ابن كثير ـ محمد بن إسماعيل بن كثير ـ دار المعرفة ببيروت/ دون تاريخ أو رقم طبعة.
٦٣. تفسير التبيان للطوسي ٨/٣٤٠(مكتبة الأمين ـ النجف ـ تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي /١٣٧٦ ـ ١٣٨٢هـ.
٦٤. تفسير الصافي للكاشاني / مؤسسة الأعلمي ببيروت/ بدون رقم ولا تاريخ.
٦٥. التفسير الصحيح أو موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ـ حكمت بشير بن ياسين/ دار المآثر بالمدينة المنورة/ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٦٦. تفسير القاسمي المسمى بمحاسن التأويل ـ محمد جمال الدين القاسمي/ دار الكتب العلمية ببيروت/الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٦٧. تفسير القمي ـ علي بن إبراهيم القمي ـ تحقيق طيب الموسوي ـ الطبعة الثالثة ١٣٧٨هـ (بيروت/ بدون اسم ناشر).
٦٨. تفسير الكريم المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي/ تحقيق عبد الرحمن اللويحق/ مؤسسة الرسالة/الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
٦٩. تفسير المنار ـ محمد رشيد رضا/ دار المعرفة ببيروت/ ١٤١٤هـ.
٧٠. تفسير فرات الكوفي ـ لفرات الكوفي/ من غير ناشر/ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ بطهران.
٧١. تفسير من وحي القرآن ـ محمد حسين فضل الله (من على الموقع الرسمي على الأنترنت)/ أو نسخة دار الملاك ببيروت.
٧٢. التمهيد ـ لأبي بكر الباقلاني/ ضبط وتعليق محمود الخضيري ومحمد أبو ريده/ دار الفكر العربي/ (د.ط).
٧٣. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ـ لأبي الحسين محمد الملطي/تعليق محمد زاهد الكوثري/ الطبعة الثانية.
٧٤. التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ـ عبد الرحمن المعلمي/ تحقيق ناصر الدين الألباني/ مكتبة المعارف بالرياض/ الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٧٥. تهذيب التهذيب/ لأحمد بن علي بن حجر/ دار صادر بيروت/ مصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بحيدر آباد الدكن / الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ.
٧٦. الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا/ على محمد الصّلاّبي/ مكتبة الصحابة بالشارقة/الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٧٧. الثوابت والمتغيرات لصلاح الصاوي/ اصدار المنتدى الإسلامي/ لندن/الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
٧٨. ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية للدكتور جعفر الباقر ـ دار الصفوة
٧٩. جامع البيان "تفسير الطبري" ـ محمد بن جيري الطبري/ دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٨٠. جامع الرواة ـ محمد علي الأردبيلي/ مكتبة المحمدي بقم/ بدون رقم ولا تاريخ طبعة
٨١. جامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي ـ محمد بن عيسى الترمذي/ حققه وشرحه ورقمه أحمد شاكر/ دار الكتب العلمية ببيروت/ بدون تاريخ ولا رقم.
٨٢. جامع العلوم والحكم ـ لابن رجب الحنبلي/ تحقيق شعيب الأرنؤط و إبراهيم باجس/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٨٣. جامع بيان العلم لابن عبد البر /دار الفكر –بيروت ـ بدون رقم طبعة ولا تاريخ.
٨٤. الجامع لأحكام القرآن/ محمد بن أحمد القرطبي/ دار الكتب العلمية ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٨٥. جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام –لأبي بكر بن القيم/ تحقيق مشهور حسن آل سلمان/ دار ابن الجوزي بالدمام/الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٨٦. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية/ تحقيق علي ابن حسن بن ناصر وعبد العزيز العسكر وحمدان الحمدان/ دار العاصمة بالرياض/ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
٨٧. حاشية الروض المربع / لعبد الرحمن بن قاسم/ الطبعة الثانية/ تاريخ ١٤٠٣.
٨٨. حركة النبوة في مواجهة الانحراف ـ محمد حسين فضل الله / إعداد شقيق الموسوي/ دار الملاك الطبعة الأولى ١٤١٧.
٨٩. حق اليقين ـ لعبد الله شبر ١/ دار الأضواء ببيروت / الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٩٠. حقبة من التاريخ ـ عثمان الخميس/ دار ابن الجوزي/ الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
٩١. الحكومة الإسلامية للخميني ـ المكتبة الإسلامية الكبرى بطهران.
٩٢. حلية الأولياء ـ لأبي نعيم الأصبهاني/ دار الكتاب العربي ببيروت.
٩٣. حوار مع السيد محمد حسين فضل الله ثلاثة الآف سؤال وجواب ـ محمد حسين فضل الله/بدون ناشر/ الطبعة الثالثة ١٩٩٨م
٩٤. الحوزة العلمية تدين الانحراف لمحمد علي الهاشمي المشهدي/ بدون ناشر/ الطبعة الثانية ١٩٩٩م.
٩٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور ـ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي/دار الكتب العلمية ببيروت/الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٩٦. درء تعارض العقل والنقل/ ابن تيمية/ تحقيق محمد رشاد سالم/ مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض/ الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
٩٧. دراسات في الأهواء والفرق – ناصر العقل/ دار إشبيلية بالرياض/ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٩٨. دراسات في الحديث والمحدثين لهاشم الحسيني/ دار التعارف ببيروت الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.
٩٩. دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة"/أحمد بن محمد جلي/ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية/ الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.
١٠٠. الدرر النجفية للعلامة المحدث يوسف البحراني /مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.
١٠١. دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث لعبد الله النفيسي/ دار النهار / الطبعة الثانية ١٩٨٦م.
١٠٢. الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث/ د اسماعيل ياغي/ مكتبة العبيكان بالرياض/ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
١٠٣. الذريعة إلى تصانيف الشيعة – أغابزرك الطهراني/ دار الأضواء ببيروت/ الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ.
١٠٤. ذم الكلام وأهله لأبي الفضل المقري دار أطلس/الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
١٠٥. ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ـ دار المعرفة ببيروت ـ (د.ط).
١٠٦. رجال ابن داود ـ الحسن بن علي بن أبي داود الحلي/ طبعة طهران ١٣٨٣هـ.
١٠٧. رجال الكشي أو اختيار معرفة الرجال ـ أبي جعفر محمد الطوسي/ تحقيق

مهدي الرجائي / مؤسسة آل البيت ومطبعة بعثت بقم ١٤٠٤هـ.
١٠٨. رد الدارمي على بشر المريسي /ط دار الكتب العلمية ـ تحقيق محمد حامد الفقي.
١٠٩. الرد على المنطقيين ـ ابن تيمية ـ إدارة ترجمان السنة — باكستان ـ الطبعة الثانية/١٣٩٦هـ.
١١٠. الرد على الوهابية ـ محمد جواد البلاغي ـ تحقيق السيد محمد علي الحكيم ـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث.
١١١. الرد على شبهات المستعينين بغير الله ـ أحمد بن عيسى الحنبلي/ تصحيح عبد السلام بن برجس العبد الكريم ١٤٠٩هـ بدون رقم طبعة.
١١٢. الرزيّة في القصيدة الأزرية(ضمن مجموع السنة).
١١٣. رسالة الزيدية نشأتها ومعتقداتها ـ للقاضي إسماعيل الأكوع/ دار الفكر ببيروت/ الطبعة الثالثة١٤١٨هـ.
١١٤. رسالة المجاهد الأكبر الإمام محمد الخالصي إلى أحمد قوام السلطنة رئيس الحكومة الإيرانية ـ محمد الخالصي ـ ترجمة هادي بن محمد الخالصي ـ الطبعة العربية الأولى ١٤١٨.
١١٥. رسالة إلى الخميني ـ إسماعيل آل إسحاق الخوئيني ـ مخطوط.
١١٦. رسالة في الرد على الرافضة لمحمد بن عبد الوهاب تحقيق ناصر الرشيد/ مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بمكة/ الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.
١١٧. رسالة وجوب التعاون بين المسلمين (ضمن المجموع الكاملة لمؤلفات السعدي) مكتبة صالح بن صالح ١٤١١هـ.
١١٨. روضات الجنات في أحوال العلماء السادات/ محمد باقر الخوانساري/ تحقيق أسد الله إسماعليان/ المطبعة الحيدرية ١٩٥٠م.
١١٩. روضة الناظر لابن قدامة الحنبلي/ تحقيق علي النملة/ مكتبة الرشد بالرياض/ الطبعة الأولى١٤١٣هـ.
١٢٠. روضة الواعظين ـ لمحمد بن الحسن الفتال ـ دار الرضا ـ قم.
١٢١. زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي/ دار الفكر / الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
١٢٢. زاد المعاد في هدي خير العباد/ ابن قيم الجوزية/ تحقيق عبد القادر الأرنؤوط وشعيب الأرنؤوط /مؤسسة الرسالة/ الطبعة الثالثة عشرة ١٤٠٦هـ.
١٢٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة ـ محمد ناصر الدين الألباني/ المكتب

الإسلامي بيروت/ الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
١٢٤. السنة لابن أبي عاصم/ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني/ المكتب الإسلامي/ الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ.
١٢٥. السنة ـ لعبد الله بن أحمد/ تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني/ دار ابن القيم – الدمام/ الطبعة الأولى١٤٠٧هـ.
١٢٦. سنن ابن ماجه /حققه محمد فؤاد عبد الباقي/ دار إحياء التراث العربي/ (د.ط).
١٢٧. سنن أبي داود ـ مراجعة وضبط محيي الدين عبد الحميد/ مكتبة الرياض الحديثة بدون تاريخ ولا رقم.
١٢٨. سنن النسائي ـ أحمد بن شعيب النسائي/ دار المعرفة ببيروت/ الطبعة الأولى١٤١١هـ.
١٢٩. سير أعلام النبلاء ـ الحافظ محمد بن عثمان الذهبي/ تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين /مؤسسة الرسالة ببيروت/ الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ.
١٣٠. السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام الحميري/ تحقيق همام عبد الرحيم ومحمد عبد الله أبو صعليك/ مكتبة المنار / الأردن / الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
١٣١. سيرة وحياة الإمام الخوئي ـ لأحمد الواسطي/ دار الهادي ببيروت / الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
١٣٢. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ـ هبة الله بن الحسن اللالكائي/ تحقيق أحمد سعد حمدان/ دار طيبة – الرياض/ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
١٣٣. شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار/ تحقيق:عبد الكريم عثمان/ مكتبة وهبة بمصر الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ.
١٣٤. شرح العقيدة الطحاوية ـ علي بن أبي العز الحنفي/ تحقيق عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط/ مؤسسة الرسالة ببيروت الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
١٣٥. شرح الكوكب المنير ـ أحمد بن عبد العزيز الفتوحي المعروف بابن النجار/ تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد/من منشورات مركز البحوث وإحياء التراث بمكة (جامعة أم القرى)/الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
١٣٦. شرح صحيح مسلم ـ الإمام النووي/ مؤسسة مناهل العرفان ببيروت.
١٣٧. الشهادة الثالثة في الأذان والاقامة لجاسم آل كلكاوي/ منشورات مكتبة الزهراء بكربلاء/ الطبعة الأولى ١٩٥٥م.

١٣٨. الشيخ عبد العزيز البدري/ لمحة من السيرة الذاتية الجهادية/تأليف محمد الآلوسي).
١٣٩. الشيخية ـ محمد حسن الطالقاني/ الآمال للمطبوعات ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
١٤٠. الشيعة في عقائدهم وأحكامهم ـ أمير محمد الكاظمي القزويني/ دار الزهراء ببيروت/ الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ.
١٤١. الشيعة والتشيع ـ محمد الحسيني الشيرازي/ دار صادق ببيروت/ الطبعة الأولى/ ١٤٢٢هـ.
١٤٢. الشيعة والتصحيح ـ موسى الموسوي ـ بدون تاريخ ولا رقم طبعة.
١٤٣. الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير/ إدار ترجمان القرآن بلاهور باكستان/ من دون رقم طباعة ولا تاريخ.
١٤٤. الصابئة الزرادشتية اليزيدية ـ لأسعد للسحمراني/ دار النفائس/ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
١٤٥. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان/ حققه شعيب الأرنؤوط/ مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
١٤٦. صحيح البخاري ـ محمد بن إسماعيل البخاري/عالم الكتب ببيروت (مصورة عن الطبعة المنيرية)./ الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
١٤٧. صحيح سنن أبي داود/ محمد ناصر الدين الألباني/ مكتب التربية بالرياض والمكتب الأسلامي ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
١٤٨. صحيح سنن الترمذي/ لمحمد ناصر الدين الألباني/ مكتب التربية بالرياض و المكتب الإسلامي ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
١٤٩. صحيح سنن النسائي ـ ناصر الدين الألباني/ مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض والمكتب الإسلامي ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
١٥٠. صحيح مسلم ـ مسلم بن الحجاج النيسابوري/ حققه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقي/ دار إحياء الكتب العربية (للبابي الحلبي) (د.ط).
١٥١. الصحيح من أسباب النزول ـ عصام الحميدان/ دار الذخائر ومؤسسة الريان ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
١٥٢. الصحيفة السجادية/ الناشر: دار الهادي / بقم.
١٥٣. الصرخة الكبرى أو عقيدة الشيعة الإمامية في أصول الدين وفروعه في عصر

الأئمة وبعدهم ـ موسى الموسوي/ من مطبوعات المجلس الإسلامي الأعلى في أمريكا – لوس أنجلوس ١٤١١هـ.
١٥٤. الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ـ أحمد بن حجر الهيتمي/ دار الكتب العمية ببيروت/ بدون رقم طبعة ولا تاريخ.
١٥٥. ضوابط الجرح والتعديل عند الحافظ الذهبي ـ محمد الثاني بن عمر بن موسى/ إصدار دار الحكمة ببريطانيا ـ ليدز/ الطبعة الأولى١٤٢١هـ.
١٥٦. طبقات الشافعية لعبد الوهاب السبكي/ تحقيق محمود محمد الطناحي و عبدالفتاح محمد الحلو/ تاريخ الطبعة ١٣٨٣.
١٥٧. الطبقات الكبرى ـ محمد بن سعد بن منيع الزهري/ دار صادر ـ بيروت.
١٥٨. طبقات فحول الشعراء للجمحي/ تحقيق محمود شاكر/ طبعة مدني / القاهرة ١٣٩٤هـ.
١٥٩. العدة في أصول الفقه ـ لأبي يعلى الحنبلي/ حققه أحمد سير مباركي/ مؤسسة الرسالة ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
١٦٠. عراق بلا قيادة ـ عادل رؤوف/ المركز العراقي للإعلام والدراسات بدمشق/ الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
١٦١. عقائد الإمامية ـ محمد رضا المظفر/ دار الغدير ببيروت ١٤٠٤هـ.
١٦٢. عقائد الإمامية ـ محمد رضا المظفر/ دار الغدير/ بيروت/تاريخ ١٣٩٩هـ.
١٦٣. العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية/ محمد بن عبد الهادي/ مكتبة المؤيد بالرياض/(د.ط).
١٦٤. عقيدة الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية ـ علي أحمد السالوس/دار الاعتصام بالقاهرة/ الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
١٦٥. علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين ـ محمد الخالصي ـ ترجمة هادي بن محمد الخالصي ـ الطبعة العربية الأولى ١٤١٨هـ.
١٦٦. العلاّمة البيات ـ تأليف أسرة البيات ـ الناشر مؤسسة الهداية ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
١٦٧. العمل الإسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية – عادل رؤوف/ المركز العراقي للإعلام والدراسات بدمشق/ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
١٦٨. عنوان المجد في تاريخ نجد/ عثمان بن بشر النجدي/ مكتبة الرياض

الحديثة/ بدون تاريخ ولا رقم طباعة.

١٦٩. عون المعبود شرح سنن أبي داود ـ أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي/ دار الكتب العلمية/ بيروت الطبعة الأولى١٤١٠هـ.

١٧٠. الغلو في الدين ـ الصادق عبد الرحمن الغرياني/ دار السلام بالقاهرة/ الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٧١. فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ ابن حجر العسقلاني ـ دار الريان/ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي وتحقيق محب الدين الخطيب/ الطبعة الثانية١٤٠٩هـ.

١٧٢. الفتح الرباني ـ أحمد بن عبد الرجمن البنا/ دار إحياء التراث العرابي ببيروت. (د.ط).

١٧٣. فتح القدير – محمد بن علي الشوكاني/ المكتبة العصرية ببيروت/ الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

١٧٤. فرق الشيعة ـ للحسن بن موسى النوبختي/ طبعة كربلاء ١٣٩٩هـ.

١٧٥. الفرق بين الفرق ـ لأبي طاهر عبد القادر البغدادي/ تحقيق محيي الدين عبد الحميد/ دار المعرفة ببيروت بدون رقم ولا تاريخ.

١٧٦. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ـ غالب العواجي ـ مكتبة لينا ومكتبة أضواء المنار بالمدينة المنورة/ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٧٧. فصل الخطاب في إثبات تحريف كلام رب الأرباب ـ حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي/ طبعة إيران ١٣٩٨هـ.

١٧٨. الفصل لابن حزم/ بهامش الملل والنحل. ط: مطبعة صبيح ١٣٨٤هـ.

١٧٩. الفصول المهمة في أصول الأئمة ـ محمد بن الحسن العاملي/مكتبة بصيرتي بقم الطبعة الثالثة.

١٨٠. فضائل الصحابة ـ أحمد بن حنبل/ تحقيق وصي الله بن محمد عباس/ دار ابن الجوزي بالدمام/ الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

١٨١. فقه الحياة "حوار مع آية الله محمد حسين فضل الله"/ أجراه أحمد أحمد و عادل القاضي/ مؤسسة العارف للمطبوعات ببيروت/الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ.

١٨٢. الفهرست ـ محمد بن إسحاق بن النديم/ دار المعرفة – بيروت/ بدون رقم ولا تاريخ.

١٨٣. في رحاب دعاء كميل ـ محمد حسين فضل الله/ دار الملاك ببيروت/ الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ.
١٨٤. القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة الإمامية الاثني عشرية ـ محمد الياسري ـ مخطوط.
١٨٥. القضاء والقدر لعبد الرحمن المحمود/ دار النشر الدولي – الرياض/ الأولى/ ١٤١٤هـ.
١٨٦. القضاء والقدر للسبحاني.
١٨٧. قواطع الأدلة للسمعاني ٢/٢٦٤ ـ ٢٩٣ تحقيق د.عبد الله الحكمي/ الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ بدون ناشر.
١٨٨. قواعد التفسير/ خالد بن عثمان السبت/ دار ابن عفان بالخبر/الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
١٨٩. القواعد الحسان للسعدي .(ضمن المجموعة الكاملةلمؤلفات السعدي ـ جزء٨)/ مكتبة صالح بن صالح بعنيزة ١٤١١هـ.
١٩٠. القواعد النورانية الفقهية ـ أبو العباس ابن تيمية/ تحقيق محمد حامد الفقي/ مكتبة المعارف بالرياض/الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ
١٩١. القول السديد(ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي) مكتبة صالح بن صالح بعنيزة . القصيم/ ١٤١١هـ.
١٩٢. الكافي/ محمد بن يعقوب الكليني/ دار الكتب الإسلامية بطهران/ الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ.
١٩٣. الكامل في التاريخ/ لابن الأثير تحقيق إحسان عباس / دار صادر ببيروت/ ١٣٨٥هـ
١٩٤. كتاب الاستقامة ـ شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية/ تحقيق محمد رشاد سالم/ مكتبة ابن تيمية / (د.ط).
١٩٥. كتاب الإمام الخميني ـ عادل رؤوف ـ المركز العراقي للإعلام والدراسات بدمشق/ الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.
١٩٦. كتاب الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير/إدارة ترجمان القرآن/ (د.ط).
١٩٧. كتاب الشيعة وتحريف القرآن ـ محمد مال الله ـ بدون ناشر ـ الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
١٩٨. كتاب القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة" للياسري ـ مخطوط.

١٩٩. كتاب نظريات الحكم في الفقه الشيعي لمحسن كديفر.

٢٠٠. كسر الصنم نقض كتاب أصول الكافي ـ أبو الفضل البرقعي/ ترجمه عبد الرحيم البلوشي/ دار البيارق بعمّان/ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٢٠١. لسان العرب لابن منظور/ نشر مكتبة العبيكان "مصورة عن نسخة دار صادر" الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

٢٠٢. لوامع الأنوار البهية ـ محمد السفاريني/ المكتب الإسلامي ودار الخاني/ الطبعة الثالثة ١٤١١هـ.

٢٠٣. المتآمرون في المسلمين الشيعة من معاوية إلى ولا ية الفقيه ـ موسى الموسوي/ مكتبة مدبولي بالقاهرة/ الطبعة الثانية ١٩٩٦م.

٢٠٤. مجمع البيان للطبرسي ٦/١٥٣-١٥٢ (دار مكتبة الحياة – بيروت ١٣٨٠هـ)

٢٠٥. مجمع الزوائد لعلي بن أبي بكر الهيتمي/ مؤسسة المعارف ببيروت/ تاريخ ١٤٠٦هـ (د.ط).

٢٠٦. مجموع الفتاوى ـ شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية / جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد/ بدون تاريخ ولا رقم طبعة.

٢٠٧. المجموع شرح المهذب/محيي الدين النووي/ دار الفكر – من دون تاريخ ولا رقم طبعة.

٢٠٨. المجيز على الوجيز (ضمن مجموع السنة).

٢٠٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ عبد الحق بن عطية الأندلسي/ تحقيق المجلس العلمي بفاس. ١٣٩٥هـ.

٢١٠. المحصول في علم أصول الفقه ـ الفخر الرازي مطابع الفردوس بالرياض / تحقيق طه جابر العلواني/ ط ١٤١٠هـ.

٢١١. مختصر التحفة الاثني عشرية ـ شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي ـ ترجمة غلام محمد بن محيي الدين الأسلمي واختصره محمود الآلوسي وحققه محب الدين الخطيب/ المطبعة السلفية بالقاهرة/ ١٣٧٣هـ.

٢١٢. مختصر تاريخ دمشق لمحمد بن مكرم بن منظور/ تحقيق روحية النحاس/ دار الفكر/ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٢١٣. مدارج السالكين ـ لمحمد بن عبدالله بن القيم/ تحقيق محمد حامد الفقي/.

٢١٤. مدينة المعاجز ـ هاشم البحراني/ مؤسسة المعارف الإسلامية/ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ

٢١٥. مذهبنا الامامي الاثني عشري بين منهج الأئمة والغلو – محمد الياسري – مخطوط.
٢١٦. مرآة العقول – محمد باقر المجلسي/ بدون ناشر/ طبعة إيران ١٣٢٥هـ.
٢١٧. مراجعات في عصمة الأنبياء من منظور قرآني – عبد السلام زين العابدين/ بدون ناشر/ الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ.
٢١٨. مرجعية المرحلة وغبار التغيير – جعفر الشاخوري البحراني/ دار الأمير ببيروت/ الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.
٢١٩. مروج الذهب ومعادن الجوهر – أبي الحسن علي المسعودي/ المكتبة العصرية ببيروت/ بدون تاريخ ولا رقم طبعة.
٢٢٠. المسائل البيروتية –محمد الصدر – دار الملاك الأصيل – بيروت.
٢٢١. مسائل عقدية – محمد حسين فضل الله/ دار الملاك/ الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ.
٢٢٢. مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة – ناصر القفاري/ دار طيبة – الرياض/ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٢٢٣. مستدرك الوسائل – حسين النوري الطبرسي/ المكتبة الإسلامية بطهران.
٢٢٤. مسند أبي يعلى الموصلي – حققه حسين سليم أسد/ دار الثقافة العربية/ دمشق الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٢٢٥. المسند –للإمام أحمد بن حنبل/ فهرسه ورقمه ناصر الدين الألباني/ مؤسسة قرطبة ودار الراية بالرياض.
٢٢٦. المطالب العالية – شهاب الدين بن حجر / تحقيق غنيم عباس وياسر إبراهيم / دار الوطن بالرياض/ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٢٢٧. مع الدكتور موسى الموسوي في كتاب الشيعة والتصحيح – علاء الدين القزويني/ دائرة معارف الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت – مركز الغدير بقم /الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
٢٢٨. مع محب الدين الخطيب في خطوطه العريضة – لطف الله الصافي/ مكتبة الصدر بطهران/ ١٤٠٣هـ بدون رقم طبعة.
٢٢٩. معالم التنزيل – الحسين بن مسعود البغوي/ حققه محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الخراشي/ دار طيبة بالرياض/ ١٤٠٩هـ.
٢٣٠. المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسن البصري/ تحقيق محمد حميد الله / تاريخ الطبعة ١٣٨٤هـ.

٢٣١. معجم البلدان ـ ياقوت الحموي/ تحقيق فريد الجندي/ دار الكتب العلمية ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٢٣٢. المعجم الذهبي ـ تأليف محمد التونجي/دار العلم للملايين ببيروت/ الطبعة الثانية ١٩٩٢م.
٢٣٣. المعجم الكبير ـ سليمان بن أحمد الطبراني/ تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي/ وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ـ العراق.
٢٣٤. المعجم الوسيط ـ تأليف إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار/ المكتبة الإسلامية باستنبول/ الطبعة الثانية١٣٩٢هـ.
٢٣٥. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ـ لأبي القاسم الخوئي/ الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ.
٢٣٦. معجم لغة الفقهاء ـ لقلعجي وقيني ـ ٢٨٤ دار النفائس ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨هـ.
٢٣٧. معجم مقاييس اللغة ـ أحمد بن فارس/ دار إحياء التراث العربي ـ الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٢٣٨. مقاتل الطالبيين ـ لأبي الفرج الأصبهاني/ تحقيق أحمد صقر/ منشورات مؤسسة الأعلمي ببيروت/ الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.
٢٣٩. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ـ أبي الحسن علي الأشعري/ تحقيق محيي الدين عبد الحميد/ الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ.
٢٤٠. المكاسب للمحاسبي (ملحق بكتاب المسائل في أعمال القلوب والجوارح) للحارث المحاسبي/ دار الكتب العلمية ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
٢٤١. الملل والنحل ـ لعبد الكريم الشهرستاني/ تحقيق عبد الأمير مهنا وعلي فاعور/ دار المعرفة ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٢٤٢. من الشك إلى الشك ـ السيد إدريس الحسيني/ دار الخليج العربي الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٢٤٣. من فقه الزهراء عليها السلام دار الصادق بيروت/ الطبعة الثانية
٢٤٤. من لا يحضره الفقيه/ ابن بابويه القمي/ دار صعب ببيروت/ ١٤٠١هـ.
٢٤٥. من لا يحضره الفقيه/ لابن بابويه القمي/ تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري/ من منشورات جماعة المدرسين في الحوزة بقم / الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
٢٤٦. المناقب للمازندراني /ط مؤسسة العلامة للنشر بقم ١٣٧٩هـ

٢٤٧. المنتظم في تاريخ الامم والملوك ـ لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي/ تحقيق: محمد عطا و مصطفى عطا/ دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى/ ١٤١٢.
٢٤٨. المنتقى من المنهاج – اختصره الحافظ محمد بن عثمان الذهبي ـ بتعليق محب الدين الخطيب/ بدون ناشر ولا تاريخ ولا رقم.
٢٤٩. منتهى المقال ـ أبي علي محمد بن إسماعيل المازندراني /مؤسسة آل البيت ببيروت/ بدون رقم طبعة ١٤١٩هـ.
٢٥٠. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة/مؤسسة الوفاء ببيروت.
٢٥١. منهاج السنة النبوية ـ لابن تيمية/ تحقيق محمد رشاد سالم/ الناشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة/ الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.
٢٥٢. المنهاج أو المرجعية القرآنية ـ محمد الياسري ـ مخطوط.
٢٥٣. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ـ عثمان علي حسن/ مكتبة الرشد – الرياض/ الأولى/ ١٤١٢هـ.
٢٥٤. منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد ـ د.عثمان علي حسن ـ دار أشبيلية بالرياض ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٢٠هـ.
٢٥٥. المهدي المنتظر/ د.عبد العليم البستوي/ المكتبة المكية ودار ابن حزم/الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٢٥٦. الموافقات في أصول الشريعة ـ إبراهيم بن موسى الشاطبي/ تعليق الدراز/ دار المعرفة ببيروت.
٢٥٧. موسوعة الإجماع/ سعدي أبو جيب/ دار الفكر بدمشق / الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ.
٢٥٨. موسوعة الأديان ـ مجموعة باحثين /دار النفائس ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٢٥٩. الموسوعة القرآنية ـ إسماعيل آل إسحاق الخوئيني ـ مخطوط.
٢٦٠. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة / إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي/ بإشراف مانع الجهني/ الناشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ.
٢٦١. موسوعة عالم القرآن للخوئيني ـ مخطوط.
٢٦٢. موقف ابن تيمية من الأشاعرة ـ عبد الرحمن المحمود/ مكتبة الرشد بالرياض/ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٢٦٣. موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة/لسليمان الغصن/ دار العاصمة بالرياض/ الطبعة الأولى١٤١٦هـ

٢٦٤. ميزان الاعتدال - الحافظ محمد بن عثمان الذهبي/ دار المعرفة ببيروت/بدون رقم ولا تاريخ طباعة.

٢٦٥. النبوات/ أبو العباس بن تيمية/ تحقيق محمد عبد الرحمن عوض/ دار الكتاب العرابي ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٦٦. الندوة "سلسلة ندوات وأسئلة - محمد حسين فضل الله/ دار الملاك.

٢٦٧. نظم المتناثر من الحديث المتواتر/ أبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني/ دار الكتب السلفية بمصر/الطبعة الثانية/ بدون تاريخ

٢٦٨. نقض التأسيس ـ شيخ الاسلام أحمد بن تيمية/ تحقيق محمد بن قاسم/ مطبعة الحكومة بمكة/ الطبعة الأولى ١٣٩١هـ.

٢٦٩. نقض الوشيعة أو الشيعة بين الحقائق والأوهام ـ لمحسن الأمين العاملي/ دار الغدير ببيروت/الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٧٠. النهاية في غريب الحديث والأثر/ لأبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير/تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي/المكتبة العلمية ببيروت/ بدون تاريخ ولا رقم.

٢٧١. نهج البلاغة/ جمع الشريف المرتضى مع شرح محمد عبده/ مؤسسة المعارف ببيروت/ ١٩٩٦هـ.

٢٧٢. نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز آل عبد اللطيف/ دار الوطن بالرياض/ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢٧٣. نيل الأوطار ـ محمد بن علي الشوكاني/ حققه طه عبد الرؤوف ومصطفى الهواري/ مكتبة المعارف بالرياض من دون رقم أو تاريخ طبع

٢٧٤. هجر العلم ومعاقله في اليمن - القاضي إسماعيل الأكوع/ دار الفكر المعاصر بيروت، ودار الفكر بدمشق/ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٢٧٥. وانظر أساس التقديس / تحقيق أحمد حجازي/ الناشر مكتبة الكليات الأزهرية،١٤٠٦هـ.

٢٧٦. الوحدة الإسلامية بين الأخذ والرد (ضمن مجموع السنة).

٢٧٧. وسائل الشيعة إلى تحقيق مسائل الشريعة - محمد بن الحسن العاملي/ تحقيق عبد الرحيم الشيرازي/ دار إحياء التراث العربي ببيروت/ الطبعة

الخامسة ١٤٠٣هـ.

٢٧٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ أحمد بن محمد بن خلكان ـ دار صادر ببيروت بدون تاريخ ولا رقم طبعة.

٢٧٩. الولاية التكوينية بين الكتاب والسنة – هشام شري العاملي/دار الهادي ببيروت/ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٢٨٠. ياشيعة العلم استيقظوا ـ موسى الموسوي / بدون ناشر ولا رقم أو تاريخ.

❁❁❁

ثانيًا: الدوريات والصحف

٢٨١. جريدة الحياة ١٩٩٩/١/٢٥م مقال:(فضل الله يقود ثورة ثقافية ويشكو الإرهاب الفكري).

٢٨٢. جريدة الحياة العدد١٤٥٥٢: مقال(الصراع على المرجعية الشيعية يخرج إلى العلن).

٢٨٣. جريدة الرأي العام تاريخ ٢٠٠٣/١٢/١م.

٢٨٤. جريدة النهار الصادرة في ٨ كانون الثاني ٢٠٠٣م مقال:"شريط مؤلف يستهدف فضل الله يوزع في قم ولبنان ويشغل الشيعة" لرضوان عقيل.

٢٨٥. صحيفة الحياة ٢٠٠٣/١٢/١٨م . مقال: محمد نون بعنوان: (خامنئي: ولاية الفقيه لا تعني إطلاق يده بلا حسيب أو رقيب).

٢٨٦. صحيفة السفير١/شباط ٢٠٠٣م. مقال: المرجعية الشيعية من الجاذبية إلى التجاذب السياسي.

٢٨٧. صحيفة الشرق الأوسط. يوم ٢٦يونيو ٢٠٠٣م. مقال هدى الحسيني، بعنوان: (يرفضون خدعة الانقسام بين المتشددين والإصلاحيين).

٢٨٨. صحيفة النهار اللبنانية/الاربعاء ٢٠٠٢/١٠/٢٣م مقال: سالم مشكور عن وثيقة بعنوان: (شيعة العراق يؤمنون بـ"سيادة الشعب" لا بـ"ولاية الفقيه).

٢٨٩. مجلة الشراع ١٩٩٨م/ مقال: "فتاوى تكفره وخامنئي يدعمه".

٢٩٠. مجلة الشهيد ـ العدد الخامس ١٩٨٤م/ مقال: (صدى حركة الجهاد الليبي في العالم الاسلامي).

٢٩١. مجلة النبأ العدد٦١. ضمن مقال: ذكرياتي عن أخي.

٢٩٢. مجلة الواحة/العدد الأول/ مقال: (النقد الذاتي وسلطة العوام لفؤاد ابراهيم).

٢٩٣. مجلة رسالة الإسلام ـ جمادى الأول١٣٧٣هـ/١٩٥٤م/ مقال الطوائف الإسلامية في العراق ـ لمحمد الخالصي.



ثالثًا: مواقع على الشبكة العنكبوتية (الانترنت)

294. http://www.14masom.com
295. www.al_shia.com
296. http://www.lankarani.org/Arabic.
297. http://www.almodarresi.com/books
298. www.alhakeem.com/arabic
299. http://www.aljazeera.net/news/arabic
300. http://iraqcenter.com
301. http://www.ebaa.net
302. http://iraqcenter.com
303. http://www.hadith.net
304. www.alwaha.com.
305. http:attajdid.tm.ma
306. http://www.isl.org.
307. http://www.al_rasool.net
308. http://www.annabaa.org
309. www.alkatib.co.uk
310. http://www.islamonline.net/Arabic
311. http://www.tabrizi.org
312. http://www.rezgar.com
313. www.alshia.com.
314. www.geocities.com
315. http://www.bayynat.org
316. http://www.rafed.net
317. http://www.mabarrat.org.lb/arabic
318. http://www.fadlullah.org
319. http://www.geocities.com/alshia_d/alshia١.htm
320. http://www.zalaal.net

رابعًا: اللقاءات والمراسلات الخاصة

٣٢١. لقاء مع: محمد حسين فضل الله يوم الخميس ٥/٦/ ٢٠٠٣م ببيروت.

٣٢٢. لقاء مع: محمد حسين فضل الله يوم الأربعاء ٢٦/١/ ١٤٢٥هـ ببيروت.

٣٢٣. لقاء مع: الشيخ حسين الخشن (من أبرز طلاب محمد حسين فضل الله) يوم الخميس ٥/٦/٢٠٠٣م ببيروت.

٣٢٤. زيارة لأرشيف موقع (بينات) ـ الموقع الرسمي لمحمد حسين فضل الله على الإنترنت ـ يوم الأربعاء ٤/ ٦/ ٢٠٠٣م ببيروت.

٣٢٥. مجموعة مراسلات مع الأستاذ. أحمد الكاتب.

٣٢٦. لقاء مع الشيخين: محمد الآلوسي وتوفيق البدري يوم الثلاثاء ٢٨/١١/١٤٢٤هـ بالرياض.



فهرس المحتويات